



مقامات

أبي الفضل بدیع الزمان الهمدانی

شرحها وحققها

محمد محی الدین عبد الحمید

تقديم

شريف سيد عفت

رَفْعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رَفَعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقامات

أبي الفضل بدیع الزمان الهمدانی

رَفَعُ

جَدِّ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْبَخْتَرِيِّ
أَسْكَنْهُ اللَّهُ الْفَرْدَوْسَ

www.moswarat.com



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٢

مكتبة الأسرة

السيدة سوزان مبارك

لأعمال الإبداعية)

الجهات المشاركة:

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية

وزارة الثقافة

وزارة الإعلام

وزارة التربية والتعليم

وزارة التنمية المحلية

وزارة الشباب

التنفيذ : هيئة الكتاب

مقامات

أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى

شرحها وحققها: محمد محى الدين عبدالحميد

تقديم: شريف عفت

الغلاف

والإشراف الفنى:

الفنان : محمود الهندى

الإخراج الفنى والتنفيذ:

صبرى عبدالواحد

المشرف العام :

د. سمير سرحان

على سبيل التقديم :

نعم استطاعت مكتبة الأسرة بإصداراتها عبر الأعوام الماضية أن تسد فراغا كان رهيباً في المكتبة العربية، وأن تزيد رقعة القراءة والقراء، بل حظيت بالتفاف وتلهف جماهيري على إصداراتها غير مسبوق على مستوى النشر في العالم العربي أجمع، بل أعادت إلى الشارع الثقافي أسماء رواد في مجالات الإبداع والمعرفة كادت أن تنسى، وأطلعت شباب مصر على إبداعات عصر التنوير وما تلاه من روائع الإبداع والفكر والمعرفة الإنسانية المصرية والعربية على وجه الخصوص. ها هي تواصل إصداراتها للعام التاسع على التوالي في مختلف فروع المعرفة الإنسانية بالنشر الموسوعي بعد أن حققت في العامين الماضيين إقبالاً جماهيرياً رائعاً على الموسوعات التي أصدرتها. وتواصل إصدارها هذا العام إلى جانب الإصدارات الإبداعية والفكرية والدينية وغيرها من السلاسل المعروفة وحتى إبداعات شباب الأقاليم وجدت لها مكاناً هذا العام في «مكتبة الأسرة».. سوف يذكر شباب هذا الجيل هذا الفضل لصاحبه وراعيته السيدة العظيمة/ سوزان مبارك..

د. سمير سرحان

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

مقدمة

الكتاب الذى بين يديك هو جهد طيب مثمر فى شرح مقامات
أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى (٣٥٨-٣٩٨هـ/٩٦٩ -
١٠٠٨م) قطب أقطاب المقامات فى تاريخ الأدب العربى .

وقد قام بهذا الجهد الأستاذ محمد محى الدين عبد الحميد
نجل صاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ عبد الحميد إبراهيم مفتى
وزارة الأوقاف العمومية وقام بالنشر فى عشرينيات القرن
الماضى الأستاذ محمد سعيد الرافعى الكتبى صاحب المكتبة
الازهرية .

والمقامة فى اللغة هى المجلس يجتمع فيه الناس ، تلقى فيها
الخطب والعضات وتطورت إلى سرد القصص عن أسنة قوم
يسمونهم "رواة" سواء كانوا حقيقة أو من نسج الخيال، وعلى

ألستهم يروون ما يشاؤون. صاحبنا "بديع الزمان" اتخذ "عيسى بن هشام" راويا له ومن فنون المقامة أن تكون النوادر التي يلقونها عن رجل آخر، هو "ابو الفتح الاسكندري" فى مقامات بديع الزمان. أما الحريرى* فقد اتخذ "الحرث بن همام" راويا له و "أبو زيد السروجى" بطلا لمقاماته .

* هو أبو محمد القاسم الحريرى البصرى (٤٤٦-٥١٦ هـ) صاحب المقامات وأحد أئمة عصره ورزق الحظوة التامة فى إبداع المقامات التى اشتملت على الكثير من كلام العرب ولغاتها وأمثالها ورموز وأسرار كلامها .

ويحكى ولده عن سبب جنوح ابيه إلى عالم المقامات فيقول :

"كان أبى جالسا فى مسجده ببني حرام فدخل شيخ ذو طمرين رث الثياب فصيح الكلام حسن العبارة فسأته الجماعة "من أين الشيخ" فقال من سروج فسأوه عن كنيته فقال "ابو زيد" فعمل أبى المقامة المعروفة بالحرامية وعزاها إلى أبى زيد المذكور فاشتهرت وبلغ خبرها الوزير شرف الدين (وزير الامام المسترشد بالله) فأعجبه وأشار على والدى ان يضم إليها غيرها فأتىها خمسين .

وقد حاول كثير من الاجانب ترجمة المقامات إلى لغاتهم فلم يفلحوا، وللحريرى بجانب المقامات كتب عديدة منها "درة الغواص" وملحة الاعراب فى النحو وديوان شعر ورسائل .

من هو؟

هو أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمذاني الحافظ، المعروف ببديع الزمان صاحب الرسائل الرائقة والمقامات الفائقة والذي على منواله نسج الحريري مقاماته واحتذى حذوه واقتفى أثره واعترف في خطبته بفضلته وأنه الذي أرشده إلى سلوك ذلك النهج .

مولده في همذان (٣٥٨ هـ) وسكن هراة من بلاد خراسان (٣٨٠ هـ) وزار نيسابور (٣٨٢ هـ) ولم يكن له نصيب من شهرة بعد حتى التقى بأبي بكر الخوارزمي، وشجر بينهما ما دعاهما للمساجلة، فذاع صيته وعلا ... وبوفاة الخوارزمي انطلق صاحبنا ودخل كل بلاد خراسان وسجستان وغزنة وحظي بمجالسة الملوك والأمراء وحصد جوائزهم وكان يتميز بذاكرة حافظة وكانت أكثر مقاماته ارتجالاً، وله ديوان شعر وأكثر من ٢٣٠ رسالة وكما أجاد النثر كانت له جولات في الشعر، وكما يقول الشارح أنه كان شاعراً ناثراً وهو في كليهما قد ضرب

بسهم بعيد المرمى واغترف من بحر عميق الغور الا انه البحر
العذب الفرات ومقاماته من النثر البارع وهو فى شعره بارع
متين فى المبنى والمعنى .

كانت وفاته عام ٣٩٨هـ بمدينة هراة وقيل مات مسموما وقيل
من السكته وقيل بأنه عُجل دفنه فأفاق فى قبره وسُمع صوته
بالليل ولما نُبش عنه وجدوه وقد قبض على لحيته وعلى وجهه
آثار ما رآه من هول ووحشة القبر - أعازنا الله من مثل هذا
الهول .

وقد قيل أنه سُئل : ما أحسن السجع؟

فقال : ما خف على السمع ..

قيل : مثل ماذا ؟

قال : مثلُ هذا ..

مهندس

شريف سيد عفت

ترجمة أبي الفضل بديع الزمان الهمداني

من هو؟

الكاتب المترسل، والشاعر المجيد، قدوة الحريري، وقريع الخوارزمي ووارث مكانته، معجزة همدان، ونادرة الفلك، وفريد دهره رواية وحفظا، وغرة عصره بديهة وذكاء، أبو الفضل أحمد بن الحسين بديع الزمان الهمداني .

نشأته، ونباهة شأنه، ووفاته :

نشأ بهمدان إحدى مدن فارس الشمالية ودرس العربية والأدب وبرع فيهما ثم غادرها سنة ثمانين وثلاثمائة وهو فتى السن غض الشباب وقد درس على أبي الحسين بن فارس وأخذ عنه جميع ما عنده واستنزف علمه واستنفد بحره وورد حضرة الصاحب أبي القاسم فتزود من أدبه الجم وحسن آثاره ثم قدم

جرجان وأقام بها مدة على مداخلة جماعة الاسماعيلية والتعيش
فى أكنافهم والاقْتباس من أنوارهم واختصه أبو سعد محمد بن
منصور بمزيد الفضل وإسداء المعروف ثم اعتزم نيسابور وشد
إليها رحله فأعانه أبو سعد وأحسن امداده فوافاها سنة اثنين
وثمانين وثلاثمائة ونشر فيها بزه وأظهر طرزه وأملى أربعمائة
مقامة نحلها أبا الفتح الاسكندرى فى الكدية ونحوها بلفظ
رشيق . وسجع رقيق . نسج الحريرى على منوالها ، وهيئات أن
يدرك الظالع شأؤ الظليع ، ثم شجر بينه وبين أبى بكر
الخوارزمى ما كان سببا لهبوب ريح الهمذانى ، وعلو أمره ، وقرب
نجه ، وبعد صيته إذ لم يكن فى الحساب أن أحداً من الأدباء
والكتاب والشعراء ينبرى لمباراة الخوارزمى ، أو يجترىء على
مجاته ، فلما تصدى البديع لمساجلته ، وجرت بينهما مكاتبات ،
ومباهات ، ومناظرات ، ومناضلات ، وأفضى السنان إلى الفنان ،
وقرع النبع بالنبع ، وجرى من الترجيح بينهما ما يجرى بين
الخصمين المتحاكمين ، والقرنين المتصاولين : - طار ذكر
الهمذانى وارتفع عند الملوك والرؤساء ، ثم مات الخوارزمى فخلا
له الجو ، وحسنت حاله ، ونعم باله ، ورفه عيشه ولم يبق من بلاد

خراسان وسجستان بلدة إلا دخلها، واستفاد خيرها، ثم استوطن هراة وخار له الله في مصاهرة أبي علي الحسين بن محمد أحد أعيانها العلماء فانتمت أحواله، وقرت عينه وقوي ساعده، ولكن المنية عاجلته وهو في سن الأربعين سنة ثمان وتسعين وثلاثمائة .

شيء من أخلاقه وصفاته :

لئن كان شعره ينم عن بديهة حاضرة، وذكاء واسع، فانه يدل أيضاً على خلق فاضل ونفس عالية. قال عنه صاحب اليتيمة : وكان مقبول الصورة، خفيف الروح، حسن العشرة، ناصع الطرف، عظيم الخلق، شريف النفس، كريم العهد خالص الود، حلو الصداقة، مر العداوة . وتلك خلال لم يذكرها أبو منصور جزافاً ولكنه عرفها عنه . وهذا شعره - والشعر حديث النفس ووحى الضمير - ناطق بذلك .

مختارات من كلامه :

البديع شاعر ناثر وهو في كليهما قد ضرب بسهم بعيد المرمى، واغترف من بحر عميق الغور الا انه البحر العذب

الفرات وأن مقاماته التي بين أيدينا والتي عنينا بالتعليق عليها
لخير مثال من النثر البارع، وله سواها رسائل ربما أمكنتنا
الظروف من نشرها ولكننا نورد منها قطعة تنبئ عن اقتداره
وتفوقه .

كتب إلى الامير أبي نصر الميكالى يقول :

كتابى، أطال الله بقاء الامير، وبودى أن أكونه - فأسعد به
دونه ولكن الحريص محروم، لو بلغ الرزق فاه. لولاه قفاه. وبعد
فان لى فى مفاتحته ثقة تعدو يدا ترتعد، ولم ذاك، والبحر وان لم
أره؟ فقد سمعت خبره، ومن رأى من السيف أثره، فقد رأى
أكثره، وإذ لم ألقه، فلم أجهل إلا خلقه، وما وراء ذلك من تالد
أصل ونسب، وطارف فضل وأدب، فمعلوم تشهد به الدفاتر،
والخبر المتواتر وتنطق به الأشعار، كما تخلف عليه الآثار،
والعين أقل الحواس إدراكا، والأذن أكثرها استمساكا .

وهو فى شعره لم يقصر عن نثره وربما كان شعره أمتن
لفظا، وأروع معنى فمنه من قصيدة مدح بها الامير أبا على :

أبى المقام بدار الذل بى كرم
وعزيمة لا تزال الدهر ضاربة
يا سيد الأمراء افخر فلا ملك
وكاد يحكيك صوب الغيث منسكبا
والدهر لو لم يخز والشمس لو نطقت
وهمة تصل التوحيد والخبيا
دون الامير وفوق المشتري طنبا
الا تمناك مولى واشتهاك أبا
لو كان طلق المحيا يمطر الذهبا
والليث لو لم يصد والبحر لو عذبا

وكم وددت لو استقصيت عنه كثيرا ولكنى أرجىء ذلك إلى
مرة أخرى .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ الْقَرِيضِيَّةُ (١)

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ (٢) قَالَ : طَرَحْتَنِي أُلْنُوِي مَطَارِحَهَا (٣)
حَتَّى إِذَا وَطِئْتُ جُرْجَانَ الْأَقْصَى . فَأَسْتَظْهَرْتُ عَلَى الْإَيَّامِ بِضِيَاعٍ
أَجَلْتُ فِيهَا يَدَ الْعِمَارَةِ (٤) ؛ وَأَمْوَالٍ وَقَفْتُهَا عَلَى التَّجَارَةِ (٥) ، وَحَانُوتٍ

(١) المقامة في أصل اللغة المجلس يجتمع فيه الناس ثم استعملها الأدباء في الخطبة أو العظة وكأنهم أرادوا أن الشأن في هذين إلقاءهم في الأندية والمحافل ثم خصوها بـ"صص" التي يتحدثون بها عن السنة قوم يسمونهم رواة - إن حقيقة أو خيالاً - ويجيئون فيها بالأغراض المختلفة. (٢) اعتاد أصحاب المقامات أن يتخنوا لهم راويًا يتحدثون باسمه - كما ذكرنا - وقد جعل البديع راويه عيسى بن هشام كما اتخذ الحريري الحرث بن همام واصطلحوا على أن تكون ملحهم ونواديرهم عن رجل آخر وهو هنا أبو الفتح الإسكندري وفي المقامات الحريرية أبو زيد السروجي. (٣) طرحه وطرح به : رماه وأبعده، والنوى : الغربية. (٤) جرجان : مدينة كانت قديماً عاصمة بلاد خوارزم وتعتبر الآن من بلاد التتار، استظهر عليه : استعان، الضياع : جمع ضيعة وهي العقار والأرض المغلة، أجال : حرك . (٥) حبس أمواله وقفها أي جعلها خاصة به .

جَعَلْتَهُ مَثَابَةً^(١)، وَرَفُفَةً اتَّخَذْتُهَا صَحَابَةً^(٢). وَجَعَلْتُ لِلدَّارِ حَاشِيَتِي
 النَّهَارِ^(٣). وَالْحَانُوتُ مَا بَيْنَهُمَا. فَجَلَسْنَا يَوْمًا تَتَذَاكُرُ الْقَرِيضَ
 وَأَهْلَهُ وَتَلَقْنَا نَا شَابٌ قَدْ جَلَسَ غَيْرَ بَعِيدٍ يُنصِتُ وَكَأَنَّهُ يَفْهَمُ.
 وَيَسْكُتُ وَكَأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ^(٤) حَتَّى إِذَا مَالَ الْكَلَامُ بِنَا مَيْلَهُ وَجَرَ الْجِدَالَ
 فِينَا ذَيْلَهُ. قَالَ : قَدْ أَصَبْتُمْ عُدَيْقَهُ. وَوَأَفَيْتُمْ جُذَيْلَهُ وَلَوْ شِئْتُ
 لِلْفُظْتِ وَأَفْضَيْتُ . وَلَوْ قُلْتُ لِأَصْدَرْتُ وَأُورِدْتُ وَجَلَوْتُ الْحَقَّ فِي
 مَعْرِضِ بَيَانٍ يُسْمَعُ الصَّمُّ. وَيُنزِلُ الْعُصْمَ. فَقُلْتُ : يَا فَاضِلُ أَدْنُ

(١) الحانوت : دكان الخمار، ومثابة فلان : مكان إقامته ومرجعه. (٢) صحابه
 بفتح أوله وكسره: خلطاء . (٣) حاشيتا النهار : أوله وآخره . (٤) يقول : أنه
 مازال رهين أسفار وأليف حل وترحال تقعه النوى وتقيمه حتى إذا أناخ ركبته
 بجرجان وألقى فيها عصاه استعان على الدهر باصلاح ضياع جعلها موردا
 وبالإتجار في أموال اتخذها رفدا ومعينا .

وأنه لم ينس نفسه من لذة الرفاق والندمان فجعل إقامته في حانوت يختلف اليه
 بين طرفي النهار. وأنهم ليتذاكرون الشعر يوما (وقد جلس أمامهم فتى علم من
 أساريه أنه يفهم لما يقولون لانه يصغى اصغاء الذي يعلم ولكنه كان صامتا
 حتى ليتوهمه الناظر جاهلا لا يستطيع الإبانة) إذ تشعبت أمامهم طرق المذاكرة
 واستفاض الحديث وكثرت فنون القول .

فَقَدْ مَنَيْتَ. وَهَاتِ فَقَدْ أَتْنَيْتَ. فَدَنَا وَقَالَ: سَلُونِي أَجِبْكُمْ.
وَاسْمَعُوا أُعْجِبْكُمْ^(١).

فَقُلْنَا : مَا تَقُولُ فِي امْرِئِ الْقَيْسِ؟^(٢) قَالَ : هُوَ أَوَّلُ مَنْ وَقَفَ

(١) العذق - بفتح أوله - : النخلة بما عليها والعذيق : مصغره والمقصد التعظيم، والجدل : بالفتح والكسر - عود ينصب للجربى لتحتك به، وهو يشير إلى قول الحباب بن المنذر : (أنا عذيقها المرجب ، وجذيلها المحكك) يريد أنه الذى يرجع إليه ويعتمد عليه، وأفاض فى الحديث : اندفع ، وتكلم فأفاض : أفصح وأبان والورود : الاشراف على الماء وإتيانه، والصدور : الرجوع عنه يريد أنه سيحدثهم حديثا مختلفا وسيجعل كلامه ذا فنون وأساليب متفاوتة، يسمع الصم مثله قول المتنبي .

أنا الذى نظر الاعمى إلى أدبى وأسمعت كلماتى من به صمم

يقول : أنه حينما كثر بيننا الجدل وتعددت أمامنا السبل واختلفت موارد الاحاديث وتعددت أطراف القول قال لنا ذلك الفتى : لقد وجدتم صاحب الامر فى البيان وأنى لو شئت أن أتكلم لما تركت شاردة ولا واردة ولجئتكم بالذى يأخذكم العجب منه .

(٢) هو نو القروح الملك الضليل أبو الحرث حندج بن حجر الكندى شاعر اليمانية ورأس شعراء الجاهلية وقائدهم إلى التفنن فى أبواب الشعر وضروبه والمقدم فى الطبقة الاولى منهم .

بِالْدِيَارِ وَعَرَصَانِهَا^(١). وَأُغْتَدَى وَالطَّيْرُ فِي وَكُنَاتِهَا^(٢). وَوَصَفَ
الْخَيْلَ بِصِفَاتِهَا. وَلَمْ يَقُلِ الشَّعْرَ كَاسِبًا^(٣).

وَلَمْ يُجِدِ الْقَوْلَ رَاجِعًا^(٤). فَفَضَلَ مَنْ تَفَتَّقَ لِلْحَيْلَةِ لِسَانُهُ.
وَأُنْتَجَعَ لِلرَّغْبَةِ بِنَانُهُ^(٥)، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي النَّابِغَةِ؟^(٦)، قَالَ :

(١) من ذلك قوله :

وربع عفت آياته منذ أزمان

قفا نبك من ذكرى حبيب وعرفان

وقوله :

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

(٢) الوكنات : أعشاش الطير، ومن ذلك قوله وفيها يصف الخيل .

بمنجرد قيد الاوابد هيكل

وقد اغتدى والطير في وكناتها

كجلمود صخر حطه السيل من عل

مكر مفر مقبل مدبر معا

(٣) يريد أنه لم يقصد بشعره المال ولم يقله رغبة في الدنيا وحباً في الجمع

كعادة الشعراء . (٤) يعنى انه كانت تواتيه الالفاظ وتجيئه عفوا فلم يكن يتعمد

الاجادة ولكنه أجاد عن غير قصد واستوى على عرش البيان نون مجهود وانما

الطبيعة والسليقة كانتا سبب نبوغه وتفوقه . (٥) فضل : زاد رفعة وقدر، يعنى

أنه سما على هؤلاء الذين لم تحرك ألسنتهم غير الرغبة في المال ولم ينطقهم

بالشعر الا انتجاع الكرماء والذهاب إلى المياسير وأناف على غواربهم فكان

أبعدهم شأواً وأفضلهم مقولا وأجودهم شعرا .

(٦) هو النابغة الذبياني أبو أمامة زياد بن معاوية أحد فحول الشعراء في

الجاهلية وزعيمهم بعكاظ أحسنهم ديباجة وجلاء معنى ولطف اعتذار وانما لقب

بالنابغة لتفوقه في الشعر فجاءة وهو كبير بعد أن امتنع عليه وهو صغير .

يَتَلَبُّ إِذَا جَنَقَ،^(١) وَيَمْدَحُ إِذَا رَغِبَ^(٢)، وَيَعْتَذِرُ إِذَا رَهَبَ^(٣)، فَلَا يَرْمِي إِلَّا صَائِبًا، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي زُهَيْرٍ؟^(٤) قَالَ : يُذِيبُ الشُّعْرَ وَالشُّعْرُ يُذِيبُهُ . وَيَدْعُو الْقَوْلَ وَالسُّحْرُ يُجِيبُهُ^(٥)، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي طَرْفَةٍ؟ قَالَ : هُوَ مَاءُ الْأَشْعَارِ وَطِينَتُهَا . وَكَثُرَ الْقَوَافِي وَمَدِينَتُهَا . مَاتَ وَلَمْ تَظْهَرْ أَسْرَارُ دَفَائِنِهِ . وَلَمْ تَفْتَحْ أَعْلَاقُ

(١) أى أنه يسب ويشتم ويقذع فى الهجاء إذا اشتد به الغضب وثارَت فى نفسه الحدة .

(٢) يعنى انه اذا اراد مدح المديح الذى يخرس الالسنه ويعجز الفصحاء .

(٣) النايغة أكثر الشعراء تفننا فى الاعتذار وأبرعهم سبكا و أرقهم عذرة وألطفهم تدخلا إلى القلب ومن بديع اعتذاراته قوله :

أتانى أبيت اللعن انك لمتنى وتلك التى أهتم منها وأنصب

فبت كأن العائدات فرشن لى هراسا به يعلى فراش ويقشب

(٤) هو زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رباح المزنى ثالث فحول الطبقة الاولى من الجاهلية وأعفهم قولاً، وأوجزهم لفظاً .

(٥) يريد انه اساس القيادة للشعر وانه ملك زمامه فإذا قال سحر القلوب واستهوى الافئدة واسترعى الاسماع .

خَزَائِنُهُ^(١)، قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ^(٢)؟ أَيُّهُمَا أَسْبَقُ؟
فَقَالَ : جَرِيرٌ أَرَقُّ شِعْرًا. وَأَعَزُّ غَزْرًا^(٣).
وَالْفَرَزْدَقُ أَمْتَنُ صَخْرًا. وَأَكْثَرُ فَحْرًا^(٤)، وَجَرِيرٌ أَوْجَعُ هَجْوًا.

(١) طرفة بن العبد هو عمرو بن العبد البكري أقصر فحول الجاهلية عمرا وأجودهم طويلة وأوصفهم للناقة. (٢) جرير هو : أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفي التميمي اليربوعي أحد فحول الشعراء الاسلاميين وبلغاء المداحين الهجائين وانسب ثلاثتهم (هو والفرزدق والاخلطل) المفلقين ولد باليمامة سنة ٤٢هـ من بيت اشتهر بالشعر ونشأ بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه. والفرزدق: هو أبو فراس همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي أفخر ثلاثة الشعراء الامويين وأجزل المقدمين في الفخر والمدح والهجاء ولد سنة ١٩هـ ونشأ بالبصرة بين فصحاء آبائه وقومه منذ أول تمصيرها وهي يومئذ حاضرة العرب فلم تختلط لهجته بعجمة ولا لحن فأراده أبوه على رواية الشعر ونظمه فرواه ونظمه وبرع فيه، والمفاضلة بينهما كالمفاضلة بين كل شاعرين عسرة لا يتهجم عليها ولا تجوز لناقد ونعنى المفاضلة بحيث يقال : ان فلانا اشعر من فلان على الاطلاق وعندي ان الذي ذكره البديع من الازعان لاحدهما بنوع وللآخر بغير خير ما يذكره حكم منصف .

(٣) أعز : أكثر والمعنى : أن جريراً يفوق صاحبه كثرة في معانيه .

(٤) أي انه متمكن من القول قادر على صقله وتصريفه وهو فخور بنسبه صلف بمجده.

وَأَشْرَفُ يَوْمًا^(١)، وَالْفَرَزْدَقُ كَثْرُ رَوْماً. وَأَكْرَمُ قَوْماً. وَجَرِيرٌ إِذَا نَسَبَ أَشْجَى. وَإِذَا ثَلَبَ أُرْدَى. وَإِذَا مَدَحَ أَسْنَى. وَالْفَرَزْدَقُ إِذَا افْتَخَرَ اجْزَى. وَإِذَا احْتَقَرَ أَرْزَى. وَإِذَا وَصَفَ أَوْفَى. قُلْنَا : فَمَا تَقُولُ فِي الْمُحَدِّثِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ مِنْهُمْ. قَالَ : الْمُتَقَدِّمُونَ أَشْرَفُ لَفْظاً. وَأَكْثَرُ مِنَ الْمَعَانِي حِظاً. وَالْمُتَأَخِّرُونَ أَلْطَفُ صَنْعاً. وَأَرْقُ نَسْجاً^(٢)، قُلْنَا : فَلَوْ أَرَيْتَ مِنْ اشْعَارِكَ. وَرَوَيْتَ لَنَا مِنْ أَخْبَارِكَ. قَالَ : خَذُهُمَا فِي مَعْرِضٍ وَاحِدٍ وَقَالَ :

أَمَا تَرَوْنِي أَتَغَشَى طِمْرًا مَمْتَطِيًّا فِي الضَّرِّ أَمْرًا مَرًّا^(٣)

(١) يريد أنه أكرم من صاحبه حاضرا أى أنه أفضل فى نفسه من صاحبه وقد فسره الاستاذ الامام بمعنى انه أشرف ذكرا لايام قومه .

(٢) شجر بين الابداء وصيارف الكلام خلاف أى الفريقين خير منزلة فى الادب وأحسن مقاما فيه؟ القدماء وهم شعراء دولة بنى أمية وما قبلها أو المتأخرون وهم شعراء الدولة العباسية ومواليها، وتعصب جماعة لهؤلاء ورأى قوم الفضل لأولئك غير أن القول الفصل هو الذى ذكره ابو العباس فى الكامل حيث يقول : وليس لقدم العهد يفضل القائل ولا لحدثان العهد يهتضم المصيب ولكن يعطى كل ذى حق حقه وذلك رأى البديع فى حكمه .

(٣) أتغشى طمرا : اجعل غشائى ثوبا خلقا، وممتطيا أمرا مرا : راكبا العسرة والشدة ملاقيا منهما مثل ما يلقاه راكب الصعبة من الآلام .

مُضْطَبِنًا عَلَى اللَّيَالِي غَمْرًا مُلَاقِيًا مِنْهَا صُرُوفًا حُمْرًا^(١)
أَقْصَى أَمَانِي طُلُوعُ الشُّعْرَى فَقَدْ عُنِينَا بِالْأَمَانِي دَهْرًا^(٢)
وَكَانَ هَذَا الْحَرُّ أَعْلَى قَدْرًا وَمَاءُ هَذَا الْوَجْهِ أَعْلَى سِعْرًا
ضَرَبْتُ لِلِسِّرِّ قِبَابًا خُضْرًا فِي دَارٍ دَارًا وَإِوَانَ كِسْرَى^(٣)
فَأَنْقَلَبَ الدَّهْرُ لِبَطْنِ ظَهْرًا وَعَادَ عُرْفُ الْعَيْشِ عِنْدِي نُكْرًا^(٤)
لَمْ يَبْقَ مِنْ وَفْرِي إِلَّا نِكْرًا ثُمَّ إِلَى الْيَوْمِ هَلُمَّ جَرًّا^(٥)
لَوْلَا عَجُوزٌ لِي بِسُرٍّ مَنْ رَأَى وَأَفْرُخٌ دُونَ جِبَالٍ بُصْرَى

(١) مضطبنا : حاملا، غمرا : غلا، والصروف الحمر : أشد الكوارث وأصعبها والمعنى انه يحمل الموجودة على الليالي لطول مارمته بالبلايا وشدة ما يجد من كربها .

(٢) أبعد ما أتمناه أن يظهر ذلك النجم المسمى بالشعري لانه انما يظهر حين يشتد الحر وتلك أمنية العارى الذى لايجد ثوبا يقيه زمهرير البرد .

(٣) أى كنت مثريا ذا بسطة من المال وكانت النعمة ظاهرة على والوفر تشهد دلائله وتحتج لى علاماته .

(٤) ثم تحول الدهر عنى وأصبح طيب العيش ولا صلة له بى وما أمت الا للفاقة والعوز اللذين كنت أنكرهما .

(٥) ولم تبق لى من ثروتى وجاهى غير الذكريات المؤلة .

قَدْ جَلَبَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ ضُرًّا قَتَلْتُ يَا سَادَةَ نَفْسِي صَبْرًا^(١)

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ. فَأَنْتَهُ مَا تَاحَ . وَأَعْرَضَ عَنَّا فَرَاحَ .
فَجَعَلْتُ أَنْفِيهِ وَأَنْبِئْتُهُ . وَأَنْكَرُهُ وَكَأَنِّي أَعْرِفُهُ . ثُمَّ دَلَّنِي عَلَيْهِ ثَنَائِيَاهُ .
فَقُلْتُ الْإِسْكَندَرِي وَاللَّهِ . فَقَدْ كَانَ فَارَقَنَا خَشْفًا . وَوَأَفَانَا جِلْفًا .
وَنَهَضْتُ عَلَى أَثَرِهِ . ثُمَّ قَبَضْتُ عَلَى خَصْرِهِ . وَقُلْتُ : أَلَسْتُ أَبَا
الْفَتْحِ؟ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِئْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ؟ فَأَيُّ
عَجُوزٍ لَكَ بِسُرٍّ مَنْ رَأَى؟ فَضَحِكَ إِلَيَّ وَقَالَ:

وَيْحَكَ هَذَا الزَّمَانُ زُورٌ فَلَا يَغُرَّنَكَ الْغُرُورُ
لَا تَلْتَزِمُ حَالَةً وَلَكِنْ دُرٌّ بِاللَّيَالِي كَمَا تَدُورُ

(١) ولولا زوجي العجوز التي تقيم بسر من را وأبنائي الذين يقطنون قريبا من
جبال بصرى ولولا كراهيتي أن يموت هؤلاء بموتي وألا يجدوا عائلا بعدى لما
وسعنى المقام فى هذه الحياة الفانية مع هذا البؤس الاليم والضحك الملازم .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الأزادية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِبَغْدَاذَ (١) . وَقَتَّ
الْأَزَاذَ (٢) . فَخَرَجْتُ أَعْتَامُ (٣) مِنْ أَنْوَاعِهِ . لِأَبْتِيَاعِهِ . فَسِرْتُ غَيْرَ
بَعِيدٍ إِلَى رَجُلٍ قَدْ أَخَذَ أَصْنَافَ الْفَوَاكِهِ وَصَنَّفَهَا (٤) . وَجَمَعَ

(١) بغداد مدينة السلام التي اختط فيها ابو جعفر المنصور قاعدة المملكة
العباسية سنة ١٤٥هـ وكانت قبل ذلك من بناء الفرس ولم يتخذوها حاضرة
وتسمى : مدينة المنصور والزوراء وبغداد بدالين مهملتين أوذالين معجمتين أو
بمعجمة فمهمله أو عكسه وبغدان وبغدام بالمعجمة أو المهمله فيهما وبغدين
ومغدان، بها محلات كثيرة وكانت مشهورة بالحمامات والبساتين وقد أقيم فيها
نيف وثلاثون مدرسة استتقت الامة فيها ان ذاك عذب العلم وكوثره الصافي وماءه
النمير، وهوؤها عليل وريحها رخاء وجوها معنبر الارزاء.

(٢) الازاذ نوع من التمر . (٣) اعتام : اقصد أو انتقى . (٤) صنف الفاكهة.
جعل كل نوع منها على حدة. يقول انه خرج إلى سوق بغداد ينتقى نوعا من
التمر ليشريه فلما كان هناك ألقى رجلا ميمز انواع الفاكهة واجتمعت عنده
صنوف الرطب فأخذ أطايب ما عنده وابتاع أجاوده فلما جمع أمره وتهيأ ليحمل
وقره وهم بأن يرجع بصر برجل انتحى ناحية واجتهد في اخفاء نفسه واطهار
مسغفته وبؤسه .

أَنْوَاعِ الرُّطْبِ وَصَفَّفَهَا. فَقَبَّضْتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ. وَقَرَضْتُ
 مِنْ كُلِّ نَوْعٍ أَجْوَدَهُ. فَحِينَ جَمَعْتُ حَوَاشِي الإِزَارِ. عَلَى تِلْكَ
 الأَوْزَارِ. أَخَذْتُ عَيْنَايَ رَجُلًا قَدْ لَفَّ رَأْسَهُ بِبُرْقِعٍ حَيَاءً. وَنَصَبَ
 جَسَدَهُ. وَبَسَطَ يَدَهُ. وَأَحْتَضَنَ عِيَالَهُ. . وَتَابَّطَ أَطْفَالَهُ. وَهُوَ يَقُولُ
 بِصَوْتٍ يَدْفَعُ الضُّعْفَ فِي صَدْرِهِ. وَالْحَرَضُ فِي ظَهْرِهِ :

وَيْلِي عَلَى كَفَّيْنِ مِنْ سَوِيْقٍ أَوْ شَحْمَةٍ تُضْرَبُ بِالدَّقِيقِ^(١)
 أَوْ قِصْعَةٍ تَمَلَأُ مِنْ خَرْدِيقٍ يَفْتَأُ عَنَّا سَطَوَاتِ الرِّيْقِ^(٢)
 يُقِيمُنَا عَنْ مَنْهَجِ الطَّرِيقِ يَارَازِقِ الثَّرْوَةِ بَعْدَ الضِّيْقِ^(٣)
 سَهْلٌ عَلَى كَفِّ فِتَى لَبِيقٍ ذِي نَسَبٍ فِي مَجْدِهِ عَرِيقٍ

(١) السويق : جريش الشعير أو القمح يقلبان قليلا خفيفا، تضرب : تخط واذنا
 خط الشحم بالدقيق كان عصيدة. يتلهف على ملء كفيه من السويق أو قليل من
 العصيدة .

(٢) الخرديق : المرق، يفتأ : يسكن، الريق : اللعاب وهو ماء الفم، يقول : أنى
 أتمنى قصعة تملأ من المرق ويغمر فيها العيش حتى يكون ثريدا ليسكن صولة
 الريق وعادة الجوعان أن يجرى لعابه إذا اشتتم رائحة القدور أو تذكر أنواع
 المأكول .

(٣) يقول : أنه لو حصل على مشتهاه لكان فى ذلك إقالة له من عشرته وانتشالا
 له من وهدة انطراحه على الطريق .

يَهْدِي إِلَيْنَا قَدَمَ التَّوْفِيقِ يُنْقِذُ عَيْشِي مِنْ يَدِ التَّرْنِيقِ^(١)
قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَأَخَذْتُ مِنَ الْكَيْسِ أَخْذَةً وَنَلْتُهُ إِيَّاهَا
فَقَالَ:

يَأْمَنُ عَنَانِي بِجَمِيلِ بَرِّهِ أَفْضُ إِلَى اللَّهِ بِحُسْنِ سِرِّهِ
وَاسْتَحْفَظَ اللَّهُ جَمِيلَ سِتْرِهِ إِنْ كَانَ لَا طَاقَةَ لِي بِشُكْرِهِ
فَاللَّهُ رَبِّي مِنْ وَرَاءِ أَجْرِهِ

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَقُلْتُ لَهُ : إِنْ فِي الْكَيْسِ فَضْلاً^(٢)
فَأُبْرِزْ لِي عَنْ بَاطِنِكَ أَخْرُجْ إِلَيْكَ عَنْ آخِرِهِ^(٣) ، فَأَمَاطَ لِثَامَهُ^(٤)
فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِيُّ . فَقُلْتُ : وَيْحَكَ أَي دَاهِيَةٍ
أَنْتَ؟ فَقَالَ :

(١) اللبيق : الحانق، الترنيق : التكدير، يدعو الله لنفسه أن يدل عليه فتى حاذقا
رحيم القلب ليعطف على حاله ويشفق به فيسد خلته ويذهب عوزه ويهبه رشفة
من الراحة لتصفو حاله ويعذب مورده .

(٢) أي أنني لم أعطك كل مامعي وان في كيسى لبقية .

(٣) فلا تدم على استتارك واخفاء نفسك بل أظهر لى حقيقتك لاعطيك ما أبقيته.

(٤) الاماطة : الازالة وأماط لثامه. كشف عن وجهه بازالة الحجاب .

عَلَى النَّاسِ وَتَمْوِيهَا

عَلَى حَالٍ فَأَحْكِيهَا

وَيَوْمًا شَرِّتِي فِيهَا^(١)

فَقَضَ الْعُمَرَ تَشْبِيهَا

أَرَى الْأَيَّامَ لَا تَبْقَى

فَيَوْمًا شَرُّهَا فِيَّ

(١) تشبيها . تلبيسا، تمويها. إخفاء ، وأصله ان يطلى النحاس بالفضة أو الذهب فلا يبين أمره ولا تظهر حقيقته واستعير لكل شيء يبدو في غير منظره، والشرة، النشاط والقوة يقول. افن عمرك في التلبيس على الناس ولا تبد أمامهم بمظهرك وحاول أن تخدعهم بلبوس غير لبوسك وتغرمهم بتمويهك وخلابتك فإن الايام سريعة التقلب وشيكة التغير لا تدوم على صفة ولا تنهج خطة واحدة حتى تتشبه بها في ثباتك لانها تناوئني حيناً فتقهرنى وتارة أناوئها فاقهرها .

المقامة البلخية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : نَهَضْتُ بِي إِلَى بَلْخِ تِجَارَةَ الْبَزِّ فَوَرَدْتُهَا وَأَنَا بَعْدُرةِ الشَّبَابِ وَبِالِ الْفَرَاغِ وَحَلِيَّةِ الثَّرْوَةِ لَأِيْهَمْنِي إِلَّا مُهْرَةً فِكْرٍ أَسْتَقِيدُهَا أَوْ شَرُودٌ مِنَ الْكَلِمِ أَصِيدُهَا . فَمَا اسْتَأْذَنَ عَلَيَّ سَمْعِي مَسَافَةَ مُقَامِي أَفْصَحُ مِنْ كَلَامِي . وَمَا حَنِ الْفِرَاقُ بِنَاقَوْسِهِ أَوْ كَادَ دَخَلَ عَلَيَّ شَابٌ فِي زِيٍّ مِلءِ الْعَيْنِ . وَلِحِيَّةِ تَشْوِكُ الْأَخْدَعَيْنِ . وَطَرْفِ قَدْ شَرِبَ مَاءَ الرَّافِدَيْنِ . وَلَقِينِي مِنَ الْبَرِّ فِي السَّنَاءِ . بِمَا زِدْتُهُ فِي التَّنَاءِ . ثُمَّ قَالَ : أَظْعَنَّا تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ : أَى وَاللَّهِ فَقَالَ : أَخْصَبَ رَائِدُكَ . وَلَاضِلَّ قَائِدُكَ . فَمَتَى عَزَمْتَ؟ فَقُلْتُ : غَدَاةً غَدِ . فَقَالَ :

صَبَّاحُ اللَّهِ لَا صَبْحُ انْطِلَاقٍ وَطَيْرًا لَوْصَلِ لَا طَيْرُ الْفِرَاقِ^(١)

(١) بلخ مدينة واقعة في شمال جبال هندكوش غربى بدخشان جنوب نهر جيحونى، ونهض بى ومثله أنهضنى : أقامنى، والبز: الثياب أو ما نسج من القطن خاصة، بال الفراغ أبانه، واستقيدها اطلب انقيادها، وحنى. عطف، =

فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قُلْتُ الْوَطْنَ. فَقَالَ : بُلِّغْتَ الْوَطْنَ . وَقَضَيْتَ الْوَطَرَ .
فَمَتَى الْعُودُ؟ قُلْتُ : الْقَابِلَ . فَقَالَ : طَوَيْتَ الرِّيطَ . وَثْنَيْتَ
الْخَيْطَ^(١) . فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الْكَرِيمِ؟ فَقُلْتُ : بِحَيْثُ أُرَدْتُ . فَقَالَ : إِذَا
أَرْجَعَكَ اللَّهُ سَالِمًا مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ . فَاسْتَصْحَبْ لِي عَدُوًّا فِي
بَرْدَةِ صَدِيقٍ . مِنْ نَجَارِ الصُّفْرِ . يَدْعُو إِلَى الْكُفْرِ وَيَرْقُصُ عَلَى

= والاختدعان عرقان في صفحة العنق، والسناء - بكسر أوله - المقابلة والمداناة،
أخصب رائدك : أى لقيت خصبا ونزلت مربعا معشبا، والبيت معناه. الدعاء
بالبركة واليمن والمعنى، بعثتني التجارة إلى بلخ فجنيتها وانا فتى القوة موفور
النعمة ناعم البال لا أبحث إلا عن الشوارد من الكلم والجوامع من الافكار لعلى
اكتسب من سفرى ما انا كلف به شديد الحرص عليه ولم ازل بعيد الاجابة نائى
الطلبة إلى ان اوشكت العودة واذا شاب دخل على حسن البزة جميل الطلعة
صافى العين كانها ماء دجلة والفرات طويل اللحية فلقينى لقاء محفوف بالكرامة،
محاطا بالتجلة، مما جعلنى أزيدة تزكية ومديحا ومازال يسألنى عن سفرى
وأجيبه فيدعو لى بالرغد بأسلوب بديع وعبارات جزلة .

(١) الريط، الملاعة، والخيط معروف : والمقصود بالجملتين الدعاء له بالعودة إلى
بلخ فى قابل، أى طويت أيام البعد وثنيت خيطها ليكون طرفها الاخير مكان
طرفها الاول .

الظَّفْرِ^(١). كِدَارَةَ الْعَيْنِ. يَحُطُّ ثِقَلُ الدِّينِ. وَيُنَافِقُ بِوَجْهِينِ^(٢). قَالَ
عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَلْتَمِسُ دِينَارًا. فَقُلْتُ : لَكَ ذَلِكَ
نَقْدًا. وَمِثْلُهُ وَعَدَاً. فَأَنْشَأُ يَقُولُ :

رَأَيْكَ مِمَّا خَطَبْتُ أَعْلَى
صَلَبْتَ عُدَاً وَدُمْتَ جُودًا
لَا أَسْتَطِيعُ الْعَطَاءَ حَمَلًا
قَصُرْتُ عَنْ مُنْتَهَاكَ ظَنًّا
يَا رُجْمَةَ الدَّهْرِ وَالْمَعَالِي
لَا زِلْتَ لِلْمَكْرُمَاتِ أَهْلًا
وَفُقْتَ فَرْعًا وَطَبْتَ أَصْلًا
وَلَا أَطِيقُ السُّؤَالَ ثِقْلًا^(٣)
وَطَلْتَ عَمَّا ظَنَنْتُ فَعْلًا
لَا لَقِيَ الدَّهْرَ مِنْكَ تَكْلًا^(٤)

(١) البردة : الثوب والنجار : الاصل، ومعنى كونه عدواً في ثياب صديق ان
ظاهره يخدع ويأخذ بالالباب فاذا اغتر به المرء قلب له ظهر المجن، ويدعو الى
الكفر . لان من تعامل بالدينار في غير وجوه الحل ربما انحدر الى الكفر،
ويرقص على الظفر، لان عادة النقاد من الصيارفة أن يجعلوا الدينار فوق أظفر
أبهامهم ويضربوه بثان لينكشف لهم حاله وارجع لغة في رجع رديئه والفصيح
رجعه . (٢) كدارة العين . مستدير مثلها وينافق بوجين لان على كل من وجهيه
نقوشا ليست على الوجه الآخر فهو يشبه المنافق الذي يلقاك بوجه ويلقى عدوك
بوجه . (٣) يثنى عليه ويتمدحه بأنه أجابه إلى أكثر من طلبته وأدى إليه ما لم
يكلفه به . (٤) الرجمة كغرفة : السناد، وأصله ان بينى للنخلة عند جذعها شئ
لترتكز عليه .

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَتَلُّهُ الدِّينَارَ وَقُلْتُ أَيْنَ مَنَّبِتُ هَذَا
الْفَضْلِ فَقَالَ نَمَتْنِي قُرَيْشٌ وَمُهَدَّلِي الشَّرْفُ فِي بَطَائِحِهَا فَقَالَ
بَعْضُ مَنْ حَضَرَ أَلَسْتَ بِأَبِي الْفَتْحِ الْأِسْكَندَرِيِّ . أَلَمْ أَرَكَ بِالْعِرَاقِ .
تَطُوفُ فِي الْأَسْوَاقِ . مَكْدِيًّا بِالْأُورَاقِ ^(١) . فَأَنْشَأَ يَقُولُ .

إِنَّ لِلَّهِ عَيْبًا أَخَذُوا الْعُمَرَ خَلِيطًا
فَهُمْ يُمْسُونَ أَعْرًا بَأْ وَيُضْحُونَ نَبِيطًا ^(٢)

(١) مكديا . سائلا ومعنى تكديته بالأوراق أنه كان يكتب للناس بحاجته ويسألهم
إجابته إلى ملتسه .

(٢) النبيط . جماعة من العجم يقطنون بين العراقيين ومنه قول ابي العلاء

ابن امرؤ القيس والعداري اذ مال من نحته الغبيط

استعجم العرب في الموامى بعدك واستعرب النبيط

يشير الى قول امرئ القيس .

ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات انك مرجلى

تقول وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

والمعنى ان بعض الناس لا يثبتون على حال ولا يستقرون فى زى واحد فبينما

تراهم اعرابا ان تجدهم اعجاما والمراد مطلق التقلب فى مطلق الازمان .

المقامة السجستانيّة

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ. قَالَ : حَدَا بِي إِلَى سِجِسْتَانَ أَرَبٌ
 فَأُقْتَعِدْتُ طِيَّتَهُ^(١) وَأَمْتَطَيْتُ مَطِيَّتَهُ. وَأَسْتَخَرْتُ اللَّهَ فِي الْعَزْمِ
 جَعَلْتُهُ أَمَامِي. وَالْحَزْمِ جَعَلْتُهُ إِمَامِي. حَتَّى هَدَانِي إِلَيْهَا فَوَافَيْتُ
 دُرُوبَهَا^(٢). وَقَدْ وَافَتِ الشَّمْسُ غُرُوبَهَا. وَاتَّفَقَ الْمَبِيتُ حَيْثُ
 انْتَهَيْتُ فَلَمَّا انْتَضَى نَصْلُ الصَّبَاحِ. وَبَرَزَ جَيْشُ الْمِصْبَاحِ.
 مَضَيْتُ إِلَى السُّوقِ أَخْتَارُ مَنْزِلًا فَحِينَ انْتَهَيْتُ مِنْ دَائِرَةِ الْبَلَدِ إِلَى

(١) أصل الحداء (بضم اوله وكسره) يكون في الابل يتبع بعضها بعضاً والمراد هنا : ساقنى ويقال. حداه وحدى به، وسجستان إقليم بفارس الشرقية والارب. الحاجة الشديدة واقتعدت. ركبت، وطية الشيء نيته. والمعنى مجازى .

(٢) الدروب، جمع درب وهو أول طريق وكل مدخل إلى الروم فهو درب ومنه قول امرئ القيس :

وأيقن انا لاحقان بقيصرا

بكي صاحبي لما رأى الدرب دونه

نُقِطَتْهَا. وَمِنْ قِلَادَةِ السُّوقِ إِلَى وَأَسِطَتِهَا^(١). خَرَقَ سَمْعِي صَوْتٌ
لَهُ مِنْ كُلِّ عَرِقٍ مَعْنَى فَاانْتَحَيْتُ وَفَدَهُ^(٢). حَتَّى وَقَفْتُ عِنْدَهُ. فَإِذَا
رَجُلٌ عَلَى فَرَسِهِ مُخْتَنِقٌ بِنَفْسِهِ. قَدْ وَلَّانِي قَذَالَهُ^(٣). وَهُوَ يَقُولُ :
مَنْ عَرَفَنِي فَقَدْ عَرَفَنِي وَمَنْ لَمْ يَعْرِفْنِي فَأَنَا أُعَرِّفُهُ بِنَفْسِي أَنَا

(١) وافى المريض اجله. اى مات، ووافى الشمس الغروب ، غربت والبلد والبلدة
كل قطعة من الارض مستحيزة عامرة ومنه قول النابغة الذبياني .

ها ان ذى عذرة الا تكن نفعت فان صاحبها قد تاه فى البلد

وقول بعضهم : وبلدة ليس بها انيس الا اليعافير والا العيس

ودائرة البلد. مساحتها المحيطة ونقطة الدائرة مركزها الذى تدور حوله فهو
وسطها والقلادة: العقد أو كل ما يحيط بالعنق مما انتظم من فرائد الدرر
والواسطة فيها افضل برة جمعتها القلادة والعادة ان تجعلها الغوانى فى
المنتصف حيث تتوسط اخواتها وتتدلى على الصدر .

(٢) خرق سمعى. وصل اليه، عرق كل شىء. اصله ، انتحيت . قصدت وليست
مثلها فى قول امرئ القيس .

فلما اجزنا ساحة الحى وانتحى بنا بطن خبت ذى حفاف عفنقل

وفده. اى الوصول اليه أو الجماعة المهطعين اليه المتسارعين فى بلوغه والوفود
عليه. (٢) النفس بالتحريك واحد الانفاس ومعنى كونه مختنقا بنفسه انه ردد
انفاسه كثيرا فتدافعت الى حلقة وانه حبسها حتى كأنه لا يطيق الحديث ولا
يستطيع الإبانة ، والقذال جماع مؤخر الرأس ومعقد العذار من الفرس خلف
الناصية والمعنى أنه جاءه من خلفه .

بَاكُورَةُ الْيَمَنِ^(١) . وَأُحْدُوثَةُ الزَّمَنِ^(٢) أَنَا أُدْعِيَةُ الرَّجَالِ . وَأُحْجِيَّةُ
رَبَّاتِ الْحِجَالِ^(٣) سَلُّوا عَنِّي الْبِلَادَ وَحُصُونَهَا . وَالْجِبَالَ وَحَزُونَهَا .
وَالْأَوْدِيَةَ وَبُطُونَهَا وَالْبِحَارَ وَعُيُونَهَا . وَالْخَيْلَ وَمُتُونَهَا . مَنْ الَّذِي
مَلَكَ أَسْوَارَهَا . وَعَرَفَ أَسْرَارَهَا . وَنَهَجَ سَمْتَهَا . وَوَلَّجَ حَرَّتَهَا^(٤) .
سَلُّوا الْمُلُوكَ وَخَزَائِنَهَا . وَالْأَغْلَاقَ وَمَعَادِنَهَا . وَالْأُمُورَ وَبِوَاطِنَهَا

(١) كل من بادر الى شئ فقد أ بكر إليه فى أى وقت كان والباكورة أول الفاكهة
أو هو عام فى كل شئ وكان اسم الرجل (أبا الفتح) والفتح ابتداء فكأنه
يعنى اسمه أغازاً وتعمية .

(٢) الأحدوثة - بضم أوله - ما يتحدث به كثيراً لغرابته وابتداعه أى انه نسيج
وحده براعة وشجاعة حتى لقد جعله الناس حديثهم فى سمرهم ولهجت بذكره
ألسنتهم .

(٣) الأحجية والأحجوة. الكلمة يراد بها غير ظاهر مدلول الفاظها والادعية
مثلاً، والمعنى انه يستتر تحت مناظر عدة ويخفى حقيقة نفسه عن ناظره وكأنه
يدعوهم إلى إعمال الفكرة والتروى فى إظهار مكنونه .

(٤) الاسوار. جمع سور وهو . ما أحاط بالمدينة من حائط أو نحوه، والسمت
الطريق والحررة. القطعة المستديرة وأراد به بطون الاودية لان الجبال تحوطها
وتستدير عليها والضمير فى أسوارها للبلاد وفى أسرارها للحصون وفى
سمعها للجبل وفى حررتها للوديان يريد أنه خبير بخبيئات الامور عالم بما خفى
منها شديد على اقتحام الكربات نزال بمواطن الخوف والذعر .

وَالْعُلُومَ وَمَوَاطِنَهَا وَالْخُطُوبَ وَمَغَالِقَهَا. وَالْحُرُوبَ وَمَصَائِقَهَا. مِنَ
الَّذِي أَخَذَ مُخْتَزِنَهَا. وَلَمْ يُؤَدِّ ثَمَنَهَا. وَمِنَ الَّذِي مَلَكَ مَفَاتِحَهَا.
وَعَرَفَ مَصَالِحَهَا^(١).

أَنَا وَاللَّهِ فَعَلْتُ ذَلِكَ وَسَفَرْتُ بَيْنَ الْمُلُوكِ الْأُصَيْدِ وَكَشَفْتُ
أَسْتَارَ الْخُطُوبِ السُّودِ. أَنَا وَاللَّهِ شَهِدْتُ حَتَّى مَصَارِعِ الْعُشَاقِ.
وَمَرِضْتُ حَتَّى لِمَرَضِ الْأَحْدَاقِ. وَهَصَرْتُ الْغُصُونِ النَّاعِمَاتِ
وَأَجْتَنَيْتُ وَرْدَ الْخُدُودِ الْمُورِدَاتِ^(٢). وَنَفَرْتُ مَعَ ذَلِكَ عَنِ الدُّنْيَا.

(١) الاغلاق جمع غلق وهو ما توصلد به الأبواب ومثله المغالق جمع مغلقة
كمكنسة وربما كانت الاعلاق بالعين مهملة جمع علق وهو النفيس من كل شئ
ومعادنها مواطنها التي تكون فيها، والمختزن بزنة اسم المفعول المودع في
الخزائن لوقت الحاجة والضمير يعود على الملوك وخزائنها والاعلاق ومعادنها
وأراد بأنه لم يؤد ثمنها انه غلب أهلها عليها فتملكها قهراً. المفاتيح. جمع مفاتيح
والقياس مفاتيح غير أن الياء قد تحذف تخفيفاً كما في قوله تعالى. (عنده مفاتيح
الغيب) أو هي جمع مفتاح على أصله والضمير فيه عائد على الامور ويواطنها
والعلوم ومواطنها والخطوب ومغالقها كما انه في مصالحها عائد على الحروب
ومصانقها. (٢) السفارة بين الملوك السعاية في الصلح لهم وانما يكون ذلك
للقدير العارف بعلل القلوب وأدوائها، وهصر الغصن أماله وأخذه إلى نفسه،
عنى بما ذكر أن له في كل شئ يداً وأنه لا يفوته أمر حتى يأخذ بحظه منه وانه
اقتطف من كل شجرة ثمرة واغترف من كل نهر دلوا وشرب من كل كأس جرعة
فلم يترك من شؤون الحياة شيئاً إلا عرفه ، ولم يبق من لذاتها وشهواتها شئ
لم ينل منه بغيته .

نُفُورَ طَبَعِ الْكَرِيمِ عَنْ وُجُوهِ اللَّئَامِ^(١). وَنَبَوْتُ عَنْ الْمُخْزِيَاتِ نُبُوَّ
السَّمْعِ الشَّرِيفِ عَنْ شَنِيعِ الْكَلَامِ^(٢). وَالْآنَ لَمَّا أَسْفَرَ صُبْحُ
الْمَشِيْبِ وَعَلَّتْنِي أَبْهَةٌ الْكَبْرِ عَمَدَتْ لِإِصْلَاحِ أَمْرِ الْمَعَادِ بِأَعْدَادِ
الزَّادِ^(٣). فَلَمْ أَرْ طَرِيقاً أَهْدَى إِلَى الرَّشَادِ. مِمَّا أَنَا سَالِكُهُ^(٤).
يَرَانِي أَحَدُكُمْ رَاكِبَ فَرَسٍ. نَاثِرِ هَوْسٍ^(٥). يَقُولُ هَذَا أَبُو الْعَجَبِ.

(١) نفر كنصر وضرب نفوراً ونفاراً وهو نافر ونفور. تباعد، واللئام جميع لئيم وهو . من خبث طبعه وسفل أصله . (٢) نبا بصره عن الشيء نبوا ونبيا ونبوة : ابتعد، والمخزيات. الاعمال التي يخجل منها المرء ويندى لها وجهه، وأراد انه لم تخدعه الدنيا بزخرفها ولم تغره بزينتها وان مظاهرها التي نال منها بسبب وأخذ بطرف لم تكن لتجعلها محلا لاكباره أو موطناً لاجلاله وإعظامه لانه اشرب نفسه الصدف عنها والميل الى ما يكسب جميل الاحدوثة وطيب الثناء وانه لم يقترف اثماً ولم يكتسب حوباً بل صحب يسره زهادة وشجاعته خشية .

(٣) أسفر الصبح : ظهر واضافته للمشيبي من قبيل.

والريح تعبت بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لجين الماء

والابهة الجلال والوقار، والمعاد يوم القيامة . (٤) أبو الفتح كان يدعو إلى الله ويبذل النصح للناس ويرشدهم وذلك أفضل الطرق وأعد لها وأقربها هداية ويرشداً. (٥) نثر النظم حل عقده وجعله بددا ورماء متفرقا والهوس خفة العقل لدرجة تقرب من الجنون ومعنى أنه ناثر هوس، انه يقول كلاماً غير صحيح ولا مقبول لما يداخله من جنة ويعتريه من خيال .

لَا وَلَكِنِّي أَبُو الْعَجَائِبِ^(١). عَايِنْتُهَا وَعَايِنْتُهَا. وَأُمُّ الْكِبَائِرِ قَايَسْتُهَا
 وَقَايَسْتُهَا^(٢) وَأَخُو الْأَغْلَاقِ صَعْبًا وَجَدْتُهَا وَهَوْنًا أَضَعْتُهَا. وَغَالِيًا
 اشْتَرَيْتُهَا. وَرَخِيصًا ابْتَعْتُهَا^(٣). فَقَدْ وَاللَّهِ صَحِبْتُ لَهَا الْمَوَاكِبَ.
 وَزَاخَمْتُ الْمَنَاكِبَ. وَرَعَيْتُ الْكُوَاكِبَ. وَأَنْصَيْتُ الْمَرَاجِبَ دُفِعْتُ
 إِلَى مَكَارِهِ نَذَرْتُ مَعَهَا إِلَّا أَدَخِرَ عَنِ الْمُسْلِمِينَ مَنَافِعَهَا. وَلَا بَدُّ لِي
 أَنْ أَخْلَعَ رِبْقَةَ هَذِهِ الْأَمَانَةِ مِنْ عُنُقِي إِلَى أَعْنَاقِكُمْ^(٤). وَأَعْرِضْ
 دَوَائِي هَذَا فِي أَسْوَاقِكُمْ. فَلْيَشْتَرِ مِنِّي لَا مَنْ يَنْقَرِزُ مِنْ مَوْقِفِ الْعَبِيدِ^(٥).

(١) يقول: انه ليس عجيبا فى شأن واحد بل هو عجيب فى الشؤون كلها فلا
 يجوز أن يسمى أبا عجب وانما الذى يوافق حاله ان يكنى أبا العجائب .
 (٢) الافعال المذكورة كلها مصدرها المفاعلة التى تستدعى تدافعا من الجانبين
 غالبا غير ان المقاساة كالمعانة مع زيادة الشدة والمعانة اظهر فى باب التفاعل
 منها وعابن مصدره المعاينة وهى المشاهدة وقايس مصدره المقايسة وهى رد
 الاشياء الى أشباهها ومصدر عانى المعانة وقاسى المقاساة . (٣) يريد بصعوبة
 وحداتها وغلاء شرائها ما بذله فى سبيل الحصول عليها من نصب البدن
 وتحميل نفسه المشقة كما يريد بهون اضاعتها ورخص بيعها تساهله فى تركها
 وقد بين ذلك فيما بعده .

(٤) الربق حبل فيه عدة عرى يشد به البهم وكل عروة ربقة بالكسر والفتح .

(٥) نقرزت نفسه امتنعت من الشئ وأبت أن تفعله .

وَلَا يَأْنَفُ مِنْ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ^(١). وَلَيْصَنُهُ مَنْ أَنْجَبَتْ جُدُودُهُ. وَسَقَى
بِالْمَاءِ الطَّاهِرِ عُدَّهُ^(٢). قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ. فَدُرْتُ إِلَى وَجْهِهِ.
لَا عِلْمَ عِلْمِهِ^(٣). فَإِذَا هُوَ وَاللَّهُ شَيْخَنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ
وَأَنْتَظَرْتُ أَجْفَالَ النَّعَامَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ^(٤). ثُمَّ تَعَرَّضْتُ فَقُلْتُ : كَمْ يَحِلُّ
دَوَاعِكَ هَذَا؟ فَقَالَ : يَحِلُّ الْكَيْسُ مَا شِئْتَ. فَتَرَكْتُهُ وَأَنْصَرَفْتُ^(٥).

(١) أى لا يرى فى نفسه غضاضة من أفراد الله بالوحدانية والخضوع له.
(٢) يعنى انه لا يحرص على هذا الموقف غير كريم الاصل شريف النجار حسن
المنبت.

(٣) العرب يجعلون المصادر مفاعيل أحيانا ويريدون أصحابها وربما جعلوها
فاعلا كما فى جد جده، واعلم علمه المراد به : لأعلمه أى انسان هو .
(٤) أجفل الظليم أسرع وذهب فى الارض وأراد بالنعامة العامة التى اجتمعت
عليه على التشبيه .

(٥) أحل كذا : جعله حلالا والمعنى أى مقدار إذا أخذته حل لى الانتفاع بدوائك
الذى ذكرته فقال ان المال يجعل كل شىء حلالا فاذا اقضت الثمن حل لك
المبيع، ولا نرى عبارة السؤال فى شىء من البلاغة .

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ الكُوفِيَّةُ (١)

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ وَأَنَا فَتَى السَّنِّ أَشَدُّ رَحْلِي لِكُلِّ عَمَايَةٍ . وَأَرْكُضُ طَرْفِي إِلَى كُلِّ غَوَابَةٍ (٢) . حَتَّى شَرِبْتُ مِنْ الْعُمَرِ سَائِغَهُ . وَلَبِستُ مِنَ الدَّهْرِ سَائِغَهُ (٣) . فَلَمَّا انْصَحَ النَّهَارُ بِجَانِبِ لَيْلِي . وَجَمَعْتُ لِلْمَعَادِ ذَيْلِي . وَطِئْتُ ظَهْرَ الْمَرُوضَةِ .

(١) الكوفية نسبة إلى الكوفة وهي بلد بالعراق مشهور بينه وبين بغداد ثلاثون فرسخا وهي مدينة العراق الكبرى والمصر الأعظم وقبة الاسلام ودار هجرة المسلمين وأول مدينة اختطها المسلمون بالعراق، يذكرون انه على مسافة فرسخ منها من الجهة الغربية يقع المشهد الأكبر حيث بركت ناقة على رضى الله عنه وكرم الله وجهه وهو محمول عليها بعد قتله وأن قبره فيه، ونحن لانكاد نعتقد ذلك لأن المؤرخين لم يجزموا بمكان قبر على من الارض حتى يقال انه بالكوفة، وعند الله علم ذلك كله .

(٢) الفتاء : طراءة السن وحدائته، والعماية احتجاب القلب عن ادراك صالحه وأراد به لازمه وهو الملاذ المرذية والشهوات المهلكة وشد الرحل اليها كناية عن اقترافها والخوض فى مضمارها ومثل هذا فى الفقرة بعدها .

(٣) يقال : ثوب سابع إذا كان يشمل البدن جميعه، وعنى بالجملتين انه تمتع من عمره بما اشتهى ونال من دهره ما أراد .

لَأَدَاءِ الْمَفْرُوضَةِ^(١). وَصَحْبِنِي فِي الطَّرِيقِ رَفِيقٌ لَمْ أَنْكَرْهُ مِنْ سَوْءٍ. فَلَمَّا تَجَالَيْنَا. وَخَبَرْنَا بِحَالَيْنَا. سَفَرَتِ الْقِصَّةُ عَنْ أَصْلِ كُوفِيٍّ. وَمَذْهَبِ صُوفِيٍّ^(٢). وَسِرِّنَا فَلَمَّا أَحَلَّتْنَا الْكُوفَةُ مِلْنَا إِلَى دَارِهِ وَدَخَلْنَاهَا وَقَدْ بَقِلَ وَجْهُ النَّهَارِ وَأَخْضَرَ جَانِبُهُ^(٣). وَلَمَّا اغْتَمَضَ جَفْنُ اللَّيْلِ وَطَرَ شَارِبُهُ. قُرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ. فَقُلْنَا : مَنْ الْقَارِعُ الْمُنتَابُ؟ فَقَالَ وَقَدْ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ . وَقَلُّ الْجُوعِ وَطَرِيدُهُ^(٤)

(١) انصاح النهار والفجر والبرق . ظهر وأراد بالنهار الشيب وبالليل الشعر الاسود ومثله قول الفرزدق .

والشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصيح بجانبه نهار

والمروضة الدابة. أو هي الارض لانها مذلة معبدة للانسان والمفروضة الحج .

(٢) تجالى (بالجيم التحتية) . تكاشف ومنه قوله تعالى (والنهار إذا جلاها) أى كشفها والمعنى حين كشف كل واحد منا لآخيه عن حاله وأخبره بأمره، وسفرت. وضحت وظهرت ، والصوفية. جماعة رغبوا عن الدنيا وزهدوا فى متاعها ولبسهم الغالب الصوف واليه ينسبون وقد قال بعضهم :

ليس التصوف لبس الصوف ترقعه ولا بكاؤك ان غنى المغنونا

(٣) هم بخلوا عند الغروب وحينئذ تكون الشمس موشكة أن تزول ويكون الظلام أخذًا فى الظهور من الجانب الثانى ويكون اللون الغالب على الافق من جهته الاخضرار واذ كان اقبال وجه الغلام ظهور الشعر فيه ويؤه يكون اخضرارًا عبر عنه بذلك تشبيها بهذه الهيئة . (٤) قوم فل : منهزمون ورجل فل كذلك والطريد المطرود والمعنى : لا يزال الجوع ينشب فيه أظاقيره ولا تزال المسغبة تلحف عليه وتعمل فيه حتى فر يطلب منها مهربي ولكنه لا يجد الطريق اليه .

وَحَرُّ قَادَهُ الضَّرُّ. وَالزَّمَنُ المُرُّ^(١) وَضَيْفٌ وَطَوُّهُ خَفِيفٌ. وَضَالَّتْهُ رَغِيفٌ^(٢) وَجَارٌ يَسْتَعْدِي عَلَى الجُوعِ. وَالجَيْبُ المَرْقُوعُ^(٣). وَغَرِيبٌ أَوْقَدَتِ النَّارُ عَلَى سَفَرِهِ. وَنَبَحَ العَوَاءُ عَلَى أثرِهِ^(٤). وَنُبَذَتْ خَلْفَهُ الحُصِيَّاتُ. وَكُنِسَتْ بَعْدَهُ العَرَصَاتُ^(٥). فَنَضَّوهُ طَلِيحٌ. وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ. وَمِنْ نُونِ فَرخِيهِ مَهَامَةٌ فِيعٌ^(٦). قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ :

(١) أى انه لولا سوء الحال وما أجده من آلام الأعواز ما سألتكم شيئا .

(٢) يريد انه لا يجشمهم عظيما ولا يطلب منهم جسيما ولا يثقل كواهلهم بل انما يود أن يشبع بطنه فحسب .

(٣) يستعدى : يستنصر أى يطلب من ينصره، والجيب : أراد به الثوب، والمعنى انه جمع إلى الجوع العرى واصطلح عليه الامران ولزمه ألم ظاهر الجسم وألم الامعاء .

(٤) معنى الجملة انه لا أمل له فى العودة إلى وطنه والأولى مأخوذة من قولهم للمسافر أبعد الله داره وأوقد الناس ناره .

(٥) من عادتهم انه اذا نزل بهم من لا يحبون يرمون الحصى خلفه متى ارتحل وكأنهم يعنون عدم عودته والاستخفاف به كما لا تعود الحصاة ولا يعبأ لها، وكذلك اذا مات الميت كنسوا بعده فناء الدار اياسا من رجعته وتنظيفا للدار من بعده وكنى بهما عن انه لا يؤدب .

(٦) النضو بكسر أوله وجمعه الانضاء. البعير المهزول، والطليح التعب الذى لا يقوى على السير، والتبريح الشدة، والمهامه جمع مهمه وهو الصحراء، وفيع. أى متسعة وأراد أن يصف شدة البعد عن بنيه . يصف ما ناله من وقية الدهر به ويشكو ما يلاقيه من ماض وأعياء .

فَقَبَضْتُ مِنْ كَيْسِي قَبْضَةَ اللَّيْثِ. وَبَعَثْتُهَا إِلَيْهِ وَقُلْتُ : زِدْنَا
سَوْأَالًا. نَزِدَكَ نَوَالًا^(١). فَقَالَ: مَا عَرَضَ عَرَفُ الْعُودِ. عَلَى أَحَرٍّ مِنْ
نَارِ الْجُودِ. وَلَا لَقِيَ وَقْدُ الْبَرِّ. بِأَحْسَنَ مِنْ بَرِيدِ الشُّكْرِ. وَمَنْ مَلَكَ
الْفَضْلَ فَلْيُؤَاسِ. فَلَنْ يَذْهَبَ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ^(٢)، وَأَمَّا أَنْتَ
فَحَقَّقَ اللَّهُ أَمَالَكَ. وَجَعَلَ الْيَدَ الْعُلْيَا لَكَ. قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ :
فَفَتَحْنَا لَهُ الْبَابَ وَقُلْنَا : ادْخُلْ. فَإِذَا هُوَ وَاللَّهُ شَيْخَنَا أَبُو الْفَتْحِ
الْأَسْكَندَرِيُّ فَقُلْتُ يَا أبا الْفَتْحِ شَدِّمًا بَلَغَتْ مِنْكَ الْخِصَاصَةُ^(٣).
وَهَذَا الزِّيُّ خَاصَّةٌ. فَتَبَسَّمَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنَا فِيهِ مِنَ الطَّلَبِ	لَا يَغْرِنَكَ الَّذِي
لَهَا بُرْدَةُ الطَّرْبِ	أَنَا فِي ثَرْوَةٍ تُشَقُّ
تُ سَقُوفًا مِنَ الذَّهَبِ ^(٤)	أَنَا لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخِذُ

(١) انما يقبض الليث على معظم أجزاء فريسته فذلك كناية عن الكثرة، والنوال
العطاء . (٢) العرف بالفتح الرائحة الزكية والعود طيب معروف، والمعنى
المقصود هنا ان المزيد من شكرانه لهم وثنائه عليهم واجب يؤديه اذا زاوه
احسانا وكرما وأراد بالعود نفسه، ويؤاسى من المؤاساة وهى المساعدة وبذل
المعونة، والعرف بالضم المعروف . (٣) شد من صيغ التعجب أصلها ما أشد
حذف حرف التعجب لكثرة استعمال الكلمة والخصاصة الفقر والحاجة الشديدة
الماسة . (٤) أى : ان حقيقته غير ظاهره الذى يرونه وانه اذا ابدى متربة أو
كشف لهم عن عوز فذلك اتشاح بما ليس من لبوسه وارتداء بغير برده .

المقامة الأسديّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كَانَ يَبْلُغُنِي مِنْ مَقَامَاتِ
 الإسكندري وَمَقَالَاتِهِ مَا يَصْغِي إِلَيْهِ النَّفُورُ وَيَنْتَفِضُ لَهُ
 العُصْفُورُ^(١) وَيُرَوِّي لَنَا مِنْ شِعْرِهِ مَا يَمْتَزِجُ بِأَجْزَاءِ النَّفْسِ رِقَّةً.
 وَيَغْمُضُ عَنْ أَوْهَامِ الكَهَنَةِ دِقَّةً^(٢). وَأَنَا أَسْأَلُ اللهَ بِقَاءِهِ حَتَّى أُرْزَقَ
 لِقَاءَهُ. وَأَتَعَجَّبُ مِنْ قُعُودِ هِمَّتِهِ بِحَالَتِهِ. مَعَ حُسْنِ آلَتِهِ وَقَدْ ضَرَبَ

(١) صغى كرضى. مال، والنفور، الذي يباليغ في النفرة والابتعاد ولن يميل مثل
 هذا الى شئ حتى يأتسره ويملك عليه قلبه فهو نعت لكلام الاسكندري بالبلاغة
 الفائقة والفصاحة الرائعة، وانتفاض العصفور اهتزازه ولعمره اذا كان الحيوان
 الذي لا يدرك أسرار المقال يهتز اهتزاز الطروب فكيف أنت بالانسان وهو من
 أعطاه الله المدركة ووهبه التمييز بين غث الأساليب وثمينه .

(٢) التكهن . ادعاء علم الغيب ومعرفة المستقبل من غير قاعدة ومنه أخذ اسم
 الكاهن لما كان يدعيه من نحو ذلك، والمراد ان شعر أبى الفتح كان جليل القدر
 دقيق الصنعة لا عن إغاز أو تعمية ولا من تعقيد أو تنافر فلم يكن يدركه غير
 أرباب الصياغة من نقدة الكلام.

الدَّهْرَ شُؤُونَهُ. بِأَسْدَادٍ دُونَهُ وَهَلُمَّ جَرًّا^(١). إِلَىٰ أَنْ اتَّفَقَتْ لِي
 حَاجَةٌ بِحِمَصٍ. فَشَحَذْتُ إِلَيْهَا الْحَرَصَ. فِي صُحْبَةِ أَفْرَادٍ كَنُجُومِ
 اللَّيْلِ. أَحْلَاسٍ لِيْظُهُورِ الْخَيْلِ^(٢). وَأَخَذْنَا الطَّرِيقَ نَنْتَهِبُ مَسَافَتَهُ.
 وَنَسْتَأْصِلُ شَافَتَهُ وَلَمْ نَزَلْ نَقْرِي أَسْنِمَةَ النُّجَادِ بِتِلْكَ الْجِيَادِ.
 حَتَّىٰ صِرْنَا كَالْعِصِيِّ . وَرَجَعْنَا كَالْقَيْسِيِّ^(٣). وَتَاحَ لَنَا وَادٍ
 فِي سَفْحِ جَبَلٍ ذِي آلَاءٍ وَأَثَلٍ. كَالْعِذَارِيِّ يُسَرِّحُنَا
 الضَّفَائِرَ وَيَنْشُرُنَا الْغَدَائِرَ^(٤) وَمَالَتْ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَيْهَا وَنَزَلْنَا

(١) ضرب الدهر. أحدث، والشؤون المحن والصروف والنوائب، والاسداد : جمع
 سد و هو ما يجعل بين الشيئين ليحول دون اختلاط أحدهما بالآخر، والمعنى :
 ان الزمن عاكسه فلم يمكنه من ادراك الرفه والسعادة . (٢) الاحلاس جمع
 حلس بكسر أوله وهم الذين يلزمون الشيء لا ينفكون عنه يريد انهم فرسان لا
 يغادرون متون الخيل ولا يفترون عن ركوبها . (٣) نقري . نقطع، اسنمة. جمع
 سنام وأصله المرتفع من ظهر البعير ثم استعير للنجد وهو هنا ما أشرف من
 الارض أى ارتفع والمعنى انهم طفقوا يسيرون سيرا حثيثا بحيث فتتوا أعالي
 الجبال بحوافر خيلهم حتى لقد ضمرت الخيل وهزلت وتعطفت ولانت فصارت
 كالعصى (جمع عصا) هزالا ونحافة والقسي لينا وانثناء . (٤) تاح يتيح ويتوح.
 تهيأ، وسفح الجبل عرضه وأصله وأسفله والآلاء بوزن سماء شجر مر لكنه بهيج
 المنظر ، والأثل شجر عظيم لا يثمر وقد شبه الآلاء والأثل (استقامته وتدلى
 أغصانه) بالكواعب وهن الجاريات الحسان حين تكون ضفائر شعرهن متدلية .

نُغُورٌ وَنَغُورٌ^(١) وَرَبَطْنَا الْأَفْرَاسَ بِالْأَمْرَاسِ^(٢). وَمَلْنَا مَعَ النَّعَاسِ .
فَمَا رَاعَنَا إِلَّا صَهِيلُ الْخَيْلِ . وَنَظَرْتُ إِلَى فَرَسِي وَقَدْ أَرْهَفَ أُذُنِيهِ
. وَطَمَحَ بَيْنِيهِ . يُجْذُ قُوَى الْحَبْلِ بِمَشَافِرِهِ . وَيَخُذُ خَدَّ الْأَرْضِ
بِحَوَافِرِهِ^(٣) ثُمَّ اضْطَرَبَتِ الْخَيْلُ فَارْسَلَتِ الْأَبْوَالَ : وَقَطَّعَتِ
الْحِبَالَ . وَأَخَذَتْ نَحْوَ الْجِبَالِ^(٤) . وَطَارَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا إِلَى سِلَاحِهِ
فَإِذَا السَّبْعُ فِي فَرَوَةِ الْمَوْتِ . قَدْ طَلَعَ مِنْ غَابِهِ . مُنْتَفِخًا فِي إِهَابِهِ .
كَاشِرًا عَنْ أَنْيَابِهِ . بِطَرْفٍ قَدْ مَلَى صَلْفًا وَأَنْفٌ قَدْ حُشِيَ أَنْفًا .
وَصَدْرٌ لَا يَبْرَحُهُ الْقَلْبُ . وَلَا يَسْكُنُهُ الرَّعْبُ^(٥) . وَقَلْنَا خَطْبٌ مُلْمٌ .
وَحَادِثٌ مُهِمٌ . وَتَبَادَرَ إِلَيْهِ مِنْ سُرْعَانَ الرُّفْقَةِ فَتَى .

(١) مالت بنا . جعلتنا نميل من اسناد المسبب إلى السبب فيه والهاجرة : شدة
الحر ، وغار الرجل . نام ، وغور بالتضعيف جاء الغور وهو المستوى من الارض .
(٢) الامراس الحبال ومنه قول امرئ القيس .

كأن الثريا علقت في مصامها بأمراس كتان الى صم جندل

(٣) أرهف أذنيه أى حدهم من قولهم : سيف رهيف الحد ومرهف ، يجذ بجيم
تحتيه فذال معجمة . يقطع ، ويخذ ، بخاء فوقيه فمهملة يشق ، وخذ الارض وجهها
وظاهرها . (٤) إذا اشتد الخوف تفككت مفاصل الجسم وتراخت أعصابه فلم
يكن فى المقنور حبس الاطراف فقد يبول المرء وهو المميز العاقل فكيف بالاعجم
من الحيوان . (٥) انما يلبس فروة الموت نفس الموت فكأنه شبه الاسد بالموت فى
قهر النفوس واغتيالها وهو عكس تشبيهه أبى نؤيب فى قوله .

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تميمة لا تنفع =

أَخْضَرُ الْجِلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ يَمْلَأُ الدَّلْوَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ^(١)
 بِقَلْبِ سَاقِهِ قَدْرُ . وَسَيْفٍ كُلُّهُ أَثْرُ^(٢) . وَمَلَكَتُهُ سُورَةُ الْأَسَدِ
 فَخَانَتْهُ أَرْضُ قَدَمِهِ . حَتَّى سَقَطَ لِيَدِهِ وَفَمِهِ^(٣) . وَتَجَاوَزَ الْأَسَدُ

= والغاب. الشجر الملتف الكثير وعادته أن يكون مأوى للوحوش والاهاب الجلد
 (ومنتفخا في اهابه) كناية عن الكبرياء والصلف .. ومن عادة الذي نزل به
 الخوف ان يضطرب قلبه فيشتد خفقانه حتى ليخيل انه انتقل من وعائه وهو في
 الصدر خلف جهاز التنفس فاذا قيل ان قلب فلان لا ينتقل من صدره فمعناه انه
 لايدخل الخوف الى قلبه وهي كناية بديعة .

(١) سرعان : جمع سريع. أى انهم جميعا تسارعوا الى قتال الاسد لمكانتهم فى
 الشجاعة والاقدام ولكن واحدا منهم تبارر فوصل إليه قبلهم والبنت مأخوذ من
 قول الفضل :

وأنا الأخضر من يعرفنى
 من يساجلنى يساجل ماجدا
 أخضر الجلدة من بيت العرب
 يملأ الدلو الى عقد الكرب

(٢) أثر السيف (بفتح أوله أو كسره، وسكون الثانى فيهما) فرنده وجمعه أنور
 ومعناه : أن السيف لصقلته وصفاء جوهره كأنه كله جوهر . (٣) السورة الحدة
 ومثلها السوار (كغراب) والمعنى أن رعبه من الاسد وهيبته له تملكا عليه قلبه
 فتراخت مفاصله واضطربت أعضاؤه حتى أنه ليخيل للرائى أن الارض لم تثبت
 به. ومثل هذا فى التعبير قولهم عند اشتداد الخوف : ساخت الارض تحت
 قدميه. وقوله : سقط ليدته وفمه كناية عن انكبابه على وجهه وهو مأخوذ من قول
 قاتل محمد بن طلحة بن عبيد الله :

وأشعثت قوام بآيات ربه
 ضممت اليه بالسنان قميصه
 قليل الاذى - فيما ترى العين - مسلم
 فخر صريعا لليدين والقم

أو هو مأخوذ من قولهم : سقط فى يدي فلان اذا أسف واشتد حزنه . ولكنه
 بعيد .

مصرعهُ . إلى مَنْ كَانَ مَعَهُ . وَدَعَا الْحَيْنُ إِخَاهُ . بِمِثْلِ مَا دَعَاهُ^(١) .
فَصَارَ إِلَيْهِ . وَعَقَلَ الرَّعْبُ يَدَيْهِ . فَأَخَذَ أَرْضَهُ . وَافْتَرَشَ اللَّيْثُ
صَدْرَهُ . وَلَكِنِّي رَمَيْتُهُ بِعِمَامَتِي . وَشَغَلْتُ فَمَهُ . حَتَّى حَقَنْتُ دَمَهُ .
وَقَامَ الْفَتَى فَوْجاً بَطْنُهُ . حَتَّى هَلَكَ الْفَتَى مِنْ خَوْفِهِ . وَالْأَسَدُ
لِلْوَجَاةِ فِي جَوْفِهِ^(٢) . وَنَهَضْنَا فِي أَثْرِ الْخَيْلِ فَتَأَلَّفْنَا مِنْهَا مَا ثَبَتَ .
وَتَرَكْنَا مَا أَفْلَتَ . وَعَدْنَا إِلَى الرَّفِيقِ لِنُجْهِّزَهُ فَلَمَّا حَثُونَا التَّرْبَ فَوْقَ
رَفِيقِنَا * جَزَعْنَا وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةَ مَجْزَعٍ وَعَدْنَا إِلَى الْفَلَاةِ . وَهَبَطْنَا
أَرْضَهَا^(٣) وَسَرْنَا حَتَّى إِذَا ضَمَرْتِ الْمَزَادُ . وَنَفَدَ الزَّادُ أَوْ كَادَ
يَدْرِكُهُ النِّقَادُ^(٤) . وَلَمْ نَمْلِكِ الذَّهَابَ وَلَا الرَّجُوعَ . وَخَفْنَا الْقَاتِلِينَ

- (١) الحين : الهلاك والموت والمعنى أن الاسد حينما قتل الاول تجاوز مكانه ويمم نحو باقى رفاقه فتقدم اليه أحدهم فلم يلبث ان حل به مثل ما حل بمن تقدمه .
- (٢) المعنى ان ذلك الرفيق نزل به الخوف وأخذ منه الجزع فسقط كما سقط الذى قبله وهم الاسد ليقضى عليه فتداركته بمشاغلة الاسد حتى استطاع الفتى أن يقوم فبقر بطن السبع ولكنه أشرف على الهلاك من الرعب .
- (٣) الفلاة الصحراء ، وهبطنا : نزلنا . (٤) الضمر والضمور . أصله الهزال، والمزاد جمع مزادة . وهى قرابة الماء ومعنى ضمورها لصوق الجلد ببعضه كما يكون فى هزال الحيوان لعدم وجود ما يباعد بينه فهو كناية عن فقدان الماء ونفد . فنى .. والمراد انهم صاروا فى حالة شديدة .

الظماً والجوع. عن لنا فارسُ فصمدنا صمده^(١). وقصدنا قصده. ولما بلغنا نزلَ عن حراً فرسه. ينقشُ الأرضَ بشفتيه. ويلقى الترابَ بيديه. وعمدني من بين الجماعة. فقبل ركابي. وتحرمَ بجنابي^(٢) ونظرتُ فإذا هو وجهُ يبرقُ برق العارضِ المتهللِ. وقوامٌ متى ماترقَ العينُ فيه تسهلُ وعارضٌ قد اخضرَّ. وشاربٌ قد طرَّ. وساعدٌ ملآنٌ. وقضيبٌ ريانٌ. ونجارٌ تركيٌّ. وزىٌّ ملكيٌّ^(٣) فقلنا: مالك لا أبا لك^(٤)؟ فقال: أنا عبدٌ بعض

(١) عن . ظهر، صمدنا قصدنا، ويقال صمد فلان صمد كذا أى اتجه اليه واعتمده والمعنى اننا حين خشينا على أنفسنا الهلاك فى هذه الصحراء المجدة حيث لا نبات ولا ماء ظهر لنا رجل يركب فرسه فاتجهنا اليه، والمرء فى مثل هذه الحال يتلمس من يكشف كربته ويخفف عناءه ولا أقل من أن يدلهم على مورد الماء . (٢) عمدنى وعمد إلى. قصدنى واتجه نحوى والمراد من تقبيل الركاب والتحرم بالجناب . الاحترام والتأدب فيه والاجلال مع اظهار الخشوع .

(٣) العارض : أصله السحاب المعترض فى الافق ومن عباراتهم تشبيه الوجه بالماء فى صفائه وقد يضيفونه إليه تارة فيقولون ماء الوجه ومنه .

ألا بقية ماء وجه صنته عن أن يباع وقد أبحتك فاشتر

ومن هذا القبيل تسميتهم صفحتى الخد أى جانبه بالعارضين وهو المراد هنا واخضراره ظهور الشعر فيه ، ويقال طر الشارب طرا وطرورا إذا طلع جديدا .
(٤) كان بعض شيوخنا يعتقد أن هذه الكلمة لا تقال إلا عند الذم وناقشته فى =

الملوكِ همَّ من قتلِي بهم^(١). فهتت على وجهي إلى حيثُ تراني. وشهدتُ شواهدُ حاله. على صدقِ مقالهِ. ثمَّ قالَ : أنا اليومَ عبدك. ومالي مالكَ . فقلتُ : بشرى لك وبك^(٢) أدركَ سيركَ إلى فناءِ رجبٍ. وعيشِ رطب^(٣) وهنأتني الجماعةُ وجعلَ ينظرُ فتقتلنا الحاظهُ. وينطقُ فتفتننا الفاظهُ. فقالَ : ياسادةُ إنَّ في سفحِ الجبلِ عيناً وقد ركبتمُ فلاةً عوراءَ فخنُّوا منْ هناكَ الماءَ^(٤). فلويناً الأعنةَ إلى حيثُ أشار. وبلغناهُ وقد صهرتِ الهاجرةُ الابدانَ. وركبَ

= ذلك كثيرا مستشهدا بكثير من أشعار العرب فيتأولها بالذم أو بوقوعها حشوا ونحن نعتقد مجيئها للمعنيين وأصدق شاهد من النثر قول سحيلة الراعية لعامر بن ظرب العوانى وكان سيدها : مالك - لا أبالك - ما عراق في ليلتك هذه ثم قولها له : سبحان الله! لا أبالك أنبع القضاء المبال الخ، فى قصة رواها ابن هشام فى سيرته (جزء أول صفحة ١١٦ طبع مصر) .

(١) أى أنه عزم على قتلِي .

(٢) أى أنك ستأنس بى كما اننى سأرتاح إليك .

(٣) الفناء ككساء: ما اتسع امام الدار وجمعه افنيه كأكسيه وفنى (بضم فكسر فياء مشددة) والرحب : المتسع وعيش رطب : ناعم رغيد والمعنى : انه بوصوله اليه قد وصل إلى النعمة الموفورة والعيشة الراضيه الهنيئة .

(٤) سفح الجبل : أصله أو أسفله وأراد بالعين الماء وفلاة عوراء لا تجدون فيها عينا ومعنى ركوبها السير فيها .

الجَنَادِبُ العِيدَانُ^(١). فقالَ : أَلَا تَقِيلُونَ فِي هَذَا الظِّلِّ الرَّحْبِ. عَلَى هَذَا المَاءِ العَذْبِ. فَقَلْنَا : أَنْتَ وَذَاكَ^(٢) فَنَزَلَ عَنْ فَرَسِهِ وَحَلَّ مَنْطِقَتَهُ. وَنَحَى قَرطِقَتَهُ^(٣) فَمَا اسْتَرَعْنَا إِلَّا بِغَلَالَةٍ تَنَمُّ عَلَى بَدَنِهِ^(٤). فَمَا شَكْنَا أَنَّهُ خَاصِمَ الوِلْدَانِ. فَفَارَقَ الجَنَانَ. وَهَرَبَ مِنْ رِضْوَانٍ^(٥). وَعَمَدَ إِلَى السَّرُوجِ فَحَطَّهَا وَإِلَى الأَفْرَاسِ

(١) الاعنة جمع عنان بكسر أوله وهو سير اللجام وصهرت أحرقت والهاجرة حر الظهيرة والجنادب الجراد وركوبه العيدان عند شدة الحر .

(٢) قال يقييل من باب (باع يبيع) قيلا وقائلة وقيلولة ومقالا ومقيلا وتقييل : نام في نصف النهار؛ الرحب : الواسع ، أنت وذاك : كلمة يقولونها عند الموافقة على ما يعرضه المقترح وكان المعنى : أنت مطاع ولك ذاك :

(٣) المنطقه بوازن مكنسه حزام يشد به الوسط والفعل منه انتطق . أى لبسه . ، ونحى : أبعد ، والقرطق بوزان جنذب . نوع من اللباس وقعله . قوطق كسحرج .

(٤) استتر : اختفى واحتجب ، والغلالة (بكسر أوله) شعار يلبس تحت الثوب ومثلها الغلة : تنم: تكشف عنه وتدلل عليه ، والمعنى أنه ما كان يخفى عليهم شئ من بدنه لأن الغلالة شفافة لا تحجب منه شيئا .

(٥) أى أنا حينما تأملنا بديع تركيبه ونظرنا محاسنه لم نظن ألا أنه أحد الولدان الذين يكونون في الجنة فارقتها هاربا من رضوانه خازنها والموكل بحراستها لأنه ممن لاتقع عليهم العين في هذه الحياة الدنيا ومن أبداع ما قيل في وصف الغلمان قول سبط بن التعويذى في غليمان الامام الناصر لدين الله :

فحشها^(١). وإلى الأمكنة فرشها . وقد حارت البصائر فيه ووقفت
الأبصار عليه. فقلت: يا فتى ما أطفك في الخدمة. وأحسنك في
الجملة^(٢). فالويل لمن فارقتهُ. وطوبى لمن رافقتهُ^(٣). فكيف شكر
الله على النعمة بك. فقال: ما سترونهُ منى أكثرُ أتعجبكمُ خفتي
في الخدمة. وحسني في الجملة. فكيف لو رأيتموني في الرفقة^(٤)
أريكم من حذقي طرفاً^(٥). لتزدابوا بي شغفاً؟ فقلنا : هات. فعمد
إلى قوسٍ أحدنا فأوتره^(٦) وفوق سهماً فرماه في السماء^(٧).
وأتبعهُ بأخر فشققهُ في الهواء. وقال سأريكم نوعاً آخر ثم عمد

غر إذا صين الجمال ببرقع	ستروا جمال وجوههم بمغافر
من كل خواض الغمار ملجج	مرن على سفك الدماء مغامر
أصمى الكماة بمقصد من كفه	ورمى القلوب من اللحاظ بعائر
أيماض منصله وضوء جبينه	برقان في ليل العجاج الثائر

(١) أى وضع لها الحشيش . (٢) أى أن جملة أحوالك ومجموع صفاتك جميل
مستحسن . (٣) أى أن هذه الخلال مما يأنس بها من يرافك ويأسف عليها من
تفارقه . (٤) يروى بدل الرفقة : الوقعة وهى تقرب تفسير الرفقة بالباس والشده
والمدافعة وذلك أن الصداقة هى المؤاساة فى شدائد الامور وعظيم الوقائع .
(٥) الحنق المهارة . (٦) أوتر القوس : جعل لها وترا وهو بفتح أوله وثانيه :
شرعة القوس ومعلقها . (٧) فوق السهم (بالتضعيف) : سدده .

إلى كنانتي فاخذها وإلى فرسي فعلاه ورمى أحدنا بسهم أثبتته في صدره. وآخر طيره من ظهره^(١). فقلت : ويحك ما تصنع^(٢). قال: اسكت يالكع^(٣). والله ليشدن كل منكم يد رفيقه. أو لأغصنه بريقه^(٤). فلم ندر ما نصنع وأفرأسنا مربوطة. وسروجنا محطوطة. وأسلحتنا بعيدة وهو راكب ونحن رجاله والقوس في يده يرشق بها الظهور. ويمشق بها البطون والصدور^(٥). وحين رأينا الجدد . أخذنا القدد^(٦). فشد بعضنا بعضاً وبقيت وحدي. لا

(١) الكناية : جعبة تجعل فيها السهام : والمعنى أنه امطى فرسه بعد أن أخذ كنانته ليتمكن من النجاة إذا أعوزته الحال واضطر إليها وكان منه أى رمى واحداً منهم بسهم بقى مرشوقاً في صدره ورمى ثانياً بسهم نفذ من ظهره ليريهم قدرته على الرماية . (٢) ويح ويوب وويل كلمات تقال في الدعاء بالثبور والهلاك . (٣) اللكع (بوزن صرد) : التيم والاحمق ، وقد شاع هذا الوزن في سب المذكر كغدر وفسق كما شاع وزن فعال في سب المؤنث ومنه قول الشاعر

أطوف ما أطوف ثم أوى
إلى بيت قعيدته لكاع

(٤) أى أما أن يربط كل واحد يدي رفيقه ليتعذر عليه الدفاع عن نفسه فيما أفعل بعد أو لأجعلنه يغص بريقه وهى كناية عن ازهاق نفسه . (٥) أى أننا تحيرنا فى أمرنا معه فلم ندر ماذا نصنع وليس فينا من هو متجهز مثله إذ أننا مترجلون وهو راكب وييده القوس يقتل من قدم عليه أو هرب منه .

(٦) القد سير من الجلد تربط به الاسارى .

أجدُّ من يشدُّ يدي. فقال: اخرجُ بإهابك^(١). عن ثيابك. فخرجتُ
ثمَّ نزلَ عن فرسيه. وجعلَ يصفعُ الواحدَ منَّا بعدَ الآخر. وينزعُ
ثيابهُ وصارَ إلىَّ وعلىَّ خفانِ جديانِ. فقالَ : اخلعهما لا أمَّ لك.
فقلتُ: هذا خفٌ لبستُهُ رطباً فليسَ يمكنني نزعهُ. فقالَ: علىَّ
خلعه. ثمَّ دنا إلىَّ لينزعَ الخفَّ ومددتُ يدي إلىَّ سكينٍ كانَ معي
في الخفِّ وهوَ في شغلِهِ فأنثبتهُ في بطنهِ. وأبنتهُ منُ منته^(٢). فما
زادَ على فمِ فغره^(٣). وألّقه حجره^(٤). وقمتُ إلى أصحابي فحلتُ
أيديهمُ وتوزعنا سلبَ القتيلين^(٥) وأدركنا الرفيقَ وقد جادَ
بنفسه^(٦). وصارَ لرمسيه. وصرنا إلى الطريقِ ووردنا حمصَ بعدَ
ليالٍ خمسٍ. فلماً انهيناً إلى فرضةٍ من سوقها^(٧) رأينا رجلاً قد

(١) الإهاب : الجلد والمعنى أنهم فعلوا ما أمرهم به وشد كل واحد رفيقه فبقى عيسى وحده فأراد منه الفتى أن يتجرد عن ثيابه ليأخذها بلا عناء .

(٢) المتن : الظهر . (٣) فغر فاه : فتحه .

(٤) كناية عن السكوت التام .

(٥) توزعنا : اقتسمنا والسلب : ثياب القتيل ومتاعه .

(٦) جاد بنفسه : مات.

(٧) الفرضة كالفرجة وزنا ومعنى .

قامَ على رأسِ ابنِ وبنيةٍ . بجرابٍ وعصيةٍ^(١) وهو يقولُ:

رحمَ اللهُ منْ حشا فى جرابي مكارمه

رحمَ اللهُ منْ رنا لسعيدٍ وفاطمة

إنه خادمٌ لكم وهى لا شكَّ خادمة

قالَ عيسى بنُ هشامٍ : فَقُلْتُ إن هذا الرجلِ هو الإسكندري

الذي سمعتُ بهِ ، وسألتُ عنه . فإذا هوَ فدلفتُ إليه^(٢) . وقلتُ :

احتكمُ حكمك^(٣) فقالَ : درهمٌ فقلتُ :

لكَ درهمٌ فى مثله مادامَ يسعدنى النفس^(٤)

(١) عصية : تصغير عصا وفي امثالهم تلك العصا من العصية والمعنى انهم بعد أن انتهوا من ذلك الفتى سلخوا الطريق إلى حمص فوردوها بعد سفر خمس ليال وبيناهم يسيرون إذ وجدوا رجلاً قد انتحى ناحية واتخذ له مكاناً فرجة من السوق ووقف وأمامه فتاة وفتى ومعه جراب ليضع فيه ما يحصله وعصا يتوكأ عليها كعدة السابلة والمتسولين . (٢) دلفت اليه : سرت نحوه .

(٣) أى انني جعلت مالى تحت حكمك فاحكم بما شئت فأنى أعطيكه .

(٤) قال الامام أن معنى مادام يسعدنى النفس : مدة دوامى حيا أو أنى اكرر لك ذلك كل عام وما أشبه هذا ونحن نقول : لعله أراد لك درهم مضروباً فى مثله مضروباً فى العدد التالى له ثم الذى بعده وهكذا مادام نفسى متسعاً للتعداد بدليل انه سأل بعد ذلك بقوله : درهم فى اثنين فى ثلاثه وهكذا وقوله حتى انتهيت إلى العشرين أى انه لم يساعده نفسه الواحد إلى عد ما فوق العشرين ولسنا نشك فى أن هذا هو المعقول وسبحان ملهم الصواب.

فاحسب حسابك والتمسُ كيماً أنيلَ الملتمسُ

وقلتُ له: درهمٌ في اثنينِ في ثلاثةٍ في أربعةٍ في خمسةٍ حتى انتهيتُ إلى العشرين. ثمَّ قلتُ: كمَّ معك؟ قال: عشرونَ رغيفاً. فأمرتُ له بها. وقلتُ: لا نصرَ مع الخذلانِ. ولا حيلةً مع الحرمانِ^(١).

(١) أى انه حينما عرض عليه هذه العطية وسأله حسبتها لم يساعده الحظ إلا بذكر العشرين رغيفاً ، وذلك نكد الطالع .

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنها الجنة الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الغيلانية

حَدَّثَنِي عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ بِجُرْجَانٍ . فِي مَجْتَمَعٍ لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَعَنَا يَوْمئِذٍ رَجُلٌ الْعَرَبِ حِفْظًا وَرَوَايَةً وَهُوَ عَصْمَةُ ابْنُ بَدْرِ الْفَزَارِيُّ فَاَفْضَى^(١) . بَنَا الْكَلَامُ إِلَى ذِكْرِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ حِلْمًا وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ خَصْمِهِ احْتِقَارًا حَتَّى ذَكَرْنَا الصَّلْتَانَ الْعَبْدِيَّ وَالْبَعِيثَ^(٢) وَمَا كَانَ مِنْ احْتِقَارِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ

(١) أفضى بنا الكلام : اتسع حتى ذكرنا كيت وكيت من قولهم: فضا المكان وأفضى إذا اتسع.

(٢) الصلتان على وزان خفقان والبعيث بوزان كريم شاعران من شعراء الدولة الاموية كانا يهجون جريرا والفرزدق وقد ورد في شعر الفرزدق وجرير هجاء لهما فلعل معنى أنهما تركاهما أنهما لم ينازلاهنا منازلة القرناء ولم يشغلا بمهاجاتهما ومناقضاتهما كما اشتغل كل من جرير والفرزدق بأخيه . والصلتان العبدى هو قثم بن حبيبه بن عبد القيس وهو القائل :

نروح ونغدو لحاجاتنا وحاجة من عاش لا تنقضى =

لهما . فقال عصية : ساعدتكم بما شاهدته عيني ولا أحدثكم عن غيري بينما أنا أسيرُ في بلادِ تميمٍ مرتحلاً نجيباً . وقائداً جنيباً . عن لى ركبُ على أورقٍ جعدٍ اللغامِ فحاذاني حتى إذا صكَّ الشبحُ بالشبحِ^(١) رفعَ صوتهُ بالسلامِ عليك . فقلتُ : وعليك السلامُ ورحمةُ الله وبركاته ، من الراكبُ الجهيرُ الكلامِ^(٢) المحيُّ بتحيةِ الإسلامِ؟ فقال : أنا غيلانُ بنُ عقبة^(٣) . فقلتُ : مرحباً بالكريم

وتبقى له حاجة ما بقي

= تموت مع المرء حاجاته

وفيه يقول جرير حينما قضى بينه وبين الفرزدق قضاء لم يرق عنده :

متى كان حكم الله في كرب النخل

أقول ولم أملك سوابق عبرة

(١) النجبية : الناقة الكريمة، والنجبية : الناقة تأخذها جانب ناقتك التي تركبها لتستريح إليها إذا تعبت الأولى . والأورق : الجمل فيه سواد وبياض وجعد اللغام : كثير الزيد .

(٢) الجهير الكلام : المرتفع الصوت به .

(٣) غيلان هو نو الرمة وكنيته أبو الحارث ينتهي نسبه لنزار والرمة بالضم قطعة من جبل (وتكسر) ولقب بذلك لقوله في الوند : (أشمت باقى رمة التقليد) . قال له الفرزدق حينما سأله مالى لا أذكر مع فحول الشعراء : قصر بك عن غايتهم بكاؤك فى الدمن ووصفك الابعار والعطن .

حسبه. الشهيرِ نسبه . السائرِ منطقهُ . فقال: رحبَ واديك. وعزَّ ناديك. فمن أنت . قلتُ : عصمةُ بنُ بدرِ الفزاريُّ. قال : حياك الله نعمَ الصديقُ. والصاحبُ والرفيقُ. وسرنا فلماً هجرنا قال: الأُغورُ يا عصمةُ فقدُ صهرتِنَا الشمسُ^(١) فقلتُ أنتَ وذاكَ فملنا إلى شجراتِ الإءِ كأنهنَّ عذارى متبرجاتُ قدُ نشرنَ غدائهنَّ. لآثلاتٍ تناوجهنَّ^(٢) فحططنا رحالنا. ونلنا من الطعامِ وكان ذو الرمة زهيدَ الأكلِ وصلينا بعدُ وآلَ كلُّ واحدٍ منَّا إلى ظلِّ أثلةٍ يريدُ القائلةَ واصطجعَ ذو الرمةَ وأردتُ أنُ أصنعَ مثلَ صنيعهِ فوليتُ ظهرى الأرضِ . وعيناي لا يملكهما غمضُ. فنظرتُ غيرَ بعيدٍ إلى ناقةٍ كوماً قدُ ضحيتُ وغبيطها ملقى^(٣) وإذا رجلٌ قائمٌ

- (١) هجرنا بالتضعيف : دخلنا فى وقت الهاجرة وهو أشد الأوقات حرا، ونغور: أى نقيم مأخوذ من الغور وهو المكان المنخفض وأكثر ما يكون أن تلتفيه ظليلا .
- (٢) الإلاء: شجر وريف الظل بهى المنظر، والعذارى النساء الابكار. والغدائر جمع غديرة وهى الخصلة من الشعر ، والآثل شجر ضخم مرتفع كثير الظل وتناوجهن أى تقع فى مقابلتهن والضمير الظاهر للإلاء .
- (٣) ناقة كوماً : أى مرتفعة عالية السنام، وضحت أى أصابتها الشمس وانما يظهر ذلك إذا غربت والغبيط: هو الرجل الذى يوضع عليه اليهودج قال امرؤ القيس .

عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل

تقول وقد مال الغبيط بنا معا

يكلأها كأنه عسيفٌ أو أسيفٌ^(١) فلهيتُ عنهما وما أنا والسؤالُ
عماً لا يعينني ونامِ نو الرمةِ غرارا^(٢) ثم انتبهَ وكانَ ذلكَ فى أيامِ
مهاجاتهِ لذلكِ المرىُّ فرفعَ عقيرتهُ وأنشدَ يقولُ:

أمنُ ميةَ الطللُ الدارسُ أظ بهِ العاصفُ الرامسُ^(٣)
فلمْ يبقَ إلا شجيجُ القزالِ ومستوقدُ ما لهِ قابسُ^(٤)
وحوضُ تتلمُ منْ جانبيهِ ومحتفلُ دارسُ طامسُ^(٥)
وعهدى بهِ وبهِ سكنهُ وميةٌ والإنسُ والآنسُ^(٦)
كانى بميةٍ مستنفرُ غزالاً ترأى لهِ عاطسُ^(٧)
إذا جنئها ردى عابسُ رقيبُ عليها لها حارسُ

- (١) يكلأها : يرعاها ويحفظها، والعسيف : الاجير، والاسيف العبد .
(٢) غرارا : قليلا . (٣) الدارس : الذى فنيت آثاره، أظ به: أى لازمه ولم يفارقه، العاصف : الريح الشديدة ، والرامس : الذى يجلب عليه التراب ليخفيه .
(٤) شجيج القذال : مكسور الرأس وأراد الوتد، المستوقد مكان إشعال النار وليس له قابس أى من يلتمس منه النار لعدم وجودها .
(٥) تتلم : تهدم والمحتفل مكان الاجتماع .
(٦) السكن الساكن أى أنه يعرفه أهلا بالسكان .
(٧) العاطس الصبح يقول أن حاله مع مية فى عدم وصوله إليها كحال من يستنفر غزالا وقد لاح له الصبح فهو لا يستطيع إمساكه .

ستأتني امرأ القيسِ ماثورةٌ يغني بها العابرَ الجالسُ^(١)
 ألم ترَ أنَّ امرأَ القيسِ قد أظَّ بهِ داوؤه الناجِسُ^(٢)
 همُ القومُ لا يألمونَ الهجاءَ وهلْ يألمُ الحجرُ اليابسُ
 فما لهمُ في العلاءِ راكبُ ولا لهمُ في الوغى فارسُ^(٣)
 ممرطلةٌ في حياضِ الملامِ كما دَعَسَ الأدمَ الداعِسُ^(٤)
 إذا طمَحَ الناسُ للمكرماتِ فطرفهمُ المطرقُ الناعِسُ

(١) امرؤ القيس مهجوه وهو من بني مرة بن حجر، ماثورة : أى قصيدة ترويها الناس حتى يعظم خطرها عليه ويتغنى بها الجالس للعابر والمراد أنها تسيروا وتذيع حتى تحط من قدر امرئ القيس .

(٢) الداء الناجس الذى لا يفتأ ملازماً صاحبه ولا ينجح فيه الطب .

(٣) أى أن هذا المهجو وقبيلته لا يتألمون من الهجاء ولا يتوجعون له كما لا يتألم الحجر ولا يتوجع الصخر وأنهم لم يمتوا الى الفضائل بنسب ولم تكن لهم فى الوقائع والحروب يد لعدم وجود الاكفاء الصناديد منهم .

(٤) ممرطلة : ملطخة. ودعس : وطئ برجله، والادم : الجلد والمعنى أن هذه القبيلة ملطخة باللوم كتلطخ الجلد الذى يراد دباغه لانهم تجافوا عن المحمدة .

تَعَاْفُ الْاِكَاْرَمُ اَصْهَارَهُمْ فَكَلُّ اِيَاْمَاهُمْ عَانِسٌ^(١)
 فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْبَيْتَ تَنَبَّهَ ذَلِكَ النَّائِمُ وَجَعَلَ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ:
 اذُو الرَّمِيْمَةِ يَمْنَعُنِي النَّوْمَ بِشَعْرٍ غَيْرِ مَثْقَفٍ وَلَا سَائِرٍ؟ فَقُلْتُ:
 يَاغِيْلَانُ مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: الْفَرْزَدِقُ، وَحَمَى ذُو الرَّمَّةِ. فَقَالَ:
 وَأَمَّا مَجَاشِعُ الْأَرْذَلُونَ فَلَمْ يَسْقِ مِنْبَتَهُمْ رَاجِسٌ^(٢)
 سَيَعْقِلُهُمْ عَنْ مَسَاعِي الْكِرَامِ عَقَالٌ وَيَحْبِسُهُمْ حَابِسٌ^(٣)
 فَقُلْتُ: الْآنَ يَشْرِقُ فَيْثُورٌ^(٤) وَيَعْمُ هَذَا وَقَبِيلَتُهُ بِالْهَجَاءِ فَوَاللَّهِ
 مَا زَادَ الْفَرْزَدِقُ عَلَيَّ أَنْ قَالَ: قَبْحاً لَكَ يَا ذَا الرَّمِيْمَةِ أَتَعْرَضُ لِمَثَلِي

(١) تعاف: تكره باشمئزاز، وأصهارهم: تزويجهم والايامى: النساء
 والعانس: التي كبرت دون زواج والمعنى ان كرام الناس ينفرون من مصاهرتهم
 ولذلك تجد بناتهم قد كبرن بدون أن يتقدم لخطبتهن أحد .

(٢) مجاشع: قبيلة الفرزدق . والراجس: السحاب الذي يصحبه رعد شديد
 والمعنى الدعاء على هذه القبيلة بعدم السقيا ويكثره الامحال .

(٣) يعقل: يمنع، وعقال وحارس: من آباء الفرزدق، أى أن هؤلاء الناس لن
 يتقدموا فى المكرمات وشريف الخصال لان خستهم تمنعهم من ذلك ولؤم طباعهم
 يحبسهم عنه .

(٤) يشرق: يغص، ويثور: يهيج، والمعنى أنه سيجد هذا الكلام كالشجا فى
 حلقه فيحتاجه ذلك الى هجاء غيلان وقومه .

بمقالٍ منتحلٍ^(١)؟ ثمَّ عادَ في نومهِ كأنَّ لم يسمعُ شيئاً وسارُ ذو الرمةِ وسرتُ معه وإني لأرى فيه انكساراً حتَّى افترقنا^(٢) .

(١) الرميمة : تصغير الرمة لقب غيلان، تعرض تتعرض والمقال المنتحل المسروق وقد يكون تعرض من التعريض الذي هو عدم التصريح وموضعه في قوله: يعلقهم عقال ويحبسهم حابس .

(٢) أي أن غيلان ابتأس كثيرا حين لم يعبأ به الفرزدق ولم يقم له وزنا .. وهذا مثال لمن أعرض عن خصمه احتقارا لشأنه واستخفافا .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الأذربيجانية

قال عيسى بن هشام: لما نطقني الغنى بفاصل ذيله^(١) اتهمتُ
بمالٍ سلبتهُ أو كنزٍ أصبتهُ^(٢). فحفزني الليل^(٣). وسرتُ بي الخيلُ
وسلكتُ في هربي مسالكَ لم يرضها السير^(٤). ولا أهتدتُ إليها
الطيرُ. حتى طويتُ أرضَ الرعبِ وتجاوزتُ حدهُ. وصرتُ إلي
حمى الأمنِ ووجدتُ بردهُ. وبلغتُ أذربيجانَ وقد حفيتُ
الرواحل^(٥). وأكلتها المراحلُ. ولما بلغتُها .

نزلنا على أنَّ المقامَ ثلاثةُ فطابتُ لنا حتى أقمنا بها شهراً

(١) أى البسنى الزائد من ثوبه وجعله لى كالمنطقة . (٢) المعنى أن الناس كانوا
فى تأويل ثرائى على قسمين قوم يقولون أنه استلب هذه الاموال وجماعة تقول
بل عثر على كنز أى مال مخبوء . (٣) حفزنى : دفعنى بشدة وحتتى طلبا للهرب.
(٤) لم يرضها السير : لم يذلها أى أن الناس لم تكن تطرق هذه السبل وهى
كناية عن وعورة المسلك وخطورته .

(٥) حفيت أصابها الحفا وهو رقة القدم من كثرة السير والرواحل الركائب .

فبينما أنا يوماً فى بعض أسواقها إذ طلع رجلُ بركوةٍ قد
اعتضدها^(١) وعصاً قد اعتمدها^(٢). ودينية قد تقلسها^(٣). وفوطة
قد تطلسها^(٤) فرفع عقيرته قال : اللهم يا مبدئ الأشياء
ومعيدها. ومحي العظام ومبيدها. وخالق المصباح ومديره^(٥).
وفالق الإصباح ومنيره وموصل الآلاءِ سابغةً إلينا^(٦). وممسك
السماء أن تقع علينا. وبارئ النسم أزواجاً. وجاعل الشمس
سراجاً والسماء سقفاً والارض فراشاً. وجاعل الليل سكناً
والنهار معاشاً . ومنشئ السحاب ثقلاً. ومرسل الصواعق.
نكالاً وعالم مافوق النجوم. وما تحت التخوم^(٧). أسألك الصلاة
على سيد المرسلين. محمد وآله الطاهرين. وإن تعيننى على

(١) الركوة وعاء يجمع فيه ما يحصله ، واعتضدها أى جعلها فى عضده .

(٢) توكأ عليها .

(٣) الدنية القلنسوة وتقلسها لبسها .

(٤) الفوطة : ثوب سدى، وتطلسها اتخذها طيلسانا .

(٥) المصباح الشمس ومديره محركه .

(٦) الآلاء العطايا والنعمة وسابغة شاملة .

(٧) التخوم فى الأصل الحدود والمراد العالم بما تحت الارض السفلى أى بما

استتر عنا .

الغربة اثني حبلها^(١). وعلى العسرة أعدو ظلها^(٢). وأن تسهل لي على يدى من فطرته الفطرة. وأطلعته الطهرة. وسعد بالدين المتين^(٣). ولم يعم عن الحق المبين. راحلة تطوى هذا الطريق وزاداً يسعني والرفيق. قال عيسى بن هشام: فناجيت نفسي بأن هذا الرجل أفصح من إسكندريتنا أبي الفتح. والتفت لفتة فإذا هو والله أبو الفتح فقلت: يا أبا الفتح بلغ هذه الأرض كيدك وانتهى إلى هذا الشعب صيدك^(٤)؟ فأنشأ يقول:

أنا جواله البلاد	دِ جوابه الأفق
أنا خذروفة الزما	نِ وعمارة الطرق
لا تلمنى لك الرشا	دُ على كديتي وذق ^(٥)

- (١) أى تقدرنى على الغربة فاكبح جماحها كأنه جعلها دابة حرونا .
(٢) أعدو : أفارق . (٣) فطرته أنشأته والفطرة الدين أى تجعل تسهيل أمرى على يدى رجل شب على الدين الذى يأمر بالخير وإسداء الجميل .
(٤) أى أنك أنجدت فى البلاد وأتهمت فلم تبق بلدة لم تحط بها رحلك ولم تنصب فيها شبالك . (٥) الجواله الكثير الطواف والجوابه الذى يقطع فى سيره كثيرا والخذروفة لعبة تتخذها الصبيان تشبه بها الخيل عند شدة عدوها وسرعة جريانها والعمارة الذى يعمر الطرقات فلا تراها تخلو منه والكدية سؤال الناس واستدراار أكفهم يقول له اننى كثير الجولان فلا تعتب على .

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الجرجانية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ بِجَرَجَانَ . فِي مَجْمَعٍ
لَنَا نَتَحَدَّثُ وَمَا فِينَا إِلَّا مَنَا^(١) . إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا رَجُلٌ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ
الْمَتَمَدِّدِ وَلَا الْقَصِيرِ الْمَتَرَدِّ^(٢) . كَثُّ الْعَثْنُونِ^(٣) يَتْلُوهُ صَغَارٌ فِي
أَطْمَارِ^(٤) فَافْتَتَحَ الْكَلَامَ بِالسَّلَامِ . وَتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ فَوَلَّانَا جَمِيلًا .
وَأَوْلِينَاهُ جَزِيلًا^(٥) . فَقَالَ : يَا قَوْمُ إِنِّي أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ
مَنْ الثَّغُورِ الْأَمْوِيَّةِ^(٦) تَمَتَّنِي سَلِيمٌ وَرَحِبْتُ بِي عَبْسٌ^(٧) . جَبْتُ

(١) أى ليس بيننا من ننكره . (٢) المتردد البالغ نهاية القصر .

(٣) أى كثير شعر اللحية . (٤) جمع طمر وهو الثوب البالى .

(٥) أى أنه جاملنا بالتحية فأجبناه بأحسن منها .

(٦) الاموية المنسوبة إلى بنى أمية أى أنه يعنى اسكندرية الاندلس لا اسكندرية

مصر .

(٧) سليم وعبس قبيلتان من قبائل العرب ابنتا عم ونمته رفعته ومجدته أى أنه

ينتسب اليها .

الآفاق. وتقصيتُ العراق^(١). وجلتُ البدو والحضرَ ودارى ربعةً ومضراً ما هنتُ . حيثُ كنتُ^(٢). فلا يزرينَ بى عندكم ما ترونه من سملى وأطمارى^(٣) فلقد كُنَّا والله من أهلِ ثم ورم^(٤) نرغى لدى الصباح ونُتغى عند الرواح^(٥) .

وفينا مقاماتُ حسانُ وجوههم وأنديةً ينتابها القولُ والفعل^(٦) على مكثريهم رزقُ من يعترتهم وعند المقلين السماحةُ والبذلُ ثم إنَّ الدهرَ ياقومُ قلبَ لى من بينهم ظهرَ المجن^(٧). فاعتضتُ

(١) أى بلغت أقصاه وأبعد مسافة فيه . (٢) أى اننى لم أخلع ثوب العز ولم يكتنفتى الذل ولا الهوان فى أى مكان نزلت به . (٣) يزرين أى يحطن من قدرى والسمل والاطمار الثياب البالية . (٤) ثم ورم معناهما الاصلاح أى أننا كنا جماعة نصلح شؤون غيرنا ونداوى علاتهم ونجبر كسرهم . (٥) أرغى : أعطى الراغبة وهى الابل، وأتغى : أعطى الثاغية وهى الغنم والمراد أنهم كانوا يجوبون فى جميع أوقاتهم بمختلف أنواع المال . (٦) البيتان لزهير بن أبى سلمى ومعناهما أن لنا أمكنة يطرقتها العافون فتمنحهم ونجتمع فيها لتدبير شؤوننا وأن حقا على كل فرد منا أن وجود فأما المياسير فلكل شارد ووارد وأما المحاويج فلم يقصر بهم الكرم طبعا وأول القصيدة .

صحا القلب عن سلمى وقد كان لايسلو وأقفر من سلمى التعانيق فالثقل (٧) أى أن الدهر أنكرنى وعادانى ولم يترك لى سبدا ولا لبدا فأما قومى فهم بحيث وصفت لم ينزل بهم مثل ما نزل بى ولم يدهمهم الذى دهمنى .

بالنومِ السهرَ . وبالإقامةِ السَّفَرَ . تترامى بى المرامى . وتتهادى
بى الموامى^(١) . وقلعتنى حوادثُ الزمنِ قلعَ الصمغَةِ^(٢) . فاصبحُ
وأمسى أنقى من الراحةِ وأعرى من صفحةِ الوليدِ^(٣) . وأصبحتُ
فارغَ الفناءِ . صفرَ الإناءِ . مالى إلا كآبةُ الأسفارِ . ومعاقرةُ
السفارِ^(٤) . أعانى الفقرَ . وامانى القفرَ . فراشى المدرُ^(٥) . ووسادى
الحجرُ .

بأمدَ مرَّةً وبرأسِ عينٍ وأحياناً بمياً فارقيناً
ليلةً بالشامِ ثمتَ بالأهوازِ رحلى وليلاً بالعراقِ^(٦)

- (١) الموامى جمع موماة وهى الصحراء والمعنى أن كل صحراء تسلمنى الى أختها فكانها تهديها بى .
(٢) إذا اقتلعت الصمغة من شجرتها لم يبق لها أثر وهو يريد أنه لم يبق عليه من بهجة الثراء وروائه مسحة .
(٣) أى فقيراً جداً ليس عندى من المال الا مثل ما فى وجه الوليد أو باطن الكف من الشعر وهو ليس بموجود .
(٤) السفار : جلدة توضع عند انف البعير ليقاد منه أى أنه مصاحب لها دائماً فهى كناية عن استمرار أسفاره . (٥) المدر صغار الحصى .
(٦) مثل هذين البيتين فى المعنى قول الشاعر :
- يوما بحزوى ويوما بالعقيق وبا لعذيب يوما ويوما بالخليصاء
وكل هذه أسماء مواضع بعينها .

فَمَا زَالَتِ النَّوَى تَطْرَحُ بِى كُلَّ مَطْرَحٍ . حَتَّى وَطِئْتُ بِلَادَ
الْحَجْرِ وَأَحْلَتْنِي بِلَدَ هَمْدَانَ . فِقَبْلَنِي أَحْيَاؤُهَا . وَأَشْرَابَ إِلَى
أَحْيَاؤُهَا^(١) . وَلَكِنِّي مَلْتُ لِأَعْظَمِهِمْ جَفْنَةً . وَأَزْهَدِهِمْ جَفْوَةً^(٢) .

لَهُ نَارٌ تَشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النَّيْرَانُ أَلْبَسَتْ الْقِنَاعَا

فَوَطَّأ لِي مَضْجَعًا . وَمَهَّدَ لِي مَهْجَعًا^(٣) . فَإِنْ وَنَى لِي وَنِيَّةً هَبَّ
لِي ابْنُ كَأَنَّهُ سَيْفٌ يَمَانٍ^(٤) . أَوْ هَلَالٌ بَدَا فِي غَيْرِ قَتْمَانٍ . وَأَوْلَانِي
نَعْمًا ضَاقَ عَنْهَا قَدْرِي . وَاتَّسَعَ بِهَا صَدْرِي . أَوْلَهَا فَرَشُ الدَّارِ .
وَآخِرُهَا أَلْفُ دِينَارٍ . فَمَا طَيْرَتْنِي إِلَّا النِّعْمُ . حَيْثُ تَوَالَتْ^(٥) .
وَالدَّيْمُ لَمَّا أَنْتَالَتْ . فَطَلَعْتُ مِنْ هَمْدَانَ طُلُوعَ الشَّارِدِ . وَنَفَرْتُ نَفَارَ

(١) أَحْيَاؤُهَا أَهْلُهَا وَأَشْرَابَ تَطَلَعَ وَأَحْبَاءَ جَمَعَ حَبِيبٌ .

(٢) أَى أَكْثَرِهِمْ قَرَى لِلضَّيْفَانِ وَأَبْعَدِهِمْ مِنَ الْغَلْظَةِ وَالْجَفَاءِ .

(٣) أَعَدَ لِي مَحَلًّا أَنْامَ فِيهِ، وَالْيَفَاعُ : مَا ارْتَفَعَ مِنَ الْأَرْضِ، وَتَشَبَّ : تَوَقَّدَ،
وَالْمَعْنَى إِذَا بَخَلَ النَّاسَ جَمِيعًا فَانْه لَا يَبْخُلُ لِأَنَّ نَارَهُ مَوْقُودَةٌ دَائِمًا وَلَوْ خَفِيَتْ
نَيْرَانَهُمْ .

(٤) أَى إِذَا فَتَرَتْ هَمَّتَهُ لِحِظَّةٍ أَسْرَعَ ابْنُ يَشْبَهُ السَّيْفِ فِي مِضَائِهِ وَسُرْعَةَ نَفَاذِهِ .

(٥) أَى مَا جَعَلَنِي أَتْرَكَ ذَلِكَ النَّعِيمَ إِلَّا الْحَيَاءَ مِنْ تَتَابَعِ الْكِرَامَةِ وَتَرَادِفِ
النِّعْمَةِ .

الآبِدِ . أَفْرَى الْمَسَالِكِ . وَأَقْتَفَرُ الْمَهَالِكِ . وَأَعَانِي الْمَمَالِكِ^(١) . عَلَى أَنِّي
خَلَفْتُ أُمَّ مَثْوَايَ وَزَغَلُولًا لِي^(٢) .

كَأَنَّهُ دَمَلَجٌ مِنْ فِضَّةٍ نَبِيَّةٌ فِي مَلْعَبٍ مِنْ عِذَارِي الْحَيِّ مَفْصُومٌ^(٣)
وَقَدْ هَبَّتْ بِي إِلَيْكُمْ رِيحُ الْإِحْتِيَاجِ . وَنَسِيمُ الْإِلْفَاجِ^(٤) . فَانظُرُوا
رَحْمَكُمُ اللَّهُ لِنَقْضٍ مِنَ الْأَنْقَاضِ مَهْزُولٍ^(٥) . هَدَتْهُ الْحَاجَةُ وَكَدَّتُهُ
الْفَاقَةُ :

(١) الشارد : النافر وأفرى : أقطع والمسالك الطرق واقتفر : افتفى أى اتبعها

كانها دليلى ومعاناة الممالك استصعاب ما يجده من الشقة فى التجوال بها .

(٢) المثوى : الإقامة وكنى بام مثواه عن زوجه لانها هى التى من شأنها ان

تحمل الرجل على البقاء بداره واراد بزغلوله ولده .

(٣) الدمج : حلية تلبسها المرأة فى معصمها ، والنبه : النفيس ، ومفصوم :

مكسور من غير انفصال والمعنى أن هذا الطفل الذى تركته يشبه فى جماله

وحسنه الدمج النفيس المتخذ من الفضة ولكنه لتغيبى عنه وعدم قيامى عليه

منصدع القلب مكسور الفؤاد .

(٤) الألفاج : الاحتياج إلى غير الامل .

(٥) أى انهكه التعب وهذه الجولان ومعنى هدته الحاجة دلته على الذين يدفعون

عنه شررتها وكيدها وأراد بقوله كدته الفاقة ان الفقر أتعبه والإملاق أنصب بدنه

ويروى : هدته (بالتضعيف) : أى أضعفته .

أَخَاسَفَرِ جَوَابَ أَرْضٍ تَقَازَفَتُ بِهِ فِلَوَاتٌ فَهُوَ أَشَعَثُ أُغْبَرُ
جَعَلَ اللَّهُ لِلْخَيْرِ عَلَيْكُمْ دَلِيلًا. وَلَا جَعَلَ لِلشَّرِّ إِلَيْكُمْ سَبِيلًا. قَالَ
عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَرَّقَتْ وَاللَّهِ لَهُ الْقُلُوبُ. وَاعْرُورِقَتْ لِلطَّفِ كَلَامَهُ
الْعَيُونُ^(١). وَنَلْنَاهُ مَا تَاحَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ^(٢). وَأَعْرَضَ عَنَّا حَامِدًا
لَنَا . فَتَبِعْتُهُ فَإِذَا هُوَ وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ .

(١) أى أن القلوب عطفت عليه والعيون بكت حزنا له .

(٢) أعطيناه ماتهياً لنا حين كان .

المقامة الأصفهانية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِاصْفَهَانَ^(١) أَعْتَزِمُ الْمَسِيرَ إِلَى الرِّىِّ^(٢). فَحَلَلْتُهَا حُلُولَ الْفَىِّ^(٣). أَتَوَقَّعُ الْقَافِلَةَ كُلَّ لَحْمَةٍ. وَأَتَرَقَّبُ الرَّاحِلَةَ كُلَّ صَبْحَةٍ^(٤). فَلَمَّا حَمَّ مَا تَوَقَّعْتُهُ. نُودِيَ لِلصَّلَاةِ نِدَاءً سَمِعْتُهُ^(٥). وَتَعَيَّنَ فَرَضُ الْإِجَابَةِ. فَانْسَلَّتْ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ.

(١) اصفهان إحدى مدن إيران العظيمة ظلت قاعدة ملكها قبل طهران أمداً طويلاً ويقال فيها اصبهان أيضاً .

(٢) اعتزم: أنوى، والرئ مدينة من مدن إيران أيضاً .

(٣) الفئ : هو الفئء، وهو الظل ، ولما كان سريع التنقل لا يثبت متى تحولت الشمس شبه نفسه به .

(٤) القافلة : الجماعة تتألف فى السفر وتتعاون على شفته بالصحبه، والراحلة بهذا المعنى عينه، واللحمه: اللحظه، والصبحة وقت الصبح، وأراد عموم الاوقات.

(٥) حم (بالبناء للمجهول): قضى، والمعنى أننى لم أزل أنتظر جماعة الظاعنين لأسير معهم حتى اذا تهيألى السفر سمعت النداء للصلاة .

اغتَنِمُ الْجَمَاعَةَ أُدْرِكُهَا وَأَخْشَى فُوتَ الْقَافِلَةِ أَتْرِكُهَا لَكِنِّي اسْتَعْنْتُ بِبِرَكَاتِ الصَّلَاةِ . عَلَى وَعَثَاءِ الْفَلَاةِ^(١) . فَصَرْتُ إِلَى أَوَّلِ الصُّفُوفِ . وَمَثَلْتُ لِلْوُقُوفِ . وَتَقَدَّمْتُ الْإِمَامَ إِلَى الْمِحْرَابِ . فَقَرَأْتُ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ . بِقِرَاءَةِ حَمْزَةٍ . مَدَّةً وَهَمْزَةً^(٢) . وَبِي الْغَمُّ الْمَقِيمُ الْمَقْعَدُ فِي فُوتِ الْقَافِلَةِ وَالْبَعْدِ عَنِ الرَّاحِلَةِ وَاتَّبَعْتُ الْفَاتِحَةَ الْوَاقِعَةَ وَأَنَا أَتَصَلَّى نَارَ الصَّبْرِ وَأَتَصَلَّبُ^(٣) . وَأَتَقَلَّى عَلَى جَمْرِ الْغَيْظِ وَأَتَقَلَّبُ^(٤) . وَلَيْسَ إِلَّا السُّكُوتُ وَالصَّبْرُ . أَوْ الْكَلَامُ وَالْقَبْرُ لِمَا عَرَفْتُ مِنْ خَشْيَةِ الْقَوْمِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ . أَنْ لَوْ قَطَعْتَ الصَّلَاةَ دُونَ السَّلَامِ . فَوَقَفْتُ بِقَدَمِ الضَّرُورَةِ ، عَلَى تِلْكَ الصُّورَةِ . إِلَى إِنْتِهَاءِ السُّورَةِ^(٥) . وَقَدْ قَنَطْتُ مِنَ الْقَافِلَةِ وَأَيْسْتُ مِنَ الرَّحْلِ وَالرَّاحِلَةِ .

(١) وَعَثَاءٌ : مَشَقَّةٌ ، وَالْفَلَاةُ : الصَّحْرَاءُ . (٢) حَمْزَةٌ : أَحَدُ الْقِرَاءِ وَأَرَادَ أَنَّهُ كَادَ يَطِيلُ فِي الْقِرَاءَةِ وَيَمْدُ بِهَا صَوْتَهُ فَيَأْخُذُ وَقْتًا طَوِيلًا . (٣) صَلَّى اللَّحْمَ يَصْلِيهِ صَلِيًّا وَأَصْلَاهُ وَصَلَاهُ (بِالتَّضْعِيفِ) : شَوَاهٍ ، وَتَصَلَّبَ : تَقَوَّى وَتَشَدَّدَ .

(٤) قَلَى اللَّحْمَ : أَنْضَجَهُ فِي الْمَقْلَى . وَالْمَعْنَى كَانَ شَدِيدَ التَّأَذُّيِّ مِنَ تَطْوِيلِ الْإِمَامِ الَّذِي يَفُوتُ عَلَيْهِ مَصَاحِبَةُ الْقَافِلَةِ . (٥) أَيْ أَنَّنِي عَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ لِي إِلَّا أَحَدُ الْخَلْتَيْنِ فَمَاذَا أَنْ أَصْبِرَ فَتَفُوتَنِي الرَّفِيقَةُ وَأَمَا أَنْ أَتَعَجَّلَ بِالْخُرُوجِ مِنَ الصَّلَاةِ لِذُرُوكِهِمْ فَيَنْقُضَ الْقَوْمَ عَلَى مَتَحَرِّجِينَ خُرُوجِي فَالْتَزَمْتُ السُّكُوتَ عَلَى مَضَضٍ .

ثم حنى قوسه للركوع. بنوعٍ من الخشوع. وضربٍ من الخضوع. لم أعده من قبل^(١). ثم رفع رأسه ويده. وقال: سمع الله لمن حمده. وقام حتى ما شككت أنه قد نام^(٢). ثم ضرب بيمينه. وأكب لجبينه. ثم انكب لوجهه^(٣) ورفعت رأسي أنتهزُ فرصة فلم أر بين الصفوفِ فرجةً^(٤). فعدتُ إلى السُّجود. حتى كبر للعودِ وقام إلى الركعة الثانية. فقرأ الفاتحة والقارعة. قراءةً استوفى بها عمر الساعة. واستنزف أرواح الجماعة^(٥). فلما فرغ من ركعتيه وأقبل على التشهد بلحييه. ومال إلى التحية بأخذه. وقلت: قد سهل الله المخرج. وقرب الفرج. قام رجلٌ وقال: من

(١) حنى : عطف وثنى ، وأراد بالقوس ظهره .

(٢) أى أنه أطال فى قيامه حتى اعتقدت أن النوم قد اخذه .

(٣) ضرب بيمينه : أهوى بها إلى الارض ليعتمد عليها فى سجوده، وأكب لجبينه : سقط فى السجود مائلا الى أحد شقيه وقوله : انكب لوجهه معناه اعتدل فى سجوده ووجه نحو الارض وجهه لان الجملة الاولى تعطى أنه كان منحرفا . (٤) أى أنه لما ضاق صدره وعيت به الحيلة أراد أن ينتهز فرصة سجود القوم ليهرب فنظر حواليه وخلفه فلم يجد طريقا للخلاص .

(٥) يريد أن إطالة الامام فى صلاته جاوزت الحد وبلغت أقصى درجاتها حتى

أنه لتعتبر مسافة صلاته بالامد الذى بيننا وبين قيام الساعة .

كَانَ مِنْكُمْ يَحِبُّ الصَّحَابَةَ وَالْجَمَاعَةَ . فليُعْرِنِي سَمِعُهُ سَاعَةً . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَلزِمْتُ أَرْضِي . صِيَانَةً لِعَرْضِي (١) . فَقَالَ حَقِيقٌ عَلِيٌّ أَنْ لَا أَقُولَ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا أَشْهَدَ إِلَّا بِالصِّدْقِ . قَدْ جِئْتُكُمْ بِبِشَارَةٍ مِنْ نَبِيِّكُمْ لَكِنِّي لَا أُوَدِّيْهَا حَتَّى يَطَهَّرَ اللَّهُ هَذَا الْمَسْجِدَ مِنْ كُلِّ نَدَلٍ يَجْحَدُ نُبُوْعَهُ (٢) . قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَرَبَطَنِي بِالْقَيْوُدِ . وَشَدَّنِي بِالْحَبَالِ السُّودِ (٣) . ثُمَّ قَالَ : رَأَيْتُهُ ﷺ فِي الْمَنَامِ . كَالشَّمْسِ تَحْتَ الْعُمَامِ . وَالْبَدْرِ لَيْلَ التَّمَامِ (٤) . يَسِيرُ وَالنُّجُومُ تَتَّبِعُهُ (٥) . وَيَسْحَبُ الذَّيْلَ وَالْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهُ . ثُمَّ عَلِمَنِي دَعَاءَ أَوْصَانِي أَنْ أَعْلَمَ ذَلِكَ أُمَّتَهُ . فَكَتَبْتُهُ عَلَى هَذِهِ الْأَوْرَاقِ بِخَلْقِ

(١) ولو أنه خرج بعد تلك المقالة لمزقوا عرضه وانتهكوا ستره .

(٢) حقيق على كخليق بى معناهما حتم على وواجب ألا يكون كذا مثلاً .

(٣) الحبال السود : السلاسل المتخذة من الحديد وأى امرئ يستطيع أن يغادر مكانه فى مثل هذا الظرف فيسجل على نفسه النذلة ولؤم الطبع وخسة النفس ويرضى بنكران النبوة وحجد الرسالة .

(٤) إذا كانت الشمس محتجبة بالغمام كان نورها ساطعاً ولم يفرق البصر ففعل هذا وجه التقييد فى تشبيهه النبى عليه السلام بها .

(٥) لعله أراد بالنجوم جماعة أصحابه ﷺ .

ومسك. وزعفرانٍ وسك^(١). فمن استوهبه مني وهبته^(٢). ومن ردَّ عليَّ ثمنَ القرطاسِ أخذته. قال عيسى بن هشامٍ : فلقد انثالتُ عليه الدراهمُ حتى حيرته^(٣) وخرجَ فتبعته متعجباً من حذقه بزرقه وتمحلُّ رزقه. وهممتُ بمسألته عن حاله فأمسكتُ. وبمكالمته فسكتُ^(٤). وتأملتُ فصاحته في وقاحته^(٥) وملاحته في استماحته^(٦). وربطه الناسَ بحيلته^(٧). وأخذهُ المالَ بوسيلته.

(١) الخلق والخلق بوزنى صبور وكتاب نوع من الطيب صناعى والسك بالضم ضرب من الطيب كذلك . (٢) أى من طلب منى أن أهبه له فعلت .

(٣) أى أن الناس طفقوا يلقون إليه بها من كل جهة حتى احتار فى أمره ولم يدر أين يتجه ليأخذها . (٤) أى أنه أراد أن يسأله عن أمره ويطلب منه كشف القناع عن حقيقة حاله ولكنه رأى خيراً به ألا يفعل .

(٥) الوقاحة : سوء الأدب وقلة الحياء وأراد أنه خرج كثيراً عن حدود الآداب فى كلامه ولم يراع الحياء فى مقاله فلب معذور كعيسى ألزمه ترك شؤونه ورب عجلان مثله قيده عن السعى إلى صالحه .

(٦) استماح: طلب العطاء وأصله مأخوذ من ماح يميح إذا ملأ دلوه من البئر قال الراجز

أيها المائح دلوى نونكا . أنى رأيت الناس يحمونكا

(٧) لم نجد أغرب من حيلة أبى الفتح هذه وكيف لا وهى التى فوتت علي عيسى طلبته وأخرته عن قضاء لبانتة؟

ونظرتُ فإذا هو أبو الفتح الإسكندريُّ. فقلتُ: كيف اهتديتَ إلى
هذه الحيلة؟ فتبسّمَ وأنشأ يقولَ :

الناسُ حمرٌ فجوزٌ
وابرزٌ عليهمٌ وبرزٌ^(١)
حتى إذا نلتَ منهمُ
ما تشتهيهِ ففروزٌ^(٢)

(١) حمر جمع حمار وهو معروف وجوز معناه قد، وبرز فلان فلانا (مضعفا) تفوق عليه، وبرز بالتخفيف : ظهر والمعنى أن هؤلاء الذين تراهم يشبهون الحمر في الجهالة والحمق فقدهم حيث تشاء وسر بهم أنى أردت واطهر عليهم وانبه بينهم .

(٢) فروز معنا: مات أى لا تقصر فى رفعة شأنك وظهورك على الناس حتى تنال أمانيك وتبلغ آمالك فإذا انتهت أغراضك ففارقهم ولو بالموت .

المقامة الأهوازية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْأَهْوَازِ^(١) فِي رِفْقَةٍ مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِمْ تَسَهَّلَ^(٢). لَيْسَ فِينَا إِلَّا أَمْرُدٌ بَكَرُ الْأَمَالِ. أَوْ مَخْتَطٌ حَسَنُ الْإِقْبَالِ. مَرْجُوُّ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ^(٣). فَأَفْضَنًا فِي الْعَشْرَةِ كَيْفَ نَضَعُ قَوَاعِدَهَا. وَالْأَخُوَّةَ كَيْفَ نُحْكُمُ مَعَاقِدَهَا. وَالسُّرُورَ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَقَاضَاهُ. وَالشُّرْبَ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَتَعَاطَاهُ.

(١) الأهواز بلد بين البصرة وفارس تشمل تسع كور لكل كورة منها اسم يخصها وهي تجمعهن وهن : رامهرمز، وعسكر مكرم، وتستر، وجند يسابور، وسوس، وسرق، ونهر تيرى . وأيدج، ومناذر

(٢) تقدم شرح هذه الفقرة وهي شطر بيت لامرئ القيس أوله:

ورحنا يكاد الطرف يقصر بونه متى ما ترق العين فيه تسهل

ويروى بدل: تسهل، تسفل وهذه الرواية تساعدنا على المعنى الذي أردناه هناك (٣) يريد أن أفراد هذه الجماعة كلهم كانوا من الأحداث صغار السن فأما أمرد لم ينبت عذاره وأما فتى خط شاربه ولكنه لا يزال غضا فتى القوة مفتول الساعد، نافعا في الكروب، مأمولا عند الشدائد .

والأنس كيف نتهاداهُ. وفانتِ الحظَّ كيف نتلافاهُ. والشَّرابِ من
أين نحصلُّه. والمجلسِ كيف نزيِّنُه^(١) .

فقالَ أحدنا : على البيتِ والنزلِ^(٢). وقالَ آخرُ : على الشَّرابِ
والنقلِ^(٣). ولما أجمعنا على المسيرِ استقبلنا رجلٌ في طمرينِ في
يميناهُ عكازةً . وعلى كتفه جنازةً^(٤). فتطيرنا لما رأينا الجنازةَ
وأعرضنا عنها صفحاً. وطوينا دونها كشحاً^(٥). فصاح بنا
صيحةً كادت لها الأرضُ تنفطرُ. والنجومُ تنكدرُ^(٦). وقالَ : لترنَّها

(١) أي أنهم أرادوا أن ينظموا أوقات سمرهم ويعينوا ساعات لخمومهم ويضعوا

نموذج الصداقة والمواخاة بحيث تكون أعمالهم جارية على مقتضاه

(٢) النزال بوزن قفل وبضمتين: المنزل أو المكان المتهيئ للضيافة .

(٣) النقل بفتح أوله وقد يضم وقيل الضم فيه خطأ: ما يتخذها جماعة الشاربين

لينتقلوا من الشراب إليه وبالعكس .

(٤) طمرين: ثوبين خلقين، والعكازة: العصا الغليظة يكون في آخرها زج،

والجنازة - بكسر أوله - النعش والميت معاً، وبالفتح : السرير وبهما الميت

وحده، والنعش: الخشبة ولا يقال له سرير حتى يكون فيه الميت .

(٥) تطيرنا: تشاعنا، وطوينا دونها كشحاً: أي انحرفنا عنه، ولم تمل نفوسنا

إليه، ونفرنا منه .

(٦) فطره يفطره ويفطره من باب ضرب ونصر شقه، وانفطر: انشق وانكدرت

النجوم : تناثرت، والمراد شدة الصيحة وقوة فعلها فيهم .

صغراً ولتركبئها كرهاً وقسراً^(١). مالكم تطيرون من مطية ركبها
أسلافكم وسيركبها أخلافكم^(٢). وتتقدرون سريراً وطئه أبواؤكم
وسيطؤه أبناؤكم. أما والله لتحملن على هذه العيدان. إلى تلكم
الديدان ولتنقلن بهذه الجياد إلى تلكم الوهاد^(٣). ويحكم تطيرون
كأنكم مخيرون. وتكرهون. كأنكم منزهون هل تنفع هذه الطيرة.
يا فجرة. قال عيسى بن هشام: فلقد نقض ما كنا عقدناه.
وأبطل ما كنا أردناه^(٤). فملنا إليه وقلنا له: ما أحوجنا إلى
وعظك. وأعشقنا للفظك. ولوشيت لزدت. قال إن وراءكم موارد
أنتم واربوها وقد سرتم إليها عشرين حجة:

(١) الصغر بضم أوله مصدر صغر ككرم ومثله الصغر كغيب والصغار
والصغارة بفتحتهما والصفران بالضم والمعنى: الذلة والهوان، والقهر والقسر
بمعنى (٢) تطيرون أى تتشاعمون والأسلاف الآباء ومن فى حكمهم والأخلاف
الأبناء ومن شابههم. (٣) تتقدرون: تجدونه قدرا وتشمئزون منه، وطئه ركبه
وجلس عليه، والعيدان والأعواد: النعش. قال بعض الشعراء:

أرأيت من حملوا على الأعواد أرأيت كيف خبا ضياء النادى

والوهاد جمع وهدة وهى ما اطمأن من الأرض وانخفض وأراد بها المقابر
لانخفاضها عادة.

(٤) أى أنه حل بعظته وزجره الذى كنا اتفقنا عليه من حضور مجالس اللهو.

وإن امرأً قد سارَ عشرينَ حجةً إلى منهلٍ من وردهِ لقريبٍ^(١)
ومن فوقكم من يعلم أسراركم. ولو شاء لهتك أستاركم.
يعاملكم في الدنيا بحلمٍ. ويقضى عليكم في الآخرة بعلمٍ^(٢).
فليكن الموت منكم على ذكرٍ. لئلا تاتوا بنكرٍ. فإنكم إذا
استشعرتموه لم تجمحوا. ومتى ذكرتموه لم تمرحوا^(٣). وإن
نسيتموه. فهو ذاكركم وإن نمتم عنه فهو ثائركم. وإن كرهتموه
فهو زائركم. قلنا : فما حاجتك قال : أطول من أن تحداً وأكثرُ

(١) موارد جمع مورد وهو مكان الورد وأراد بها الموت وما يتبعه، وأنكم
سائرون في طريقكم إليها لأن الدنيا مجاز الآخرة وقطعتم في سيركم عشرين
سنة هي مقدار أعماركم .

(٢) أي أن الله لا يخفي عليه شيء مما تكتُمونه الناس وهو لو شاء لفضح امركم
وأفشى سركم وأذاع حديثكم فعرفه الصادر والوارد ولكنه يحلم عليكم في الدنيا
مع علمه بما تفعلون وسيحاسبكم في الآخرة بمقتضى هذا العلم .

(٣) جمع : نفر ، ومرح : اشتد فرحه ، والمعنى أنكم إذا جعلتم الموت
نصب أعينكم ولم تغفلوا عنه لم تنفروا من الطاعة ولم تفرحوا بلذة عاجلة تتبعها
عقوبة باقية دائمة لأن من يتذكر الموت لا ينسى ما بعده من أهوال القيامة
وشدائدها .

مَنْ أَنْ تَعَدَّ . قُلْنَا : فَسَانِحُ الْوَقْتِ ^(١) قَالَ : رَدُّ فَائِتِ الْعَمْرِ . وَدَفْعُ
نَازِلِ الْأَمْرِ ^(٢) قُلْنَا . لَيْسَ ذَلِكَ إِلَيْنَا وَلَكِنْ مَاشَيْتَ مِنْ مَتَاعِ الدُّنْيَا
وَزَخْرَفِهَا ^(٣) . قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي وَإِنَّمَا حَاجَتِي بَعْدَ هَذَا أَنْ تَخُونُوا
أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تَعُودُوا ^(٤) .

-
- (١) أى اذكر لنا ما يسمح لك به الوقت ولا تحرمنا لذة الانصات لك .
(٢) يتمنى عليهم أن يعيدوا اليه مافات من عمره وأن يدفعوا عنه الامر الذى
ينزل به .
(٣) أجابوه بأنه ليس فى استطاعتهم أن ينيلوه رغبته أو يحققوا له أمنيته
ولكنهم على أهبة أن يعطوه من المادة ما شاء .
(٤) وخذ يخذ وخذ : أسرع فى مشيه، ووعى يعى : فطن وحفظ والمراد انه
يطلب منهم أن يجدوا السير فى العمل لانه خير لهم من حفظ ما يقوله .

رَفَعُ

جَدِّ الرَّسُولِ الْبَخْتِي
أُسْتَنْبَاةَ الْفِرْدَوْسِ

www.moswarat.com

المقامة البغدادية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : اشتهيتُ الأَزَادَ^(١) . وأنا ببغدادَ
وليسَ معيَ عقدٌ على نقدٍ^(٢) . فخرجتُ أنتهزُ محالهُ حتَّى أحلّني
الكرخ^(٣) . فإذا أنا بسواديِّ يسوقُ بالجهدِ حماره^(٤) . ويطرفُ
بالعقدِ إزاره . فقلتُ : ظفرنا واللهِ بصيدٍ . وحيّاكَ اللهُ أبا زيدٍ من
أينَ أقبلتَ؟ وأينَ نزلتَ؟ ومتى وافيتَ؟ وهلمَّ إلى البيتِ^(٥) . فقالَ

(١) تقدم في المقامة الازاديه أن الازاد نوع من التمر الجيد .

(٢) أي الحال أنى معدم لامال عندي .

(٣) المحال : جمع محله والمراد بها الأماكن التي يوجد بها الازاد وأنتهز المراد
منه أتلمس وأقصد ولكنه جعلها كالغنيمة التي يسارع لانتهازها اللبق والكرخ
محل ببغداد والضمير في أحلني راجع إلى الازاد من اسناد الفعل للسبب .

(٤) السواد ريف العراق وقراه والنسبة اليه سوادى والمراد رجل من أهله .

(٥) أراد بالصيد ذلك الرجل ثم أقبل عليه يحادثه ويكالمه ويتدخل معه لينال منه
ما أراد .

السَّوَادِيُّ : لستُ بِأبِي زَيْدٍ . وَلَكِنِّي أَبُو عَبِيدٍ . فَقُلْتُ : نَعَمْ لَعَنَ اللَّهُ الشَّيْطَانَ . وَأَبْعَدَ النَّسِيَانَ . أَنْسَانِيكَ طَوْلَ الْعَهْدِ . وَاتَّصَالَ الْبُعْدُ^(١) . فَكَيْفَ حَالُ أَبِيكَ أَشَابُ كَعَهْدِي . أَمْ شَابَ بَعْدِي؟ فَقَالَ : قَدْ نَبَتَ الرَّبِيعُ عَلَى دَمْنَتِهِ^(٢) . وَأَرْجُو أَنْ يُصِيرَهُ اللَّهُ إِلَى جَنَّتِهِ . فَقُلْتُ : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ . وَمَدَدْتُ يَدَ الْبِدَارِ . إِلَى الصَّدَارِ . أُرِيدُ تَمْزِيقَهُ^(٣) . فَقَبِضَ السَّوَادِيُّ عَلَى خَصْرِي بِجَمْعِهِ^(٤) . وَقَالَ : نَشَدْتُكَ اللَّهُ لَا مَرْزَقَتَهُ . فَقُلْتُ : هَلُمَّ إِلَى الْبَيْتِ نُصِبْ غَدَاءً . أَوْ إِلَى السُّوقِ نَشْتِرِ شِوَاءً . وَالسُّوقُ أَقْرَبُ . وَطَعَامُهُ أَطْيَبُ . فَاسْتَفَزَّتْهُ حَمَةُ الْقَرَمِ . وَعَطَفَتْهُ

(١) أخذ يدخل بحيلته في روع السوادى أنه أليف قديم وصاحب من عهد بعيد فلما أخطأ تكنيته وخشى ألا تجوز حيلته عمد الى انتحال المعاذير بطول أمد الفراق وبعد عهد التلاق .

(٢) المراد بالدمنة القبر وكنى بذلك عن موته .

(٣) البدار المبادرة والمسارة، والصدار ثوب يلبس مما يلى الجسد والمعنى أنه حين سمع بموت أبيه بادر الى ثوبه ليمزقه اظهارا للجزع وتأكيدا للحيلة بأنه صديق أبيه .

(٤) جمع اليد بالضم قبضتها والمعنى أنه قبض بكل يده عليه ليمنعه من تمزيق صدره .

عاطفةُ اللَّقْمِ^(١). وطمع. ولم يعلم أنه وقع . ثم أتينا شواءً يتقاطرُ شِواؤُهُ عرقاً . وتتسائل جُودَابَاتُهُ مرقاً^(٢). فقلتُ: افرزُ لأبى زيدٍ من هذا الشِّوَاءِ. ثمَّ زنُّ له من تلك الحلوَاءِ. واختر له من تلك الأطباقِ. وانضدُ عليها أوراقَ الرُّقَاقِ. ورشَّ عليه شيئاً من ماءِ السُّمَاقِ^(٣). ليأكلهُ أبُو زيدٍ هنيئاً. فانحى الشِّوَاءُ بساطوره^(٤). على زُبْدَةِ تنوره . فجعلها كالكلِّ سحقا . وكالطَّحنِ دقاً . ثمَّ جلسَ وجَلَسْتُ . ولا يئسَ ولا يئسْتُ . حتَّى استوفينا وقلتُ لصاحبِ الحلوى زن لأبى زيدٍ من اللُّوزينجِ رطلين فهو أجرى في الحُلُوقِ . وأمضى في العُرُوقِ . وليكن ليلي العُمَرِ . يومى النَّشْرِ^(٥). رقيق

(١) استفزته : اسهتوته وحركته بشدة، والحمّة فى الأصل ابرة العقرب التى تلسع بها ثم حملت على الشدة مطلقا، والقرم : الشهوة البالغة لاكل اللحم واللحم السرعة فى الاكل والمعنى أن شدة حبه للطعام وعظيم شوقه اليه أسرع به الى موافقتى . (٢) الجودابة رغيف يخبز وفوقه طائر أو قطعة لحم . (٣) السماق حب صغير أحمر حامض .

(٤) الساطور سكين عظيمه وبهذا الاسم تعرف عند العامة من أهل مصر .

(٥) اللوزينج نوع من الحلوى يتخذ من الخبز ويسقى بدهن اللوز ويحشى بالنقل وكونه ليلي العمر أى مما صنع ليلا نهارى النشر أى وظهر نهارا ليكون قد شرب دهنه وعسله .

القشْر. كثيفِ الحشو لؤلؤيِّ الدهنِ. كوكبيِّ اللونِ. يذوبُ كالصمغِ. قبلَ المضغِ. ليأكلَهُ أبو زيدٍ هنيئاً. قالَ : فوزنُهُ ثُمَّ قعدَ وقعدتُ. وجرَّدَ وجرَّدتُ^(١). حتَّى استوفيناها. ثُمَّ قلتُ : يا أبا زيدٍ ما أحوجنا إلى ماءٍ يُشعشعُ بالثلجِ ليقمَعَ هذه الصَّارَةَ ويفتأَ هذه اللُّقَمَ الحارَّةَ^(٢). إجلسُ يا أبا زيدٍ حتَّى نأتِكَ بسقَاءٍ. يأتِكَ بشربةٍ ماءٍ. ثُمَّ خرجتُ وجلستُ بحيثُ أراهُ ولا يراني أنظرُ ما يصنعُ . فلمَّا أبطأتُ عليه قامَ السَّواديُّ إلى حماره فاعتلقَ الشَّوَاءَ بإزاره^(٣). وقالَ: أينَ ثمنُ ما أكلتَ؟ فقالَ أبو زيدٍ : أكلتُهُ

(١) أى شمر عن ساعده ليسرع فى الاكل .

(٢) يشعشع : يخلط ومن ثم قيل للخمر : مشعشعة لانها تشرب مخلوطة بالماء كثيرا قال .

مشعشة كأن الحص فيها اذا ما الماء خالطها سخينا

ويقمع : يقهر ، والصاراة : شدة الحر ، ويفتأ : يكسر ويخفف . والمعنى أننا فى حاجة إلى الماء المخلوط بالثلج ليرد عنا سطوات الحر ويخفف من حدة هذا الاكل فى أجوافنا .

(٣) اعتلق تعلق ومسك أى أن الشواء لم يتركه يخرج بل أمسك به ليستوفى حقه منه .

ضييفا. فلكمه لكمةً. وثنى عليه بلطمة^(١). ثم قال الشواءُ : هاك .
ومتى دعوناك^(٢) زن يا أبا القحةِ عشرين^(٣). فجعل السواديُّ
بيكي ويحلُّ عقدهُ بأسنانه ويقولُ : كم قلتُ لذاك القريدِ . أنا أبو
عبيدٍ . وهو يقولُ : أنت أبو زيدٍ . فأنشدتُ :

أعملُ لرزقك كلَّ آله لا تقعدنَّ بكلِّ حالة^(٤)
وانهضُ بكلِّ عزيمةٍ فالمرءُ يعجزُ لا محالة^(٥)

(١) أكلته ضيفا أى كنت مدعوا لتناول هذا الطعام فلا يحل لك أن تطالبنى بثمنه
لان الضيف لا يدفع ثمن ما يأكل .

(٢) هاك : اسم فعل بمعنى خذ والمعنى . تناول من الضرب واللکم ما أنت به
خليق . (٣) القحة : الوقاحة وسوء الادب ومعنى زن عشرين : أعط وزن عشرين
درهما .

(٤) المعنى : لا تكن خائر القوى فتقعد عن طلب الرزق وأنت تعلم أنه لا يأتيك
حتى تعمل له ولا يقبل عليك حتى تسير إليه بل أجهد نفسك، وادأب فى السعى
إليه، ولا تدخروا سعا فى تحصيله .

(٥) أى أنه لا بد أن يأتى على المرء يوم يعجز فيه عن القيام بحاجته فانتهز
فرصة شبابك وقوتك، واغتتم من فتوتك وحادثة سنك ما يساعذك على القيام
بعضائم الامور، وجلائلها .

رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة البصرية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : دخلتُ البصرةَ وأنا منُ سنيٌّ في فتاءٍ . ومن الرِّبْدِ فِي حَبْرٍ ووشاءٍ . ومن الغنى في بقرٍ وِشَاءٍ^(١) . فَأَتَيْتُ المربدَ فِي رُفْقَةٍ تَأْخُذُهُمُ العيونُ ومشيئنا غيرَ بعيدٍ إلى بعضِ تلكِ المُنْتزَهِاتِ فِي تلكِ المتوجِّهاتِ^(٢) . ومَلِكْتنا أرضٌ فحللناها^(٣) وعمدنا لِقِداحِ اللّهُوِ فأجلناها^(٤) مُطْرِحِينَ لِلْحِشْمَةِ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِينا إِلَّا مَنَّا^(٥) . فما كانَ بأسرعَ منِ ارتدادِ الطَّرْفِ حَتَّى

(١) فتاء السن . شبابه قال الشاعر :

فقد ذهب اللذاذة والفتاء

إذا عاش الفتى مائتين عاما

والوشاء بوزان كساء : نوع من اللباس مطرز والمراد أن عليه ثياب أهل النعمة ومنظرهم والشاء : الشياه ، والغنم والبقر هما مال العرب فمن أخذ بنصيب منهما كان موسرا غنيا . (٢) المرید بوزن منبر : موضع بالبصرة، والمنتزه : الحديقة والروضة يختلف الناس إليها ترويحاً للنفس وإنعاش للروح وتجديداً للمسرة وهي خطأ في المقامة . (٣) ملكتنا : أخذ حسننا بألبابنا وأسر رونقها قلوبنا . (٤) عمدنا . قصدنا ، قدام . جمع : قدام وأصلها قدام الميسر، أجلناها حركناها وأدربناها بيننا . (٥) متى كانت الرفقة ليس فيها أجنبي لم يكن للحشمة موضع لان شدة الألفة تسقط الكلفة.

عَنْ لَنَا سَوَادٌ تَخْفِضُهُ وَهَادٌ . وَتَرْفَعُهُ نَجَادٌ^(١) . وَعَلِمْنَا أَنَّهُ يَهُمُّ بِنَا
فَأَتَلَعْنَا لَهُ^(٢) . حَتَّىٰ آدَاهُ إِلَيْنَا سَيْرُهُ وَلَقِينَا بِتَحِيَّةِ الْإِسْلَامِ .
وَرَدَدْنَا عَلَيْهِ مُقْتَضَى السَّلَامِ . ثُمَّ أَجَالَ فِينَا طَرْفَهُ وَقَالَ : يَا قَوْمُ
مَا مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ يُلْحِظُنِي شَرًّا . وَيُوسِعُنِي حَزْرًا . وَمَا يُنْبِئُكُمْ
عَنِّي . أَصْدَقُ مِنِّي . أَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْإِسْكَانْدَرِيَّةِ . مِنَ الثُّغُورِ
الْأُمَوِيَّةِ . قَدْ وَطَأَ لِي الْفَضْلُ كَنْفَهُ وَرَحَّبَ بِي عَيْشٌ وَنَمَانِي بَيْتٌ .
ثُمَّ جَعَجَعَ بِي الدَّهْرُ عَنْ ثَمَّةٍ وَرَمَّةٍ . وَأَتَلَانِي زَغَالِيلَ حُمَرَ
الْحَوَاصِلِ :

كَأَنَّهُمْ حَيَاتُ أَرْضٍ مَحَلَّةٍ فَلَوْ يَعْضُونَ لَذَكَّى سَمُهُمْ
إِذَا نَزَلْنَا أَرْسَلُونِي كَاسِبًا وَإِنْ رَحَلْنَا رَكُبُونِي كُلُّهُمْ
وَنَشَرْتَ عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَشَمَسَتْ مِنَّا الصُّفْرُ . وَأَكَلْتَنَا السُّودُ
وَحَطَّمْتَنَا الْحُمْرُ . وَأَنْتَابْنَا أَبُو مَالِكٍ . فَمَا يَلْقَانَا أَبُو جَابِرٍ إِلَّا عَنْ
عَقْرِ . وَهَذِهِ الْبَصْرَةُ مَاوَاهَا هَضُومٌ وَفَقِيرُهَا مَهْضُومٌ . وَالْمُرءُ مِنْ
ضِرْسِهِ فِي شُغْلٍ . وَمِنْ نَفْسِهِ فِي كَلٍّ . فَكَيْفَ بِي مَنْ .
يُطَوِّفُ مَا يُطَوِّفُ ثُمَّ يَأْوِي إِلَى زُغْبٍ مُحَدَّدَةِ الْعِيُونِ

(١) الوهاد . المطمئن من الارض والنجاد المرتفع منها .

(٢) أتلعنا . مددنا أعناقنا ننظر اليه .

كَسَاهُنَّ الْبُلْبُ شُعْنًا فْتُمْسِي جِيَاعَ النَّابِ ضَامِرَةَ الْبُطُونِ
وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا الْيَوْمَ وَسَرَحْنَا الطَّرْفَ فِي حَيِّ كَمَيْتٍ. وَبَيْتٍ كَلَا
بَيْتٍ. وَقَلْبِنَ الْأَكْفَ عَلَى لَيْتٍ. فَفَضَضْنَا عَقْدَ الضُّلُوعِ. وَأَفَضْنَا
مَاءَ الدَّمُوعِ وَتَدَاعَيْنَا بِاسْمِ الْجُوعِ :

وَالْفَقْرُ فِي زَمَنِ النَّأِ مِ لِكُلِّ ذِي كَرَمٍ عِلَامَةٌ

رَغِبَ الْكِرَامُ إِلَى النَّأِ مِ وَتِلْكَ أَشْرَاطُ الْقِيَامَةِ

وَلَقَدْ اخْتَرْتُمْ يَا سَادَةَ. وَدَلَّتُنِي عَلَيْكُمْ السَّعَادَةَ. وَقَلْتُ قَسَمًا.
إِنَّ فِيهِمْ لِدَسَمًا. فَهَلْ مِنْ فِتْيٍ يُعَشِّيهِنَّ. أَوْ يُغَشِّيهِنَّ. وَهَلْ مِنْ
حُرٍّ يُغْدِيهِنَّ أَوْ يُرْدِيهِنَّ. قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَوَاللَّهِ مَا اسْتَأْذَنَ
عَلَى حِجَابٍ سَمِعِي كَلَامُ رَائِعٍ أَبْرَعُ وَأَرْفَعُ وَأَبْدَعُ. مِمَّا سَمِعْتُ
مِنْهُ. لَأَجْرَمَ إِنَّا اسْتَمَحْنَا الْأَوْسَاطَ. وَنَفَضْنَا الْأَكْمَامَ وَنَحِينَا
الْجِيُوبَ. وَنَلْتُهُ أَنَا مُطْرَفِي. وَأَخَذَتِ الْجَمَاعَةُ إِخْذِي. وَقَلْنَا
لَهُ : الْحَقُّ بِأَطْفَالِكَ. فَأَعْرَضَ عَنَّا بَعْدَ شُكْرِ وَفَاهُ. وَنَشَرْنَا مَلَأَ
بِهِ فَاهُ.

رَفَع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الفزارية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ بِلَادِ فِزَارَةَ
مُرْتَحِلاً نَجِيبَةً. وَقَائِداً جَنِيبَةً. يَسْبَحَانِ بِي سَبْحًا. وَأَنَا أَهْمٌ
بِالْوَطَنِ فَلَا اللَّيْلُ يَتْنِينِي بِوَعِيدِهِ. وَلَا الْبُعْدُ يَلْوِينِي بِبِيدِهِ. فَظَلَلْتُ
أَخْبِطُ وَرَقَ النَّهَارِ بَعْصًا التُّسْيَارِ. وَأَخُوضُ بَطْنَ اللَّيْلِ بِحَوَافِرِ
الْخَيْلِ. فَبِينَا أَنَا فِي لَيْلَةٍ يَضِلُّ فِيهَا الْغَطَاطُ^(١). وَلَا يُبْصِرُ فِيهَا
الْوَطَاطُ^(٢). أَسِيحُ سِيحًا وَلَا سَانِحُ إِلَّا السَّبْعُ. وَلَا بَارِحُ إِلَّا
الضُّبْعُ^(٣). إِذْ عَنْ لِي رَاكِبٌ تَامُّ الْأَلَاتِ يَوْمُ الْأَثَلَاتِ. يَطْوِي إِلَى
مَنْشُورِ الْفَلَوَاتِ. فَأَخَذَنِي مِنْهُ مَا يَأْخُذُ الْأَعْزَلَ مِنْ شَاكِي السَّلَاحِ

(١) الغطاط على وزن سحاب القطا وهو يضرب به المثل في الهداية فإذا كان
يضل فلاشك أنه لا ينجو من الضلالة أحد قال :

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(٢) الوطواط : الخفاش طائر معروف يبصر ليلا ولا يرى نهارا . (٣) السائح
الذي يمر عن يمينك والبارح الذي يمر عن شمالك والمعنى أنه لم يكن يقع
نظره إلا على الوحوش من سبع وضع مرة عن يمينه ومرة عن يساره .

لكنني تجلدتُ فقلتُ : أرضك لا أمَّ لك فدونك شرطُ الحدادِ . وخرطُ
القتادِ . وخصمُ ضخمُ . وحميةٌ أزديةٌ . وأنا سلمٌ إن شئتَ . وحربُ
إن أردتَ . فقل لي من أنت^(١)؟ فقال : سلماً أصبتَ . فقلتُ :
خيراً أجبته فمن أنت؟ قال : نصيحٌ إن شاورتَ . فصيحٌ إن
حاورتَ . ودونٌ اسمي لثامُ . لا تميطُهُ الأعلامُ^(٢) . قلتُ : فما
الطعمةُ . قال : أجوبُ جُيوبَ البلادِ . حتى أقعَ على جفنةِ جوادِ .
ولي فؤادٌ يخدمهُ لسانُ . وبيانٌ يرقمهُ بنانُ^(٣) . وقصارايَ كريمُ
يخفضُ لي جنيبتهُ . وينفضُ إليَّ حقيبتَهُ^(٤) . كابنِ حُرّةٍ طلعَ عليَّ

(١) المراد به واجهه بكل ما ذكر لئلا يظن به الضعف فيحمل عليه ثم تدخل معه
في الحديث ليعرف من هو .

(٢) نصيحٌ إن شاورتَ . أي لا يخذلك ولا يغشك بل ينصحك ويفيدك وفصيحٌ إن
حاورتَ . أي : إذا كلمته لم تجد إلا خلاصةً وذرابةً وقوةً عارضةً، وهذه أوصافى
ونعوتى ولكن لا سبيل إلى اسمى ولا طريق لعرفانه لاننى لم أتخذ علماً أجعله
شعارى .

(٣) الطعمة أى المكسب والحرفة التى تطعم منها وأراد بما ذكره أن حرفته
التجوال والطواف لعله يجد كريماً يدعوهُ الى جفنته .

(٤) قصاراي . أى أنه منتهى أملى، جنيبته . أحد شقى حمله أو الدابة التى
تسير جنب دابته والحقيبة وعاء اللباس ونحوه .

بالأمس. طلوع الشمس. وغرب عني بغروبها لكنه غاب ولم يغيب
تذكاره. وودع وشيعتني آثاره. ولا ينبئك عنها^(١). أقرب منها.
وأوماً إلى ما كان لبسه. فقلت: شحاذ ورب الكعبة أخاذ. له
في الصنعة نفاذ. بل هو فيها أستاذ^(٢). ولا بد من أن ترشح له
وتسح عليه^(٣). فقلت: يافتى قد جليت عبارتك فأين شعرك من
كلامك. فقال: وأين كلامي من شعري. ثم استمد غريزته^(٤).
ورفع عقيرته^(٥). بصوت ملاً الوادي وأنشأ يقول:
وأروع أهداه لي الليل والفلا وخمس تمس الأرض لكن كلاً ولا^(٦)

(١) أى لا يخبرك بما أسداه إلى مخبر صادق كنفس الذى نالنى منه وأوماً :
أشار . (٢) له فى الصنعة نفاذ : أى أنه قدير ماهر وهو فيها استاذ أى معلم
تؤخذ عنه أساليبها وفنونها . (٣) الرشح : خروج الماء نقطة نقطة كالعرق
والسح تدفقه من أعلى والمراد لا مناص لك من إعطائه .
(٤) الغريزة : السجية واستمدها طلب منها المعونة لتظهر كفاعته ويتضح
مقداره. (٥) صاح . (٦) أروع : شهم، أهداه لى الليل : دلنى عليه
السرى، والفلا : الصحراء وخمس تمس الأرض : المراد بها الارجل لان
أصابها خمسة ولانها تلامس الأرض ويروى حمش بالحاء المهملة المضمومة
والشين جمع احمش : أى سريع والمراد بها قوائم الفرس وقوله كلاً ولا كناية
عن سرعة السير وتقارب ملامستها الأرض.

عرضتُ على نارِ المكارِمِ عودهُ فكانَ معماً في السِّيادةِ مخولاً^(١)
وخادعتهُ عن ماله فخدعتهُ وساهلتهُ من برهِ فتسهلاً^(٢)
ولمَّا تجالينا واحمدَ منطقي بلاني من نظمِ القريضِ بما بلا^(٣)
فما هزَّ إلا صارِ ما حينَ هزَّني ولم يلقني إلا إلى السبقِ أولاً^(٤)
ولم أره إلا أغرَّ محجلاً ومَا تحتهُ إلا أغرَّ محجلاً^(٥)
فقلتُ له : على رسلك يافتى^(٦). ولكَ فيما يصحِّبني حُكمكُ
فقال : الحقيبةُ بما فيها. فقلتُ : إنَّ وحاملتها^(٧). ثمَّ قبضتُ

(١) العود أصله عام في كل ما يصيبه الاحراق ثم اختص بنوع معروف ،

ومعنى معما مخولاً أى له عم وخال : أنه عريق في السيادة قد نالها عن آباءه .

(٢) خدعه أى خالسه فانخدع أى جازت عليه الحيلة والأصل ان الكريم يستهين

بماله ويحتقره فلا يعرف أساليب جمعه والتحفظ به .

(٣) تجالينا : أى أوضح كل منا نفسه للآخر ، أحمد : رضى وأثنى عليه وبلاني :

اختبرنى .

(٤) الصارم : السيف المسلول القاطع أى أنه حين اختبرنى وجدنى كالسيف

مضاء وسرعة وألفانى سباقا .

(٥) الاغر الذى فى جبهته بياض، والمحجل الذى فى قوائمه ذلك وينعت بهما

الفاضل النابه وفى الحديث (أنا قائد الغر المحجلين يوم القيامة) .

(٦) أى انتظر وتأن . (٧) إن : حرف يراد بها الجواب بمعنى نعم أى لك

الحقيبة والناقة التى تحملها .

بجمعى عليه وقلتُ : لا والذي ألهمها لمساً . وشقها من واحدةٍ
خمساً^(١) لا تزايلنى أو أعلم علمك^(٢) . فحدر لثامه عن وجهه^(٣) .
فإذا هو والله شيخنا أبو الفتح الإسكندرى . فما لبثتُ أن قلتُ :

توشحتَ أبا الفتح بهذا السيفِ مختالاً^(٤)
فما تصنعُ بالسيفِ إذا لم تك قتلاً^(٥)
فصعُ ما أنتَ حليتَ به سيفك خلخالاً^(٦)

(١) ألهمها لمسا : جعل فيها القدرة على الإدراك بوجه اللمس، وشقها من واحده
خمساً : أى جعلها فروعا خمسة لأصل واحد والضمير للأصابع واكتفى بما
سيذكر من نعوتها وأوصافها عن تقدمها لأنها تتعين بذلك أو يقال أن تقدمها فى
ضمن الجمع المذكور أنه قبض به عليه مسوغ للاضمار .

(٢) زاييله : برح مكانه وعلم علمه : عرفه والمعنى لا تبرح مكانك ولا تفارقنى حتى
تعرفنى بنفسك . (٣) حدر لثامه عن وجهه : أى أزاله وكشف عن نفسه ليتضح
لى شخصه ويظهر خفيه . (٤) توشحت : أى اتخذته وشاحا أو تقلدته ، واختال:
أى زهى وأعجب بنفسه والمعنى : انك تقلدت هذا السيف فأعجبت وتكبرت .

(٥) المعنى : ما يفيدك لبس السيف وما يغنيك تقلده وهو لا يتخذ إلا لقتال به
والدفاع عن النفس ولست من هذا فى العير ولا فى النفير .

(٦) الخخال : نوع من الحلى تلبسه المرأة فى ساقها والمراد السخرية منه
والاستهزاء به أى أنه خير لك أن تجعل هذه الحلية خلخالاً يفيدك ويغنيك من أن
تجعلها لسيف لا تستعمله ولا أنت له أهل .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الجاحظية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : أَثَارَتْنِي وَرَفَقَةٌ وَوَلِيمَةٌ^(١) فَأَجِبْتُ
إِلَيْهَا لِلْحَدِيثِ الْمَأْثُورِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ : لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ
لَأَجِبْتُ. وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ. فَأَفْضَى بِنَا السَّيْرِ إِلَى
دَارٍ^(٢).

تُرِكْتُ وَالْحَسْنَ تَأْخُذُهُ تَنْتَقِي مِنْهُ وَتَنْتَخِبُ
فَانْتَقَتْ مِنْهُ طَرَائِفُهُ وَاسْتَزَادَتْ بَعْضَ مَا تَهَبُ^(٣)
قَدْ فَرَشَ بِسَاطِهَا. وَبَسَطَتْ أَنْمَاطِهَا. وَمَدَّ سَمَاطَهَا^(٤). وَقَوْمٌ

(١) أَثَارَتْنِي : حركتني من أَثَارَتِ الرِّيحِ الغبار هيجته والوليمة الدعوى للطعام .

(٢) أَفْضَى بِنَا السَّيْرِ : انتهى .

(٣) اى ان هذه الدار جامعة لأنواع المحاسن فكأنها خليت بالحسن وعرض
عليها أن تنتقى منه خياره وتنتخب أطايبه فأخذت طريفه اى حديثه وطلبت المزيد
على ذلك لتهبه غيرها .

(٤) الانماط : جمع مفردة نمط وهو غطاء الفرش وظهارته والسماط من الطعام

ما يمد عليه وجمعه سمط بضمين .

قَدْ أَخَذُوا الْوَقْتَ بَيْنَ أَسٍ مَخْضُودٍ وَوَرْدٍ مَنْضُودٍ وَدِنْ مَفْضُودٍ
وَنَائِيٍّ وَعُودٍ^(١) فَصَرِنَا إِلَيْهِمْ وَصَارُوا إِلَيْنَا^(٢). ثُمَّ عَكَفْنَا عَلَى خَوَانٍ
قَدْ مُلِئَتْ حَيَاضُهُ وَنُورَتْ رِيَاضُهُ. وَاصْطَفَّتْ جَفَانُهُ. وَاخْتَلَفَتْ
أَلْوَانُهُ^(٣). فَمِنْ حَالِكٍ بِإِزَائِهِ نَاصِعٌ^(٤). وَمَنْ قَانَ تَلْقَاءَهُ فَاقِعٌ. وَمَعْنَا
عَلَى الطَّعَامِ رَجُلٌ تَسَافِرُ يَدُهُ عَلَى الْخَوَانِ. وَتَسْفِرُ بَيْنَ الْأَلْوَانِ^(٥).
وَتَأْخُذُ وَجْوهَ الرُّغْفَانِ. وَتَتَفَقَّأُ عِيُونَ الْجَفَانِ^(٦). وَتَرَعَى أَرْضَ

(١) الأس ما تسميه العامة : الريحان، ومخضود : أى اتخذت منه أشكال للزينة
فتجمع وتثنى من غير كسر، وورد منضود : أى بعضه فوق بعض، والدين : وعاء
الخير، والنأى والعود نوعان من آلات اللهب والطرب .

(٢) أى استقبلونا وكل منا سار نحو رفيقه . (٣) الخوان المائدة قبل ان يكون
عليها طعام والجفان جمع جفنة وهى القصعة الكبيرة . (٤) حالك : أى اسود
شديد السواد وناصع ابيض شديد البياض والقانى الاحمر والفاقع : الاصفر
والمراد بيان اختلاف الالوان . (٥) أى أن هذا الرجل كان فى سرعة أكله
وامتداد يده الى البعيد عنه من أصناف الطعام يشبه المسافر، وسفر بين القوم
فهو سفيرهم أى مشى فى الصلح بينهم يشبه توفيقه بين المطاعم ومزجه بعضها
ببعض بمن يكون حاله ذلك .

(٦) الرغفان : جمع رغيف وهو ذو طاقين أحدهما يكون رقيقا سريع التناول
وهو الذى كان ذلك الرجل يبادر اليه والمراد أنه كان يسارع إلى أطايب
الماكولات حتى انه ليأخذ من الجفنة أحسنها وأفضلها .

الجيران^(١). وتَجُولُ فِي الْقِصْعَةِ. كَالرُّخِ فِي الرِّقْعَةِ^(٢). يَزْحَمُ بِاللُّقْمَةِ اللُّقْمَةَ. وَيَهْزِمُ بِالْمُضْغَةِ الْمُضْغَةَ. وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ سَاكِتٌ لَا يَنْبِسُ بِحَرْفٍ. وَنَحْنُ فِي الْحَدِيثِ نَجْرِي مَعَهُ حَتَّى وَقَفَ بِنَا عَلَى ذِكْرِ الْجَا حِظِّ وَخَطَابَتِهِ^(٣). وَوَصَفَ ابْنَ الْمُقَفِّعِ وَذِرَابَتَهُ^(٤). وَوَأَفَقَ أَوَّلُ الْحَدِيثِ آخَرَ الْخَوَانِ. وَزَلْنَا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ^(٥). فَقَالَ الرَّجُلُ : أَيْنَ أَنْتُمْ مِنَ الْحَدِيثِ الَّذِي كُنْتُمْ فِيهِ؟ فَأَخَذْنَا فِي وَصْفِ الْجَا حِظِّ

(١) أى انه لم يكن يتأدب ويراعى حقوق الذين معه بل كان يعدو على الذى أمامهم . (٢) الرخ : قطعة فى الشطرنج تسميها العامة (الطاييه) وهى تذهب وتجى فى نواح أربع لايفضلها الا (الفرز) . (٣) الجاحظ : هو أمام أهل الادب أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى صاحب التصانيف الممتعة والرسائل المبدعة المولود بالبصرة حوالى سنة ١٦٠، تربي حتى أصبح إماما فى كل فن فهو راوية، فيلسوف ، متكلم كاتب، مترسل، مؤرخ، شاعر، مصنف، عالم بالحيوان والنبات والجماد، له من أمهات كتب هذا الفن كتاب الحيوان وكتاب النبات وله غيرهما تأليفات كثيرة فى الأدب منها البيان والتبيين وكتاب البخلاء وكان سمحا جوادا كثير المواساة لآخوانه . (٤) هو أبو محمد عبد الله بن داؤويه المقفع: أحد فحول البلاغة وأساطينها وثانى اثنين مهذا للناس طريق الترسل ورفعا لهم معالم صناعة الانشاء أولهما : عبد الحميد بن يحيى .

(٥) أى أنه اتفق ان أول حديثنا عند انتهاء الأكل فتركنا مكاننا ونحن لم نتغلغل فى البحث والكلام .

ولسنه. وحسن سننه في الفصاحة وسننه. فيما عرفناه^(١). فقال:
ياقوم لكل عمل رجال. ولكل مقام مقال. ولكل دار سكان^(٢). ولكل
زمان جاحظ. ولو انتقدتم. لبطل ما اعتقدتم. فكله كشر له عن
ناب الإنكار^(٣). وأشم بانف الإكبار. وضحكت له لأجلب ما
عنده^(٤) وقلت: أفدنا. وزدنا. فقال: إن الجاحظ في أحد شقي
البلاغة يقطف. وفي الآخر يقف^(٥). والبلغ من لم يقصر نظمه
عن نثره. ولم يزر كلامه بشعره^(٦). فهل تروون للجاحظ شعراً

(١) اللسن ذلاقة اللسان وشدة انطلاقه في الحجة والحديث وسنن فلان بفتح
أوله طريقته، وبتثليته منهجه وسبيله .

(٢) أى أنه ليس من شأنكم أن تغامروا بأنفسكم في هذا الميدان لانكم لستم من
أبطاله . (٣) كشر له عن نابه أى أظهره وأبانه ويكون ذلك غالباً عند الضحك .

(٤) أى أننى لم انكر عليه كلامه كمن كان معى بل أظهرت له السرور لمقاله لأعلم
ما عنده . (٥) يقطف : يسير مسرعاً والمعنى انه لم يؤت البلاغة كلها لانه إذا
نثر أتى بالعجب العجاب وإذا شعر قصر نون الغاية .

(٦) أى وليس هذا من نعت البلغاء لان البليغ من برز في النوعين ولم يعجز عن
أحدهما .

رائعاً؟ قلنا : لا^(١). قال : فهلُموا إلى كلامه فهو بعيدُ
الإشارات^(٢). قليلُ الاستعارات^(٣). قريبُ العبارات^(٤). منقادُ
لعريانِ الكلامِ يستعملُهُ . نفورُ من معاصيه يهملُهُ^(٥). فهل سمعتم
له لفظةً مصنوعةً. أو كلمةً غيرَ مسموعةٍ؟ فقلنا : لا^(٦). قال :
فهل تُحبُّ أن تسمعَ من الكلامِ ما يخففُ عن منكبيكَ . وينمُّ على
ما في يديكَ؟ فقلتُ: أى والله. قال: فاطلقْ لي عن خنصرِكَ. بما

(١) أى هل تحفظون من كلام الجاحظ شعراً يروعكم سماعه أى يملك عليكم
قلوبكم . (٢) هلم : اسم فعل معناه تعال يستعمل هكذا للواحد والاثنين والجمع
والمذكر والمؤنث والمعنى : تعالوا ننظر فى كلامه والمراد النثر لانهم انتهوا من
الحكم على شعره وكونه بعيد الاشارة مما يقدر فى فصاحته .

(٣) قليل الاستعارات : أى ليس انفلاقه وعسر فهمه مبنيًا على استعمال
الاستعارة التى تحتاج لدقة فهم وإعمال فكر لانه يسلك الى الحقيقة دائما ولا
يجرى للاستعارة الا نادراً .

(٤) قريب العبارات : أى متقاربها وذلك يدل على نضوب معينه .

(٥) يقال : فلان يكسو الفاظه بالبلاغة اذا كان يأتى بها رائعة خلاصة : وهو
يقول: ان الجاحظ يجيء بالكلام عريان أى لا مسحة عليه من حسن السبك
والفصاحة . (٦) يسألهم عن كلام الجاحظ هل فيه كلمة لم ينقلها عن سواه
ليستدل بذلك على ما يقول .

يَعِينُ عَلَى شُكْرِكَ . فَنَلْتَهُ رَدَائِي . فَقَالَ :

لِعَمْرٍُ الَّذِي أَلْقَى عَلَى ثِيَابِهِ لَقَدْ حَشَيْتَ تِلْكَ الثِّيَابُ بِهِ مَجْدًا
فَتَّى قَمَرْتُهُ الْمَكْرُمَاتُ رَدَاءَهُ وَمَا ضَرَبْتَ قَدْحًا وَلَا نَصَبْتَ نَرْدًا (١)
اعْدُ نَظْرًا يَا مَنْ حَبَانِي ثِيَابَهُ وَلَا تَدْعِ الْأَيَّامَ تَهْدِمُنِي هَدًّا
وَقُلْ لِلأُولَى إِنْ أَسْفَرُوا أَسْفَرُوا ضَحَى

وَإِنْ طَلَعُوا فِي غَمَّةٍ طَلَعُوا سَعْدًا (٢)

صَلُّوا رَحِمَ الْعَالِيَا وَيُلُّوا لِهَاتَهَا فَخَيْرُ النَّدَى مَاسِحٌ وَابِلُهُ نَقْدًا (٣)
قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَارْتَاخَتْ الْجَمَاعَةُ إِلَيْهِ . وَانْتَالَتْ

(١) قامرته فقمرة أى غالبته فغلبته والمعنى ان المكارم غالبت هذا الرجل فغلبته فهو يصفه بالخضوع لسلطان الفضائل والانقياد لصولتها والسير تحت لوائها .
(٢) اسفروا كشفوا عن وجوههم والمراد ظهوروا . والغمة الكربة والظلمة والمعنى أي هذا الذى منحنى ثوبه جدد النظر فى حاجتى فلعله يظهر لك اننى أستحق عطية أخرى وهبة ثانية وقل لأصحابك الذين من صفتهم إنهم إذا ظهوروا ظهورا ظهور الضحى وإن طلوعوا فى كربة وظلمة طلوعوا الكوكب السعدى .

(٣) البيت كله مقول القول فى سابقه واللهاة الحلق وهو بفتح أوله ومثله اللها فاما بضم أوله فهو جمع معناه العطايا وفى المثل اللها تفتح اللها أى العطايا تطلق الالسنة بالمديح والمعنى امنحونى ما ترضى عنه العلياء ويتصل معها بنسب ويشفى برحاعها لانها عطشى مقطوعة القرابة فإذا فعلتم ذلك فقد تكفلتم لها بأقرباء يتصل بنسبهم وينسبها ويعينونها فى شدتها .

الصَّلَاتُ عَلَيْهِ^(١). وَقَلْتُ لِمَا تَأْتِسُنَا: مَنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذَا الْبَدْرِ؟
فَقَالَ:

إِسْكَندَرِيَّةٌ دَارِي لَوْ قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لَكِنَّ لَيْلِي بِنَجْدٍ وَبِالْحَجَازِ نَهَارِي^(٢)

(١) الصلاة بكسر أوله جمع صلة وهي المنحة والعطية وانثالت : انهالت وكثر رميها اليه .

(٢) المعنى أن شمس حياتي بزغت بالاسكندرية وأتمنى ألا أبرحها وألا يرميني الدهر بما يزعجني عنها (ومعنى التمني مأخوذ من لو) ولكن الدهر لا يجيبني إلى طلبى ولا يساعدننى على رغبتى بل يقذف بى فى الحجاز طورا وفى نجد تارة أخرى .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة المكفوفية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ أَجْتَازُ فِي بَعْضِ بِلَادِ
الْأَهْوَازِ . وَقَصَّارَايَ لَفْظَةً شَرُودُ أَصِيدُهَا . وَكَلِمَةٌ بَلِيغَةٌ
أَسْتَزِيدُهَا^(١) فَأَدَّانِي السَّيْرُ إِلَى رُقْعَةٍ فَسِيحَةٍ مِنَ الْبِلَادِ وَإِذَا هُنَاكَ
قَوْمٌ مُجْتَمِعُونَ عَلَى رَجُلٍ يَسْتَمْعُونَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْبِطُ الْأَرْضَ بَعْصًا
عَلَى إِيقَاعٍ لَا يَخْتَلَفُ^(٢) وَعَلِمْتُ أَنَّ مَعَ الْإِيقَاعِ لِحْنًا^(٣) . وَلَمْ أَبْعُدْ
لَأَنَالَ مِنَ السَّمَاعِ حَظًّا . أَوْ أَسْمَعَ مِنَ الْفَصِيحِ لَفْظًا^(٤) فَمَا زِلْتُ

(١) اجتاز . أسير وأمر ، والأهواز : بلاد بين البصرة وفارس تقدم تفصيلها ،
شرود : جموح نافرة لا تسكن ، والمعنى أنه كان يمر ببلاد الأهواز وغايته التي
يتمناها لفظه غريبة لم يسمع بها يستفيدها أو كلمة فصيحة يجعلها زيادة على
ما عنده .

(٢) أي أنه يردد خبط العصا ترديدا متناسبا لا فرق بين أوله وثانيه .

(٣) المعنى أنني ظننت أنه لا بد أن يكون هذا الترديد مصحوبا بغناء وتلحين
ناسب الملحن بينه وبينه .

(٤) أي أنني لم أذهب بعيدا لئلا يحرمني البعد من إحدى الفائدتين بل اقتربت
فان لم أستطع أن أعقل عنه التلحين لم يفتني لفظه الفصيح .

بِالنُّظَارَةِ أَزْحَمُ هَذَا وَأَدْفَعُ ذَاكَ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الرَّجْلِ^(١)
وَسَرَّحْتُ الطَّرْفَ مِنْهُ إِلَى حَزْقَةِ كَالْقَرْنَبِيِّ أَعْمَى مَكْفُوفٍ. فِي
شِمْلَةِ صُوفٍ. يَدُورُ كَالْخَذْرُوفِ^(٢) مُتَبَرِّسًا بِأَطْوَلَ مِنْهُ مُعْتَمِدًا
عَلَى عَصَا فِيهَا جَلَّاجٌ يَخْبِطُ الْأَرْضَ بِهَا عَلَى إِيقَاعِ غَنْجٍ. بِلَحْنِ
هَزَجٍ. وَصَوْتِ شَجٍ. مِنْ صَدْرِ حَرَجٍ^(٣). وَهُوَ يَقُولُ :

يَا قَوْمٌ قَدْ أَثْقَلَ دِينِي ظَهْرِي وَطَالَ بَتْنِي طَلْتِي بِالْمَهْرِ^(٤)
أَصْبَحْتُ مِنْ بَعْدِ غَنَى وَوَفْرِ سَاكِنٍ قَفْرٍ وَحَلِيفَ فَقْرٍ^(٥)

(١) النظارة : جمع ناظر وهم القوم المجتمعون عليه الناظرون اليه .

(٢) الحزقة القصير العظيم البطن والقرنبي احدى نواب الارض تشبه
الخنفساء. والشملة بفتح أوله ومثله المشمل والمشملة بكسر أولهما. كساء دون
القطيفة يديره الرجل على جسده والخذروف لعبة يجعل فيها الصبيان خيطا
ويديرونها به تشبه ما يسمى الآن (النحلة، المتخذة من الطين) وهى معروفة فى
بعض ريف مصر .

(٣) غنج : حسن، هزج: ذى ترنم ، شج : أى به آثار الحزن والاسى حرج :
ضيق .

(٤) الطلة : الزوجة، وانما تطلب الزوجة مهرها اذا كان زوجها لم يؤده اليها أو
طلقها وهى تطلب مؤجله ويدور بذهننا أن المعنى: أنها تطالبه بالطلاق لعسره
وضيق يده من اطلاق المسبب على السبب .

(٥) القفر: الارض المجدبة .

يا قوم هل بينكم من حُرٍّ يُعِينُنِي عَلَى صُرُوفِ الدَّهْرِ
يا قومُ قَدْ عِيلَ لِفَقْرِي صَبْرِي وانكشفتُ عَنِّي ذِيُولُ السُّتْرِ^(١)
وفضَّ ذَا الدَّهْرِ بِأَيْدِي البِتْرِ مَا كَانَ لِي مِنْ فَضَّةٍ وَتَبْرِ^(٢)
أَوِي إِلَى بَيْتِ كَقِيدِ شَبْرِ خَامِلَ قَدْرٍ وَصَغِيرَ قَدْرِ^(٣)
لَوْ خَتَمَ اللهُ بِخَيْرِ أَمْرِي أَعْقَبَنِي عَنْ عَسْرِ بَيْسْرِ
هَلْ مِنْ فَتَى فَيْكُمْ كَرِيمِ النَّجْرِ مُحْتَسِبٍ فِي عَظِيمِ الأَجْرِ^(٤)

(١) عيل : فقد، والمعنى أن الفقر وسوء الحال أفقدا تصبري وذهبا بتجلدي وكشفا أستارى .

(٢) البتر: القطع شبهه بإنسان له يد لكمال قدرته على التفريق وتمزيق الشمل ، والتبر : الذهب قبل سبكه والمعنى : أن الدهر فرق ما اجتمع لي من الذهب وصيرني مسكينا بائسا .

(٣) قدر بفتح أوله . مكانة ، والقدر بالكسر آنية الطبخ والمعنى أنني أسكن دار صغيرة لا تكفى في حال أنني غير مشهور ولا صيت لي وأنيته التي أطبخ طعامي فيها صغيرة وكل هذا كنايات عن شدة الفقر واضمحلال حاله .

(٤) النجر والنجار . الاصل ومحتسب: صانع لوجه الله غير منتظر جزاء والمعنى . اننى أتمنى أن يكون من بينكم رجل طيب الخيم كريم الاصل يسدى الى معروفه، ويصنع بي خيرا راجيا بذلك وجه الله اذا كان لا يريد أن يفعل لأشكره وأثنى عليه .

إِنْ لَمْ يَكُنْ مُغْتَمًّا لِلشُّكْرِ؟

قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ : فَرَّقَ لَهُ وَاللَّهِ قَلْبِي . وَاعْرُورِقْتُ لَهُ
عَيْنِي . فَنَلْتُهُ دِينَارًا كَانَ مَعِي . فَمَا لَبِثَ أَنْ قَالَ :

يَا حُسْنَهَا فَاقِعَةٌ صَفْرَاءُ مَمشُوقَةٌ مَنقُوشَةٌ قُورَاءُ^(١)

يَكَادُ أَنْ يَقْطُرَ مِنْهَا الْمَاءُ قَدْ أَثْمَرَتْهَا هَمَّةٌ عَلِيَاءُ^(٢)

نَفْسٌ فَتَى يَمْلِكُهُ السَّخَاءُ يَصْرِفُهُ فِيهِ كَمَا يَشَاءُ^(٣)

يَا ذَا الَّذِي يَعْنِيهِ ذَا النَّئَاءُ مَا يَتَقَصَّى قَدْرَكَ الْإِطْرَاءُ^(٤)

إِمضِ إِلَى اللَّهِ لَكَ الْجَزَاءُ^(٥)

(١) فاقعة : شديدة الصفرة، ممشوقة : خفيفة. قوراء : أراد مستديرة والضمير
للدينار باعتباره قطعة من الذهب .

(٢) أى انها لحسنها وجمال رونقها وبهائها يكاد الماء يتقاطر منها وقد كانت
من ثمرات رجل ذى همة عالية ومروعة عظيمة .

(٣) أى ان هذه الهمة هى نفس فتى من صفته ان الكرم يملك زمام اموره
فيجعله يتصرف فيها كيفما شاء الكرم .

(٤) توجه بالخطاب الى الذى منحه القطعة فنذكر له ان مقداره يعجز طوق
المادحين ويبلد قرائحهم فلا يستطيعون الوفاء له بحق الثناء .

(٥) اضاف جزاءه الى الله لانه الذى لا يعجزه شئ قى الارض ولا فى السماء
فهو وحده الذى يجزى هذا الممدوح بما يستحقه .

ورحِمَ اللهُ مَنْ شَدَّهَا فِي قَرْنِ مِثْلِهَا . وَأَنْسَهَا بِأَخْتِهَا . فَنَالَهُ
النَّاسُ مَا نَالُوهُ ثُمَّ فَارَقَهُمْ وَتَبِعْتُهُ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ مُتَعَامٍ لِسُرْعَةِ مَا
عَرَفَ الدِّينَارَ^(١) . فَلَمَّا نَظَمْتُنَا خَلْوَةً^(٢) مَدَدْتُ يَمْنَايَ إِلَى يُسْرَى
عَضْدِيهِ وَقُلْتُ : وَاللَّهِ لَتُرِيَنِّي سَرْكَ . أَوْ لَأَكْشِفَنَّ سِتْرَكَ . فَفَتَّحَ عَنْ
تَوَأْمَتِي لَوْزٍ^(٣) وَحَدَرْتُ لثَامَهُ عَنْ وَجْهِهِ^(٤) فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو
الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ . فَقُلْتُ : أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ ؟ فَقَالَ : لَا
أَنَا أَبُو قَلْمُونٍ فِي كُلِّ لَوْنٍ أَكُونُ^(٥)

- (١) أى انه ظهر لى انه غير مكفوف حقيقة بل هو يتصنع ذلك بدليل سرعة معرفته للدینار ووصفه له على الفور الصفات التي لا تنطبق على سواه.
- (٢) نظمنا: جمعنا، ومنه قيل للشعر : نظم، لانه يجمع الكلام المتناسب بعضه إلى بعض .
- (٣) التوأم فى اصل الوضع : الذى جاء مع غيره فى الولادة، واللوز معروف ، والتوأم فيه . ان يجتمع فى الواحدة لبان وأراد بهما عينيه ، وكنى بذلك عن صحتهما وتناسبهما .
- (٤) يقال : انحدر إذا نزل من أعلى إلى اسفل وارىد هنا مطلق الانتقال من مكان الى آخر .
- (٥) القلمون : ثوب يراعى عند نسجه أن يظهر فى عدة ألوان، والمعنى انه قلب لا يستقر على حال .

إِخْتَرُ مِنَ الْكَسْبِ دُونَاً فَإِنَّ دَهْرَكَ دُونَاً^(١)
زَجَّ الزَّمَانَ بِحُمُقٍ إِنَّ الزَّمَانَ زَبُونَاً^(٢)
لَا تُكْذِبَنَّ بِعَقْلٍ مَا الْعَقْلُ إِلَّا الْجُنُونُ^(٣)

(١) يقول : إن هذا الزمن دنى سافل يواتى الاخساء، ويقبل على السفلة، فاذا شئت ان تكون ذا وفر موسرا فاختر من الحرف ما كان دنيئا ليتناسب مع دهرك فيقبل عليك .

(٢) الزبون : الناقة التى تدفع حالبها برجليها، أو الحرب التى يدفع بعضها بعضا، والمعنى لا تطلبن من دهرك أن يسعفك بحاجتك فانه يدفع طالب الخير كالناقة التى تدفع حالبها بل دافعه بالحمق لتظهر عليه وتنال مأربك منه .

(٣) اى لا تصدق من يقول لك ان نوال اغراضك بالعقل فإنه ليس العقل الذى ينيك إلا الجنون .

المقامة البخارية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : أَحَلَّنِي جَامِعَ بُخَارَى يَوْمٌ وَقَدْ
 انْتَضَمْتُ مَعَ رُفْقَةٍ فِي سَمَطِ الثُّرَيَّا^(١) . وَحِينَ احْتَفَلَ الْجَامِعُ بِأَهْلِهِ
 طَلَعَ إِلَيْنَا ذُو طَمْرِينٍ قَدْ أُرْسِلَ صَوَانًا^(٢) . وَاسْتَتَلَى طِفْلًا
 عُريَانًا^(٣) يَضِيقُ بِالضَّرِّ وَسَعُهُ . وَيَأْخُذُهُ الْقُرُّ وَيَدْعُهُ^(٤) . لَا يَمْلِكُ
 غَيْرَ الْقَشِيرَةِ بُرْدَةً . وَلَا يَكْتَفِي لِحِمَايَةِ رَعْدَةٍ^(٥) . فَوْقَ الرَّجْلِ

(١) السمط: السلك ما دام فيه اللؤلؤ، والثريا : نجوم سبعة مجتمعة لا تفترق
 والمراد انهم متألفون متحابون لا يتصور فراقهم كما لا يتصور افتراق الثريا
 ويروى بدل سمط : سلك وهو ظاهر . (٢) ذو طمرين : اى رجل يلبس ثوبين قد
 أبلى الدهر جدتهما، والصوان وعاء الثوب وكنى بارساله عن عدم وجود شىء به
 (٣) استتلى : جعله تابعا . (٤) القر : شدة البرد .

(٥) القشرة : المراد بها الجلد ، والبردة : الثياب، والمعنى انه لا يجد ما يقى به
 جسده ويدفع عنه لفق الحر وزمهيرير البرد غير جلده، ولا يكتفى : أى لا يملك
 الكفاية التى تحميه من الرعدة وهى اصطكاك الاسنان وقشعريرة البدن من برد
 ونحوه .

وقال: لا ينظرُ لهذا الطِّفلِ إلَّا منِ اللهُ طفله، ولا يرقُّ لهذا الضُّرِّ إلَّا منْ لا يأمنُ مثله^(١). يا أصحابَ الجدودِ المفروزةِ. والارديّةِ المطروزةِ. والدُّورِ المنجدةِ. والقصورِ المشيدةِ^(٢). إنَّكم لنْ تأمنُوا حادثاً. ولنْ تعدمُوا وارثاً. فبادرُوا الخيرَ ما أمكن. وأحسنُوا معَ الدهرِ ما أحسنَ فقدُ واللهِ طعمنا السُّكَّاجَ. وركبنا الهملاجَ. ولبسنا الدِّيَّاجَ وافترشنا الحشايَا، بالعشايَا^(٣). فَمَا راعنا إلَّا هُبُوبُ الدهرِ بغدرِهِ. وانقلابُ المَجَنِّ لظهرِهِ^(٤). فعَادَ الهملاجُ قَطُوفاً. وانقلبَ الدِّيَّاجُ صُوفاً^(٥). وهلمَّ جرّاً إلى ما تشاهدونَ منْ

(١) المعنى ان الشفقة على هذا الطفل العريان إنما تدخل قلب امرئ له أطفال

قد أشرب الله قلبه حبهم ولا يرحمه إلا انسان يعلم ان الدهر لا يدوم .

(٢) الخروز : الثياب تنسج من حرير او منه ومن الصوف . والاردية الاكسية،

والمطروزة المعلمة، والمنجدة المزخرفة، والمشيدة اى المرفوعة .

(٣) السكجاج: لحم يطبخ بالخل ويجعل معه مرق، والهملاج : الدابة السريعة فى

سيرها، والديجاج الحرير، والحشايَا الوسادة المحشوة للجلوس عليها تشبه ما

يسمى الآن (شلتته) .

(٤) راعنا : افزعنا، والمعنى اننا كنا مترفين كما وصفت لكم فلم نشعر الا وقد

حاربنا الدهر وأثار علينا غدره ورمانا بشره .

(٥) القطوف : الدابة البطيئة فى سيرها والمعنى ان كل شئ قد تبدل وحال عما

كان عليه .

حالى وزبى. فها نحن نرتضع من الدهر ثدى عقيم. وركب من
 الفقر ظهر بهيم^(١). فلا نرنو إلا بعين اليتيم. ولا نمد إلا يد
 العديم^(٢) فهل من كريم يجلو غياهب هذه البؤوس. ويفل شبا
 هذه النحوس^(٣). ثم قعد مرتفقا^(٤) وقال: للطفل: أنت وشأنك.
 فقال: ما عسى أن أقول وهذا الكلام لو لقي الشعر لطقه. أو
 الصخر لفلقه. وإن قلباً لم ينضجه ما قلت لنىء وقد سمعتم
 يا قوم. ما لم تسمعوا قبل اليوم. فليشغل كل منكم بالجو يد.

(١) العقيم المرأة التي لا يولد لها ومن كانت هذه حالها لا يدر ثديها فلا ينتفع
 بها رضيع فهو كناية عن ان الدهر لا يجود عليهم وانهم لا يحصلون من سعيهم
 على طائل منه، والبهيم الذى كل لونه اسود لا يشوبه بياض ومنه قولهم: ليل
 بهيم اذا اشتدت ظلمته والمراد ان الدهر ألزمهم حالة واحدة .

(٢) اليتيم الصغير بعد موت ابيه وعادته ان ينكسر قلبه ويحزن فواده فاذا نظر
 الى النعمة على غيره فبعين كسيرة . والعديم: المعدم الذى لا يجد شيئاً فاذا هو
 مد يده فانما يمدها مستجبدا لا عاطيا ومستميحا لا مانحا .

(٣) يجلو: ينير، غياهب: ظلمات شبه الفقر والاملاق لليل اشتدت ظلمته
 استعارة مكنية واسند الظلمات للبؤوس تخيلا، ويفل: يكسر، والشبا: جمع
 شباة وهى سن الرمح او هى حد كل شىء .

(٤) مرتفعا بعين مهملة اى فى مكان عال ويروى مرتفقا بمثناة فوقية ومعناه
 مستندا الى مرفقيه وقال للطفل تحدث أنت عن شأنك وصف لهم حالك .

وليذكرُ غدهُ. واقياً بيَ ولدهُ . وانكروني أذكركمُ. وأعطوني
أشكركمُ. قالَ عيسىُ بنُ هشامٍ : فما أنسني في وحدتي إلا
خاتمُ ختمتُ بهِ خنصره^(١) فلما تناوله أنشأ يصفُ الخاتمَ على
الإصبعِ وجعلَ يقولُ :

بقلادةِ الجوزاءِ حسناً ^(٢)	وممنطقٍ من نفسه
ب فضمةٍ شغفاً وحزناً ^(٣)	كمتيمٍ لقي الحبيب
رتيه على الأيامِ خدناً	متألفٍ من غير أسد
لكن من أهداه أسنى ^(٤)	علق سنى قدره

(١) يقول انه لم يجد حينذاك الا خاتما جعله فى اصبعه الخنصر وقد جعل المال
كالصديق الذى يؤنسك إذا نفردت ويسليك إذا شجيت ويروح عنك إذا تأملت .
(٢) المنطقة حزام يشد به الوسط فيدور حوله والفعل منه انتطق إذا لبسها،
والقلادة نوع من الحلى تتخذ فى الصدور، والجوزاء : مجموع كواكب ولما كان
الخاتم ليس له منطقة خارجة عن ذاته قال ان الدائرة التى اتخذها من نفسه .
(٣) المتيم : الذى شفه الغرام ونزل به الوجد والشغف: شدة الحب وهو الذى
يحل بشغاف القلب والفعل منه شغف بوزن منع ومنه قوله تعالى : قد شغفها
حبا واذا كان المحب حين يلقى حبيبه مسلما أو مودعا يضمه الى نفسه حتى
ليخيل للناظر انهما واحد فقد شبه تضام الاصبع الى الخاتم بهذه الهيئة .
(٤) العلق : النفيس الغالى من كل شئ. سنى : اى رفيع عظيم . يقول ان هذا
الخاتم جميل الرواء رفيع القدر نفيس غير ان ذلك الذى قدمه الى ارفع منه قدرا.

أَقْسَمْتُ لَوْ كَانَ الْوَرَى فِي الْمَجْدِ لَفُظًا كُنْتُ مَعْنَى
قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنَلْنَاهُ مَا تَاحَ لَنَا مِنَ الْفَوْرِ . فَأَعْرَضَ
عَنَّا حَامِدًا لَنَا . فَتَبِعْتُهُ حَتَّى سَفَرَتِ الْخَلْوَةُ عَنْ وَجْهِهِ . فَإِذَا هُوَ
وَاللَّهِ شَيْخُنَا أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ . وَإِذَا الطَّلَا زَغْلُولُهُ . فَقُلْتُ^(١) :
أَبَا الْفَتْحِ شَبَبْتُ وَشَبَّ الْغَلَامُ فَأَيْنَ السَّلَامُ وَأَيْنَ الْكَلَامُ^(٢)
فَقَالَ :

غَرِيبًا إِذَا جَمَعْتَنَا الطَّرِيقُ أَلِيفًا إِذَا نَظَمْتَنَا الْخِيَامُ^(٣)
فَعَلِمْتُ أَنَّهُ يَكْرَهُ مَخَاطَبَتِي فَتَرَكْتُهُ وَانصَرَفْتُ

(١) الطلا . ولد الظبية ساعة يولد والصغير من كل شئ ومثله الطلو وجمعه
اطلاء وطلاء وطفى وطليان كرغفان وغربان ، وزغلوله : ولده .
(٢) أى انك لم تفاتحنى الحديث ولم تقرئنى السلام ولم تسامرنى كعادتك مع
أنك قد بلغت سنا لا يعذر فيه من نسى رفقته وأهمل واجب خلانه .
(٣) أراد الاعتذار له عن تركه سنة الصداقة وواجب الاخوة بأنه اعمد ذلك لئلا
يفتضح حاله للناس فقال : نحن إنما نتعارف ونتذاكر حلو الاحاديث ولذيذ
الاسمار حينما نكون بنجوة من الناس فى موطننا وخيامنا فأما هنا فى الطريق
فلا سبيل لغير انكارك .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة القزوينية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : غزوتُ الثَّغَرِ بِقَزْوِينَ (١) سنةَ
خَمْسٍ وَسَبْعِينَ . فِيمَنْ غَزَاهُ . فَمَا أَجَزْنَا حَزْنًا . إِلَّا هَبَطْنَا بَطْنًا (٢) .
حَتَّى وَقَفَ الْمَسِيرُ بِنَا عَلَى بَعْضِ قُرَاهَا . فَمَالَتِ الْهَاجِرَةُ بِنَا إِلَى
ظِلِّ أَثَلَاتٍ (٣) . فِي حُجْرَتِهَا عَيْنُ كِلْسَانَ الشَّمْعَةِ (٤) . أَصْفَى مِنْ
الدَّمْعَةِ . تَسِيحٌ فِي الرُّضْرَاضِ . سِيحَ النَّضْنِاضِ (٥) فَنَلْنَا مِنْ

(١) قزوين إحدى بلاد الديلم . (٢) أجزنا : قطعنا، والحزن ما ارتفع من
الارض وغلظ، والبطن: المنخفض السهل والمعنى أننا كنا نعلو تارة ونسفل أخرى
ونرتفع أحيانا وننخفض أخرى لان الطريق لم تكن واحدة بل كانت كثيرة
المنخفضات والمرتفعات . (٣) الهاجرة : شدة الحر وقد هجر تهجيرا إذا سار
فيها وأثلات جمع أثلة وهي شجرة عالية وريفة الظل . (٤) يقال : كذا في حجرة
كذا إذا كان قريبا منه والمعنى أن بجوار هذه الاشجار عينا ماؤها يشبه لسان
الشمعة أى ضوءها فى الصفاء والبريق . (٥) الرضراض : الارض ذات
الحجارة الصغيرة والحصا، والنضناض : الحية التى تتلوى دائما والمعنى أن
هذه العين تسيل على الارض وتتلوى فوقها كما تتلوى تلك الحية .

الطَّعَامِ مَا نَلْنَا. ثُمَّ مَلْنَا إِلَى الظِّلِّ فقلْنَا^(١). فَمَا ملكْنَا النَّوْمَ حَتَّى
 سمعْنَا صوتاً أنكرَ من صوتِ حمارٍ. ورجعاً أضعفَ من رجعِ
 الحوَارِ^(٢). يشفعُهُمَا صوتُ طبلٍ كأنَّهُ خَارُجٌ من ماضغَى أسدٍ^(٣).
 فذادَ عن القومِ. رائدَ النَّوْمِ^(٤). وفتحتُ التوأمَتينِ إليه وقدَ حالتِ
 الأشجارُ دُونَهُ^(٥). وأصغيتُ فإذا هُوَ يقولُ : على ايقاعِ الطُّبُولِ :
 أدعو إلى الله فهلَ من مُجيبٍ إلى ذرّاً رحبٍ ومرعى خصبٍ^(٦)
 وجنةٍ عاليةٍ مَاتَنِي قُطوفُهَا دَانِيَةً مَا تَغيبُ^(٧)

(١) قال يقيل قبولة نام عند القائلة وهى وقت الظهيرة .

(٢) الحوار ولد الناقة ورجعه سيره والمراد أنه سمع صوتا شديدا وسيرا خفيفا.

(٣) يشفعهما : يجعلهما اثنين. وهما فى الحقيقة شيئان ولكنه فرضهما واحدا

لصدورهما عن شخص واحد وقد شبه صوت الطبل فى جهارته وشدته بصوت

الاسد . (٤) زاد : منع، والرائد : الرجل يسبق القافلة ليختبر لها خصب الارض

وصلاحها للسير وفى الحديث (والرائد لا يكذب أهله) وجرى مجرى المثل .

(٥) التوأمَتين : العينين لانهما متشابهتان فكأنهما ولدا معا . (٦) الذرى :

الناحية والجهة، والرحب : الواسع ، والخصيب . المرعى كثير العشب والكلاء،

والمعنى : أنا أدعو لدين الله وهو الناحية المتسعة والمربع الخصيب فهل يتبعنى

أحد منكم . (٧) ونى، ينى : تأخر أو قصر أو ابتعد والقطوف : المراد بها الثمار

والمعنى أن هذه الجنة التى أدعو إليها كثيرة الثمار مع قربها وعدم تخلفها عن

يكون فيها ممن يجيبون الدعوة إلى الله فى هذه الحياة .

يَا قَوْمُ أُنِّي رَجُلٌ تَائِبٌ مِنْ بَلَدِ الْكُفْرِ وَأَمْرِي عَجِيبٌ^(١)
 إِنَّ أَكْ أَمَنْتُمْ فَكَمْ لَيْلَةً جَحَدْتُ رَبِّي وَأَتَيْتُ الْمُرِيبَ^(٢)
 يَا رَبَّ خَنْزِيرٍ تَمْشَشْتُهُ وَمُسْكَرٍ أَحْرَزْتُ مِنْهُ النَّصِيبَ^(٣)
 ثُمَّ هَدَانِي اللَّهُ وَانْتَاشَنِي مِنْ ذَلَّةِ الْكُفْرِ اجْتِهَادُ الْمُصِيبِ^(٤)
 فَظَلْتُ أَخْفِي الدِّينَ فِي أَسْرَتِي وَأَعْبُدُ اللَّهَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ^(٥)
 أَسْجُدُ لِللَّاتِ حِذَارَ الْعِدَى وَلَا أَرَى الْكَعْبَةَ خَوْفَ الرَّقِيبِ^(٦)
 وَأَسْأَلُ اللَّهَ إِذَا جَنَّنِي لَيْلٌ وَأَضْنَانِي يَوْمَ عَصِيبٍ^(٧)

(١) تائب : راجع يؤيده روايتها فى بعض النسخ تائب بالثاء المتثثة .

(٢) جحدت ربي : أنكرته ولم أومن به . والمريب الذى يتسلط عليك بالشكوك والالوهام أو الذى تفعله وأنت ترتاب فيه .

(٣) تمششته : أكلت مشاشه والمشاش جمع مشاشة وهى العظمة اللينة .

(٤) انتاشه : أخرجه .

(٥) قلب منيب : معترف بربوبيته سليم .

(٦) اللات : اسم صنم، واراد من الكعبة جهة القبلة أى أنه ما كان يتوجه إليها خشية الرقباء من قومه وعشيرته وجعلهم عدى لمعاداتهم له فى الدين .

(٧) جنه الليل : ستره وأخفاه عن العيون .

رَبِّ كَمَا أَنَّكَ أَنْقَذْتَنِي فَنجَّني إني فيهم غريب^(١)
 ثُمَّ اتَّخَذْتُ اللَّيْلَ لِي مَرْكَبًا وماسوي العزم أمامي جنيب^(٢)
 فَقَدَكَ مِنْ سِيرِي فِي لَيْلَةٍ يكاد رأس الطفل فيها يشيب^(٣)
 حَتَّى إِذَا جَزَتْ بِلَادَ الْعَدَى إلى حمى الدين نفضت الوجيب^(٤)
 فَقُلْتُ إِذْ لَاحَ شَعَارُ الْهُدَى نصر من الله وفتح قريب
 فَلَمَّا بَلَغَ هَذَا الْبَيْتَ قَالَ : يَا قَوْمُ وَطِئْتُ دَارَكُمْ بِعِزِّ لََا الْعِشْقُ
 شَاقَهُ^(٥) . وَلَا الْفَقْرُ سَاقَهُ . وَقَدْ تَرَكْتُ وِرَاءَ ظَهْرِي حِدَائِقَ وَأَعْنَابًا .
 وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا^(٦) . وَخِيَلًا مُسَوِّمَةً^(٧) . وَقِنَاطِيرَ مُقَنْطَرَةً . وَعُدَّةً

(١) أى أنه كان يدعو الله أن ينجيه منهم ويتم نعمته عليه التي أولها إنقاذه من دينهم . (٢) ركب الليل : أى فيه والجنيب الناقة التي يأخذها المسافر جوار ناقته ليركبها إذا تعبت الأولى ، وقد استعارها لعزمه دلالة على أنه كان دائم العزيمة ثابتها . (٣) قدك أى : يكفيك . (٤) الوجيب : خفقان القلب واضطراب دقاته من خوف أو فزع أو نحوهما ، ونفضه : طرحه كأنه شئ يلفظ ويرمى به وذلك تمثيل لشدته وهوله حتى أنه ليكاد يكون كذلك . (٥) شاقه : هيجه وأثاره ، والمعنى : أننى لم أنزل بلادكم مشوقا بدواعى العشق ولا مسوقا بالرغبة فى الغنى .
 (٦) الكواعب : الجوارى اللائى برز ثديهن ، أترابا : متشابهات فى السن لدات .
 (٧) مسومه : معلمه .

وعديداً. ومراكبَ وعبيداً. وخرجتُ خُرُوجَ الحَيَّةِ مِنْ جُحْرِهِ.
 وبرزتُ بُرُوزَ الطَّائِرِ مِنْ وَكْرِهِ^(١). مُؤَثراً دِينِي عَلَى دُنْيَايَ^(٢).
 جَامِعاً يَمْنَايَ إِلَى يَسْرَايَ^(٣). وَاصِلاً سِيرِي يُسْرَايَ^(٤). فَلَوْ دَفَعْتُمُ
 النَّارَ بِشَرَارِهَا. وَرَمَيْتُمُ الرُّومَ بِحِجَارِهَا. وَأَعْنَتُمُونِي عَلَى
 غَزْوِهَا^(٥) مُسَاعِدَةً وَإِسْعَاداً. وَمُرَافِدَةً وَإِرْفَاداً. وَلَا شَطَطَ فَكُلُّ
 عَلَى قَدْرِ قُدْرَتِهِ. وَحَسَبِ ثَرْوَتِهِ^(٦). وَلَا أَسْتَكْثِرُ الْبَدْرَةَ. وَأَقْبَلُ
 الذَّرَّةَ. وَلَا أَرُدُّ التَّمْرَةَ^(٧). وَلِكُلِّ مَنِّي سَهْمَانِ سَهْمُ أَذْلَقِهِ لِلْقَاءِ.

(١) برزت : ظهرت، وكر الطائر : عشه .

(٢) مؤثراً : مفضلاً . (٣) كناية عن عدم وجود شئٍ فيها يريد بذلك الدلالة على
 إطلاقه يديه علامة الفقر. (٤) السرى بالضم مقصوراً : سير الليل أو أوله
 خاصة ، والسير عام. ولكنه أراد به خصوص السير بالنهار والمعنى جاعلاً وقتي
 كله سيرا مبادرة إلى الهرب والنجاة منهم .

(٥) يطلب منهم أن يمكنوه من غزو بلاد الروم وهو رومي فكأنهم حين يساعدونه
 على ذلك قد دفعوا النار بشرارها وهي من جنس النار والفقرة الثانية من قولهم:
 ارم فلاناً بحجره أى بضريبه وقريبه .

(٦) الشطط : مجاوزة الحد، والمعنى : أنه لا يريد منهم فوق الطاقة ولا مالا
 يستطيعونه . (٧) البدره الف درهم أو أكثر والذرة النملة الصغيرة أو الجزء من
 الهباء ويضرب بها المثل فى الحقايرة والقلة .

وَأَخْرُ أْفَوْقَهُ بِالذُّعَاءِ^(١). وَأَرْشُقُ بِهِ أَبْوَابَ السَّمَاءِ. عَنْ قَوْسِ
الظُّلْمَاءِ. قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَاسْتَفَزَّنِي رَائِعُ الْفَاضِلِ^(٢).
وَسَرَوْتُ جَلْبَابَ النَّوْمِ^(٣). وَعَدَوْتُ إِلَى الْقَوْمِ^(٤). فَإِذَا وَاللَّهِ شَيْخُنَا
أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ بِسَيْفٍ قَدْ شَهَرَهُ. وَزِيٌّ قَدْ نَكَرَهُ^(٥). فَلَمَّا
رَأَى غَمَزَنِي بِعَيْنِهِ^(٦) وَقَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَعَانَنَا بِفَاضِلِ ذِيهِ.

(١) يقال : ذاق السهم إذا حده، وفوقه إذا أعده للرمى والمراد باللقاء غزو
الروم والمعنى أن من أعاننى بما طلبت أكافئه بان أقوم له بالاستعداد لنصرته
على عدوه فأنفعه عاجلا ويأمن أدعو له الله فأنفعه آجلا .

(٢) استفزنى : استهوانى واستخفنى ، رائع : عجيب . بديع .

(٣) سروت : ألقيت . خلعت، والجلباب : ما يلبس فوق الثياب وأضافته الى النوم
من اضافة المشبه به للمشبه كما فى قولهم : ذهب الاصيل ، ولجين الماء،
والتماثل بينهما أن كل واحد منهما يعم البدن .

(٤) عدوت : أسرع .

(٥) شهره : رفعه ، والزى : الهيئة وأراد بقوله : نكره أنه غيره وأخفى نفسه
تحت زى لا يعرفه فيه أحد .

(٦) أى أشار إلى إشارة خفية لأتستر عليه ولا أظهر أمره .

وَقَسَمَ لَنَا مِنْ نَيْلِهِ. ثُمَّ أَخَذَ مَا أَخَذَ وَخَلُوتُ بِهِ فَقُلْتُ: أَنْتَ مَنْ
أَوْلَادِ النَّبِيطِ؟ فَقَالَ: (١)

أنا حال من الزَّما	نِ كحَالِي مَعَ النَّسَبِ (٢)
نسبِي فِي يَدِ الزَّما	نِ إِذَا سَامَهُ انْقَلَبَ (٣)
أنا أُمسَى مِنَ النَّبِيطِ	طِ وَأُضْحِي مِنَ الْعَرَبِ (٤)

(١) النبيت ككلمة العجم : يطلقها العرب على كل من ليس عربيا وعلى هذا قال
أبو العلاء المعري :

أبن امرؤ القيس والعداري إذ مال من تحته الغبيط

استعجم العرب في الموامى بعدك واستعرب النبيت

والموامى جمع موماة وهى الصحراء . وقيل : هو خاص بالاطلاق على جيل
كانوا ينزلون بالبطحاء بين العراقيين .

(٢) تشبيهه مقلوب يريد أن حاله فى انتسابه مثل حال الزمان فكما أن الدهر
سريع التقلب لا يدوم على حال واحدة ولا يبقى فى زى واحد فكذلك هو .

(٣) أى أن الزمان قد امتلك زمام نسبه يصرفه كيف شاء فهو ينتسب طواعية
للزمن وحسبما يريد وإضافة اليد للزمان تخييل لتشبيهه بالانسان المتصرف
الكامل القدرة .

(٤) أراد أنه يتغير دائما فالاصباح والامساء ليس مرادا بهما معناهما الاصلية
بل التحول فى مطلق زمان .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الساسانية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : أَحَلَّتْنِي دِمَشْقَ بَعْضُ
أَسْفَارِي^(١) فَبِينَا أَنَا يَوْمًا عَلَى بَابِ دَارِي . إِذْ طَلَعَ عَلَيَّ مِنْ بَنِي
سَاسَانَ كَتِيبَةٌ قَدْ لَفُّوا رُؤُوسَهُمْ^(٢) . وَطَلَّوْا بِالْمَغْرَةِ لِبُوسَهُمْ^(٣) .
وَتَأَبَّطَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ حَجْرًا يَدُقُّ بِهِ صَدْرَهُ^(٤) . وَفِيهِمْ زَعِيمٌ لَهُمْ
يَقُولُ وَهُمْ يُرَاسِلُونَهُ^(٥) . وَيَدْعُو وَيُجَاوِبُونَهُ . فَلَمَّا رَأَى قَالَ :
أُرِيدُ مِنْكَ رَغِيفًا يعلُو خُونًا نَظِيفًا^(٦)

- (١) بعض فاعل أحل، وأسند الاحلال للسفر لانه السبب فيه والداعى اليه .
(٢) الكتيبة الجماعة من الجيش وأراد بها هنا مطلق الجماعة، وبنو ساسان
المراد بهم الشحانون والمتسولون .
(٢) طلا الشيء بالشيء جعله له طلاء أى دهن ظاهره به والمغرة طين أحمر
يجعل صبغا والمراد أنهم أشاروا بذلك الى مسكنتهم وسوء حالهم .
(٤) تأبط جعله تحت ابطه ليدق به صدره أى يضرب عليه به وهذه احدى عوائد
المتسولين ليستنزوا الرحمة من قلوب الناس عليهم وليكون أدعى الى الاشفاق
بهم . (٥) زعيم القوم : رئيسهم ، ويراسلونه: يتابعونه .
(٦) الخوان المائدة قبل وضع الطعام عليها .

أُرِيدُ مِلْحًا جَرِيشًا	أُرِيدُ بَقْلًا قَطِيفًا ^(١)
أُرِيدُ لَحْمًا غَرِيضًا	أُرِيدُ خَلًّا ثَقِيفًا ^(٢)
أُرِيدُ جَدِيًّا رَضِيعًا	أُرِيدُ سَخْلًا خَرُوفًا ^(٣)
أُرِيدُ مَاءً بِتَلْجٍ	يَغْشَى إِنَاءً طَرِيفًا
أُرِيدُ دَنًّا مُدَامٍ	أَقُومُ عَنْهُ نَزِيفًا ^(٤)
وَسَاقِيًّا مُسْتَهْشًا	عَلَى الْقُلُوبِ خَفِيفًا ^(٥)
أُرِيدُ مِنْكَ قَمِيصًا	وَجِبَّةً وَنَصِيفًا ^(٦)
أُرِيدُ نَعْلًا كَثِيفًا	بِهَا أَزُورُ الْكَنْيفًا ^(٧)

(١) البقل : ما يأكله الناس أثناء طعامهم كالمقدونس مثلا، وقطيفا : أى ورقا بلا جذر ليكون أذعى إلى النظافة .

(٢) لحم غريض : طرى ، وخل ثقيف : شديد الحموضة .

(٣) السخل : ولد الضأن، وأبدل منه خروفا ليدل على أنه أرادته ذكر لأن لحم الذكر من الضأن أطيب من لحم أنثاه .

(٤) نزيفا : سكران .

(٥) مستهشا : سريع الطرب ، خفيف الحركة ، كثير الدعابة .

(٦) القميص والجبة : معروفان ، والنصيف : العمامة .

(٧) نعلا كثيفا : ثخيناً وبها يروى .

أُرِيدُ مَشْطًا وَمُوسَى أُرِيدُ سَطْلًا وَلَيْفًا^(١)
يَا حَبِّذَا أَنَا ضَيْفًا لَكُمْ وَأَنْتَ مُضَيْفًا^(٢)
رَضِيْتُ مِنْكَ بِهَذَا وَلَمْ أُرِدْ أَنْ أَحِيفًا^(٣)

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنُلِثُهُ دَرَهْمًا وَقُلْتُ لَهُ : قَدْ أَذَنْتُ
بِالدَّعْوَةِ وَسَنَعُدُّ وَنَسْتَعِدُّ^(٤) . وَنَجْتَهُدُ وَنَجِدُّ . وَلَكَ عَلَيْنَا الْوَعْدُ مِنْ
بَعْدِ^(٥) وَهَذَا الدَّرَاهِمُ تَذَكْرَةٌ مَعَكَ فَخَذِ الْمَنْقُودَ . وَانْتَظِرِ الْمَوْعُودَ .
فَأَخَذَهُ وَصَارَ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ ظَنَنْتُ أَنَّهُ يَلْقَاهُ بِمِثْلِ مَا لَقَيْتَنِي^(٦) .
فَقَالَ :

- (١) السطل : أناء يوضع الماء فيه معروف عند العامة والمراد أدوات النظافة .
(٢) المضيف : صاحب الدار الذي يكون عنده الضيف يقول : إذا قبلتني عندك
ضيفا فنعم الضيف أنا ونعم صاحب الدار أنت .
(٣) أحيف : أجور أو أشق عليك يعنى أننى أقتنع منك بهذا القدر من الكرامة
وما أحب أن أثقل كاهلك بالمطالب .
(٤) أذنت بالدعوة : أعلمتك بها ورضيتك ضيفا وسنعد : بمعنى نهى لك ما
طلبت . ونستعد : نتهيا لملاقاتك واستقبالك .
(٥) أى : لا يكن طمعك فى استدعائنا إياك اليوم فانتظره وخذ الآن هذا الدرهم
لتتذكرنا به .
(٦) أى أننى توهمت أنه حفظ هذا الكلام فهو يقوله لكل من لقيه .

يَا فَاضِلًا قَدْ تَبَدَّى كَأَنَّهُ الْغُصْنُ قَدَاً^(١)
قَدْ اشْتَهَى اللَّحْمَ ضَرِسِي فَاجْلِدُهُ بِالْخَبِزِ جَلْدَاً^(٢)
وَأَمُنُّنْ عَلَىٰ بِشَىءٍ واجعله للوقتِ نقدَاً^(٣)
أَطْلِقْ مِنَ الْيَدِ خَصْرًا وَأَحْلُلْ مِنَ الْكَيْسِ عَقْدَاً
وَأَضْمُمْ يَدَيْكَ لِأَجْلِي إِلَىٰ جَنَاحِكَ عَمْدَاً
قَالَ عِيسَىٰ بْنُ هِشَامٍ : فَلَمَّا فَتَقَ سَمِعَىٰ مِنْهُ هَذَا الْكَلَامَ عَلمِتُ
أَن وِراءَهُ فَضِلًا^(٤) فَتَبِعْتُهُ حَتَّىٰ صَارَ أَلَىٰ أُمَّ مِثْوَاهُ^(٥) . وَوَقَفْتُ مِنْهُ

(١) تبدى : ظهر . قدا : قامه وهذه اللفظة تمييز ومن عادتهم أن يشبهوا القامة بالغصن في اعتداله قال الشاعر وفيه اللف والنشر .

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال قدا ولحظا وردفا

(٢) يقول : أن ضرسي قد أجرم جرما فظيعا بأشتهائه اللحم وان لم يذق فأصبح يستحق العقوبة فأدعا أنت بأن تجلده بالخبز، وقد أبدع جدا في هذه الحيلة لطلب الخبز . (٣) نقدا : حالا والمعنى لا تؤخر منتك فخير البر عاجله .

(٤) فتق سمعى : خرقها كانما كانت رتقاء . وفضلا . بقية .. والمعنى أنني حينما سمعت كلامه ورأيت أنه يذكر لكل واحد نوعا من فصيح القول وبارع الأسلوب أيقنت أن لهذا المقال بقية وأنه لم ينضب معينه ولم تنفذ كلماته .

(٥) المثنوى : الإقامة . وأم مثواه : كناية عن أمراته لأنها موجودة حيث يقيم أو لأنها التي تحمله على الإقامة .

بحيث لا يرانى وأراه. وأمّا السّادة لثّمهم^(١) فإذا زعيمهم أبو
الفتح الإسكندريّ. فنظرت إليه وقلت: ما هذه الحيلة ويحك؟
فأنشأ يقول:

هذا الزّمان مشومٌ	كما تراه غشومٌ ^(٢)
الحمق فيه مليحٌ	والعقل عيبٌ ولومٌ ^(٣)
والمال طيفٌ ولكنّ	حول اللّئام يحومٌ ^(٤)

(١) أماط : أزاح . لثّمهم : جمع لثام وهو ما يغطى الوجه .

(٢) مشوم : أى جالب للشؤم أت بالنس، وغشوم : قاس . ظالم . شديد عات .

(٣) الحمق : الغباوة وضعف العقل ، ولوم : مخفف لؤم مهموزا والمعنى أن
الجهالة وضعف المدارك أمر مستحسن مقبول فى زمننا هذا والعقل منقصه
ومذمة :

كم عالم عالم أعتت مذاهبه وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

هذا الذى ترك الاوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا

(٤) الطيف : الخيال الذى يمر بك فى نومك . ويحوم : يدور والمعنى أن المال
سريع فى انتقاله سرعة الطيف وشيك التحول كثير التردد ولكنه إنما يدور على
اللئام ويقع لدى الخبيثين ، فمن شاء أن يثرى أو يكون ذا بسطة من المال فليس
له إلا أن يتصف بصفاتهم ويتخلق بأخلاقهم .

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنم الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة القردية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا أَنَا بِمَدِينَةِ السَّلَامِ^(١) . قَافِلًا
مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ^(٢) . أَمِيسُ مِيسَ الرَّجْلَةِ^(٣) . عَلَى شَاطِئِ الدَّجْلَةِ^(٤)
أَتَامَلُ تِلْكَ الطَّرَائِفَ . وَأَتَقْصِي تِلْكَ الزَّخَارِفَ^(٥) . إِذِ انْتَهَيْتُ إِلَى
حَلْقَةِ رِجَالِ مَزْدَحْمِينَ يَلْوِي الطَّرْبُ أَعْنَاقَهُمْ وَيَشُقُّ الضَّحْكَ
أَشْدَاقَهُمْ^(٦) . فَسَاقَنِي الْحَرَصُ إِلَى مَا سَاقَهُمْ . حَتَّى وَقَفْتُ

(١) مدينة السلام هي بغداد .

(٢) قافلا راجعا وآيبا، والبيت الحرام المراد مكة .

(٣) أميس: أتبختر في مشيتي، والرجلة نوع من البقل تنبت في مجرى السيل
وتسارع في الكبر فيأتيها الماء فيقتلعها وبها يضرب المثل في الحمق وتسمى
البقلة الحمقاء .

(٤) الدجلة نهر بغداد هو والفرات صنوان .

(٥) الطرائف: جمع طريفة وهي الأمر الجميل المستحدث ومثلها الطرفة بضم أوله
واتقصى : أبالغ في البحث كأنه من أقصى الشيء يعني غايته ونهايته .

(٦) يعني أنه ظهرت علائم الغرابة عليهم في التواء أعناقهم وكثر ضحكهم .

بمسمع صوت رجلٍ دُونَ مرأى وجهه لشدة الهجمة. وفرطِ
الزحمة^(١). فإذا هو قرأدٌ يرقصُ قرده. ويضحكُ من عنده.
فرقصتُ رقصَ المحرَّج^(٢). وسرتُ سيرَ الأعرج^(٣). فوقَ رقابِ
النَّاسِ يلفظُنِي عاتقُ هذا لسرةِ ذاكِ حتَّى افترشتُ لحيَةَ رجلينِ .
وقعدتُ بعدَ الأين^(٤). وقد أشرقنِي الخجلُ بريقه^(٥). وأرهقنِي
المكانُ بضيقه^(٦). فلماً فرغَ القرأدُ من شغله . وانتفضَ المجلسُ
عن أهله قمتُ وقد كسانِي الدهشُ حلتته^(٧) ووقفتُ لأرى صورته.

(١) يعنى أن زحام الواقفين وكثرتهم منعاني عن رؤيته وإن كنت بحيث أسمع
صوته .

(٢) أراد أسرع في السير إليه لاكتشاف حاله كما يسرع الكلب الذي علمه
صاحبه شدة العدو وسرعة القفز .

(٣) المراد أنه كان يتلوى في سيره ذات اليمين وذات الشمال .

(٤) الأين: التعب والإعياء والكلال، وأراد أنه جلس في شدة الزحمة فكانه جلس
على وجوه الناس .

(٥) أشرقني: أغصني، والخجل: الحياء الشديد والمعنى أنني خجلت حتى سال
ريقي لدرجة أنني غصصت به فإضافة الريق للخجل من إضافة الشيء إلى سببه.
(٦) كلفني شدة وحملني مشقة .

(٧) حلتته : لباسه، وشبه الدهش بإنسان يكسوه بلبوسه وأضاف الحلة إليه
تخيلاً .

فإِذَا هُوَ وَاللَّهِ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ. فَقُلْتُ : مَا هَذِهِ الدَّنَاءَةُ
وَيَحْكُ (١)؟! . فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

فَاعْتَبَ عَلَى صَرْفِ اللَّيَالِي (٢)

وَرَفَلْتُ فِي حُلِّ الْجَمَالِ (٣)

الذَّنْبُ لِلْأَيَّامِ لَا لِي

بِالْحَمَقِ أَدْرَكْتُ الْمَنَى

(١) الدنائة الخسة والمعنى كيف تتعاطى هذه الحرفة الخسيسة التي لا يحترفها
غير أدنياء النفوس .

(٢) صرف الليالي : محنها ومصائبها، والمعنى أنه لا ذنب لى فى انتهاج هذه
الخطة لأن شذائد الدهر هى التى ساقنتنى إليها فإن كنت عاتبا ولا بد فاجعل
عتابك موجها لها .

(٣) المعنى أننى نلت ما تمنيت وبلغت ما أملت بتجاهلى إذ أن الزمن لا يسعف
إلا الجهلاء .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ الْمُوصِلِيَّةُ

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لَمَّا قَفَلْنَا مِنَ الْمُوصِلِ (١) . وَهَمَمْنَا بِالْمَنْزِلِ (٢) . وَمَلَكْتُ عَلَيْنَا الْقَافِلَةَ . وَأَخَذَ مِنَّا الرَّحْلُ وَالرَّاحِلَةُ جَرَتْ بِى الْحِشَاشَةَ إِلَى بَعْضِ قَرَاهَا (٣) . وَمَعَى الْإِسْكَانْدَرِيُّ أَبُو الْفَتْحِ فَقُلْتُ أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْحِيَلَةِ؟ (٤) . فَقَالَ : يَكْفَى اللَّهُ (٥) . وَدَفَعْنَا إِلَى

(١) الموصل بلدة بين العراق والجزيرة ويقال لها وللجزيرة: موصلان تغليباً.

(٢) هم بالشىء وتهممه طلبه والمعنى وطلبنا داراً نحلها وننزل فيها.

(٣) أى تأقت نفسى ورغبت فى الخروج إلى بعض القرى طلباً للرياضة وترويحاً للنفس. والحشاشة ما تبقى من الحياة وكأن السفر أجهده وأنهك جسمه حتى عبر بذلك.

(٤) أى ما قيمة اتصالنا به وقدرتنا عليها وهل نحن بمقربة منها فنستطيع أن نجرى فيها شوطاً ونبلغ بها مأرباً .

(٥) أراد أن يكال الأمر له تعالى وأنه الذى يقدرهم على استعمال الحيلة وهى كلمة تقال فى العادة عند العزم على ارتكاب الأمر وفعله مثل : إن شاء الله.

دارٍ قد ماتَ صاحبها. وقامت نوادبها. واحتفلت بقومٍ قد كوى
الجزعُ قلوبهم^(١). وشقتِ الفجيعةُ جيوبهم^(٢). ونساءٍ قد نشرن
شعورهن^(٣). يضرِبْنَ صدورهنَّ وجددنَ عقودهنَّ . يطمِنَ
خدودهنَّ^(٤). فقال الإسكندريُّ : لنا فى هذا السَّوادِ نخله. وفى
هذا القطيعِ سخلة^(٥). ودخلَ الدَّارَ لينظرَ إلى المِيتِ وقد شدَّتْ
عصابتُه لينقلَ. وسخَّنَ ماؤهَ ليغسلَ. وهىءَ تابوتَه ليحملَ .

(١) الجزع : الحزن وقد شبهه بالنار فى شدة تأثيره وقوة فعله فيهم وأسند
الفعل وهو كوى إليه على سبيل الاستعارة التخيلية .

(٢) الجيوب جمع جيب وهى طوق القميص ونحوه من الثياب وفى الحديث .
ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب) .

(٣) نشرن شعورهن: أرسلنها وتركنها غير مجدولة .

(٤) شددن عقودهن: جمع عقد بفتح أوله أى ربطن على أعناقهن وبعض
المواضع من جسمهن ليسنى لهن اللطم وفى بعض النسخ جددن بالجيم بدل
شددن والمعنى قطعن عقودهن والمرد بالعقود على هذا القلائد .

(٥) المراد بالسواد : النخيل المتكاثف وعبر عنه بذلك لأن لون السواد هو الظاهر
الغالب عليه ومنه قيل لريف العراق ورساتيقيها سواد والقطيع جماعة الغنم
والسخلة ولد الضأن ذكرا أو أنثى والمعنى أن لنا فى هذا المكان لمنفعة .

وخيّطتْ أثنابُهُ ليكفَّنَ. وحفرتْ حفرتُهُ ليدفنَ^(١). فلمَّا رآهُ الإسكندريُّ أخذَ حلقةً. فجسَّ عرقه. فقالَ : يا قومُ اتَّقُوا اللهَ لا تدفنوهُ فهوَ حيٌّ وإنما عرتهُ بهتةٌ. وعلتهُ سكتةٌ^(٢). وأنا أُسلمهُ مفتوحَ العينينِ^(٣). بعدَ يومينِ. فقالوا : منْ أينَ لكَ ذلكَ؟ فقالَ : إنَّ الرَّجُلَ إذا ماتَ بردَ استه^(٤). وهذا الرَّجُلُ قدْ لمستهُ فعلمتُ أَنَّهُ حيٌّ فجعلوا أيديهمُ في استه. فقالوا : الأمرُ على ما ذكرَ. فافعلوا كما أمر^(٥). وقامَ الإسكندريُّ إلى الميْتِ . فنزعَ ثيابه ثمَّ

(١) المراد من كل هذا الدلالة على أن الجميع قد ايقنوا بموته وتأكدوا من مفارقتة الحياة فاشتغلوا بإعداد ما يلزم لمواراته التراب إكراما له لأن كرامة الميت في سرعة دفنه .

(٢) عرته : نزلت به ودهته، وبهتة: بغتة أى أمر منعه عن الحديث وشبهه من أمارات الحياة، وسكتة نازلة بالمخ تعطل المرء عن أعمال الأحياء وقد لا يكون ميتا فيتوهم من يراه أنه مات .

(٣) أى حيا .

(٤) يروى: برد أبطه وهى أكثر أدبا وتحشما بل وأقرب إلى العقل وذلك أن الأبط مكان كثير الدفء فى حال الحياة بما يكون من اجتماع العضد إليه .

(٥) أى أننا وجدنا الأمر كما قال فامتثلوا أمره واعملوا بإشارته .

شدَّ له العمامم^(١). وعلَّقَ عليه تَمائم^(٢). وألَعَقَهُ الزَّيْتِ^(٣). وأخلى له البيتَ. وقالَ : دعوهُ. ولا تُروِّعوهُ^(٤). وإنْ سمعتمْ له أنيناً فلا حُميْ تَجيبُوهُ. وخرَجَ مِنْ عِنْدِهِ وَقَدْ شَاعَ الْخَبْرُ وَانْتَشَرَ. بَانَ الْمَيْتَ قَدْ نُشِرَ. وَأَخَذْتَنَا الْمَبَارُ. مِنْ كُلِّ دَارٍ^(٥). وَاثَالَتْ عَلَيْنَا الْهَدَايَا مِنْ كُلِّ جَارٍ^(٦). حَتَّى وَرَمَ كَيْسِنَا فَضَّةً وَتَبْرًا^(٧). وَامْتَلَأَ رَحْلُنَا أَقْطَاءً وَتَمْرًا^(٨). وَجَهَدْنَا أَنْ نَنْتَهَزَ فَرْصَةً^(٩). فِي الْهَرْبِ فَلَمْ نَجِدْهَا حَتَّى

(١) العمامم جمع عمامة وهى علامة الأحياء فوق رؤسهم كالعصائب للأموات .

(٢) التمامم: جمع تميمة وهى ما يوضع على وجه الصبى والمسحور ونحوهما لتقيهما العين كالتعويد قال بعض الشعراء .

بلاد بها حل الشباب تمانمى وأول أرض مس جلدى ترابها

(٣) ألَعَقَهُ وضع فى فمه وإنما ألَعَقَهُ الزيت ليلين منه ما يبس ويبرى ماجف .

(٤) أى اتركوه ولا تزعجوه بأصواتكم . (٥) المبار جمع مبرة وهى العطية وكان

الميت كان عزيزا لدى الجميع من جيرته وعارفيه حتى لم تبق دار إلا وقد

جاعتها صلة منها . (٦) اثثالت : انهالت وتتابعت . (٧) التبر الذهب قبل أن

يسك نقودا، والمراد أنه وصل إليهما ما لم يطق كيسهما حمله حتى لقد ورم أى

انتفخ . (٨) الرحل : الوعاء يوضع فيه متاع المسافرين كالعدل ونحوه، والاقط:

اللبن يجعل فيه الملح ويجفف وربما سمي جبنا والتمر معروف والمراد أن العطايا

لم تقتصر على النقود بل كان منها بعض المطاعم الجافة التى يستطيع المسافر

حملها . (٩) جهدنا: أى بذلنا كل ما فى وسعنا لنجد وقتا يشتغل عنا القوم فيه

فنطلق لأنفسنا العنان طلبا للنجاة منهم وخوفا لما عساه أن يكون حينما تفتضح

حيلتنا وتظهر خدعتنا .

حلَّ الأجلُ المضروبُ واستتجزِ الوعدُ المكذوبُ^(١). فقال الإسكندريُّ : هل سمعتم لهذا العليلِ ركزاً^(٢) . أو رأيتم منه رمزاً؟^(٣) . فقالوا: لا . فقال: إن لم يكن صوتَ مذُ فارقتُهُ . فلم يجيء بعدُ وقتُهُ^(٤) . دعوهُ إلى غدٍ فإنكم إذا سمعتمُ صوتهُ . أمنتُم موتهُ . ثمَّ عرففوني لأحتالَ فى علاجه . وإصلاحِ ما فسدَ من مزاجه^(٥) . فقالوا : لا تؤخِّرْ ذلكَ عنْ غدٍ . قال : لا فلما ابتسمَ ثغرُ الصبحِ^(٦) . وانتشرَ جناحُ الضوءِ . فى أفقِ الجوِّ . جاءهُ الرِّجالُ أفواجاً^(٧) . والنِّساءُ أزواجاً . وقالوا : نحبُّ أنْ تشفى العليلَ . وتدعَ القالَ والقيلاً^(٨) . فقال الإسكندريُّ : قوموا بنا إليه ثمَّ حدرَ

(١) أى طلبوا منا الوفاء بما وعدهم الاسكندري . (٢) الركن الصوت الخفى وفى التنزيل (هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا) . (٣) رمزا: إشارة . والمراد هل ظهرت عليه أمارة الحياة؟ (٤) أى أن لهذه التمام وقتا يظهر إذا ظهر صوته فما دام لم يفعل فإن الوقت لم يحن . (٥) أى اتركوه إلى غد ليصوت فتظهر فائدة هذه التمام ومتى فعل ذلك لم تبق من خشية عليه ويريد بهذا تأجيل المواعيد لعله يتمكن من الهرب . (٦) أى حينما لاح النهار وظهرت تباشير الصباح والمراد أنهم سارعوا إليه بمجرد طلوع النور وانفلاق الظلام . (٧) جماعات يتلو بعضهم بعضا . (٨) العليل : المريض لأنهم اعتقدوا ذلك والمعنى أنا لا نقبل منك التسويف والإمهال ولا نرضى إلا أن تشفيه كما زعمت .

التمائم عن يده^(١). وحلَّ العمائم عن جسده^(٢). وقال : أنيموه على وجهه. فأنيم. ثم قال : أقيموه على رجليه. فأقيم. ثم قال : خلوا عن يديه. فسقط رأسيًا^(٣) وطن الإسكندريُّ بفيه^(٤) وقال : هو ميتٌ كيف أحييه؟. فأخذه الخف^(٥). وملكته الأكف. وصار إذا رفعت عنه. يد وقعت عليه أخرى. ثم تشاغلوا بتجهيز الميت. فانسلنا هاربين حتى أتينا قريةً على شفير وادٍ^(٦) السيل يُطرفها^(٧). والماء يتحيفها^(٨). وأهلها مغتمون لا يملكهم غمض

(١) حدر : أبعدُه ونحاها عن مكانها . (٢) كانت العمائم فوق رأسه فقط فعبر عنها بالجسد تعبيراً باسم الكل عن البعض . (٣) سقط رأساً: أى على رأسه علامة على أنه لم يتمالك نفسه ولم يستطع القيام وذلك دلالة الموت ويروى : راسياً أى ثابتاً لا يتحرك . (٤) الطنين : صوت الذباب . ولما كان الخجل قد عقد لسانه وحبس صوته عبر به إذ هو أضعف الأصوات . (٥) الخف : الحذاء وأخذه أى أخذوه به وأراد ضربوه إهانةً لقدره واستصغاراً لشأنه ويروى الجف بالجيم وهو الكثير من الناس ومعنى ملكته الأكف أنها أحاطت به وتناولته من كل جهة حتى صار كعبد امتلكته فليس فى طوقه الفرار منها .

(٦) شفير الوادى : أعلا حرفه . (٧) يطرفها أى يجعل بعض أطرافها فى البعض الآخر لأنه إذا سال فى طرف انتقل سكانه إلى الطرف الثانى مأخوذ من قولهم طرف الخيل إذا رد بعضها على بعض .
(٨) يتحيفها : يجور عليها فينقص أطرافها .

اللَّيْلِ^(١). مِنْ خَشْيَةِ السَّيْلِ. فَقَالَ الإسْكَندَرِيُّ : يَا قَوْمُ أَنَا أَكْفِيكُمْ
 هَذَا الْمَاءَ وَمَعْرَتَهُ^(٢). وَأَرُدُّ عَنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ مَضْرَّتَهُ . فَأَطِيعُونِي .
 وَلَا تُبْرِمُوا أَمْرًا دُونِي^(٣). قَالُوا : وَمَا أَمْرُكَ؟ فَقَالَ : انْزَحُوا فِي
 مَجْرَى هَذَا الْمَاءِ بِقَرَّةٍ صَفْرَاءَ . وَأَتُونِي بِجَارِيَةٍ عِذْرَاءَ^(٤). وَصَلُّوا
 خَلْفِي رَكْعَتَيْنِ يَثْنِ اللَّهُ عَنْكُمْ عِنَانَ هَذَا الْمَاءِ . إِلَى هَذِهِ
 الصَّحْرَاءِ^(٥). فَإِنَّ لَمْ يَنْتَهِنِ قَدَمِي عَلَيْكُمْ حَلَالٌ^(٦). قَالُوا : نَفْعَلُ
 ذَلِكَ فَذَبَحُوا الْبَقْرَةَ وَزَوَّجُوهُ الْجَارِيَةَ وَقَامَ إِلَى الرَّكْعَتَيْنِ يُصَلِّيهِمَا .
 وَقَالَ : يَا قَوْمُ احْفَظُوا أَنْفُسَكُمْ لَا يَقَعُ مِنْكُمْ فِي الْقِيَامِ كَبُورٌ . أَوْ

(١) الغمض : النوم وقد شبهه بإنسان له سطوة ونفوذ يمتلك بهما وأسند إليه
 الفعل تخيلاً . (٢) معرته : أذاه. ولما كان في هجوم السيل عليهم خروج لهم من
 ديارهم وظهور لحرائرهم عبر أذاه بالمعرة التي هي الفضيحة والعار .

(٣) أى لا تبتوا في هذا الشأن برأى ما لم أشارككم فيه .

(٤) عذراء : بكر، وأراد بتخصيص البقرة بأن تكون صفراء أن يوهمهم أن لهذا
 اللون خاصة وأنهم متى فعلوا نجحوا في أملهم ولم تخب ظنونهم وليوجه
 أفكارهم إلى قصة بنى إسرائيل والقتيل وأن الله اختار لهم هذا اللون في
 بقرتهم حيث قال: (أنه يقول أنها بقرة صفراء) الآية .

(٥) يثنى يحول وكأنه فرض الماء دابة جموحاً فأضاف إليه العنان وهو اللجام .

(٦) أى إذا لم يكن ما أردتم وهو تحويل الماء عنكم بعد هذا الذى أمرتكم به فقد
 أبحت لكم أن تقتلوني .

فِي الرُّكُوعِ هَفْوٌ. أَوْ فِي السُّجُودِ سَهْوٌ. أَوْ فِي الْقُعُودِ لَغْوٌ^(١).
فَمَتَى سَهَوْنَا خَرَجَ أَمَلْنَا عَاطِلًا. وَزَهَبَ عَمَلْنَا بَاطِلًا^(٢). وَاصْبِرُوا
عَلَى الرَّكْعَتَيْنِ فَمَسَافَتُهُمَا طَوِيلَةٌ وَقَامَ لِلرَّكْعَةِ الْأُولَى فَاانْتَصَبَ
انْتِصَابَ الْجَذَعِ^(٣). حَتَّى شَكُوا وَجَعَ الضِّلَعِ^(٤). وَسَجَدَ. حَتَّى
ظَنُوا أَنَّهُ قَدْ هَجَدَ^(٥). وَلَمْ يَشْجُعُوا لِرَفْعِ الرَّؤُوسِ. حَتَّى كَبِرَ
لِلْجُلُوسِ ثُمَّ عَادَ إِلَى السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ وَأَوْمَأَ إِلَى^(٦) فَأَخَذْنَا الْوَادِيَّ

(١) كبو : أى لا تملوا الوقوف ولا تتعبوا منه فتكبوا أى تقعوا، هفو أى لا تسأموا طول الركوع فتسرعوا إلى القيام، من هفا يهفو إذا أسرع سهو: أى لا تستطيلوا السجود مهما بلغ فيسهو أحدكم فيرفع رأسه، لغو. أى لا تقرأوا غير الوارد فى السنة مهما امتد أجل القعود .

(٢) أى أن نجاح آمالنا موقوف على أداء الصلاة على وجهها الذى ذكرت لكم .

(٣) أى وقف معتدلا اعتدال جذع النخلة ثابتا ثباتها لا يتحرك ولا يميل .

(٤) إذا طال القيام بلا حركة ملت الأعضاء وتألمت الأضلاع وهو قد أطال عليهم حتى أحسوا بذلك .

(٥) هجد : نام، أى أنه أطال فى السجود حتى حسبوا أن النوم قد غلبه ومع ذلك فإنهم لم يستطيعوا أن يرفعوا رؤوسهم خوفا مما حذرهم منه وهو ضياع المقصود .

(٦) أومأ إلى : أشار لى إشارة خفية لأقوم معه .

وتركنا القوم ساجدين لا نعلم ما صنع الدهرُ بهم. فأنشأ أبو
الفتح يقولُ :

لا يُبعدِ اللهُ مثلى	وأين مثلى أيننا؟
لله غفلةٌ قومٍ	غنمتها بالهويننا !
اكتلتُ خيراً عليهم	وكلتُ زوراً وميناً ^(١)

(١) يقول: أننى رجل داهية يندر وجود مثلى فى الدهاء والحيلة ولقد استطعت
أن أصل إلى ما اغلق بون الناس جميعا بدون كد ولا اجهاد وأخذت منهم
عظيما ومع ذلك لم أعطهم شيئا غير الكذب والخداع .

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة المضيرية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِالْبَصْرَةِ^(١) وَمَعِيَ أَبُو
الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ رَجُلٌ الْفَصَاحَةُ يَدْعُوهَا فَتَجِيْبُهُ. وَالبِلاغَةُ
يَأْمُرُهَا فَتَطِيْعُهُ^(٢). وَحَضَرْنَا مَعَهُ دَعْوَةَ بَعْضِ التُّجَّارِ فَقَدِمْتُ إِلَيْنَا
مُضِيرَةً^(٣) تُثْنِي عَلَى الْحَضَارَةِ^(٤). وَتَتَرَجَّرُ فِي الْغَضَارَةِ^(٥).

(١) البصرة مدينة معروفة اختطها عتبة بن غزوان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب سنة أربع عشرة من الهجرة كانت مساحتها في عهد خالد القسري فرسخين في مثلها وبلغ عدد سكانها في عهد المنصور الخليفة العباسي مبلغا عظيما حتى لقد أرادوا أن يقسموا على من يستحق العطاء ألف ألف درهم فلم يأخذ كل واحد أكثر من درهمين . (٢) أى أنه الوحيد المالك لزام البلاغة والمصرف لأعنتها والتقدير على رياضتها وهى لا تعصى له أمرا ولا تخالف له رغبة ما شاء تشاء وما كره تكره . (٣) المضيرة نوع من الطعام يتخذ من اللحم واللبن الحامض وربما أضيف إليه الحليب ثم يوضع على ذلك التوابل والأبزار . (٤) أى تدل على أن أهل الحضرة أقدر فى صنعها من البدو فتشهد لهم بطول الباع . (٥) تترجرج : تموج وتتحرك، والغضارة القصعة .

وتؤذنُ بالسَّلَامَةِ^(١). وتشهدُ لمعاويةَ رحمهُ اللهُ بالإمامةِ^(٢). فى قصعةٍ يزلُّ عنها الطَّرْفُ . ويموجُ فيها الطَّرْفُ^(٣). فلَمَّا أخذتُ منَ الخوانِ مكانها^(٤). ومنَ القلوبِ أوطانها^(٥). قامَ أبو الفتحِ

(١) أى أن من يأكلها لا يتشكى ولا يتألم وذلك من أسباب الإقبال عليها ودواعى التسارع إليها .

(٢) كان جلساء معاوية رضى الله عنه يقولون : أن طعامه دسم. ولم يشايعه فى إمامته حال حياة على كرم الله وجهه غير من يريدون ذلك فلو كانت هذه المضيرة عنده لكانت من دواعى التفافهم حوله .

(٣) يزل : ينبو، ويبعد، ويزلق، والطرف : العين. ويروى يكل من الكلال وهو الإعياء والتعب وأصل الظرف : ذلاقة اللسان وحسن البيان وقوة العارضة فى الذى يأخذ القلب ويملك النفس، وأراد منه هنا مجرد الحسن والجمال من باب إطلاق المسبب وإرادة السبب، والمعنى أن هذه القصعة كانت براءة كثيرة التألق شديدة اللمعان، بهجة الرواء حتى أن البصر لا يثبت عليها ولا يستطيع أدامة رؤيتها لأن أشد الأشياء تفريقا للعين أكثرها وميضاً وبريقاً وأنها وسيعة بعيدة الجوانب حتى أن الحسن والبهاء ليموجان فيها .

(٤) الخوان - كما سبق مرارا - ما يوضع عليه الطعام ومعنى أنها أخذت مكانها منه : أنها وضعت عليه .

(٥) الوطن هو المحل الذى يلزمه الإنسان فى أغلب حياته، وذلك كناية عن أن جمال المضيرة قد شغف قلوبهم وحل منها محل الحبيب من قلب المحب .

الإسكندرِيُّ يلعنُها وصاحبها. ويمقتُها وأكلها. ويثلبُها
وطابخها^(١). وظنناهُ يمزحُ فإذا الأمرُ بالضدِّ. وإذا المزاحُ عينُ
الجدِّ^(٢). وتنحَى عنِ الخوانِ^(٣). وتركُ مُساعدةِ الإخوانِ. ورفعناها
فأرتفعتُ معها القلوبُ وسافرتُ خلفها العيونُ^(٤) وتحلَّبتُ لها
الأفواهُ^(٥). وتلمَّظتُ لها الشِّفاهُ^(٦). واتَّقَدتُ لها الأكبادُ ومضى في
إثرها الفؤادُ^(٧). ولكننا ساعدناه على هجرها وسألناه عن

(١) مقته يمقته مقتا ومقاتة: أبغضه وكرهه، ومثله مقته (بالتضعيف) فهو مقيت وممقوت، وثلبه يثلبه - من باب ضرب - لأمه، وعابه وطرده وتلمه والاسم المثلبة (بفتح اللام وتضم) والمعنى أنه ما فتىء يسب ويشتم ويلوم ويلعن كل من كانت له يد في تقديم هذه المضيرة .

(٢) المعنى: أننا ما كنا نتوهم أنه يكون جادا في كلامه لما كانت عليه المضيرة من البهاء والرونق ولكنه كان حقيقة جادا . (٣) تنحى: ابتعد .

(٤) يعنى أننا كنا نتمنى لو دامت أمامنا فلما رفعناها كراهية منا توجهت إليها قلوبنا وانصرفت نحوها أعيننا . (٥) أى سال لعابها وجرى ريقها .

(٦) أصل التلمظ إخراج اللسان : لياخذ ما على الشفتين من آثار الطعام وقد أسنده إلى الشفتين لأنه لا بد من حركتهما حينذاك، وكأنهم تخيلوا أنهم طعموا منها فتلمظوا . (٧) اتقَدت : احترقت، وإنما يحترق كبد المرء إذا فقد عزيزا عليه، وذلك كناية عن شدة تألمهم لتفويته عليهم لذة التمتع بأكملها، ومضى الفؤاد: أى أنه قد نهل كل منا وأخذته الدهشة فكأنه قد ضاع صوابه وفقد رشده .

أمرها^(١). فقال : قصتي معها أطول من مُصيبةِ فيها. ولو حدثتكمُ بها لم آمنِ المقت. وإضاعةَ الوقت^(٢). قلنا : هاتِ قال : دعاني بعضُ التُّجَّارِ إلى مَضيْرَةٍ وأنا ببغذانَ ولزمني ملازمةَ الغريمِ. والكلبِ لأصحابِ الرِّقيمِ^(٣). إلى أنْ أُجبتُهُ إليها وقمنا فجعلَ طُولَ الطُّريقِ يثنِي على زَوجتِهِ ويُفديها بمُهجتِهِ. ويصفُ حذقها في صنعَتِها. وتأنقها في طبخِها^(٤). ويقولُ : يا مولاي لو رأيتَها.

(١) المعنى أننا وافقناه على ما فعل وأظهرنا له الرضا عنه والقبول لتركها غير أننا سألناه عن الذي دعا إلى ذلك إذا لم يكن تركها مما يعد أمرا مرضيا فنسكت عنه . (٢) أي أن الحادثة يطول بي شرحها فلو أني حدثتكم بها لخفت منكم كراهيتي ولم آمن أن يضيع في سردها وقت نكون في حاجة إليه .

(٣) أصحاب الرقيم هم أصحاب الكهف الذين جرى ذكرهم في الكتاب العزيز في قوله تعالى: (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) . وكان لهم كلب لم يفارقهم. والغريم صاحب الدين وهو لا يفارق مدينه ولا يخفف عليه الطلب . (٤) يثنى على زوجته : يمدحها ويذكر محاسنها، يفديها بمهجته : يجعل نفسه فداء لها وذلك كناية عن عزتها عليه ومحبتة لها، والحذق - بكسر أوله وفتح - ومثله الحذاق والحذاقة - بكسرهما وفتحهما كذلك - المهارة وفعله حذق (بوزنى ضرب وعلم). وتأنق في عمله: صنعه بالاتقان والحكمة ومثله تنوق: والمعنى أنه ظل يصف لي مهارة زوجته في الذي تصنع ويحدثني عن اتقانها وحكمتها في عملها. والضمائر عائدة على زوجته، وإذا كانت ماهرة في جميع =

والخرقة في وسطها^(١). وهي تدور في الدور. من التنور إلى القدور. ومن القدور إلى التنور^(٢). تنفتُ بفيها النار^(٣). وتدقُ بيديها الأبزار^(٤). ولو رأيت الدخان وقد غبر في ذلك الوجه الجميل. وأثر في ذلك الخد الصقيل^(٥). لرأيت منظرًا تحار فيه العيون. وأنا أعشقها لأنها تعشقني. ومن سعادة المرء أن يرزق المساعدة من حليته. وأن يسعد بظعينته^(٦). ولاسيما إذا كانت

= أعمالها فهي لا شك حاذقة في صنع المضيرة. وربما صح عودها على المضيرة.

(١) الخرقه : لباس يجعله الطاهى (الطباخ) فوق صدره ويرسله إلى آخر ثيابه ليتقى به الوضر والدهن ورشاش الطعام وتسمى الآن بمصر (الفوطة). والجملة كناية عن نظافتها واهتمامها بالتأنق والإجادة .

(٢) التنور ما يخبز فيه أنواع الخبز والقدور جمع قدر وهو الإناء الذى يطبخ فيه. (٣) تنفت : تنفخ . (٤) الابزار والأبازير : ما يوضع على الطعام لتمليح طعمه وإعطائه نكهة طيبة كالفلفل والقرنفل ونحوهما . (٥) الخد الصقيل : المجلو النظيف ويروى الأسيلى وهو اللين والمستطيل . (٦) أصل الظعينة المرأة فى الهودج وأراد منها هنا المرأة فقط من إطلاق المقيد على المرسل والمعنى . أن من تمام رفاهية الإنسان واطمئنان عيشته واستتباب راحته أن تكون زوجته مساعدة لا مخالفة ولا مشاكسة بحيث تطيعه إذا أمر وتسره إذا نظر وتحفظه إذا غاب وتفرحه وإذا حضر .

من طينته. وهى ابنة عمى لِحاً^(١). طينتها طينتى. ومدينتها
مدينتى. وعمومتها عمومتى. وأرومتها أرومتى^(٢). لكنها أوسع
منى خلقاً. وأحسن خلقاً^(٣). وصدعنى بصفات زوجته. حتى
انتهينا إلى محلته^(٤). ثم قال يامولاي ترى هذه المحلة. هى

(١) لِحاً: أى قرابة متصلة، أى أقرب أخ لأبى.

(٢) الأرومة الأصل وهى بفتح الأول - ويضم - والجمع أروم. وأراد من الطينة
المنبت والمعنى أنى وإياها نشترك فى منبت (أى مكان الوجود) والمقام (أى مكان
الإقامة) والعمومة والأصل فهى أشبه الناس بى وأنا أشبه الناس بها ولم تكن
تليق إلا لى ولم أكن أجمل إلا لها .

(٣) أى أنها أجمل منى وأحسن أخلاقاً، والخلق بضمين واحد الأخلاق وهى
الخصال التى يكون عليها المرء من خير وشر ويعرفه علماء النفس بأنه طبيعة
تحمل صاحبها على اكتساب المحمدة أو ارتكاب المفسدة، والخلق بفتح فسكون:
الخلقة .

(٤) صدعنى: جلب إلى الصداع، وهو بوزن غراب - وجع يأخذ الرأس والفعل :
صدع (بالبناء للمجهول مضعفاً) تصديعا ويجوز فى الشعر صدع كعنى فهو
مصدوع. والمعنى أنه ظل يكثر من الكلام فى شأن زوجته والحديث عنها حتى
أورثنى الصداع وجلب إلى وجع الرأس، وبغداد مقسمة إلى مجالات كتقسيم
القاهرة إلى (أقسام وأحياء) فمحلته أى الجهة التى يسكنها من بغداد والحي
الذى يقيم به .

أشرفُ محالٍ بغدادَ يتنافسُ الأخيارُ في نزولها . ويتغايرُ الكبارُ في حلُولها^(١). ثم لا يسكنُها غيرُ التُّجارِ . وإنما المرءُ بالجارِ^(٢). وداري في السُّطة من قِلاذتها^(٣). والنقطة من دائرتها كم تقدرُ يا مولاي أنفقَ على كلِّ دارٍ منها؟ قلْهُ تخميناً. إن لم تعرفهُ يقيناً^(٤).

(١) يقال نافس وتنافس إذا رغب على وجه المباراة والمساابقة في مكارم الأمور ومنه قوله تعالى : (وفي ذلك فليتنافس المتنافسون). وغايه : عارضه أو باده، والمعنى أن هذه المحلة أفضل محال بغداد وأحسنها لذلك فإنك ترى الكبار والعلية يتبارون في سكنها ويتسابقون للحلول بها ويتعارضون في نورها ومنازلها أو يتبادلون ذلك فيها .

(٢) من وصايا أمير المؤمنين : يا بني سل عن الرفيق قبل الطريق والجار قبل الدار ، وقد نصح به كرم الله وجهه النصيحة الغالية فإن جار السوء يكدر صفو الحياة ويؤلم نفوس جيرانه، والحديث الشريف : (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره) وهذا التاجر يقول أن جميع جيرانه تجار فهو يريد أن يتمدح جيرانه ليلزم من ذلك امتداح نفسه ومنزله. وقد قال بعض الشعراء .

يلومونني إن بعت بالرخص منزلي ولم يعلموا جارا هناك ينغص
فقلت لهم كفوا الملام فإنما بجيرانها تغلو الديار وترخص

(٣) السطة : الوسط، وأنفس ما يكون في العقود والقلائد من حبات اللؤلؤ الواسطة فكأنه يقول أنه يقطن أشرف نقطة في هذه المحلة .

(٤) أي إن كنت لا تستطيع أن تقدر على وجه اليقين نفقاتي على هذه الدار فلا بأس من أن تقول كم تنوهم أنني أنفقت .

قلتُ : الكثيرُ . فقالَ : يا سبحانَ الله ! ما أكبرَ هذا الغلطَ ! تقولُ
الكثيرَ فقط؟ وتنفسَ الصُّعداءَ^(١) . وقالَ : سبحانَ منْ يعلمُ
الأشياءَ . وانتهينا إلى بابِ داره . فقالَ : هذه داري ، كمْ تقدرُ يا
مولايَ أنفقْتُ على هذه الطَّاقة؟^(٢) أنفقْتُ واللهِ عليها فوقَ الطَّاقة^(٣)
وراءَ الفاقة^(٤) . كيفَ ترى صنعتها وشكلها؟ رأيتَ باللهِ مثلها؟
أنظرُ إلى دقائقِ الصُّنعةِ فيها وتأمَّلْ حُسنَ تعريجها فكأنما خُطَّ
بالبركارِ^(٥) . وانظرُ إلى حذقِ النُّجارِ في صنعةِ هذا البابِ . اتخذهُ
منْ كمْ؟ قلْ : ومنْ أينَ أعلمُ . هو ساجٌ منْ قطعةٍ واحدةٍ لا

(١) أى : اظهر حزنه وأسفه بتنفسه من أعماق صدره تنفسا عاليا على عدم
مبالغتي له فى النفقات .

(٢) النافذة (الشباك) .

(٣) القدرة والإمكان .

(٤) الفاقة : الفقر والاملاق ، والمعنى إنه انفق عليها مقدارا يسوق إليه الفاقة
ويجلب له الفقر ويجر عليه الإملاق .

(٥) البركار ويسمونه أيضا الفرجار آلة لتحديد الدوائر وتنظيمها يأمن بها
الصانع من اختلاف النسب فى التدوير وهى التى تسمى الآن (برجل) والمعنى
ظاهر .

مأروضٌ ولاعفنٌ. (١) إذا حُرِّكَ أَنْ (٢) وإذا نَقَرَ طِنٌ (٣). مِنْ اتَّخَذَهُ يَا سَيِّدِي؟ اتَّخَذَهُ أَبُو أُسْحَقَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَصْرِيُّ وَهُوَ وَاللَّهُ رَجُلٌ نَظِيفٌ الْأَثْوَابِ. بَصِيرٌ بِصِنْعَةِ الْأَبْوَابِ (٤) خَفِيفٌ الْيَدِ فِي الْعَمَلِ، لِلَّهِ دَرُّ ذَلِكَ الرَّجُلِ! بِحَيَاتِي لَا اسْتَعْنَتَ إِلَّا بِهِ عَلَى مِثْلِهِ (٥). وَهَذِهِ الْحَلْقَةُ تَرَاهَا اشْتَرَيْتَهَا فِي سُوقِ الطَّرَائِفِ مِنْ عَمْرَانَ الطَّرَائِفِيِّ بِثَلَاثَةِ دِنَانِيرٍ مَعْزِيَّةٍ (٦). وَكَمْ فِيهَا يَا سَيِّدِي مِنْ

(١) الساج: شجر يطول ويرتفع جدا ويوجد بالهند. المأروض الذي أكلته الأرض وهي دويبة صغيرة، والاعفن: الذي أصابته الرطوبة .

(٢) أى إذا فتح أو أغلق سمع صوت يشبه الأنين .

(٣) وإذا دق عليه كان له طنين وذلك دليل سلامته وجودة خشبه وصنعبته .

(٤) أراد من وصف الصانع بأنه نظيف الأثواب أن يصف مصنوعاته بالنظافة والرواء والبهجة وأراد من كونه بصيرا بالصنعة أنها بالغة حد الاتقان متناهية الجودة والمتانة . (٥) أى إذا شئت أن تعمل مثل هذا الباب فلا تطلب غير ذلك الرجل الماهر الذى دلت صنعبته فى هذا الباب على حذقه .

(٦) الحلقة : هى التى يدق بها عند الاستفتاح ويجذب منها عند الإغلاق وسوق الطرائف كان ببغداد لبيع النفائس والذخائر، والطرائف : جمع طريفة وهى المستحدث المعجب ومنه : هذا من طرائف مالى، وهذه طرفة من الطرف، ويقال مال طريف وطرف ومطرف ومستطرف، وأطرفت شيئا واستطرفته أخذته طريفا ولم يكن لى. والدنانير المعزية المنسوبة إلى المعز لدين الله .

الشَّبه؟^(١) فيها سِنَّةٌ أُرطالٍ وهى تَدُورُ بِلولِبٍ فى البَابِ^(٢) باللهِ
دورِها. ثُمَّ انقُرُها وأبصُرُها. وبِحياتى عليك لا اشتريتَ الحلقَ إلاَّ
منهُ فليسَ يبيعُ إلاَّ الأعلاقَ^(٣) ثُمَّ قرَعَ البَابَ ودخلنا الدهليزَ وقالَ
: عمركَ اللهُ يا دارُ. ولا خربَكَ يا جدارُ. فما أمتنَ حيطانك. وأوثقَ
بنيانك وأقوى أساسك. تأمَلِ باللهِ معارجِها^(٤). وتبينَ دواخلِها
وخوارِجِها وسلنى : كيفَ حصلتَها. وكَمَ من حيلةٍ احتلتَها. حتَّى
عقدتَها^(٥). كانَ لى جارٌ يُكنى أبا سليمانَ يسكنُ هذهَ المحلَّةَ وله
منَ المالِ ما لا يسعُه الخزنُ. ومنَ الصَّامتِ ما لا يحصرُه
الوزنُ^(٦). ماتَ رحمَهُ اللهُ وخلفَ خلفاً أتلفَهُ بينَ الخمرِ

(١) الشبه بفتحيتين: النحاس الأصفر .

(٢) قال صاحب القاموس : ويقال للماء الذى يحمل منه الفتح ما يسعه فيضيق
صنبوره عنه من كثرته فيستدير الماء عند فمه ويصير كأنه بلبل آنية - لولب-
قال شارح القاموس : قال أبو منصور ولا أدري أعرابى هو أم معرب غير أن
أهل العراق أولعوا باستعمال اللولب .

(٣) الأعلاق النفائس جمع علق ومتى كان لا يبيع إلا الذخائر وكانت هذه منه
فإنها نخيرة . (٤) المعارج جمع معراج وهو الدرج تصعد به إلى سطح الدار أو
الطابق الثانى منها وهو السلم أيضا . (٥) عقدتها: ملكتها .

(٦) الصامت الذهب والفضة ونحوهما .

والزَّمْرِ^(١) ومزقهُ بينَ النردِ والقمرِ^(٢) وأشفقتُ أنْ يسوقهُ قائدُ
الاضطرارِ. إلى بيعِ الدارِ . فبيعَها في أثناءِ الضَجْرِ. أو يجعلُها
عرضةً للخطرِ. ثمَّ أراها. وقد فاتني شراها. فأنقطعَ عليها
حسراتٍ. إلى يومِ المماتِ^(٣). فعمدتُ إلى أثوابٍ لا تنضُّ تجارتُها
فحملتها إليه. وعرضتها عليه.^(٤) وساومتُهُ على أنْ يشتريها
نسيئةً^(٥). والمدبرُ يحسبُ النسيئةَ عطيةً^(٦). والمتخلفُ يعتدُّها هديةً.

- (١) خلف : ترك - ويقال للولد الصالح خلف بفتحتين وللفاسد الطالح خلف بفتح
فسكون وفي التنزيل (فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة) .
(٢) المراد أنه بدد أموال أبيه في الملاهى والمفاسد وما لا يعود عليه بالفائدة .
(٣) أى أننى خفت أن تتحكم فيه بواعى السرف وشهوة الانفاق - وقد أضاع
ما كان تحت يده من أموال أبيه - فتسوقه الضرورة لبيع هذه الدار ثم يشتريها
منه سوى فأظل أسفا عليها إلى أن أفارق الحياة الدنيا والضحج: التبرم والتآك
مع الملل والسامة، وانقطع عليها حسرات مثل قوله تعالى : (فلا تذهب نفسك
عليهم حسرات) أى لا تحزن ولا تشتد بك الحسرة من أجلهم .
(٤) نضت التجارة : كسدت ولم ترج، وتحولت فقدا بعد أن كانت متاعا (ضدان)
والثانى هو المراد هنا، والمعنى أننى أخذت بعض أثواب لا يتصور أن يتجر فيها
لعدم رواج سوقها وحملتها إليه . (٥) نسيه : أى مع تأخير الثمن .
(٦) المدبر هو الذى يسير إلى الخلف وأراد منه المفلس لأنه كأنه بعد العز والغنى
يسير فى طريق عكس الذى كان يسلكه .

وسألتُهُ وثيقةً بأصلِ المالِ . ففعلَ وعقدَها لي^(١) . ثُمَّ تَغافلتُ عنِ اقتضائه^(٢) . حتَّى كادتُ حاشيةُ حالهِ ترقُّ فأتيتهُ فاقتضيتهُ . واستمهلتني فأنظرتهُ^(٣) . والتمسَ غيرها من الثيابِ فأحضرتُهُ وسألتُهُ أن يجعلَ دارهُ رهينةً لدي^(٤) . ووثيقةً في يدي . ففعلَ ثُمَّ درجتهُ بالمعاملاتِ إلى بيعها حتَّى حصلتُ لي بجدٍ صاعدٍ^(٥) . وبختٍ مساعدٍ . وقوةٍ ساعدٍ . وربٍّ ساعٍ لقاعدٍ^(٦) . وأنا بحمدِ الله

(١) الوثيقة . الصك الذي يكتب فيه الدين وعقدها أى حررها والتزم بما فيها .
(٢) مطالبته بالدين الذى عليه . (٣) أى انتظرت حتى علمت أنه موشك على الافتار فجئته أطلب منه الأداء فطلب منى أن أمهله فأمهله أى أعطيته مهلة .
(٤) الرهن عين توضع فى يد الدائن لتكون تأميناً له على ماله حتى إذا أفلس المدين استوفى الدائن منها . (٥) درجته، واستدرجته، معناهما: أدنيته مما أريد على التدرج فتدرج أى دنا وكأن الأصل فى اشتقاق هذا اللفظ الدرج هو المرقاة لأنها تدنى الإنسان شيئاً فشيئاً من علوها، وجد صاعد : حظ موفور، وبخت مرتفع . (٦) رب ساعد لقاعد: أى أن بعض الناس يكد نفسه ويجهدا ويحملها العناء والمشقة ويجشمها المخاوف والمخاطر ثم لا ينال من سعيه ودأبه ولا يصيب من جده ونصبه شيئاً بل يكون عليه الغرم ولغيره الغنم. وتكون مهمته العمل لسواه الريح والجزاء وذلك مثله كمثل الذبلة تضىء للناس وهى تحترق والجملة بدون الواو مثل ويروى معه وأكل غير حامد ويقال أن أول من قاله النابغة الذبياني وكان قد وفد إلى النعمان بن المنذر وفود من العرب فيهم =

مجدود^(١). وفى مثل هذه الأحوال محمودٌ وحسبُك يا مولاي أنى كنتُ منذُ ليالٍ نائماً فى البيتِ معَ منْ فيه إذ قرعَ علينا البابُ . فقلتُ : منِ الطارقُ المنتابُ^(٢). فإذا امرأةٌ معها عقدُ لآلٍ فى جلدةِ ماءٍ ورقةِ آلٍ^(٣) تعرضه للبيع . فأخذتهُ منها إخذه خلسٍ . وأشتريتهُ

= رجل من بنى عبس يقال له شقيق فمات عنده فلما حبا النعمان الوفود بعث إلى أهل شقيق بمثل حباء الوفد فقال النابغة حين بلغه ذلك: رب ساع لقاعد . وقال للنعمان :

أبقيت للعبسى فضلا ونعمة	ومحمدة من باقيات المحامد
حباء شقيق فوق أعظم قبره	وما كان يحبى قبله قبر وافد
أتى أهله منه حباء ونعمة	ورب امرئ يسعى لآخر قاعد

ويروى : اسلمى أم خالد . رب ساع لقاعد . قالوا أن أول من قال ذلك أمير المؤمنين معاوية بن أبى سفيان .

(١) مجدود : محظوظ . (٢) المنتاب : الذى أتى دارك فى وقت لا يأتى فيه الناس وأصله الطارق مرة بعد مرة فاستعير للطارق مطلقاً من باب إطلاق المقيد وإرادة المطلق وهو معروف عن علماء البيان أو أنه جعل تردده على البيوت التى قبله كأنها تردد على بيته وكأنه لم يجئه إلا بعد أن طرق بيوت جيرانه جميعاً .
(٣) لآل : أصله لآلى جمع لؤلؤة ثم سهلت الهمزة فجرى مجرى قاضى، والآل : السراب، وهو الذى يظهر من بعيد كأنه ماء، يقول: إن هذا العقد فى الصفاء واللمعان يشبه الماء وفى الرقة يشبه الآل .

بثمنٍ بخسٍ^(١) وسيكونُ له نفعٌ ظاهرٌ. وربحٌ وافرٌ. بعونِ اللهِ تعالى ودولتك. وإنما حدثتُك بهذا الحديثِ لتعلمَ سعادةَ جدِّي في التَّجَارَةِ. والسَّعادةُ تنبُطُ الماءَ من الحجارةِ^(٢). اللهُ أكبرُ! لا ينبئكَ أصدقُ من نفسك. ولا أقربُ من أمسك^(٣). اشتريتُ هذا الحَصِيرَ في المُنَادَاتِ. وقد أُخْرِجَ من دورِ آلِ الفِراتِ. وقتَ المِصَادِرَاتِ. وزمنِ الغَارَاتِ^(٤). وكنتُ أطلبُ مثلهُ

(١) ثمن بخس : قليل، والخس يشبه السرقة فكأنه حين أخذه بالقليل من الثمن قد سرقه .

(٢) تنبُط : تخرج يقول: إن من رزق السعادة ويمن الطالع وحسن الحظ وجد الربح الذي لا يتوهمه فيه وأتاه من حيث لا ينتظره .

(٣) اللهُ أكبر . كلمة أجراها مجرى التعجب كسبحان الله، وينبئك يخبرك، والمعنى أنه لا يخبرك عن أحوالك ولا يحدثك بشؤونك أصدق من نفسك لأنها هي التي تعلم مقدار الحقيقة كما لا يكون أقرب للصدق ولا ادعى إليه من الحديث عن أقرب أيامك الماضية وهو الأمس لأنه أعلقها بالذهن .

(٤) المُنَادَاتِ : يشبه ما يسمى الآن (بالمزاد)، ودور الفرات : منازل عائلة كان لها هذا اللقب وكان بعضهم وزيراً للمقتدر بالله العباسي وهو علي بن محمد بن موسى بن الحسن بن الفرات وأصلهم من صريفيين من أعمال دجيل وكانوا أجل الناس فضلاً وكرماً ونبلاً ووفاداً ومروءةً وكان (أبو الحسن) من أفضل الناس وأعظمهم جوداً وكرماً وكانت أيامه مواسم للناس وأعياداً ولما جرت الفتنة وخلع المقتدر بالله بن المعتضد العباسي ويبيع ابن المعتز ثم =

منذُ الزَّمنِ الأطولِ فلا أجدُ. والدَّهرُ حَبلىَ ليس يدُرى ما يلدُ^(١).
ثم اتفقَ أنى حضرتُ بابَ الطَّاقِ. وهذا يعرضُ فى الأسواقِ.
فوزنتُ فيه كذا وكذا ديناراً . تأمَّلْ باللهِ دقتهُ ولينهُ وصنعتهُ ولونهُ
فهوَ عظيمُ القدرِ. لا يقعُ مثلهُ إلا فى النَّدْرِ^(٢). وإن كنتَ سمعتَ

= استظهر المقتدر عليه واسترجع ملكه واستقرت له الخلافة أرسل إلى أبى
الحسن على بن الفرات فأحضره واستوزره وخلق عليه فنهض بتسكين الفتنة
أحسن نهوض ودبر الدولة فى يوم واحد وقرر القواعد واستمال الناس وفى ذلك
يقول بعض شعراء الدولة :

ودبرت فى ساعة دولة تميل بغيرك فى أشهر .

قالوا: أنه تولى الوزارة للمقتدر ثلاث مرات وفى المرة الثالثة قبض عليه ثم قتل
سنة ٣١٢ وصدورت أمواله - فهو يشير بذلك إلى أنه نفيس على القدر عظيم
القيمة مما اقتناه الرؤساء واختزنه الأمراء ورغبة كبار الدولة .

(١) شبه الدهر فى مجيئه بما لا يفكر فيه واتيانه على خلاف الظنون بالمرأة
الحبلى فإنك تعلم أنها تلد ولكن لا تتحقق من نوعه، وكذلك الزمان تعلم أن فيه
حوادث ولا تدري ما هى كالتشبيه والذى فى قول الشاعر:

والليالى من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيب

(٢) الندر والنادر : القليل والمعنى : أنه لا يتفق مثل هذا الحصير فى كل حين
بل أنه يغلب عدم وجوده وذلك بعد وصفه بالنفاسة ودقة الصنعة وجودتها شبه
تأكيد .

بأبي عمران الحصيريُّ فهو عمله وله ابنٌ يخلفه الآن في حانوته
لا يوجدُ أعلقُ الحصرِ إلا عندهُ فبِحياتي لا اشتريتُ الحصرَ إلا
من دكانه. فالمؤمنُ ناصحٌ لإخوانه : لاسيماً من نحرَمَ بخوانه^(١).
ونعودُ إلى حديثِ المضيرة . فقد حانَ وقتُ الظهيرة. يا غلامُ
الطستِ والماء^(٢). فقلتُ : الله أكبرُ ربماً قُربَ الفرجِ. وسهلَ

(١) حرم الإنسان وحريره : ما يحميه ويقاقل عنه ويمنع بونه ومن هذا سمي
بيت الله بالحرم وفيه يقول الله تبارك وتعالى : (ومن دخله كان آمناً) ويقال نحرَم
فلان من فلان بحرمة : أي تمنع واحتمى بدمته. وفلان في حريمك أي منعتك
وزمتك وحصنك وحمایتك بحيث تلتزم الدفاع عنه، وأبو الفتح سيتناول مع ذلك
التاجر المضيرة على خوان واحد فكأنه لاذ بجوار ولجأ إليه ولذلك تجب عليه
نصيحته وتوضيح الأمر له .

(٢) الطست والماء مفعولان لفعل مضمَر أي احضرهما، والطست كلمة تفردت
بها الفرس بون العرب فاضطرت العرب إلى ادخالها في لغتها والأمر في ذلك
على وجوه فمنه ما يكون في اللغتين قائماً على لفظ واحد وذلك مثل : التانور،
والخمير، والزمان والدين والكنز والدرهم والدينار ومنه ما لا وجود له إلا في
الفارسية فتعربه العرب بنوع من أنواع التعريب كالتحت مثلاً أو تنقله بحاله
وذلك كثير مثل : الكوز، والإبريق والطست، والخوان، والطبق، والقصعة، والخز،
والديباج، والسندس، والياقوت، والفيروزج، والبلور، والكعك، والسميد، والدرمك،
والفالوذج، والجوزينج، واللوزينج، والجلاب، والكرويا، والقرفة، =

المخرجُ. وتقدّم الغلامُ. فقال: ترى هذا الغلامَ. إنّه رومىُّ الأصلِ
عراقىُّ النّشءِ^(١). تقدّم يا غلامُ واحسِرِ عن رأسِكَ^(٢). وشمرُّ عن
ساقِكَ. وانضُ عن ذراعِكَ^(٣). وافترَّ عن أسنانِكَ^(٤). وأقبلُ وأدبرُ.
ففعلَ الغلامُ ذلكَ. وقالَ التّاجرُ: باللهِ من اشتراه؟ اشتراهُ واللهِ
أبو العبّاسِ. من النّخّاسِ^(٥). ضِع الطّسّت. وهاتِ الإبريقَ.

= والزنجبيل، والنرجس، والبنفسج، والسوسن، والمسك، والعنبر، ومنه نوع
انتسيت فارسيته وحكيت عربيته مثل : الكف، والساق، والفراش، والبزان،
والوزان، والكيال، والمساح، والدلال، والصراف، والبيطار، والخراط، والغلط،
والصواب، والخلوق، والمشجب، واللّهو، والقمار، والسفط، وكما نقلت العرب عن
الفارسية فقد نقلت عن لغات أخرى كالرومية وذلك مثل: الفردوس للبستان،
والقسطاس للميزان، والسجنجل المرآة، والبطاقة لرقعة فيها رقم المتاع،
والقسطل الغبار، والنقرس والقولنج : مرضان معروفان، والترياق دواء السموم،
والقراميد الحجارة، والقنطار : معروف وإنما بسطنا الكلام والنقل هنا بعض
البسط لنثير همم أدباء امتنا وعلمائها المتمكنين فى اللغة الضاربين فيها بسهم
وفير إلى كد قرائحهم واتصال مجهوداتهم لينقلوا أو يعربوا تلك الكلمات التى
استحدثت بعد عهد آبائنا ومورثينا، ولغتنا والحمد لله قد شهد لها العدو
والحميم بأنها أوسع اللغات وأقواها على احتمال آلاف الكلمات .

(١) النّشء : المنشأ، والمعنى أنه رومى تربى بالعراق وتعلم الخدمة فيها.

(٢) احسر: اكشف . (٣) انض : انزع من نضا ينضو .

(٤) وافتر: اضحك حتى تكشف عن اسنانك . (٥) النخاس : الذى يبيع العبيد
ويطلق العبد على الأبيض والأسود بالسواء .

فوضعه الغلام وأخذه التاجر وقلبه وأدار فيه النظر ثم نقره.
فقال : انظر إلى هذا الشبه كأنه جذوة اللهب. أو قطعة من
الذهب^(١). شبه الشام . وصنعة العراق^(٢). ليس من خلقان
الأعلاق^(٣). قد عرف دار الملوك ودارها^(٤). تأمل حسنه وسلني
متى اشتريته؟ اشتريته والله عام المجاعة. وأدخرته لهذه الساعة.
يا غلام الإبريق. فقدمه. وأخذه التاجر فقلبه. ثم قال : وأنبوبه
منه^(٥). لا يصلح هذا الإبريق إلا لهذا الطست. ولا يصلح هذا
الطست إلا مع هذا الدست^(٦). ولا يحسن هذا الدست إلا في

- (١) أى : أن نحاس هذا الإبريق فى صفائه ولمعانه يشبه القطعة من النار لأنها تبرق وتلمع أو القطع من الذهب لأنها صافية براقه .
(٢) أى أنه من نحاس الشام وكانت مشهورة بجودة نحاسها وقد صنع فى العراق وهى إذ ذاك مهبط الحذق ومعنى المهارة .
(٣) خلقان : جمع خلق وهو البالى، والأعلاق : جمع علق وهو النفيس، والمعنى أنه نفيس ولكن لم يتطرق إليه البلى .
(٤) أى أنه كان عند بعض الملوك .
(٥) الأنبوب المكان الذى ينزل منه الماء .
(٦) الدست المكان المهيأ لمقابلة الضيفان وهو أشرف ما يكون فى البيت وصدر الدار .

هذا البيت. ولا يجمُلُ هذا البيتُ إلا مع هذا الضيفِ. أرسلِ الماءَ
يا غلامُ. فقد حانَ وقتُ الطَّعامِ. باللهِ ترى هذا الماءَ ما أصفاهُ
أزرقُ كعينِ السَّنورِ^(١). وصافٍ كقضيبِ البلورِ^(٢). استقى منَ
الفراتِ^(٣). واستعملَ بعدَ البياتِ^(٤). فجاءَ كلسانِ الشَّمعةِ . فى
صفاءِ الدمعةِ. وليسَ الشَّأنُ فى السَّقَاءِ. الشَّأنُ فى الإناءِ. لا
يدلُّكَ على نظافةِ اسبابه. أصدقُ منَ نظافةِ شرابه^(٥). وهذا
المنديلُ سلنى عن قصته. فهو نسجُ جرجان^(٦). وعملُ أرجان. وقعَ
إلى فاشتريته فاتخذتِ امرأتى بعضه سراويلًا. واتخذتُ بعضه

(١) السنور : القط .

(٢) البلور، بوزن تنور وسنور وسبطر: نوع من الزجاج وقال الفيروزبادى : أنه
جوهر يريد هذا ويضرب به المثل فى النقاء والصفاء .

(٣) استقى : أخذ .

(٤) أى ولم نستعمله إلا بعد أن ظل ليلته فى إناء .

(٥) أى أن الإناء الذى بات فيه هو سبب صفائه ونظافته ويدلك على ذلك ما
تجده فى الماء من هذه النعوت والصفات .

(٦) المنديل : خرقة تستعمل لتجفيف الأيدي من الماء. وأرجان : بهمة مفتوحة
فراء مشددة مفتوحة : إحدى بلاد فارس .

منديلاً^(١) دخلَ في سراويلها عشرونَ ذراعاً. وانتزعتُ من يديها هذا القدرَ انتزاعاً^(٢). وأسلمتهُ إلى المطرُز حتى صنعه كما تراه وطرزه^(٣). ثم رددتهُ من السوقِ. وخرنتهُ في الصندوقِ. وأدخرتهُ للظرفِ. من الأضيافِ^(٤). لم تذلهُ عربُ العامَّةِ بأيديها. ولا النساءُ لماقيها^(٥). فلكلُّ علقِ يومٍ. ولكلِّ آلهِ قومٍ^(٦). يا غلامُ

(١) سراويل : جمع سروال أو سروالة أو سرويل بكسر السين في الثلاثة وبالشين المثثة لغة وهو نوع من الثياب .

(٢) انتزعت : أخذت بشدة والمعنى أنها كانت تريد أن تستبقه كله لنفسها ضنا به وحرصا عليه لجودته ونفاسته ولكنى لم أشأ أن أوافقها على ذلك بل أخذته منها رغما عنها . (٣) طرزه : وشى أطرافه بالحريز ونحوه والتطريز معروف . (٤) ادخرته : أبقيته والظراف بكسر أوله : جمع ظريف وهو الحسن الزى الجميل المنظر .

(٥) أى لم أخرجه لأحد حتى تتبدله العامة فتذله وكأئنه جعل استعمال غير الظراف له مذلة وهوانا والفعل يصح قراعه مضعفاً ومن غير تضعيف ، يقال : ذله وأذله واستذله (بتشديد اللام فيهن) كما يقال : أذلته والمعنى أهنته واحتقرته وهونت من شأنه ولم أحسن القيام عليه. والمأقى جمع مؤق وهو مؤخر العين مما يلي الانف فاما مما يلي الصدغ فهو اللحاظ بكسر أوله .

(٦) يعنى انه لا يجوز ان يجعل كل شئ من النفائس لكل ضيف طارق بل ينبغى ان ترتب على قدر الناس ومستواهم .

الخوان. فقد طال الزمان. والقصاع. فقد طال المصاع^(١).
والطعام. فقد كثر الكلام. فأتى الغلام بالخوان. وقلبه التاجر
على المكان. ونقره بالبنان. وعجمه بالأسنان^(٢). وقال: عمر الله
بغداد فما أجود متاعها. وأظرف صناعاتها. تأمل بالله هذا
الخوان. وانظر إلى عرض متنه. وخفة وزنه^(٣). وصلابة عوده

(١) المصاع بكسر اوله اصله المجالدة، وما اشبه هذا الحديث البارد والكلام
الممل بالمقاتلة والمكافحة ولعمري لو ان ابا الفتح كان فى معركة القتال لما لقي
من الضيق وتآلم النفس وشدة الكرب عشير ما لقيه من صاحبه ولما كان يحتمل
من بأس خصمه وشجاعته وقوته وجلاده نصف ما لقيه من نذالة هذا وبرود
طبيعته . (٢) قلبه على المكان : اى على الفور ، هذا هو الذى يتبادر لنا ولعل
الاصل فيه ان المرء انما يحصل منه فى مكانه الذى يكون فيه احب الاشياء اليه
سرعة نفاذ واقتراب مضاء، ولم نعثر على تعبير مثل هذا ولا حل له، ونقره
ضربه، والبنان : أطراف الاصابع، وعجمه بالاسنان : عضه بها ليخبره، والمعنى
انه فعل كل هذه الافعال ليمتدحه ويثنى عليه .

(٣) عمر الله بغداد : جعلها عامرة أهلة بالسكان، وارقة النعمة، رخاء. والمتن فى
اصل الوضع : الظهر واراد منه المكان الذى يوضع عليه الطعام من الخوان،
واذا كان عريضا اى متسع المساحة او عريض السمك فذلك يقتضى ان يكون
وزنه ثقيلًا بمقدار سمكه ولكنه أراد ان يبين جودة خشبه الذى صنع منه فذكر
انه خفيف لا مثل ما يتبادر الى الذهن من ثقله وصعوبة حمله .

وحسن شكله. فقلت: هذا الشكلُ. فمتى الأكل^(١)؟ فقال: الآن. عجلْ يا غلامُ الطعام^(٢). لكنَّ الخوانَ قوائمهُ منه^(٣). قال أبو الفتح فجاشتُ نفسي^(٤). وقلتُ: قد بقي الخبزُ وآلاته . والخبزُ وصفاته^(٥). والحنطةُ من أينُ اشتريتُ أصلاً^(٦). وكيف اُكثرتُ لها

(١) أى : لقد طال بى الانتظار وسمعت منك كثيراً، ورأيت شكل خوانك ولكن متى يحين الوقت لتحضر الأكل .

(٢) عجل الطعام . أحضره فى العاجل، والعاجل والعاجلة : ضد الأجل والآجلة، وهو الوقت الذي يقرب من زمانك الذي انت فيه وقد عجل تعجيلاً وتعجل ومنه قوس عجلي بوزان سكرى اذا كانت سريعة السهم .

(٣) أى أن له مزية خليقة بأن تلتفت اليها وهى أن ظهره وقوائمه التى يقف عليها قطعة واحدة .

(٤) جاشت : تحركت وغلّت قال الشاعر :

وقولى كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحي

(٥) الخبز - بالفتح - : مصدر خبز وبابه ضرب، والخبز - بالضم - معروف . والمعنى : أنه قد بقي أن يتكلم حينما يجيء الطعام على كيفية الخبز ويشرح لى كيف اشترى آلاته ويصفها وصفا يطيل الامد ويزيد الكمد ثم يتكلم عن الرغفان فينعثها ويمدحها ويثنى عليها وفى ذلك المضيعة للوقت وازدياد الالم الناجم عن كثرة كلامه .

(٦) أى : من أى مكان اشترى أصلها وهو الحب .

حملاً^(١). وفى أى رَحَى طحن^(٢). وإِجَانَةً عجن^(٣). وأى تَنُورِ
سجر^(٤). وخبازٍ استأجر. وبقىَ الحطبُ من أَيْنَ احتطبَ. ومثى
جلبَ. وكيفَ صَفَفَ. حتَّى جَفَّفَ. وحبسَ. حتَّى يبسَ. وبقىَ
الخبازُ ووصفهُ والتَّميِذُ ونعتهُ^(٥). والدَّقِيقُ ومدحهُ. والخميرُ
وشرحهُ. والملحُ وملاحنهُ. وبقيتِ السُّكَّرَجَاتُ من اتخذها^(٦).
وكيفَ انتَقَذَهَا^(٧). ومنِ استعملَهَا. ومنِ عملَهَا. والخلُّ كيفَ

(١) حملاً : المراد منه الحامل لأنه هو الذى يكثرى وكثيرا ما يعبر بالمصدر عن
اسمى الفاعل والمفعول كالخلق مرادا به المخلوق .

(٢) الرحا : معروفة وهى مؤنثة والمتنى رحوان ورحيان (واوية ويائية) والجمع
أرح وأرحاء. ورحاء لغة فيها والتثنية رحاءان، والجمع أرحيه .

(٣) الاجانة : اناء يستعمل فى الغسيل والعجين ونحوها .

(٤) التنور : الموقد الذى يخبز فيه، وسحره: أشعله وأوقده .

(٥) أى أنه بقى الكلام على أشياء كثيرة لانه لن يترك شيئا يتعلق بالطعام
نوع تعلق حتى يذكره ويأتى على جملة وتفصيله. والمراد بالتلميذ : فتى
الخباز . (٦) السُّكَّرَجَاتُ : جمع سكرجه وهى الصحفة وجمعها صحاف كجفنه
وجفان وزنا ومعنى والمراد أنه لا بد أن يتكلم عن الاوانى التى ستكون فيها ألوان
الطعام كيف وقعت له وعند أى الأمراء والملوك كانت ، وأى صانع ماهر ذلك
الذى صنعها .

(٧) استخلصها من بائعها .

انتقى عنبه أو اشترى رطبه^(١). وكيف صهرجت معصرته^(٢).
 واستخلص لبه. وكيف قير حبه^(٣). وكَمْ يساوى دته. وبقى البقل
 كيف احتيل له حتى قطف^(٤). وفي أى مبقلة رصف^(٥). وكيف
 تؤنق حتى نظف^(٦). وبقيت المضيرة كيف اشترى لحمها. ووفى
 شحمها. ونصبت قدرها. وأججت نارها^(٧). ودقت أزارها. حتى
 أجيد طبخها وعقد مرقها. وهذا خطب يطم^(٨). وأمر لا يتم.

(١) كان المعروف عندهم اذ ذاك خل العنب وخل الرطب فحسب ولا بد أن يكون
 أحدهما على الخوان وهو سيتكلم عنه وعن كيفية شرائه والسبيل التي سلكها
 حتى وصل اليه .

(٢) صهرجت طليت بالصاروج وهو أخلاط من النورة ونحوها .

(٣) الحب بالضم هنا بمعنى الخابية كالذن وقير طلى بالقار الذى هو القطران .

(٤) أى قطع ورقه نون جذره .

(٥) المبقلة : مكان البقل الذى يزرع فيه، و رصف : أى نظم بعضه بجوار بعض.

(٦) تأنق : استعمل الدقة فى عمله. والمعنى كيف استعملت الدقة والحدق فى

تنظيف هذا البقل مما لا بد أن يكون عالقا به من طين ونحوه .

(٧) اججت أى أوقدت وأشعلت قال : لدى حطب جزل ونار تأججا .

(٨) يطم : يشتد ويعظم والمعنى أن هذا رزء لا قدرة لى على احتمال مثله وبلية

لا قبل لى بها فيجب أن أتدارك نفسى بالنجاء منها .

فقلتُ. فقالَ : أينَ تريدُ؟ فقلتُ: حاجةٌ أقضيها. فقالَ : يامولاي تريدُ كنيفاً يزري بربيعيُّ الأميرِ. وخريفىُّ الوزيرِ^(١). قدُ جصَّصَ أعلاهُ وصهرجَ أسفلهُ^(٢). وسطحَ سقفهُ وفرشتُ بالمرمرِ أرضه. يزلُّ عن حائطه الذرُّ فلا يعلقُ^(٣). ويمشى على أرضه الذُّبابُ فيزلقُ^(٤). عليه بابٌ غيرَ أنه من خليطى ساجٍ وعاجٍ^(٥). مزدوجين أحسنَ ازدواجٍ. يتمنى الضيفُ أن يأكلَ فيه. فقلتُ : كلُّ أنت من هذا الجرابِ. لم يكنِ الكنيفُ فى الحسابِ. وخرجتُ نحوَ البابِ.

(١) الربيعى : المكان يتخذ للإقامة فيه أثناء زمن الربيع، والخريفى الذى يتخذ لزمن الخريف : ومثلها تبذل الهمة فى اجادتها ويقال : أزرى به وازدراه اذا حقره وتهاون بشأته، ومنه الزارى على الانسان وهو الذى لا يعده شيئاً وصاحب المضيرة - أضره الله - يزعم أن كنيفه خير من ربيعى الامير وأحسن من خريفى الوزير وأنهما بجواره مزدريان مستخف بهما وقبحه الله فما أقل عقله واكثر سماجته وتهوسه وأنه لحرى بأن يقطع عمره بين جدران ذلك الذى أعجبه وراق فى نظره .

(٢) جصص طلى بالجص وهو الجير، وصهرج : تقدم قريباً معناه .

(٣) الذر : جمع ذرة وهى أصغر النمل ومنه سُمى الرجل (ذرا) وكنى (أبو ذر) وعلق بالشيء علوقاً : تعلق، والمعنى أنه لا يثبت ولا يستطيع البقاء لملاسته .

(٤) أراد أنه شديد الملاسه أيضاً .

(٥) غير انه أى الفواصل بين الواحه ، والعاج : سن الفيل .

وَأَسْرَعْتُ فِي الذَّهَابِ. وَجَعَلْتُ أَعْدُو^(١) وَهُوَ يَتْبَعُنِي وَيَصِيحُ يَا أَبَا
الْفَتْحِ الْمَضِيرَةَ. وَظَنَّ الصَّبِيانُ أَنَّ الْمَضِيرَةَ لِقَبِّ لِي فَصَاحُوا
صِيَاحَهُ^(٢). فَرَمَيْتُ أَحَدَهُمْ بِحَجْرٍ. مِنْ فَرَطِ الضُّجْرِ^(٣). فَلَقِيَ رَجُلٌ
الْحَجَرَ بِعِمَامَتِهِ. فَغَاصَ فِي هَامَتِهِ^(٤). فَأَخَذْتُ مِنَ النَّعَالِ بِمَا قَدَّمَ
وَحَدَّثْتُ. وَمَنْ الصَّفْعُ بِمَا طَابَ وَخَبِثَ^(٥). وَحَشَرْتُ إِلَى الْحَبْسِ.
فَأَقَمْتُ عَامِينَ فِي ذَلِكَ النَّحْسِ فَنَذَرْتُ أَنْ لَا أَكُلَ مَضِيرَةً مَا
عَشْتُ. فَهَلْ أَنَا فِي ذَا يَا آلَ هَمْدَانَ ظَالِمٌ^(٦). قَالَ عَيْسَى بْنُ
هَشَامٍ : فَقَبِلْنَا عَذْرَهُ. وَنَذَرْنَا نَذْرَهُ. وَقَلْنَا : قَدِيمًا جَنَّتِ الْمَضِيرَةُ
عَلَى الْأَحْرَارِ^(٧). وَقَدِمَتْ الْأَرَاذِلَ عَلَى الْأَخْيَارِ .

(١) أسير بسرعة . (٢) أى أنهم صاروا ينادوننى بما سمعوا منه .

(٣) فرط الضجر : شدة السامة والملل .

(٤) هامة الرجل : رأسه، وغاص الحجر فيها : أى شجها ودخل فيها .

(٥) الصفع : الضرب على القفا خاصة .

(٦) أى : هل ظلمتكم حين أنكرت عليكم أكل المضيرة مادام هذا هو السبب أو

هل ظلمت فى نذرى هذا . (٧) اللهم أنه لا توجد جناية أعظم إيلا ما للنفس

وأشد تنكيلا بها من هذه الجريمة وانما اسندها إلى المضيره لانها سببه .

المَقَامَةُ الحَرِزِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لَمَّا بَلَغَتْ بِي الغُرْبَةُ بَابَ
 الأبوابِ^(١) . ورضيتُ من الغنيمَةِ بالإيابِ^(٢) . ودُونَهُ من البحرِ وثابُ
 بعارِبِهِ^(٣) . ومن السُّفُنِ عسَّافٌ براكِبِهِ^(٤) . استخرتُ اللهَ في
 القُفُولِ^(٥) . وقعدتُ من الفلكِ . بمثابَةِ الهلكِ^(٦) . ولَمَّا ملكنا البحرُ^(٧)

(١) أحد ثغور بحر الخزر سمي بذلك لأنه كان يحيط به سور كثير الأبواب
 الحديدية .

(٢) مثل يضرب لخبية الرجاء وضياع الأمل وأصله من قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الأفاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب

(٣) وثاب : صيغة مبالغة من وثب أى ارتفع، والغارب : أصله الكاهل أو ما بين
 السنام والعنق وجمعه غوارب وهو هنا أعلى الموج والمعنى أننى أحببت الأوبة
 إلى وطنى والعود لديارى ولكنى وجدت أنه يمنعنى من ذلك بحر متلاطم الأمواج
 مرتفعها . (٤) عساف : شديد الاعتساف وهو السير فى غير المسلك المطلوب .

(٥) الرجوع . (٦) المثابة : المكان، والهلك: الهلاك أى جلست فى مكان لا ينجو

الجالس فيه . (٧) أى صرنا منه بحيث لا نستطيع الفكك والتخلص .

وَجَنَّا عَلَيْنَا اللَّيْلُ^(١) . غَشِيَتْنَا سَحَابَةٌ تَمُدُّ مِنَ الْأَمْطَارِ حَبَالًا^(٢) .
وَتَحْدُو مِنَ الْغَيْمِ حَبَالًا^(٣) . بَرِيحٍ تَرْسِلُ الْأَمْوَاجَ أَزْوَاجًا . وَالْأَمْطَارَ
أَفْوَاجًا^(٤) . وَبَقِينَا فِي يَدِ الْحَيْنِ^(٥) . بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ . لَا نَمْلِكُ عِدَّةً غَيْرَ
الدُّعَاءِ . وَلَا حِيلَةَ إِلَّا الْبُكَاءَ^(٦) . وَلَا عَصْمَةَ غَيْرَ الرَّجَاءِ^(٧) .

- (١) جن عليه الليل وجنه الليل يجنه بالضم جنونا وأجنه: ستره وأخفاه .
(٢) يقال : غشيه الأمر وتغشاه وأغشيته إياه وغشيته : إذا غطاه وأحاط به
ومنه قوله تعالى : (فغشيهم من اليم ما غشيهم) ومنه سميت القيامة غاشية وقيل
لأنها تغشى الناس أى تغميهم: ولما كان الحبل متصلًا ليس لأجزائه تقاطع ولا
انفكاك: شبه به المطر فى اتصاله وكثرتة .
(٣) تحدو : تسوق . والغيم : السحاب، وتقول : غامت السماء تغيم غيومة
أغامت وأغيمت وتغيمت، ولسنا ندرى كيف تسوق السحابة جبال السحاب اللهم
إذا كان مجرد استتباعها له يسمى سوقًا فأما إذا أريد من السحابة المطر كما
فى قوله الشاعر :

إذا نزل السحاب بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

فيكون المعنى أظهر وأوضح . (٤) جماعات . (٥) الهلاك .

- (٦) العدة بضم أوله : ما أعدده لحوادث الدهر من المال والسلاح قيل ومنه قوله
تعالى: (جمع مالا وعدده) أى اتخذه عدة وقيل بل المعنى جعله ذا عدد، والحيلة
اسم من الاحتتيال وكذا الحول والحيل يقال : لا حيل ولا قوة لغة فى حول وهو
أحيل منه وما أحيله لغة فى أحوله ويقال: ماله حيلة ولا محيلة ولا احتيال ولا
محال بمعنى واحد . (٧) العصمة : الوقاية .

وطويناها ليلةً نابغيةً^(١). وأصبحنا نتباكي ونتشاكي^(٢). وفينا رجلٌ لا يخضلُ جفنه^(٣). ولا تبتلُ عينه. رخي الصدرِ منشرحه. نشيط القلبِ فرحه^(٤). فعجبنا وألله كلُّ العجب. وقلنا له : ما الذي أمنك من العطب؟^(٥). فقال : حرزٌ لا يغرقُ صاحبه^(٦). ولو شئتُ

(١) نسبة إلى النابغة الذبياني وهو الذي أكثر من وصف ليله بالطول والشناعة كقوله :

فبت كأن العائدات فرشن لي هراسا به يعلى فراشي ويقشب
وقوله : فبت كائى ساورتى ضئيلة من الرقش فى أنيابها السم نافع
وقوله : كلينى لهم يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت : ليس بمنقض وليس الذى يهدى النجوم بأيب
(٢) يبكى كل واحد منا سوء حاله ويشكو صروف دهره خشية الغرق وضياع
الحياة . (٣) اخضل الزرع : تبلل وندى والشئ الخضل : الرطب وجفن العين
معروف وعدم ابتلاله كناية عن عدم بكاء صاحبه . (٤) رخي الصدر : واسع
وسعة الصدر وانشراحه : كناية عن عدم التألم واطمئنان خاطر وارتياح
الضمير ويقال نشط الرجل لم يعمل عملنا ولم تظهر عليه علامات التأثر ولم
يفزعه حالنا ولا جزع مثلنا بل كان على العكس ظاهر السرور طلق الوجه بسام
الثغر ضاحك السن . (٥) العطب التلف والهلاك وأمنك منه جعلك تأمن وقوعه
ولا تخشى نزوله . (٦) الحرز المراد هنا ما يكتب فى الأوراق ويجعل كالتمائم
يعلقه المرء أو يحمله لغرض من الأغراض .

أَنْ أَمْنَحَ كَلًّا مِنْكُمْ حَرِزًا لَفَعَلْتُ^(١). فَكَلُّ رَغْبٍ إِلَيْهِ وَأَلْحٌ فِي الْمَسْأَلَةِ عَلَيْهِ^(٢). فَقَالَ : لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ حَتَّى يُعْطِيَنِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ دِينَارًا الْآنَ وَيُعِدْنِي دِينَارًا إِذَا سَلِمَ^(٣). قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : فَنَقَدْنَاهُ مَا طَلَبَ. وَوَعَدْنَاهُ مَا خَطَبَ^(٤). وَأَبَتْ يَدُهُ إِلَى جَيْبِهِ^(٥) فَأَخْرَجَ

(١) منح : أعطى والفعل (منح) من باب قطع والاسم بكسر أوله والمعنى أن في مقدورى أن أعطى كل واحد منكم حرزا حتى يأمن على نفسه من الغرق ولا يخشى ثورة البحر فتطمئن نفسه ويتلج صدره ويستريح خاطره ولا يأخذه الفزع فيكون متلى .

(٢) رغب إليه : طلب منه، فأما رغبه ورغب فيه وارتغب فيه فمعناها أراده، ورغب عنه : كرهه، وألح في المسألة : أكثر من سؤاله وكرر من طلبه والمعنى : أنه لم يبق من بيننا من لم يطلب منه حرزا يتقى به هياج البحر وشدته ويبالغ في طلبه واشتدت بنا الرغبة على قدر شدة الحاجة .

(٣) المعنى أنه أبى أن يجيبنا إلى مسألتنا إلا إذا أعطيناها الأجر ووعدناه بأجزل العطاء بعد النجاة .

(٤) نقدناه : أعطيناها حالا، ووعدناه ما خطب : أى أعطيناها وعدا أكيدا أننا ننجز له طلبه الثانى بعد النجاة .

(٥) وأبت يده أى رجعت ولا يستلزم ذلك أن تكون أصلها فيها فكثيرا ما استعمل مثل هذا فى معنى صارت .

قطعة ديباجٍ. فيها حَقَّةٌ عاجٍ^(١). قد ضَمَّنَ صدرها رقاعاً وحذفَ كلَّ واحدٍ منَّا بواحدةٍ منها^(٢). فلما سلمتِ السفينةُ . وأحلتنا المدينةَ^(٣). اقتضى الناسَ ما وعدوه . فنقدوه^(٤). وانتهى الأمرُ إلى فقال : دعوه^(٥). فقلتُ: لك ذلك بعدَ أن تُعلمني سرَّ حالك^(٦). قال : أنا من بلادِ الإسكندريةِ . فقلتُ: كيف نصرَكَ الصبرُ وخذلنا^(٧)؟ فأنشأ يقولُ :

(١) حقة : وعاء صغير، والعاج : سن الفيل .

(٢) حذف : أى رمى لكل واحد منا ورقة من تلكم الأوراق والرقاع جمع واحده رقعة وهى ما يكتب فيه والمعنى أنه أطلع من جيبه وعاء يشتمل عدة أوراق قد كتب فيهن وناول كل واحد منا واحدة .

(٣) أحلتنا، وصلت بنا حتى حللنا المدينة أى نزلناها وآتينا محلاتها .

(٤) اقتضى : طلب منهم الوفاء أى بعد أن نجونا من الغرق ودخلنا المدينة التى قصدناها طالبنا بالوفاء والإنجاز فلم يتخلف أحد منا بل كنا سراعا إلى إجابة دعوته . (٥) أى أنهم ما زالوا يعطونه الواحد بعد الآخر حتى وصلت النوبة إلى وبقي على أن أنقده ولكنه بادر إلى أمرهم بتخليتى وإعفائى .

(٦) المعنى أن لك أن تحكم عليهم بأن يتركونى ولك أن تجاب إلى هذه البغية ولكن بشرط أن تخبرنى بأمرك وتشرح لى حقيقتك .

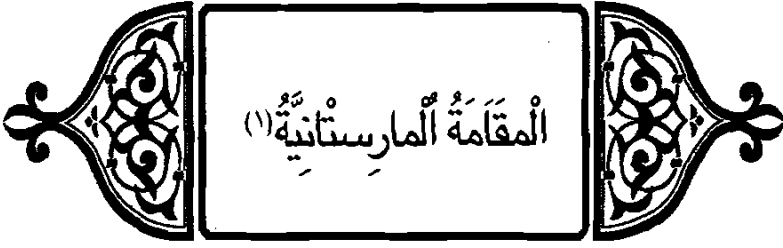
(٧) شبه الصبر بإنسان يأخذ بيد بعض الناس فيعينها ويترك البعض وأسند إليه فعلا من خواص المشبه به ترشيعا .

تُ مَلَأْتُ الْكَيْسَ تَبْرًا ^(١)	وَيْكَ لَوْلَا الصَّبْرُ مَا كُنْتُ
قَ بِمَا يَغْشَاهُ صَدْرًا ^(٢)	لَنْ يَنَالَ الْمَجْدَ مِنْ ضَا
عَةً مَا أُعْطِيتُ ضَرًّا ^(٣)	ثُمَّ مَا أَعْقَبَنِي السَّاءَ
وَبِهِ أَجْبُرُ كَسْرًا ^(٤)	بَلْ بِهِ أَشْتَدُّ أَرْزًا
غَرَقَى لَمَّا كَلَّفْتُ عُدْرًا ^(٥)	وَلَوْ أَنِّي الْيَوْمَ فِي الْ

(١) أى أنه لولا ما تدرعت به من الصبر لما سألتهمونى وكشفت لكم المسألة ونشأ عن ذلك أنى أخذت منكم مالا ملأت به كيسى . (٢) يغشاه ينزل به من الحوادث والمعنى أن بلوغ المجد والوصول إلى غاية الرفعة لا يكونان مع الجزع والخوف . (٣) أعقبني: أورثنى ومنه قوله تعالى: (فاعقبهم نفاقا) أى أورثهم بخلمهم نفاقا . والمعنى: إن الذى أعطيته وهو ما أخذته منكم فى السفينة لم يكن سببا فى اىصال الضر إلى ولم يورثنى شيئا من المساعة .

(٤) المعنى أن الذى أخذته لم يتسبب لى عنه ضرر بل بالعكس سيقوى ساعدى ويصلح حالى وينعم عيشى .

(٥) المعنى : أننى لو كنت غرقت معكم لما كان هناك ضرر على وذلك لأنه لا يوجد من يسألنى عن فائدة حرزى فأتكلف له الاعذار وأتمحل أوهن الحجج وأضعف البراهين على صدقى والمراد أن يذكر له أنه كان يعتقد فوزه فى حال نجاتهم بما يأخذه منهم وإذا كان الغرق قد كتب عليه معهم فما ضره ألا يأخذ منهم فرأى أن يحتال هذه الحيلة ليبتز منهم ما يصلح شأنه ويقيم حاله ويسعد باله .



حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ :

(١) أنا وإن كنا نعتقد أن هذه المقامات وما أشبهها قصص متخيلة منتحلة نرى مع هذا أنه كما تضم السجون كثيرا من المظلومين والأبرياء فكذلك توصل أبواب المارستان على كثير من العقلاء وأرباب النهى ونحن نذكر هنا حادثا تاريخيا عن رجل منهم قد يكون أمس بالأدب من الحادث الذي ذكره البديع ولو أن المتنبي كما استظهر أحد أدباء هذا العصر كان مجنونا فكم فى الناس من يود يجده الأئف لنفسه مثل هذا الجنون - قال أبو بكر الأزهر: حدثنى المبرد قال: قال لى المازنى : أنت تنصرف من مجلسنا فتصير إلى مواطن المجانين والمعالجين فما معنى ذلك؟ فقلت : أعزك الله تعالى إن لهم طرائف من الكلام قال : فأخبرنى بأعجب ما لقيته من المجانين . فقلت : دخلت يوما إليهم فمررت على شيخ منهم وهو جالس على حصير قصب فجاوزته إلى غيره فقال : سبحان الله تعالى... أين السلام؟ من المجنون أنا أو أنت؟ فاستحييت منه فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال : لو كنت ابتدأت لأوجبت علينا حسن الرد على أنا نصرف سوء أدبك على أحسن جهاته من العذر لأنه كان يقال : أن للقادم على القوم دهشة، اجلس أعزك الله عندنا وأوماً إلى موضع من الحصير فقعدت ناحية =

دخلتُ

= استجلب مخاطبته فقال لى وقد رأى معى محبرة : أرى معك آلة رجلين أرجو
ألا تكون أحدهما أمجالس أصحاب الحديث الأغثاث أو الأدباء أصحاب النحو
والشعر : فقلت الأدباء قال: أتعرف أباعثمان المازنى؟ قلت نعم، قال : أتعرف
الذى يقول فيه :

وفتى من مازن أستاذ أهل البصرة
أمه معرفة وأبوه نكره

فقلت : لا أعرفه، فقال : أتعرف غلاما له نبغ فى هذا العصر معه ذهن وله حفظ
وقد برز فى النحو يعرف بالمبرد، فقلت : أنا والله عين الخبير به، قال : فهل
أنشدك شيئا من شعره؟ قلت : لا أحسبه يحسن قول الشعر، قال : يا سبحان
الله ! أليس هو القائل؟

حبذا ماء العناقيب د بريق الغانيات
بهما ينبت لحمى ودمى أى نبات
أياها الطالب أشهى من لذيذ الشهوات
كل بماء المزن تفا ح خبود الفتيات

قلت: قد سمعته ينشد هذا فى مجلس الأتس، فقال: يا سبحان الله! أولا يستحى
أن ينشد مثل هذا حول الكعبة؟ ثم قال وما تسمع ما يقولون فى نسبه؟ قلت
يقولون هو من الأزد أزد شنوءة ثم من ثماله، قال: قاتله الله ما أبعد غوره
أتعرف قوله ؟ =

مارستان البصرة^(١). ومعى أبو داود المتكلم^(٢). فنظرتُ إلى

= سألنا عن ثمالة كل حى فقال القائلون : ومن ثماله؟

فقلت : محمد بن يزيد منهم فقالوا : زدتنا بهم جهاله

فقال لى المبرد : خل قومى فقومى معشر فيهم نذاله

فقلت أعرف هذا لعبد الصمد بن المعدل يقولها فيه، فقال : كذب من ادعاها، هذا لرجل لا نسب له يريد أن يثبت له بهذا الشعر نسبا، فقلت : أنت أعلم، فقال : يا هذا قد غلبت خفة روحك على قلبى وقد أخرت ما كان يجب تقديمه، ما الكنية أصلحك الله؟ قلت : أبو العباس، قال : فما الاسم؟ قلت محمد، قال فالاب؟ قلت يزيد: قال قبحك الله، أحوجتنى إلى الاعتذار مما قدمت ذكره، ثم وثب باسطا يده يضافحنى فرأيت القيد فى رجله إلى خشبة فأمنت غائلته، فقال: يا أبا العباس، صن نفسك عن الدخول إلى هذه المواضع فليس يتهياً أن تصادف متلى على مثل هذه الحالة، أنت المبرد أنت المبرد؟ وجعل يصفق، وانقلبت عينه، وتغيرت حالته، فبادرت مسرعا خوفا أن تبدر لى منه بادرة، وقبلت - والله - منه فلم أعاود إلى مجلس بعدها ولنسا ندرى أى كارثة أصابت ذلك الفكر الناضج، والعقل السديد فشده إلى السارية، وغادرته حليف القيود والأغلال؟ ولكن الجنون فنون، لعله كان مجنونا بجنون العظمة، أو جنون العبقرية وأهل العبقرية النابغون على رأى مذهب طبائع الإنسان فى منزلة أخذة بطرفى العقل والجنون.

(١) المارستان مكان تداوى فيه المجانين .

(٢) المتكلم أى أحد علماء الكلام وهو النظر فى العقائد .

مجنونٍ تَأْخُذُنِي عَيْنُهُ وَتَدْعُنِي^(١) فَقَالَ : إِنَّ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ
فَأَنْتُمْ غُرَبَاءُ^(٢). فَقُلْنَا : كَذَلِكَ. فَقَالَ : مِنْ الْقَوْمِ لَلَّهِ أَبُوهُمْ؟
فَقُلْتُ : أَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ وَهَذَا أَبُو دَاوُدَ الْمُتَكَلِّمُ. فَقَالَ :
الْعَسْكَرِيُّ؟ قُلْتُ : نَعَمْ. فَقَالَ : شَاهَتِ الْوُجُوهُ وَأَهْلُهَا^(٣)
إِنَّ الْخَيْرَةَ لِلَّهِ لَا لِعَبْدِهِ. وَالْأُمُورَ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِهِ^(٤). وَأَنْتُمْ

(١) كناية عن توجيه نظره إليه، وتأميله فيه .

(٢) كان من عوائد العرب أن يعرفوا حوادثهم وما جريات أحوالهم بأن يزجروا
طييرا فإن مر بهم يمينا تفاعلوا وإن مر شمالا تشاعموا وأشهرهم فى ذلك بنو
لهب قال الشاعر :

خبير بنو لهب فلا تك ملغيا مقالة لهبى إذا الطير مرت

وقال بعض الشعراء :

فإن زجروا طيرا بنحس تمر بى زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

(٣) أى بنست هذه الوجوه وقبح أهلها .

(٤) أبو داود أحد المعتزلة الذين يقولون أن العبد خالق أفعال نفسه والمجنون
يرد عليه هذا القول، ومجمل القول فى هذه المسألة التى تارت عجاجتها بين
الفرق الإسلامية أنهم انقسموا فى الرأى على ثلاثة أوجه فقالت الجماعة : أن
الله تعالى هو خالق أفعال العبد اختيارية أو اضطرارية لكن للعبد كسبا يقتضى
أن يوجه قدرته وإرادته نحو العمل فيختار أحد النجدين وبه يثاب، وعليه =

يا مجوس هذه الأمة تعيشون جبراً . وتموتون صبراً .

= يعاقب، ونصوص الكتاب تشهد لهم قال الله تبارك وتعالى : (والله خلقكم وما تعملون، الله خالق كل شيء، خلق كل شيء فقدره تقديراً، إنا كل شيء خلقناه بقدر، فعال لما يريد) وقال المعتزلة : الموجد للاختيارية منها هو العبد بل قال بعضهم الخالق لها هو العبد .

واستدلوا على ذلك بأنه لولا استقلال العبد بفعله الاختياري لما كان هناك معنى للتكاليف الشرعية ولبطل المدح والذم والثواب والعقاب ولم يبق لبعثة الرسل وإنزال الكتب ودعوة الناس إلى الإيمان والطاعات فائدة قطعية بل مقتضى الحكمة الإلهية أن يجعل الثواب والعقاب ونحوهما متصلين بسبب من فعل العبد لا أن يكون منشأهما شيئاً كان هو سبحانه الخالق له وموجده وكيف يكون من عدل الله وقضائه أن يحاسب إنساناً على ما لم يفعله ولم يكن له فيه اختيار. وهو مردود بأن صحة التكليف وما معه لا تتوقف على كون العبد هو الموجد للفعل والخالق له بل يكفي فيها اختياره وصرف قدرته وإرادته إليه وأن فائدة البعثة وما معها لا يلزم أن تكون سبباً في إيجاد العبد فعل الخير وإنشائه وخلقه بل يكفي في فائدتها أن تكون داعية للعبد إلى صرف قدرته وتوجيه إرادته إلى الفضائل والخيرات وقالت الجبرية لا اختيار للعبد في شيء من أفعاله أصلاً لأن العبد وجميع صفاته من قدرة وإرادة وعلم وغيرها وجميع أفعاله صادرة من الله تعالى والعبد لا يعلم تفاصيل فعل من أفعال نفسه والاختيار تابع للعلم وهو مدفوع بأنه لو كان مسلوب الاختيار لم يكن هناك فرق بين حركة البطش وحركة الارتعاش، ولما صح تكليفه وبأن الكسب وهو رأى الجماعة لا يتوقف على العلم=

وَتُسَاقُونَ إِلَى الْمَقْدُورِ قَهْرًا^(١) وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ. أَفَلَا تُنصَفُونَ. إِنْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَصِفُونَ؟. وَتَقُولُونَ : خَالِقُ الظُّلْمِ ظَالِمٌ : أَفَلَا تَقُولُونَ : خَالِقُ الهَلِكِ هَالِكٌ^(٢)؟ أَتَعْلَمُونَ يَقِينًا. أَنْكُمْ أَخْبِتُّ مِنْ إِبْلِيسَ دِينًا؟ قَالَ :

= التفصيلي بل يكفي فيه العلم الإجمالي فأما الذي يتوقف على العلم التفصيلي فهو الخلق والإيجاد وهو رأى المعتزلة، قالوا وكان أبو العلاء المعري يرى رأى الجبرية حيث يقول :

رماه فى اليم مكتوفا وقال له : إياك إياك أن تبتل بالماء

ونحن نفوض علم ذلك إلى الله تعالى فإن فيلسوف المعرة كان حائرا مضطربا تتنازعه أفكار كثيرة ولم يقف عند حد مذهب جماعة يصح أن ينسب إليه .
(١) المجوس : جماعة اتخذت من دون الله آلهة نسبوا إليهم خلقهم وإيجادهم واعتقدوا أن بيدهم زمام أمورهم والمجنون يقول لأبى داود أنه من مجوس المسلمين وذلك لأنه من جماعة المعتزلة الذين يرون للعبد قدرة على الخلق والإيجاد فكأنهم أشبهوا المجوس فى اسنادهم الإنشاء لغيره سبحانه وتعالى، وجبرا قسرا والمعنى أنه يرد عليه بأن ظاهر حاله فى حياته ينقض مذهبه فإنه قد ولد نون أن يختار وتنزل به المحن وتعترية الشدائد وتحيط به الملماتم من غير أن يكون له رأى فى شىء من ذلك فكيف يعتقد أنه مخير فى شؤونه مريد والاية التى ذكرها تؤيد دعواه وتقيم حجة .

(٢) من أدلة المعتزلة على دعواهم قولهم : ان من الافعال قبيحا كالكفر والظلم =

رَبِّ بِمَا أُغْوَيْتَنِي . فَأَقْرَرُّ وَأُنْكِرُتُمْ . وَأَمِنَ وَكَفَرْتُمْ^(١) . وَتَقُولُونَ : خَيْرٌ
فَاخْتَارَ^(٢) . وَكَلَّا فَإِنَّ الْمَخْتَارَ لَا يَبْعِجُ بَطْنَهُ^(٣) . وَلَا يَفْقَأُ عَيْنَهُ^(٤) . وَلَا

= وبقيّة المعاصي، وخلق القبيح قبيح، والله تعالى منزّه عن القبيح فيجب ألا يكون خالقه وحينئذ يلزم ان يكون العبد خالقا لأفعاله ، وهو مردود بانه لا يقبح من الله جلت قدرته شيء لانه الحكيم القادر على كل شيء القائم على كل نفس بما كسبت وانما القبيح كسب القبيح وهو الامر الذي تتعلق به قدرة العبد واراادته وقد نقض المجنون دعواهم بانه لو صح ان يكون خلق القبيح قبيحا للزم منه ان يكون كل خالق شيء متصفا بمخلوقه، ويلزم من هذا ان يكون خالق الموت ميتا وهم يعتقدون ان الله خالق الموت لانه اضطرارى ولعمري ان ذلك رد فى نهاية الاحكام وغاية القوة .

(١) أي أن ابليس أسند الاغواء الى الله تعالى وهو شر كما تقولون فأقر بايكال الامر كله لله واسناده اليه وانتم أنكرتم ذلك وأمن بقضاء الله وقدره ولم تدعنوا لهما .

(٢) احدى دعاوى المعتزلة، يقولون : ان الله عرض الافعال خيرا وشرها على العبد فاختر منها لنفسه الاعمال التي نهجها وسار عليها .

(٣) بعج بطنه بالسكين : شقه ، فهو مبعوج وبعيج، وبابه قطع .

(٤) فقأ عينه وبخقها - وبابه قطع - : غورها واتلفها .

يرمى من حالقِ ابنه^(١). فهل الإكراهُ. إلا ماتراه^(٢)؟ والإكراهُ مرَّةً
بالمرة . ومرَّةً بالدرة^(٣). فليخزكمُ أنَّ القرآنَ بغيضكمُ. وأنَّ
الحديثَ يغيظكمُ^(٤). إذا سمعتم: (من يضلِّ اللهُ فلا هاديَ له)
أحدثتم^(٥). وإذا سمعتم: (زُويتَ لى الأرضُ فأريتُ مشارِقها

(١) حالق : مرتفع ، أى : لو كان للعبد الاختيار الذى تدعونه انتم لما اختار هذه
المضرات الظاهر ضررها البين نكالها .

(٢) أى هل تعرف لذلك الاكراه معنى غير ذلك السوق الذى ترى العباد يسيرون
بمقتضاه؟ وهل يمكنك ان تفهم له مغزى او تتبين له طريقا غير ذلك الظاهر الذى
ساق الناس الى أعمالهم فتراهم مسخرين ولا قدرة لاحدهم على معاندته
والوقوف فى طريقه .

(٣) المرة : العقل والمراد ان الاكراه نوعان : نوع خفى، وهو التسلط على
المشاعر وقهر العقل وغلبته . ونوع ظاهر وهو السوق بالعصى، ويخيل لى ان فى
هذا نوع ميل الى مذهب الجبرية الذين يقولون بجبر العبد وعدم اختياره وذلك
ان مذهب الجماعة وسط بين المذهبين كما أسلفنا . (٤) البغض : المقت
والكراهية ، والبغض المقوت والمكروه والمعنى : ان من أسباب خزيكم وخجلكم
ان يكون كتاب الله ممقوتا عندكم غير محبوبا لديكم لانه ناطق بالحجة ضدكم .

(٥) أَلحد فى دين الله : حاد عنه وعدل ولحد من باب قطع : لغة فيه، وقرئ قوله
تعالى : (لسان الذين يلحدون اليه) بها، والتحد : مثله، والمعنى أنكم حينما
تسمعون نسبة الاضلال الذى هو شر للعبد الى الله فى محكم كتابه تميلون
وتتأولون وتنتحلون وتقولون الذى لا ينطبق مع القرآن فى شىء.

ومغاربها) جددتم^(١) . وإذا سمعتم : (عُرِضَتْ عَلَى الْجَنَّةِ حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَقْطِفَ ثَمَارَهَا . وَعُرِضَتْ عَلَى النَّارِ حَتَّى اتَّقَيْتُ حَرَّهَا بِيَدِي) أَنْغَضْتُمْ رُؤُسَكُمْ وَلَوْيْتُمْ أَعْنَاقَكُمْ^(٢) . وَإِنْ قِيلَ : عَذَابُ الْقَبْرِ

(١) زوى الشيء يزويه زيا : جمعه وقبضه والحديث من خوارق العادات، والمعتزله لا ينكرونها، وانما ينكرون المعراج وهو صعود النبي صلى الله عليه وسلم الى ما فوق السموات السبع حيث لا يعلم الا الله ويقولون : انما كان فى اليقظة كما روى فى حديث عائشه وهذا الحديث يقرب الاستدلال على انه كان حقيقة وفى اليقظة كما يقول الجماعة فهو يقول له انكم حينما يذكر لكم هذا الحديث تجحدون أى تنكرون نسبته الى الرسول لانه يدحض مدعاكم ويقيم الحجة عليكم.

(٢) نغض رأسه من باب نصر وجلس : تحرك ، وأنغض فلان رأسه أى حركه كالمتعجب ومنه قوله تعالى : (فسينغضون اليك رءوسهم) ويقال : نغضه (متعديا) أيضا ، والمعنى انكم حين تسمعون ذكر الجنة والنار بما يدل على وجودهما اليوم تتعجبون وتعرضون عن القائل لانكم ترون كلامه كالشجا فى حلوقكم ، والمعتزلة ينكرون وجود الجنة والنار اليوم فاما الجماعة فيقولون إنهما موجودتان الآن مخلوقتان قبل خلق الانسان بدليل ما ذكره الله تعالى من قصة آدم وحواء واسكانهما فى الجنة واخراجهما منها ولقوله تعالى : (أعدت للمتقين، أعدت للكافرين) والصيغة تقتضى الوجود بالفعل فى هذه الاثناء .

تَطِيرْتُمْ^(١). وَإِنْ قِيلَ: الصَّرَاطُ تَغَامَزْتُمْ^(٢). وَإِنْ ذُكِرَ الْمِيزَانُ قُلْتُمْ :
مِنَ الْفَرِغِ كَفْتَاهُ^(٣). وَإِنْ ذُكِرَ الْكِتَابُ قُلْتُمْ : مِنْ الْقَدِّ دَفْتَاهُ^(٤). يَا
أَعْدَاءَ الْكِتَابِ وَالْحَدِيثِ بِمَاذَا تَطِيرُونَ؟. أَبِاللَّهِ وَأَيَاتِهِ وَرَسُولِهِ

(١) تطيرتم : تشاعتم ، والمعتزلة ينكرون العذاب فى القبر والحديث ناطق
بتسفيهم والرد عليهم فقد قال صلى الله عليه وسلم : (القبر أما روضة من
رياض الجنة واما حفرة من حفر النار، مر على قبرين فقال : إنهما ليعذبان وما
يعذبان فى كثير أما أحدهما فكان لا يستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشى
بين الناس بالنميمة) وقال الله تعالى : (أغرقوا فأدخلوا ناراً، النار يعرضون عليها
غدوا وعشيا ويوم القيامة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب) .

(٢) من دعاوى المعتزلة أن الصراط المذكور فى الكتاب هو الطريق المعنوى وليس
هناك كما يقول الجماعة جسر ينصب على شفير النار يجتازه المؤمنون وتزل
عليه أقدام المبطلين وصريح الكتاب والحديث ضدهم فقد ورد فى الحديث وصفه
وذكر كيفية العبور عليه واجتيازه .

(٣) أى تهزأتم بذلك والفرغ بكسر أوله : الفراغ ، والمراد عدم وجوده والله
يقول: (ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . فأما من خفت موازينه ، وأما من
ثقلت موازينه) .

(٤) القد - بكسر أوله - : الجلد أى أدعيتهم أنه حادث ووصفتموه بصفات
الحوادث ، والقول أن القديم هو صفة الله الكلامية فأما الحروف التى نقرأها
والكاغد والورق فمحدثة .

تستهزِعون؟. إنّما مرقتُ مارقةً فكانوا خبثَ الحديدِ^(١). ثمَّ مرقتُمُ منها فأنتمُ خبثُ الخبيثِ^(٢). يا مخانيثَ الخوارجِ ترونَ رأيهمُ إلا القتالَ!^(٣) وأنتَ يا ابنَ هشامٍ تؤمنُ ببعضٍ وتكفرُ ببعضٍ؛ سمعتُ أنّكَ افتَرشتَ منهمُ شيطانةً^(٤)!. ألمَ ينهكَ اللهُ عزَّ وجلَّ أن تتخذَ منهمُ بطانةً^(٥)؟. ويلكَ هلا تخيَّرتَ لنُطفِتكِ. ونظرتَ

(١) خبث الحديد وغيره بفتحيتين : ما نفاه الكير ، ويقال : مرق السهم من الرمية إذا خرج من الجانب الآخر، وبابه دخل ومنه سميت الخوارج مارقة لقوله صلى الله عليه وسلم (يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) والمعنى أنه خرجت جماعة فكانت للحديث كالصدأ للحديد .

(٢) ثم خرجتم أنتم عنها فكان خبثكم أشد .

(٣) الخوارج : جماعة خرجوا على أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه وقاموا فى وجهه يفسقونه ويحاربونه لتحكيمه عمرا وأبا موسى وقالوا ليس الحكم إلا لله فكل من أسنده لغيره فقد فسق، والمعتزلة يرون أن واحد من الامامين (على ومعاوية) قد فسق ولكنهم لم يجزموا بواحد بعينه وهم لا يرون قتاله ولذلك فإن المجنون جعلهم مخانيث الخوارج لانهم بينهم كالرجل الذى يتطبع بطبائع النساء بين الرجال . (٤) تزوجت امرأة منهم .

(٥) بطانة الرجل ووليجه : خاصته ومن يشتد بهم أزره ويقوى ساعده ولعل أصله بطانة الثوب ضد ظهارته لأن بها يقوى الثوب ويكون أكثر تحملا .

لعقبك^(١). ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أْبْدُلْنِي بِهَؤُلَاءِ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَشْهِدْنِي
مَلَائِكَتَكَ^(٢). قَالَ عِيسَى بْنُ هِشَامٍ: فَبَقِيتُ وَبَقِيَ أَبُو دَاوُدَ لَا نَحِيرُ
جَوَابًا^(٣). وَرَجَعْنَا عَنْهُ بِشَرٍّ وَإِنِّي لِأَعْرِفُ فِي أَبِي دَاوُدَ انْكَسَارًا
حَتَّى أَرَدْنَا الْاِفْتِرَاقَ قَالَ: يَا عِيسَى هَذَا وَأَبِيكَ الْحَدِيثُ فَمَا الَّذِي
أَرَادَ بِالشَّيْطَانَةِ؟ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي غَيْرَ أَنِّي هَمَمْتُ أَنْ
أَخْطُبَ إِلَى أَحَدِهِمْ وَلَمْ أُحَدِّثْ بِمَا هَمَمْتُ بِهِ أَحَدًا. وَاللَّهِ لَا أَفْعَلُ
ذَلِكَ أَبَدًا. فَقَالَ: مَا هَذَا وَاللَّهِ إِلَّا شَيْطَانٌ. فِي أَشْطَانٍ^(٤).

(١) فى الحديث : (تخيروا لنطفكم فان العرق دساس ، أياكم وخضراء الدمن
قالو : وما هى يا رسول الله ؟ قال المرأة الحسنة فى المنبت السوء ، لا تجعلوا
نطفكم إلا فى طهاره) فكل هذا حث على اختيار الزوجه وانتخابها من طواهر
النساء وفضلياتهم .

(٢) اشهدنى : أرنى، والمراد أخرجنى من الحياة التى تجمعنى بهؤلاء الاقذار
وادعنى إلى الحياة الأخرى لالقى ملائكتك .

(٣) يقال كلمته فما أحرار جوابا : أى مارجع ، وقال الاخطل :

هلا ربعت فتسأل الاطلاالا ولقد سألت فما أحرن سؤالا

ومنه يقال حاورته أى راجعته ، وهو حسن الحوار ، وكلمته فمارد الى محوره.

(٤) يقال : عندى شطن قوى وهو الحبل يستقى به وتربط به الدابه وجمعه
أشطان .

فرجعنا إليه. ووقفنا عليه . فابتدنا بالمقال وبدأنا بالسؤال.
 فقال : لعلكما اثرتما . أن تعرفا من أمرى ما أنكرتما^(١) . فقلنا :
 كنت من قبل مطلعاً على أمورنا . ولم تعد الآن ما فى صدورنا^(٢) .
 ففسر لنا أمرك . واكشف لنا سرِّك . فقال :

أنا ينبوعُ العجائبُ	فى احتيالى ذو مراتب ^(٣)
أنا فى الحقِّ سنامٌ	أنا فى الباطلِ غارب ^(٤)
أنا إسكندرُ دارى	فى بلادِ اللهِ سارب ^(٥)
أغتدى فى الديرِ	قسيساً وفى المسجدِ راهب ^(٦)

- (١) اثرتما : فضلتما ومنه قوله تعالى : (لقد أترك الله علينا) أى فضلك، والمعنى
 أنى أرى فى عودتكما أنكما فضلتما أن تتبيننا ما خفى عليكما من أمرى .
 (٢) تعد : تجاوز ، والمعنى انك الان كذى قبل قد تفرست فينا فلم تخطئ
 فراستك ولم يخب ظنك .
 (٣) أى أنا مصدر كل عجيبة ، ومورد كل غريبة ، ومعدن كل شارده .
 (٤) السنام : أعلى ظهر البعير ، والغارب : كاهله وهو مرتفع أيضا ، والمعنى
 أنه إذا أراد الحق كان فى أعلى مكان منه وإن شاء الباطل برع فيه أيضا .
 (٥) السارب : الذهاب فى الارض نهارا كالهائم الذى لايدرى أين يتوجه .
 (٦) أى أنه نو ألوان فتارة يدعو إلى هذا وطورا إلى ذاك والمراد مجرد التقلب
 إلى ألوان مختلفة .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامةُ المُجاعيةُ

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِبَغْدَادَ عَامَ مَجَاعَةٍ^(١).
فَمَلْتُ إِلَى جَمَاعَةٍ . قَدْ ضَمَّهُمْ سِمَطُ الثُّرَيَّا^(٢) . أَطْلُبُ مِنْهُمْ شَيْئًا .
وَفِيهِمْ فَتَى نُو لَثْغَةٍ بِلِسَانِهِ^(٣) . وَفَجَّ بِأَسْنَانِهِ^(٤) . فَقَالَ : مَا
خَطْبُكَ^(٥) ؟ . قُلْتُ : حَالَانِ لَا يُفْلِحُ صَاحِبُهُمَا : فَفَقِيرٌ كَدَّهُ الْجُوعُ^(٦) .
وَعَرِيبٌ لَا يُمَكِّنُهُ الرَّجُوعُ^(٧) . فَقَالَ الْغَلَامُ : أَيُّ التَّلْمِثَيْنِ تُقَدِّمُ

(١) قحط . أمحال . جذب شدة .

(٢) السمط : السلك مادام اللؤلؤ منظوماً به والا فهو سلك . والثريا : مجموع

كواكب يشبهون بها الجماعات المتألفة . (٣) أى أنه يبذل بعض الحروف ببعض .

(٤) الفلج تباعد ما بين الأسنان وهو من محاسنها .

(٥) ما حاجتك ؟ او ماهو الامر الذى أملك فجئت تشكو منه ؟

(٦) كده : أتعبه ، وأجهده ، ونال منه ، وأعياه .

(٧) أى لا يستطيع العودة الى وطنه ، ولا يقدر على الأوبة لداره .

(٨) التلثة : هى الشق فى الحائط ونحوه وليس مما يرتاب فيه أن الجوع

والاغتراب أكبر ما ينزل بسعادة المرء فيعطلها .

الجوعُ قدُ بلغَ منِّي مبلغاً^(١) ! قالَ : فما تقولُ في رغيفٍ علىِ
خُوانٍ نظيفٍ . وبقلٍ قطيفٍ^(٢) . إلىِ خلٍ ثقيفٍ^(٣) . ولونٍ لطيفٍ . إلىِ
خردلٍ حريفٍ^(٤) . وشواءٍ صفيفٍ . إلىِ ملحٍ خفيفٍ^(٥) . يُقدِّمهُ اليكُ

(١) أى أننى أفضل رد عادية الجوع لأنه أقوى وأكد وقد أصبح وطؤه على
ثقيلا، وعبئه متعبا كادا، وقد تحملت له العناء والمشقة، وشربت منه الامرين،
فخلصنى منه أولا، ونجنى من الآمه بادية ذى بدء.

(٢) الخوان : المائدة قبل أن يوضع عليها طعام فإذا وضع فهي مائدة .

(٣) بقل قطيف : مقطوف : أى ورق بلا جذور، وخل ثقيف حامض جدا .

(٤) اللون : الدقل ، وهو نوع من النخل، وهو جمع واحده لينة وأصلها لونة
بالواو ولكن لما أنكسر ما قبلها انقلبت ياء ومنه قوله تعالى : (ما قطعتم من لينة)
وثمرها سمين يسمى العجوة ، وقد تجمع على لين ، والمراد هنا نبيذ ذلك التمر،
والخردل حب شجر معروف ، وحريف : أى له لذعة فى اللسان وأصل هذه
الكلمة (الحرف) بوزن قفل : وهو حب الرشاد ، وإنما يستحب مثل ذلك أثناء
الطعم لأنه يجدد الشهوة الى الاكل .

(٥) الشواء بكسر الشين : اللحم المشوى . والقطعة منه شواءة والفعل : شوى
يشوى شيئا وتقول : انشوى اللحم، ولا تقل. اشتوى، والصفيف - بوزان أمير -
ماصف فى الشمس ليحف أو على النار لينشوى ، والمعنى : هل تريد أن أقدم
لك لحما قد جعل شواء وأجيبك معه بقليل من الملح ليساعدك على الاكل .

الآن من لا يملك بوعدي^(١) ولا يُعذِّبكَ بصبري. ثمَّ يعلِّك بعد ذلك^(٢) بأقداحٍ ذهبيةٍ. من راحٍ عنبيَّةٍ^(٣)؟ أذاك أحبُّ اليك أم أوساطُ

(١) لايسوف عليك بل يسرع لك بالانجاز والتنفيذ .

(٢) أصل العل الشرب مرة بعد أخرى وأراد منه هنا مطلق شئٍ يجيء بعد آخر.

(٣) أى : خمر متخذة من العنب وقد أولع الشعراء قديمهم وحديثهم بالكلام عنها ووصفها، قال أمير المؤمنين عبد الله بن المعتز :

وحلو الدلال مليح الغضب	يشوب مواعيده بالكذب
سقاني وقد سل سيف الصبا	ح والليل من خوفه قد هرب
عقارا اذا ما جلتها السقا	ة ألبسها الماء تاج الحب
فأصلح بينى وبين الزمان	وأبدلنى بالهموم الطرب
وما العيش الا لمستهتر	تظل عواذله فى شغب
يهيم الى كل ما يشتهى	وان رده العذل لم ينجذب
ويسخو بما قد حوت كفه	ولا يتبع المن ما قد وهب
فكم فضة فضها فى سرو	ر يوم وكم ذهب قد ذهب

والمبرز فى هذه الحلبة نو المعانى الفياضة والاساليب المستملحة هو الحسن بن هانى أبو نواس الذى يقول :

وكأس كمصباح السماء شربتها	على قبلة أو موعد بلقاء
أتت دونها الايام حتى كانها	تساقط نور من فتوق سماء
ترى ظهرها من ظاهر الكاس ساطعا	عليك ولو غطيتها بغطاء =

محشوة^(١). وأكوابٌ مملوءة^(٢). وأنقالٌ معددة^(٣). وفرشٌ منضدة^(٤).
وأنوارٌ مجودة^(٥) ومطربٌ مجيد^(٦). له من الغزالِ عينٌ وجيد^(٧)؟

= ولابن الرومي كلام جزل وشعر رائع في هذا الباب وهو الذي يقول :

يميل كل شراب من يعاقره وشارب الراح مشغوف بها عانى
كريقة المرء لانتفك في فمه وما يميل لها طعم لأبان

(١) أى أماكن جمعت كثيرا من الظراف .

(٢) الاكواب : جمع كوب وهو الكوز مالم يكن به عروة وأراد بها أكواب الخمر
وكؤوسها .

(٣) أنقال جمع نقل وهو بفتح أوله ما ينتقل عليه من الخمر ومنه إليها .

(٤) نضد متاعه من باب ضرب - وضعه منتظما مرتبا مصفوفا، ونضده
تنضيدا أيضا : للمبالغة فى وضعه متراصفا .

(٥) جاد الشيء يجود جودة (بفتح الجيم وضمها)، صار جيدا، واجاده وجوده :

صيره كذلك ، ومعنى تجويد الانوار : انه قد أجيد سراجها وتؤنق فى مسارجها .

(٦) التطريب فى الصوت : مده وتحسينه ، ولو كان المطرب مأخوذا من هذا

لكان على زنة اسم الفاعل من المضعف ، ولعله مأخوذ من أطرب بمعنى بعث

الطرب إلى غيره مع ملاحظة ذلك المعنى ، والطرب : خفة تصيب الانسان لشدة

حزن أو سرور .

(٧) الجيد : العنق ومثل هذا قول المجنون : =

فإن لم ترد هذا ولا ذاك. فَمَا قَوْلِكَ فِي لَحْمِ طَرِيٍّ.
وَسَمَكِ نَهْرِيٍّ^(١). وِبَاذَنْجَانٍ مَقْلِيٍّ وَرَاحٍ قَطْرِبُلِّيٍّ^(٢). وَتَفَاحٍ

= فعيناك عيناها وجيدك حبيدها سوى ان عظم الساق منك دقيق

ومن بديع ما قيل في القيان قول ابن الرومي :

ظبية تسكن القلوب وترعا	ها وقمرية لها تغريد
حسنها في العيون حسن جديد	فلها في القلوب حب جديد
تتغنى كأنها لا تغنى	من سكون الاوصال ، وهي تجيد
مد في شأو صوتها نفس كا	ف كانفاس عاشقيا مديد
وأرق الدلال والـ ... منه	وبراه الشجا فكاد يبدي
فتراه يموت طورا ويحيى	مستلذ بسيطه والنشيد
في هوى مثلها يخف حلیم	راجح حلمه ويغوى رشيد
خلقت فتنه غناء وحسنا	مالها فيهما جميعا نديد
لى حيث انصرفت منها رفيق	من هواها وحيث حلت قعيد
عن يمينى وعن شمالى وقدا	مى وخلفى فأين عنه أحميد

(١) لحم طرى : أى لايجهد المعدة ولا يحملها مشقة كلحم الطير، والسماك النهري : المستخرج من النهر، وهو اكثر طراة من سمك البحر الملح، والمعنى: اذا كنت لا تستطيع الموافقة على حضور مجلس الغناء ومشاركة الندماء فى احتساء الخمر فماذا ترى فى مثل هذا .

(٢) قطربل : قرية بالعراق شهيرة بالخمر وقال أبو نواس :

قطربل مربعى ولى بقرى الكر	خ مصيف وأمى العنب
ترضعنى درها وتلحفنى	بظلها والهجير يلتهب

جَنِيٍّ^(١) . ومضجعٍ وطِيٍّ^(٢) . على مكانٍ على^(٣) . حذاءَ نهرٍ جرارٍ .
وحوضٍ ثرثارٍ^(٤) . وجنةٍ ذاتِ أنهارٍ؟ قالَ عيسى بنُ هشامٍ : فقلتُ :
أنا عبدُ الثلاثة^(٥) . فقالَ الغلامُ : وأنا خادمُها لو كانت^(٦) . فقلتُ :
لا حيَّاكَ اللهُ ، أحييتَ شهواتٍ قدْ كانَ اليأسُ أماتها^(٧) . ثمَّ قبضتَ
لهاتها^(٨) . فمنْ أَى الخراباتِ أنتَ^(٩) ؟ . فقالَ :

(١) يقال : ثمر جنى إذا كان حين اقتطافه قريبا ، والفاكهة أجود ما تكون إذا كانت كذلك . (٢) مضجع وطى : لين ، هانئ ، لا تمل النوم فيه .

(٣) مرتفع ، وذلك من دواعى الرغبة .

(٤) أى يسمع به صوت الماء دائما لدوام جريه .

(٥) أى أريد كل هذه الامور التى ذكرت .

(٦) أى كما أنك تشتهاقها وتتمنى وجودها بين يديك فكذلك أنا ولكن الحصول عليها عسير .

(٧) أى أثرت فى نفسى دواعى الشهوة الى أشياء كان الفقر قد أياسنى من بلوغها .

(٨) اللهاة : الهنة المطبقة فى أقصى سقف الفم ، والجمع اللها واللهاوات واللهيات أيضا ، والمعنى : أنك بعد أن هيجت ساكن الشهوة الى ما ذكرت من المطعم والمشرب لم تنقع الغلة ولم تبل الاوام بل تركتني أتألم وأتضجر .

(٩) والخرابات : الامكنة المتخربة التى لايسكنها أحد ، ويزعمون أنها تكون مأوى الشياطين ، فالمعنى : أنت شيطان من أى مكان .

أنا من نوى الإسكندرية من نبعة فيهم زكية^(١)
سَخَفَ الزَّمانُ وأهله فركبتُ من سَخْفِي مطية^(٢)

(١) أى أنا من أصل أصيل فى الاسكندرية .

(٢) السخف - بوزن القفل : رقة العقل ، وبابه طرب فهو سخييف ، والمعنى أن الزمان وأهله قد رقت عقولهم وضعفت أحلامهم فالتزمت ان أكون مثلهم فتعمدت السخف وتصنعت الجهالة .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ الوَعْظِيَّةُ

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا أَنَا بِالْبَصْرَةِ أُمَيْسٌ^(١) .
حَتَّى أَدَّانِي السَّيْرُ إِلَى فَرَضَةٍ قَدْ^(٢) . كَثُرَ فِيهَا قَوْمٌ عَلَى قَائِمٍ
يَعْظُهُمْ وَهُوَ يَقُولُ : أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَمْ تُتْرَكُوا سُدًى^(٣) . وَإِنَّ مَعَ
الْيَوْمِ غَدًا^(٤) وَإِنَّكُمْ وَارِدُوا هُوَّةً^(٥) . فَأَعِدُّوا لَهَا مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
قُوَّةٍ . وَإِنَّ بَعْدَ الْمَعَاشِ مَعَادًا^(٦) . فَأَعِدُّوا لَهُ زَادًا . أَلَا لَا عِذْرَ فَقَدْ

(١) أى اختال فى مشيتى ، واتبخر فى سيرى .

(٢) فرضيه : فرجة ، ثلثة .

(٣) أى هملا لا راعى لكم .

(٤) أى ان كنتم تظنون أنكم تفرون اليوم فان الغد ملايكم فاعدوا له .

(٥) الهوة فى الاصل : الحفرة العميقة واراد منها القبر .

(٦) المعاد : الرجوع والمعنى ان بعد هذه الحياة اخرى ترجعون فيها الى الله
وكما أنكم لا تحيون هنا الا بالزاد وأنتم تتكالبون عليه فاجمعوا شيئاً من الزاد
تستمدون منه هناك وهو العمل الصالح .

بَيَّنَتْ لَكُمْ الْمِحْجَةَ^(١). وَأَخَذَتْ عَلَيْكُمْ الْحِجَّةَ. مِنْ السَّمَاءِ بِالْخَبْرِ .
وَمِنَ الْأَرْضِ بِالْعِبْرِ^(٢). أَلَا وَإِنَّ الَّذِي بَدَأَ الْخَلْقَ عَلِيمًا . يُحْيِي
الْعِظَامَ رَمِيمًا^(٣). أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ جَهَازٍ . وَقَنْطَرَةٌ جَوَازٍ^(٤). مِنْ
عِبْرَهَا سَلَمٌ . وَمِنْ عَمْرَهَا نَدِيمٌ^(٥). أَلَا وَقَدْ نَصَبْتُ لَكُمْ الْفِخَّ وَنَثَرْتُ

(١) الحجة : الطريقة الواضحة ، والحجة البرهان .

(٢) أى نزل عليكم من السماء دليل الشرع وبين أيديكم دليل العقل وهو التدبر
فى الاكوان وملكوت الارضين والعبيرة بالكسر : الاسم من الاعتبار وجمعها عبر .
(٣) بدأ الخلق : أنشأه أول مرة ، والرميم : البالى ، وهو فعيل من قولهم : رم
العظم يرم رمة بكسر الراء فى الاخيرين اذا بلى وتقادم عليه العهد والمعنى : أن
الله جلت قدرته قد أنشأكم أول مرة وأوجدكم بداءة عالما بكم خبيراً بما تكونون
عليه وأنه لن يعجز على اعادةكم ليعرضكم على الحساب و يناقشكم فيما أسلفتم
فى أيام حياتكم الاولى وإذا كان حاله كذلك فقد وجب على عبده ألا يلهو عن
مراقبته وحساب نفسه .

(٤) جهاز العروس والسفر - بفتح الجيم وكسرها .. : متاعه وحمولته التى
يأخذها معه المسافر ، والجواز : المرور ، والسلوك ، والسير ، والمعنى : أن هذه
الحياة ليست إلا سوقاً تتجهزون منها لسفركم الطويل ، وطريقاً تسلكونه الى
مقصدكم الذى تريدونه فانتقوا من المتاع ماتعلمون أنه يعينكم فى سفركم ولا
يضركم ، واسلكوا الطريق التى لايشوبها عوج ولاتنهشكم أسودها .

(٥) عبرها : تخطاها ، وعمرها : أقام فيها العمارات .

لَكُمْ الْحَبَّ فَمَنْ يَرْتَعُ . يَقَعُ . وَمَنْ يَلْقُطُ يَسْقُطُ^(١) . أَلَا وَإِنَّ الْفَقْرَ
حَلِيَّةَ نَبِيِّكُمْ فَاكْتَسُوهَا . وَالْغَنَى حِلَّةُ الطُّغْيَانِ فَلَا تَلْبَسُوهَا^(٢) .
كَذَبَتْ ظُنُونُ الْمُحْسِنِينَ . الَّذِينَ جَحَدُوا الدِّينَ . وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ
عِضِينَ^(٣) . إِنَّ بَعْدَ الْحَدَثِ جَدَثًا^(٤) . وَإِنَّكُمْ لَمْ تَخْلُقُوا عَبَثًا^(٥) .

(١) أى أن الدنيا كصياد ينصب حباله للطير لا يريد بذلك منفعة الطير ولكنه يريد منفعة نفسه فكل طائر يلقط الحب يقع فى هذه الأحبولة .

(٢) المعنى : لا يزدهيكم رونق الغنى ولا تغرنكم مظاهره ولا يخدعكم سرابه اللآلئ فإنه عرض زائل ومتاع قليل وهو مع ذلك مثار الاغترار ومنشأ التهلكة ورداء من لبسه نسي الله واتبع هواه فأضله وأرداه ، ولا تأنفوا الفقر ، ولا تنفروا من الاملاق فإنه يذكركم بالخالق دائما ويحثكم على طاعته ورضوانه ، ولقد خير النبي عليه السلام فى أن يكون له مثل جبل أحد ذهباً فقال : لا ، يارب ، أجوع يوماً فأحمدك ، وأشبع يوماً فأشكرك ، فتشبهوا به وسيروا سيرته وانهجوا طريقه . (٣) عضين . جمع عضه وهى الفرقة . كانوا يختلفون فى تأويله بالسحر والكهانة والاساطير ، والمعنى : ان هؤلاء الذين عاندوا النبي ولم يقبلوا قوله واستكبروا عن الاستجابة له قائلين : ان هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين - قد كذبوا فى هذه الدعوى ، وضلوا عن الصراط فلا تسمعوا لهم ولا تقولوا بقولهم . (٤) الحدث : الحياة فى هذه الدنيا . والجدث القبر . (٥) عبثاً : بلا حكمة وأراد من هذا أن يبين لهم أن المعاد أمر يقتضيه العقل ولا ياباه كل ذى فكر لان من اعتقد أنه لم يوجد فى هذه الحياة ليتمتع بلذائذها ويتلج بنعائمها ثم لا يكون بعد ذلك شئ فقد ضل ضلالاً بعيداً بل لا بد وأن تكون هناك حكمة فى هذا الوجود هى ، إثابة الخيرين والتنكيل بالاشرار .

فحذارِ حرَّ النَّارِ^(١). وبيدارِ عقبى الدَّارِ. أَلَا وَإِنَّ الْعِلْمَ أَحْسَنُ عَلَى
عِلَاقِهِ. وَالْجَهْلُ أَقْبَحُ عَلَى حَالَاتِهِ^(٢). وَإِنَّكُمْ أَشَقَى مِنْ أَظْلَتَهُ
السَّمَاءِ. إِنْ شَقِيَ بِكُمْ الْعِلْمَاءُ^(٣). النَّاسُ بِأُمَّتِهِمْ. فَإِنْ انْقَادُوا
بِأُمَّتِهِمْ. نَجَوْا بِذُمَّتِهِمْ^(٤). وَالنَّاسُ رَجُلَانِ: عَالِمٌ يَرَعَى. وَمُتَعَلِّمٌ
يَسْعَى. وَالْبَاقُونَ هَامِلٌ نَعَامٍ. وَرَاتِعٌ أَنْعَامٍ^(٥). وَيِلُّ عَالٍ أَمْرٌ مِنْ
سَافِلِهِ. وَعَالِمٌ شَيْءٍ مِنْ جَاهِلِهِ^(٦). وَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ
الْحُسَيْنِ كَانَ قَائِمًا يَعْظُ النَّاسَ وَيَقُولُ: يَا نَفْسُ حَتَّامٌ إِلَى الْحَيَاةِ

(١) حذار : اسم فعل بمعنى احذروا وبيدار اسم فعل معناه بادروا .

(٢) أى أن العلم وإن كان فيه تعب ومشقة ولكنه حسن وجميل بخلاف الجهل
وإن صحبته الدعة والراحة .

(٣) المعنى إذا لم تهتدوا بهدى العلماء ولم تنهجوا سبيلهم فقد حلت بكم
الشقوة .

(٤) أى ليس الناس الا بقوادهم وهم أئمة الدين فان أسلموا لهم زمامهم نجوا
وان جمحوا هلكوا .

(٥) أى لا يعد انساناً إلا واحد من اثنين عالم أو متعلم ، وهو من حديث على :
كن عالماً أو متعلماً ولا تكن الثالثة فتهلك .

(٦) ليس أشق على النفس ولا أنكى بها من سافل يأمر العلية بأمره أو جاهل
يرشد العالم الى ما لا يعلمه .

رُكُونُكَ. وَإِلَى الدُّنْيَا وَعِمَارَتِهَا سَكُونُكَ^(١). أَمَا اعْتَبَرْتَ بِمَنْ مَضَى
مَنْ أَسْلَفَكَ. وَيَمَنْ وَارَثَهُ الأَرْضُ مِنْ أَلْفِكَ^(٢). وَمَنْ فَجَعْتَ بِهِ مِنْ
إِخْوَانِكَ. وَنُقِلَ إِلَى دَارِ البَلَى مِنْ أَقْرَانِكَ^(٣)؟؟؟

(١) ركن اليه - من باب دخل، وركن أيضاً بالكسر - ، والمعنى : ألا ترتدعين
أيتها النفس الغاوية عن الميل الى لذات الدنيا وشهواتها وتخلعين عنك ثوب
التكالب على جمعها واقامة العمائر بها .

(٢) يقال : ألفت الموضع ألفه إلفاً، وألفته أولفه إيلافاً، وأؤالفه مؤالفة وإلافاً: أى
أحببته ورغبت فيه، ومنه : الالف يقال : حنت الالف الى الالف، والاليف وجمعه
الأئف بزنة تبيع وتباع فأما الالاف فجمع ألف بمعنى محب وراغب ، بزنة كافر
وكفار ، والمعنى . ألم تكن لك بمن سبقك من الناس موعظة فتهتدى الى ما
ينجيك ؟ ثم ألم تأخذك الحسرة على نفسك بعد ما تبين لك أن اخوانك ومحبيك
ومن كنت تركز اليهم قد صاروا الى الاجداث وتواروا تحت التراب ؟؟؟

(٣) الفجيعة : الرزية. وقد فجعته المصيبة - من باب قطع - وفجعته أيضاً
تفجيعاً : أوجعته وألمته ، والأقران جمع واحده قرن وهو بفتح أوله : مثلك فى
السن تقول : هو على قرنى أى على سننى، بكسره قريعك فى الشجاعة وضربك
والمعنى : ألا تردعك المصائب التى نزلت بعشرتك واخوانك فتأملت لها نفسك ثم
ألم يحزنك انتقال لداتك وقرنائك الى الحياة الثانية فتعتبر بهم .

فَهُمْ فِي بَطُونِ الْأَرْضِ بَعْدَ ظُهُورِهَا مُحَاسِنُهُمْ فِيهَا بِوَالِ دَوَائِرُ^(١)
 خَلَّتْ دُورُهُمْ مِنْهُمْ وَأَقْوَتُ عِرَاصُهُمْ وَسَاقَتَهُمْ نَحْوَ الْمَنَايَا الْمَقَادِرُ^(٢)
 وَخَلَوْا عَنِ الدُّنْيَا وَمَا جَمَعُوا لَهَا وَضَمَّتَهُمْ تَحْتَ التَّرَابِ الْحَفَائِرُ^(٣)
 كَمْ اخْتَلَسَتْ أَيْدِي الْمُنُونِ . مِنْ قُرُونٍ بَعْدَ قُرُونٍ^(٤) . وَكَمْ غَيَّرَتْ
 بِيَلَاهَا . وَغَيَّبَتْ أَكْثَرَ الرِّجَالِ فِي ثَرَاهَا؟؟؟
 وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا مَكِبٌ مُنَافِسٌ لُخِطَّابِهَا فِيهَا حَرِيصٌ مَكَاتِرٌ^(٥)

(١) بوال : جمع بال وهو الخلق الرث ودوائر جمع دائر وهو الهالك .

(٢) أقوت : خلت وأقفرت ، قال النابغة :

يادار مية بالعلياء فالسند أقوت وطل عليها سالف الامد

والعراص : جمع عرصة وهي الفضاء بين الدور ، والمقادير: الأفضية ، وأحكام
 الله . (٣) المعنى : أنهم نزحوا عن هذه الحياة تاركين أموالهم وذخائرهم التي
 قضوا أعمارهم في جمعها وتحصيلها واستنفدوا أيامهم في الكدح لها والجد
 عليها وكأنهم كانوا لا يظنون وراءهم مثل ذلك اليوم فلما ذهبوا ضمت أجسامهم
 حفرة صغيرة ووسعهم جحر ضيق وكانت الدنيا كلها تضيق في وجوههم .

(٤) أى أن الموت أباد كثيرا من جماعات الناس وأقنى العديد من الأمم والقرون:

جمع قرن وهو أهل الزمان الواحد . قال الشاعر :

إذا ذهب القرن الذى أنت فيهم وخلفت فى قرن فأنت غريب

وهو أيضاً ثمانون سنة وقيل ثلاثون سنة . (٥) أكب فلان على كذا وانكب : لزمه
 وما فتى يفعل ، والمنافسة : المباراة والتسارع الى العمل ، والتكاثر : المكاثرة
 فى الاعمال والاموال ونحوهما أى المغالبه فى كثرتهما والمعنى أنك مقبل على
 الدنيا تجمع لذاتها وتنافس فيها أهلها فى حرص منك ومغالبة ومنافسة كأنك
 تعتقد دوام الحال لك .

على خطرٍ تمشى وتصيحُ لاهياً أتدرى بماذا لو عقلتَ تُخاطرُ؟^(١)
 وإنَّ امرأً يسعى لدُنياهُ جاهداً ويذهلُ عن أُخراهُ لاشكَّ خاسرُ^(٢)
 أنظرُ إلى الأمَمِ الخاليةِ^(٣) . والمُلوكِ الفانيةِ^(٤) . كيفَ انتسفتهمُ
 الأيامُ^(٥) . وأفناهمُ الحمَامُ^(٦) . فأنمحتُ آثارهمُ . وبقيتُ
 أخبارهمُ^(٧) .

(١) أى أنك تسير فى الدنيا سيرا خطير بحيث لو عقلت لعلمت أنك تعرض
 بنفسك للشقاوة والهلاك .

(٢) والمعنى أنه لاريب فى أن الذى يكون همه تحصيل الدنيا دون أن يهتم بشأن
 حياته الأخرى سيخسر فى صفقته ويؤوب بالخذلان المبين .

(٣) الماضية . (٤) التى ذهبت من قبل .

(٥) انتسفهم : أى أهلكتهم ولم تبقى لهم أثرا من قولهم نسف البناء إذا أقتلعه
 من أصله . (٦) الحمام بالكسر الموت .

(٧) أنمجت وامحت : خفيت ولم يبق لها أثر وامتحت لغة فيه ضعيفة ، والمعنى
 أن آثارهم ومصنوعاتهم لم يبق منها شئ غير الذكرى والأخبار ، وما أبدع قول
 أمير الشعراء فى هذا العصر (شوقى بك) فى هذا المعنى :

كل حى على المنية غاد	تتوالى الركاب والموت حاد
ذهب الاولون قرنا فقرنا	لم يدم حاضر ولم يبق باد
هل ترى منهم وتسمع عنهم	غير ذكرى مآثر وأيادى ؟

فاضحوا رميماً في التُّرابِ وأقفرَتِ مجالِسُ مِنْهُمُ عَطَّلَتْ وَمَقاصِرُ^(١)
 وحلُّوا عن الدُّنيا وما جمَعُوا بها وما فازَ مِنْهُمُ غيرُ مَنْ هوَ صابِرُ
 وخلُّوا بدارٍ لا تزاورُ بينَهُمُ وأنى لِسُكَّانِ القُبُورِ التَزاورُ^(٢)
 فما إنْ تَرَى إلا رَمُوساً ثَوَّوا بها مُسَطَّحَةً تَسْفِي عَلَيْها الأَعاصِرُ^(٣)
 كمَ عايِنْتَ مَنْ ذِي عِزَّةٍ وَسُلطانٍ. وجنُودٍ وأَعوانٍ. قدْ تَمَكَّنَ

(١) أقفرت : خلت ، قال عبيد بن الابرص :

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالجنوب

والمقاصر : المقاصير جمع مقصورة وهي الدار التي يختص بها صاحبها
 والمعنى: أنهم أصبحوا تحت التراب عظاما بالية واجساما نخره في حين أن
 مجالس لهوهم ومغانى أنسهم في هذه الحياة الدنيا قد خلت منهم ، وأن
 مساكنهم التي كانوا قد قصروها على أنفسهم وكانت تتحلى بهم كما تتحلى
 الحسنة بنفيس القلائد أصبحت معطلة منهم .

(٢) أي انهم في أخراهم لا تنتقل أجسامهم لزيارة بعضهم كما كانوا هنا وذلك
 من علامات الوحشة، لأن العزلة من أكبر نواعي الانقباض وأسباب الاستيحاش.
 (٣) رموسا : جمع رمس وهو القبر ، وثوى يثوى ثواء : أقام، والأعاصر : جمع
 إعصار وهي الريح الشديدة، وتسفى عليها : تحمل الغبار إليها .

مِنْ دُنْيَاهُ. وَنَالَ مِنْهَا مُنَاهُ. فَبَنَى الْحِصُونَ وَالِدَسَاكِرَ. وَجَمَعَ
الْأَعْلَاقَ وَالْعَسَاكِرَ^(١) .

فَمَا صَرَفَتْ كَفَّ الْمَنِيَّةَ إِذْ أَتَتْ مُبَادِرَةً تَهْوِي إِلَيْهِ الذَّخَائِرُ^(٢)
وَلَا دَفَعَتْ عَنْهُ الْحِصُونَ الَّتِي بَنَى وَحَفَّتْ بِهَا أَنْهَارُهَا وَالِدَسَاكِرُ^(٣)
وَلَا قَارَعَتْ عَنْهُ الْمَنِيَّةَ حِيَالَهُ وَلَا طَمَعَتْ فِي الذَّبِّ عَنْهُ الْعَسَاكِرُ^(٤)
يَا قَوْمُ الْحِذَرَ الْحِذَرَ. وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ. مِنَ الدُّنْيَا وَمَكَايِدِهَا. وَمَا
نَصَبْتَ لَكُمْ مِنْ مَصَايِدِهَا . وَتَجَلَّتْ لَكُمْ مِنْ زِينَتِهَا. وَاسْتَشْرَفَتْ
لَكُمْ مِنْ بَهْجَتِهَا^(٥) .

(١) الحصن : البناء حول القرية أو المدينة، والاعلاق : النفائس والعسكر :
الجيش ، وعسكر : هياه.

(٢) الذخائر : جمع ذخيرة، وهي فاعل صرفت في أول البيت، والمعنى : أنه لم
تتفعه ذخائره، ولم تدفع عنه ضرا ولم تجلب له خيرا .

(٣) الدساكر جمع دسكرة وهي البناء الذي يكون كالقصر من حوله بيوت .

(٤) قارعت : دافعت، والذب : الذود، والمنع، والدفاع ، والمعنى : أن حيله
وأفكاره التي كان يدبر بها ملكه لم تدافع عنه حين نزل الموت به ولا أمكن
لجيوشه التي أعدها لمحاربة الاعداء والكفاح والجلاد أن تمنع عنه أو تحميه لأن
الموت سلطان قاهر لا قدرة لمخلوق على دفعه .

(٥) المعنى : حاذروا من الدنيا ولا تأمنوا لها ولا تتخذعوا بها فقد نصبت لكم
الفخاخ ونشرت بينكم العيون والرقباء لتستطلع أمركم ثم تأخذكم في =

وفى دُونِ ما عاينتَ منْ فجَعاتِها الى رِفْضِها داعٍ وبالزُّهدِ امرٌ^(١)
فجُدُّ ولا تغفُلْ فَعيشُكَ بائِدٌ وأنتِ الى دارِ المَنيَةِ صائِرٌ^(٢)
ولا تَطْلُبِ الدُّنيا فَإِنَّ طِلابُها وَإِنْ نلتَ منها رَغْبَةً لَكَ ضائِرٌ^(٣)
وكيفَ يحرصُ عليها لبيبٌ. أو يُسرُّ بها أريبٌ. وهو على ثِقَّةٍ
منْ فَنائِها^(٤)؟ ألا تعجبونَ ممَّن ينامُ وهو يخشى الموتَ ولا يرجو
الفوتَ^(٥)؟

= اشراكها، ألا وان من اشراكها وفخاها ذلك الرواء الظاهري وتلك
الزينة الخادعة التي تظهر لكم فيها وهذه البهجة وذلك الرونق الخلاب الذي
تطلع عليكم به .

(١) أى أن أقل من الذى شاهده من أفعال دنياك كفيل بأن يردك عن غيك
ويسير بك إلى رشدك .

(٢) بائد : هالك ، أى أن ما أنت فيه من متاع هذه الفاتنة شئ مصيره إلى
الزوال فلا تغفل عن ذلك واجتهد فى الذى يدوم ويبقى .

(٣) ضائر : مضر ، وهو خبر أن ، والمعنى أن طلب الدنيا ولو كان يعقبه نوال
شئ منها لا يفيدك بل يضرك .

(٤) أى لا يتصور أن يحرص على الدنيا رجل آتاه الله حصافة الرأى ورزقه
سداده لان من كان ذلك شأنه فهو لاشك واثق تمام الثقة بأنها لاتدوم ولا تبقى .

(٥) أراد من النوم التقصير فى أعمال البر والخير ، والمعنى أنه من أشد ما
يدعو إلى العجب ويثير نواعى الغرابه ان يغفل امرؤ عن صنائع المعروف وهو =

ألا لا وإلكننا نغرُّ نفوسنا وتشغلها اللذاتُ عما تحاذر^(١)
وكيف يلذُّ العيش من هو موقنٌ بموقفِ عدلٍ؟ حيثُ تبلى السرائرُ^(٢)
كأننا نرى أن لا نشورَ وأننا سُدِّي ما لنا بعدَ الفناءِ مصابِرُ^(٣)
كم غرَّتِ الدنيا من مخذٍ إليها^(٤) وصرعتُ من مكبٍ عليها .

= يعتقد أن وراء هذه الحياة موتا وان بعد ذلك اللقاء فراقا وليس عنده أمل في أن ينسأ له في أجله ويؤخر موعدة .

(١) أى أننا لا نتعجب من الذى يرقب الموت ولا يظن أنه مقلته ثم ينام ملء عينيه بل نحن نغتر ونخدع أنفسنا فتستهويننا اللذائذ والشهوات وتنسينا ذلك الذى نخافه ونخشاه وهو لنا بالمرصاد وذلك هو الموت .

(٢) بلاه يبلوه ، وأبلاه وابتلاء : اختبره ، وجربه ، والسرائر : جمع سريرة وهى ما انطوت عليه نفسك وقر فى ضميرك، والمعنى أنه لا يجد للعيش طمعا ولا مساغا ولا يستلذه كل انسان علم أنه سيعرض على الله فى يوم يؤخذ فيه بالنواصى والاقدام تفتضح السرائر وتظهر المكونات .

(٣) النشور : البعث والمعنى أن أفعالنا هذه تشبه أفعال من لا يدين بالبعث ويعتقد أننا أوجدنا فى هذه الحياة بلا راع يكفلنا ولن نصير إليه فيحاسبنا .

(٤) مخذ اسم فاعل من أخذ بمعنى سكن واستراح وهذا .

فَلَمْ تَنْعَشْهُ مِنْ عَثْرَتِهِ . وَلَمْ تُقْلَهُ مِنْ صَرَعَتِهِ . وَلَمْ تُدَاوِهِ مِنْ سَقْمِهِ
وَلَمْ تُشْفِهِ مِنْ أَلَمِهِ (١) .

بَلَى أَوْرَدَتْهُ بَعْدَ عَزٍّ وَرَفْعَةٍ
فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَا نَجَاةَ وَأَنَّه
تَتَدَمَّ لَوْ أَعْنَاهُ طُولُ نَدَامَةٍ
مَوَارِدَ سُوءٍ مَا لَهْنٌ مَصَادِرُ (٢)
هُوَ الْمَوْتُ لِأَيُّجِيَةِ مِنْهُ الْمُوَازِرُ (٣)
عَلَيْهِ وَابْكَّتَهُ الذُّنُوبُ الْكِبَائِرُ (٤)

(١) صرعت : غلبت وقهرت ، ونعشه - من باب قطع - : رفعه ، ولا يقال :
أنعشه ، والعترة : الكبوة ، والمعنى : أن هذه الدنيا قد قهرت بصروفها كل من
سكن إليها وهدأت نفسه لها فلم ترفعه من كبوه ولم تأخذ بيده بل بقى يرح
تحت أعبائها واستمر مثقلا بمتاعبها وألامها .

(٢) المورد ومثله الورد - بكسر أوله - : مكان الورد ، والمصدر ومثله الصدر
- بفتحيتين - الأوبة، الرجوع وهو من قولهم صدر عن الماء وعن البلاد - من
بابى نصر ودخل - أى رجع ، والمعنى : أن هذه الدنيا قد ذهبت به وأخذته إلى
أماكن يلقي فيها الجهد والإعياء بعد أن لبس ثوب العز، وتقلد وسام الرفعة
وليست له أوبة ولا رجعة عنها .

(٣) المُوَازِر : المساعد والمعاضد والناصر .

(٤) أى أنه حين علم أن الموت نازل به لا يدفعه عنه صديق ولا حميم أسف على
تفريطه ولكن الأسف لا يجديه، وبكى طويلا على ما قدم من ذنوب وأثام واجترح
من خطايا وسيئات .

بكى علي ما سلف من خطاياهُ . وَتَحَسَّرَ عَلَيَّ مَا خَلَّفَ مِنْ دُنْيَاهُ
 حَيْثُ لَمْ يَنْفَعَهُ الْإِسْتِعْبَارُ^(١) وَلَمْ يُنْجِهِ الْإِعْتِزَارُ^(٢)
 أَحَاطَتْ بِهِ أَحْزَانُهُ وَهَمُومُهُ وَأَبْلَسَ لَمَّا أَعْجَزَتْهُ الْمَعَاذِرُ^(٣)
 فَلَيْسَ لَهُ مِنْ كُرْبَةِ الْمَوْتِ فَارِجٌ وَلَيْسَ لَهُ مِمَّا يَحَازِرُ نَاصِرُ^(٤)
 وَقَدْ خَسِئَتْ فَوْقَ الْمَنِيَّةِ نَفْسُهُ تَرَدَّدُهَا مِنْهُ اللَّهُي وَالْحَنَاجِرُ^(٥)

(١) الاستعبار: البكاء مأخوذ من العبرة بالفتح وهي الدمعة

(٢) أى أنه لا ينجو إذا اعتذر ، والمعنى أنه بكى وأذرف دمع عينه سخينا فى موقف لا يفيد ذلك فيه، ومكان لا تنفعه الإنابة به ولا تنقذه المعذرة .

(٣) أبلس : حزن، والمعاذر : جمع معذرة فى الأمثال (المعاذر مكاذب) .

والمعنى أن همه وأحزانه تجمعت عليه فأراد أن يعتذر لينج منها فلم يستطع إلى الاعتذار سبيلا فاشتد غمه . (٤) فارح : مفرج .

(٥) خسئت: بعدت أو طفت واللها جمع لهاة وهى اللحمة التى تشرف على الحلق عند أقصى سقف الفم والحناجر جمع حنجرة وهى مكان خروج الصوت والنفس، المعنى: أن نفسه بعدت عن جسمه وطفت عليه حينما نزلت المنية به وقد طفقت لهاة وحنجرته تردد صوته وترجع أنفاسه، وذلك يكون عند الحشرجة فى

أغلب الناس

فإلى متى ترقع بأخرتك دنياك^(١) وتركبُ في ذلك هوالك إني أراك
ضعيفَ اليقينِ يا راقعِ الدنيا بالدينِ! أبهذا أمركَ الرحمنُ أم.
على هذا ذلكَ القرآنُ^(٢)؟

تخربُ ما يبقى وتعمرُ فانياً فلا ذاكَ موفورٌ ولا ذاكَ عامر^(٣)
فهل لك إن وافاكَ حتفتكَ بغتةً
ولم تكتسبَ خيرَ الذي الله عاذر^(٤)؟

(١) أى تصلح دنياك بإفساد آخرتك وهو مثل قول الشاعر :

نرقع دنيانا بإفساد ديننا فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

(٢) المعنى : أنك - أبهذا الذى تصلح دنياك بإفساد دينك وتلم شتتها وترأب
صدعها بتشتيت شمله وتفريق مجتمعه - لم تكن فى الإيمان شديد الاعتقاد لأن
هذه خصلة لم يأمرك بها الله ولم يقرك عليها كتابه فتجتهد فى تحصيلها وتدأب
على العمل بها .

(٣) المعنى على الاستفهام التوبيخى ومعناه أنه ليس بالحكمة ولا أصالة الرأى
أن تخرب دينك وهو أمر يبق لك وينفعك عند الله وتصلح دنياك وهى ذاهبة عنك
إن اليوم أو غدا ثم لا تؤوب لك فكأنك قد خسرت بذلك الأمرين وضاع عليك
المنفعتان لان عمار الدنيا لا يبقى ولأن الدين بعملك غير عامر . (٤) المعنى هب
أنت كنت تقول فى نفسك بأنك تائب فيما بعد فهل ضمننت ذلك وأخذت به عهدا
وكيف يكون حالك لو جاءك الموت قبل أن تستعد للإجابة وتعمل بالتوبة؟ أو تجد
عند الله من يعتذر عنك أو يقبل معذرتك إن قدمتها؟

اترضى بأن تقضى الحياة وتنقضى

ودينك منقوصٌ ومالكٌ وافرٌ^(١)؟؟

قال عيسى بن هشامٍ: فقلت لبعض الحاضرين : من هذا ؟
قال غريبٌ قد طراً لا أعرف شخصه فاصبرو عليه إلى آخر
مقامته. لعله ينبيء بعلامته. فصبرت فقال: زينوا العلم بالعمل
واشكروا القدرة بالعفو^(٢) وخذوا الصفو ودعوا الكدر يُغفر الله لى
ولكم.

ثم أراد الذهاب فمضيت على أثره فقلت: من أنت يا شيخ ؟
فقال: سبحان الله! لم ترض بالحلية غيرتها حتى عمدت إلى
المعرفة فأنكرتها^(٣). أنا أبو الفتح الإسكندرى . فقلت حفظك الله
فما هذا الشيب^(٤) ؟ فقال:

(١) المعنى هل يعجبك ويروق فى نظرك أن تترك هذه الحياة ومالك كثير لا
يحصره العد وأنت لم تكسب فى دينك شيئاً .

(٢) أى أن الله أنعم عليكم بنعمة القدرة فاشكروا له عليها بالعفو عن أساء
إليكم .

(٣) أى لم تكتف بأن ادعيت تغيير حالى وشكلى فجئت تنكر معرفة اسمى
وكنيتى . (٤) أى أن العذر لى أنى لم أرك بهذا الشيب .

نذير ولكنه ساكت وضيع ولكنه شامت^(١)
وأشخاص موت ولكنه إلى أن أشيعه ثابت^(٢)

(١) يذرنى بالموت ودنو الأجل ولكن مع الصمت، وضيع نزل بي غير أنه شامت
(٢) أشخاص موت إزعاجه والرسول المخبر به وعادة الرسول أن يرجع بعد
تأدية رسالته ولكن هذا لا يرتحل حتى أودعه بترك الحياة .

المقامة السوديّة

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: كُنْتُ أَتُهُمْ بِمَالٍ أُصِيبْتَهُ . فَهَمْتُ عَلَى وَجْهِ هَارِبًا حَتَّى أَتَيْتُ الْبَادِيَةَ فَأَدْتَنِي الْهَيْمَةَ^(١) إِلَى ظِلِّ خَيْمَةٍ فَصَادَفْتُ عِنْدَ أَطْنَابِهَا فَتَى^(٢) . يَلْعَبُ بِالْأُتْرَابِ . مَعَ الْأُتْرَابِ^(٣) . وَيُنْشِدُ شِعْرًا يَقْتَضِيهِ حَالُهُ . وَلَا يَقْتَضِيهِ ارْتِجَالُهُ^(٤) ، وَأَبْعَدْتُ أَنْ يَلْحَمَ نَسِيْجَهُ^(٥) . فَقُلْتُ: يَا فَتَى الْعَرَبِ اتْرَوِي هَذَا الشَّعْرَ أَمْ تَعَزَّمُهُ^(٦)؟ فَقَالَ: بَلْ اعْزَمَهُ وَانْشُدْ يَقُولُ:

(١) هَامٌ عَلَى وَجْهِهِ يَهِيْمُ إِذْ سَارَ عَنْ غَيْرِ قَصْدٍ مَعْلُومٍ وَالْوَاحِدَةُ مِنْهُ هَيْمَةٌ .
 (٢) الطَّنْبُ بضمّتين : حبل طويل يشد به سراقق البيت أو الوتد وجمعه أطناب وطنبة والمراد هنا الكناية عن القرب منها . (٣) التراب بكسر أوله اللذة وسنيئك ومن ولد معك وهي تربي والجمع أتراب . (٤) أي أن هذا الشعر يصف حاله التي هو عليها تماما فالحال يقتضيه ولكن سنه وكونه مرتجلا يبعد أن يكون الشعر له (٥) أي وكنت في نفسي أعتقد أنه من العسير عليه أن يكون أبا عذرة هذا الشعر وصاحبه .

(٦) رواية الشعر حفظه ونقله عن الغير عزمه صياغته ونظمه وأصل العزم النية الحاملة على العمل أريد منه هنا العمل لأنه مسبب عنها .

إني وإن كنت صغير السنُّ وكان في العين نبوعتي
فإن شيطاني أمير الجنِّ يذهب بي في الشعر كل فن
حتى يرد عارض التظني فامض على رسلك واغرب عنى^(١)

فقلت: يا فتى العرب أدتني إليك خيفة فهل عندك أمن أو قرى؟^(٢)
قال: بيت الأمن نزلت. وأرض القرى حللت^(٣). وقام فعلق بكمي.
فمشيت معه إلى خيمةٍ قد أسبل سترها^(٤). ثم نادى:

(١) تعتقد العرب أن لكل شاعر هاجساً من الجن يلقي إليه بشعره كما يقولون أن هاجس امرئ القيس كان اسمه لافظ بن لاحظ وسيأتي لذلك ذكر في المقامة الإبلسية، ونبو العين تجافيتها لحقارة المنظور إليه، والتظني: الظن والمعنى: لا يحطن من قدرتي ولا يزدرين بقدرى في نظرك أن ترانى صغير السن وأن تجدنى في منظرى منشأً لابتعاد عيون الناس عنى وتجافيها بونى لأن الشيطان الذى يملى على هذا الشعر ليس أحد السوقة من الشياطين بل هو رئيسهم وأميرهم وقوه الخيال وشدة العارضة يتبعان ذلك وأنه ليملى إلى الشعر الجيد المصقول المتين فى جميع الأبواب وكل الأفانين ليدفع عنى مظنة انتحال ما ليس لى وخير لك بعد أن عرفت ذلك كله ألا تقف حاراً مرتاباً فى أمرى. (٢) الخيفة: الخوف - والمعنى أننى إنما لجأت إلى هنا من الخوف فأنا فى حاجة للأمن وقد سرت طويلاً حتى نال منى الجوع وأحتاج إلى القرى وهى الضيافة. (٣) أى أنك قد جئت بيتاً لا يخاف اللاجئ إليه وأداك السير إلى أرض أهلها كرام يرحبون بالضيف ويكرمون نزله.

(٤) علق بكمي: أمسك بى وكأئنه لحرصه على إكرامه يخشى أن يفلت منه.

يافتاة الحىُّ هذا جار نبت به أوطانه^(١). وظلمة سلطانه^(٢). وحداه
إلينا صيتِ سمعه. أو ذكرُ بلغه^(٣). فأجيرييه^(٤). فقالت الفتاةُ :
اسكن يا حضرى .

أيا حضرى أسكن ولا تخش خيفة فأنت بيت الأسود بن قنان
أعز بن أنثى من معد ويعربٍ وأوفاهم عهداً بكل مكان^(٥)
وأضربهم بالسيف من نون جاره وأطعنهم من نونه بسنان^(٦)

(١) الظاهر أن المراد بالجار هنا المستجير وربما صح إرادة معناه المعروف
ويكون جواره لهم فيما يقيمه بينهم، ونبت به أوطانه أى اشتد عليه المقام فيها
إنما لفظته إلى غيرها فهو حقيق بأن تكرمى مثواه وتبالغى فى العناية به.

(٢) ويروى : وطلبه، أى بحث عنه لينكل به.

(٣) حداه : ساقه - والمعنى أن الذى جاء به إلينا شهرة عرفها عنا.

(٤) لعل فى هذه الكلمة قرينة على إرادة ما رأيناه فى معنى الجار.

(٥) يعرب بن قحطان : أول من تكلم بالعربية فى رأى كثير من المحققين
ويستدلون على ذلك بمثل قول حسان : تعلمتم من منطق الشيخ يعرب. ومعد بن
عدنان : الجد التاسع عشر للنبي صلى الله عليه وسلم . والمعنى أن الممدوح
الذى نزلت داره عزيز منيع الحمى لا يخشى على جاره ضيم.

(٦) المعنى أن يذب عمن لجأ إليه ويدفع عنه عدوان مريديه ولا يألو فى ذلك
جهداً .

كأن المنايا والعطايا بكفه سحابان مقرونان مؤتلفان^(١)
 وأبيض وضاح الجبين إذا انتمى تلاقى إلى عيص أغر يمانى^(٢)
 فدونكه بيت الجوار وسبعة^٣ يحلونه شفعتهم بثمان^(٣)
 فأخذ الفتى بيدي إلى البيت الذى أومأت إليه^(٤). فنظرت فإذا
 سبعة نفر فيه. فما أخذت عيني إلا أبا الفتح الإسكندرى فى
 جملتهم^(٥) فقلت له : ويحك لأى أرض أنت؟ فقال:

(١) المنايا جمع منية وهى الموت، والمعنى: كأنه من فرط شجاعته وكرمه قد
 اقترن الجود والإقدام بيده فصارا سحابين. أحدهما ينقع الغلة ويحىى موات
 الأرض ويعشب جديبها. وثنيهما ينزل كسفا على قوم فيقنيهم ويستأصل
 شأفتهم. وهذا البيت فى نظرنا خير من قول طرفة بن العبد .

يداك يد خيرها يرتجى وأخرى لأعدائها غائظة

(٢) انتمى انتسب، عيص: أصل، مأخوذ من العيص الذى هو الشجو ينبت
 بعضه فى أصول بعض، وقولهم والمرء يشبهه عيصه أى أصله دليل، والمراد من
 بياضه نقاء عرضه، والمعنى أنه إذا انتسب فإنما ينتسب إلى أشرف أصل
 وأطيب أرومة من نسب اليمانية .

(٣) أى أقبل عليه فإنه بيت اللاجئين ودار المستجيرين وأن عنده سبعة نزلوا به
 مثلما نزلت وستكون أنت تأمنهم .

(٤) أومأت : أشارت. (٥) المعنى أنى لم أعرف أحدا منهم غيره ولذلك فإن عيني
 أطالت النظر إليه، والتحديق فيه .

نزلت بالأسود فى داره
فقلت: إنى وجلُّ خائفُ
أختار من طيب أثمارها^(١)
هامت بى الخيفة من ثارها^(٢)
حيلة أمثالى على مثله
فى هذه الحال واطوارها^(٣)
حتى كسانى جابراً خلتي
وماحياً بين اثارها^(٤)

(١) أى : أنا متلك جئت هذه الدار مستئمناً فنزلتم مكاننا رحبا وخيرونى فى أموالهم فأنا بينهم أختار أطيبها وأكرمها.

(٢) يريد أنه حين استجاره ذكر له خوفه وأنه غير آمن على نفسه من جماعة يتعقبونه طلبا لثاراتهم وأضاف الثار للخيفة فى قوله (ثارها) كما يضاف السبب للمسبب.

(٣) المعنى أن العفاة كلهم يتحيلون على نوى المكارم بمثل هذه الحيلة التى تحايلت بها عليه وأنه لن يسأل عن حقيقة أمرى ليتبين صدق حديثى أو كذبه لأن شرف النفس وكرم الطبع لا يوجبان ذلك.

(٤) جبر السر يجبر جبرا: أى عالجه وأصلح فاسده، والخلة - بفتح أوله - الفقر والحاجة، والبين الظاهر، ومحا محوا : أزال، والمعنى أنه لم يزل يحتال حيلته إلى أن كساه كسوة جبر بها فقره وأزال أثر إملاقه.

خذ من الدهر ونل ما صفا من قبل أن تنقل عن دارها^(١)

إياك أن تبقى أمنيّةً أو تكسع الشول بأغبارها^(٢)

قال عيسى بن هشام: فقلت يا سبحان الله: أى طريق الكدية لم تسلكها^(٣)؟ ثم عشنا زمانا فى ذلك الجنب حتى أمنا. فراح مشرقاً ورحت مغرباً^(٤).

(١) أى: لا تترك شيئاً مما يجلب لك السرور وصفاء النفس وانسراح خاطر بون أن تأخذ منه طرفاً وتتال حظك منه وإياك أن تدخر فى ذلك وسعا أو تألو جهداً فإن أيام الحياة قليلة لا تحتمل أن تنغصها ولا تكفى لتديرها بالمخاوف والمزعجات وسوف تنقل عنها فاغتنم أيامها وانتهز عمرك بها فليست الحياة إلا اختلاسات تختلسها من يد الزمن وفرص تغتنمها من بين أوقاته.

(٢) الشول: الناقة أتى على ولادتها سبعة أشهر، ويقال كسع الناقة بغبرها إذا ضرب اخلافها بالماء ليرجع اللبن فتكون أقوى وأشد، يريدون بها ادخاره للأيام المقبلة (وأخلاف الناقة كئدى المرأة) والمعنى ان تدخر شيئاً للزمن القابل فإنما دهرك الحاضر ولك الساعة التى أنت فيها.

(٣) الكدية: سؤال الناس واستجداؤهم وطلب عطاياهم المعنى إن عرفت طرق الاستجداء كلها فلم تترك طريقاً إلا سلكته ولا باباً من أبوابها إلا ولجته.

(٤) أى لم نزل فى جوار ذلك الرجل الكريم حتى أفرخ روعنا ثم تفرقنا فسرت إلى وطنى وسار إلى نصب شباكه.

المَقَامَةُ العِرَاقِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ. قَالَ: طُفْتُ الْأَفَاقَ. حَتَّى بَلَغْتُ
العِرَاقَ^(١). وَتَصَفَّحْتُ دَوَاوِينَ الشُّعْرَاءِ. حَتَّى ظَنَنْتُنِي لَمْ أَبْقِ فِي
القَضُوسِ مَنْزَعَ ظَفَرٍ^(٢). وَأَحَلَّتْنِي بَغْدَادُوسُ فَبَيْنَمَا أَنَا عَلَى الشَّطِّ
إِذْ عَنَّا لِي فَتَى فِي أَطْمَارٍ يَسْأَلُ النَّاسَ وَيَحْرُمُونَهُ^(٣) فَأَعْجَبْتَنِي

(١) العراق: بلاد من عبادان إلى الموصل طولا ومن القادسية إلى حلوان عرضا سميت بذلك لتواشج عراق النخل والشجر فيها أو لأنه استكف أرض العرب أو سمي بعراق المزادة لجلدة تجعل على ملتقى طرفي الجلد إذا خرز في أسفلها لأن العراق بين الريف والبر أو لأنه على عراق دجلة والفرات أي شاطئها أو هي كلمة معربة عن إيران شهر ومعناه كثيرة النخل والشجر. (٢) المنزَع بوزن منبر: السهم، والظفر: الفوز والغلبة، وأضيف المنزَع إليه لأنه أدواته وآلته التي تستعمل من أجله، والمعنى: أنه زاول كتب الشعر وقرأ دواوينه حتى توهم في نفسه أنه استقصى جميعها ولم يبق شيء لم يطلع عليه. (٣) أي ظهر لي شاب يلبس أثوابا خلقة وهو يطلب من الناس فلا يعطونه ويسألهم فلا يجيبونه بل يربونه بخبيته.

فَصَاحَتُهُ فَقُمْتُ إِلَيْهِ أَسْأَلُهُ عَنْ أَصْلِهِ وَدَارِهِ . فَقَالَ أَنَا عَبْسِيُّ
 الْأَصْلُ إِسْكَندَرِيُّ الدَّارِ^(١) . فَقُلْتُ: مَا هَذَا اللِّسَانُ . وَمَنْ أَيْنَ هَذَا
 الْبَيَانُ^(٢) ؟ فَقَالَ: مِنْ الْعِلْمِ . رُضْتُ صَعَابَهُ^(٣) . وَخُضْتُ بِحَارَهُ .
 فَقُلْتُ: بِأَيِّ الْعُلُومِ تَتَحَلَّى^(٤) ؟ فَقَالَ: لِي فِي كُلِّ كِنَانَةٍ سَهْمٌ فَأَيُّهَا
 تُحْسِنُ^(٥) ؟ فَقُلْتُ: الشُّعْرَ فَقَالَ: هَلْ قَالَتِ الْعَرَبُ بَيْتًا لَا يُمَكِّنُ
 حُلَّهُ^(٦) ؟ وَهَلْ نَظِمْتَ مَدْحًا لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ^(٧) ؟ وَهَلْ لَهَا بَيْتٌ سَمَّجَ

(١) المعنى أن أصلى ونشأتى من العرب من قبيلة عبس ولكنى أقيم بالاسكندرية
 وهى إحدى بلاد الأندلس . (٢) أى: ما هذه البلاغة وما تلك الحصافة؟ ومن أين
 لك هذا المنطق الفصيح وذلك اللفظ الأنيق؟ .

(٣) راض يروض رياضاً ورياضة : ذلل، والصعاب جمع صعبة وهى الجامح
 الحرون وكأنه شبه العلم بالدابة التى يكون شأنها ذلك لاستيلائه عليه وتفوقه فيه
 (٤) أى أن العلوم كثيرة وفنونها متشعبة فىأى فرع تستمسك وأى نوع قد
 ضربت فيه بسهم وفير .

(٥) الكنانة : الوعاء الذى توضع فيه السهام، والمعنى أننى حزت من كل فن
 طرفاً وأخذت من كل نبعة سهماً، وأنت أى علم تعرف حتى أناقشك فيه
 وأحاورك؟ .

(٦) حله: نثره وذلك أن الشعر متى نثر تغير وزنه واختل، وهذا البيت لا يكون
 كذلك بل يبقى موزوناً فكأنه لا يمكن فيه الحل .
 (٧) أى هل لها كلام لم يعرف الذى قيل فيه .

وَضَعُهُ. وَحَسُنَ قَطْعُهُ^(١)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يَرِقُّ دَمْعُهُ^(٢)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ
يَثْقُلُ وَقَعُهُ^(٣)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ يَشْجُ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبَهُ^(٤)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ
يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ^(٥)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَكْثَرُ رَمْلًا مِنْ
يَبْرِينَ^(٦)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ كَأَسْنَانِ الْمَظْلُومِ. وَالْمَنْشَارِ الْمَثْلُومِ^(٧)؟ وَأَيُّ
بَيْتٍ يَسْرُكُ أَوْلَاهُ وَيَسُوكُ آخِرَهُ^(٨)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ يَصْفَعُكَ بَاطِنُهُ،
وَيَخْدَعُكَ ظَاهِرُهُ^(٩)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُخْلَقُ سَامِعُهُ. حَتَّى تَذَكَّرَ

(١) أى أن معناه ردى واقتطاعه عما قبله وعدم اتصاله معناه بمعناه حسن.
(٢) رفاً الدمع والدم : سكن، وبابه قطع، والمعنى هل تعرف للعرب بيتا كله
مدامع وعبرات لا تسكن ولا تغيض؟ (٣) أى يعسر النطق به لتنافر بين ألفاظه
أو يعسر الوصول إلى معناه لتعقيد فى أسلوبه أو أن ألفاظه تمثل لك شدة
وبأسا ونحوهما. (٤) يشج : يكسر، ويأسو : يداوى، وعروض البيت: الكلمة
الأخيرة فى المصراع الأول وضربه : الكلمة الأخيرة فى المصراع الثانى،
والمعنى: أن القارئ إذا وصل إلى العروض حسب هناك ضربا وشجارا وإذا
وصل الضرب ألفى وداد وسلاما. (٥) أى أنه جاء فى صورة عظيمة من صور
الوعيد ولكن شأنه صغير قلما يهتم به . (٦) يبرين، ويقال فيه: ابرين، موضع
بإزاء الإحساء كثير الرمال والمعنى أن البيت فيه ما يمثل لك ذلك ويزيد عنه.

(٧) المنشار : آلة النجار وهو معروف والمثلوم: المتكسر، واسنان المظلوم: أى
المضروب على فمه ظلما تكون منكسرة متباعدة والبيت يشبه ذلك لكثرة شينانه
التي لكل واحدة منه اسنان ثلاث. (٨) أى إذا وصفت بأوله فرحت وإن وصفت
بآخره ألت. (٩) أى أن سبك ألفاظه واختيارها يوهمك أن له معنى جليلا فإذا
تكشفت عنه كان له أثر سيئ فى نفسك.

جَوَامِعُهُ^(١)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ لَا يُمَكِّنُ لِنَسْهِ^(٢)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ يَسْهَلُ عَكْسُهُ^(٣)؟
وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ، وَكَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ^(٤)؟ وَأَيُّ بَيْتٍ هُوَ
مِهِينٌ بِحَرْفٍ. وَرَهِينٌ بِحَذْفٍ^(٥)؟؟؟

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَوَ اللَّهُ مَا أَجَلْتُ قَدْحًا فِي جَوَابِهِ^(٦).
وَلَا اهْتَدَيْتُ لَوَجْهِ صَوَابِهِ إِلَّا: لَا أَعْلَمُ^(٧) فَقَالَ: وَمَا لَا تَعْلَمُ أَكْثَرُ^(٨)

(١) أى أن السامع لا يستطيع أن يفهم معناه الذى أريد منه حتى يأتى المتكلم على آخره . (٢) المعنى أن ما اشتمل عليه البيت من الألفاظ التى تدل على معان ليس من الميسور لمسها بل ولا الدنو منها كالبرق والغيم . (٣) عكس البيت : جعل صدره عجزا وعجزه صدرا . (٤) الأبيات المتفقة فى بحر واحد تكون متقاربة متجانسة فى هذه الصفة ويكون بينها ارتباط كرابطة القرابة والأهلية، والمعنى أى بيت هو أكثر حروفا وكلمات من بيت آخر مثله فى البحر بحيث لو قرأهما واحد لم يعتقد أنهما من بحر واحد ولم يثق بأن بينهما ذلك الارتباط.

(٥) مهين أى بما اشتمل عليه من الهجاء ورهين بحذف : أى أنه متى حذف منه شىء انقلب معناه . (٦) أجلت : حركت، والمعنى أن كلامه وقع عندى موقع الغربة فلم أستطع أن أضرب فى تفهمه بسهم . (٧) المعنى أننى لم أعرف من وجوه الصواب شيئا أجيبه به إلا قولى فى كل مسألة لا أعلم . (٨) المعنى أنك تصورت فى هذا أنك لا تعرفه ولكن الذى لا يمكنك أن تتصور عنه شيئا بالسلب أو الإيجاب أكثر.

فَقُلْتُ: مَا لَكَ مَعَ هَذَا الْفَضْلِ. تَرْضَى بِهَذَا الْعَيْشِ الرَّذْلِ^(١)؟ فَاَنْشَأَ
يَقُولُ:

بُؤْسًا لِهَذَا الزَّمَانِ مِنْ زَمَنِ كُلِّ تَصَاريفِ أَمْرِهِ عَجَبٌ^(٢)
أَصْبَحَ حَرْبًا لِكُلِّ ذِي أَدَبٍ كَأَنَّمَا سَاءَ أُمَّهُ الْأَدَبُ^(٣)
فَأَجَلْتُ فِيهِ بَصْرِي. وَكَرَّرْتُ فِي وَجْهِهِ نَظْرِي^(٤). فَإِذَا هُوَ أَبُو
الْفَتْحِ الْإِسْكَندَرِيُّ. فَقُلْتُ: حَيَّاكَ اللَّهُ وَأَنْعَشَ صِرْعَكَ^(٥) إِنْ رَأَيْتَ
أَنْ تَمَنَّ عَلَى بَتْفِيرٍ مَا أَنْزَلْتَ. وَتَفْصِيلٍ مَا أَجْمَلْتَ. فَعَلْتَ. فَقَالَ:
تَفْسِيرُهُ: أَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي لَا يُمَكِّنُ حَلَّهُ فَكَثِيرٌ وَمِثَالُهُ قَوْلُ الْأَعْشَى^(٦)

(١) الرذل : المرنول ، والمعنى أن علو كعبك وارتفاع شأوك لا يليق بهما ظاهر
حالك. (٢) بؤسا: قبحا ومذمة، تصاريف أمره: تديبيراته في شؤونه وأحواله،
والمعنى أن كل ما يفعله هذا الزمن القبيح عجيب جدا وموضع للغرابة
والاستنكار.

(٣) المعنى: أن هذا الدهر لا يعاكس إلا أهل الفضل ووذى الآداب كأن له ثأرا
عندهم . (٤) أى أننى أدمنت النظر إليه وظللت أتفرس فى وجهه لأعرف من هو.
(٥) أنعش صرعك أقامك من سقطتك وهى لغة رديئة إن صح ورودها وقد
أسلفنا ذلك. (٦) هو : أبو بصير ميمون الأعشى بن قيس بن جندل رابع فحول
الجاهلية، وأمدحهم للملوك، وأوصفهم للخمر وأغزهم شعرا، وأكثره عروضاً
وافقتانا وطوالا جيادا، وينتهي نسبه إلى بكر بن وائل ، وكان من أهل اليمامة
يسكن قرية منها تسمى منفوحة ونشأ فى بدء أمره رواية لخاله المسيب بن علس
أحد الشعراء المقلين المجيدين وكان الأعشى يطرى شعره ويأخذ منه حتى إذا =

دَرَاهِمُنَا كُلُّهَا جَيِّدٌ فَلَا تَحْبُسْنَا بِتَنْقَادِهَا

= جاد شعره ونبه شأنه قصد الملوك والأجواد وطوف إليهم الأفاق وأقاصي البلدان مادحا لهم مستجديا عطاياهم وهو أول من مدح فى شعره بالسؤال وطلب الحاجة وكان ينتاب بالمدح بنى عبد المدان ملوك نجران وأساقفتها يقيم عندهم ما يشاء يشرب الخمر ويسمع الغناء ويأخذ عنهم بعض آرائهم فى العقائد فجاد لذلك وصفه للخمر وظهر بعض معتقدهم فى شعره كما كان ينتاب ملوك الحيرة وخاصة الأسود أخا النعمان بن المنذر وما زال هذا شأنه حتى يطمع فى جوائز كسرى فرحل إليه يمدحه بالشعر العربى فأجزل عطاءه وإن لم يرق عنده شعره لسوء ترجمته له .

وعمى الأعشى وطال عمره حتى كان الإسلام وعظم أمر النبى صلى الله عليه وسلم بين العرب فأعد له قصيدة يمدحه بها أولها .

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

ومنها :

فاقسمت لا أرني لها من كلاله ولا من وجى حتى تلاقى محمدا

متى ما تناخى عند باب ابن هاشم تراحى وتلفى من فواضله ندى

نبى يرى ما لا يرون وذكره أغار لعمرى فى البلاد وأنجدا

وقصده بالحجاز فلقبه كفار قريش وصدوه عن وجهه على أن يأخذ منهم مائة ناقة ويرجع إلى بلده لتخوفهم أثر شعره ففعل ولما قرب اليمامة سقط عن ناقته فدقت عنقه ومات ودفن ببلدته منقوحة باليمامة

ومعنى البيت المذكور: لا تضيع علينا الوقت لتفرز نقودنا وتبين زيفها من جيدها فإنها لا تشتمل زيوفا، وأما كونه غير قابل للحل فمعناه أنه جاء ما يجيء النثر ليس فيه تقديم ولا تأخير فلا يمكن أن يصاغ فى صورة غير هذه ثم لو أنك قلت داهمنا جيد كلها، لم يختل الوزن.

وَأَمَّا الْمَدْحُ الَّذِي لَمْ يُعْرَفْ أَهْلُهُ فَكَثِيرٌ وَ مِثَالُهُ قَوْلُ الْهَذَلِيِّ^(١):
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ عَلَى أَنَّهُ قَدْ سُلِّ عَنْ مَا جَدَّ مَحْضٍ
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي سَمِعَ وَضَعَهُ. وَحَسَنَ قَطْعَهُ. فَقَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ^(٢):

(١) شعراء هزيل كثيرون منهم أبو بكر الشاعر الإسلامي الصحابي وأبو صخر مادح عبد الملك بن مروان وهو أحد شعراء الدولة الأموية وأبو خراش الذي ينسب له هذا البيت وسببه أن رجلا قد ألقى رداءه على أخيه ليحميه من أعدائه ويجيره من خصومه وقبله .

حمدت إلهي بعد عروة إذ نجا خراش وبعض الشر أهون من بعض
فوالله ما أنسى قتيلاً رزنته بجانب قوسي ما مشيت على الأرض

ونسبه الأستاذ الإمام للاعشى. (٢) هو أبو الحسن علي بن هاني الشاعر المتفنن الماجن الحاد صاحب الصيت الطائر، والشعر السائر ورأس المحدثين بعد بشار وهو فارسي الأصل ولد بقرية من كور خردستان (شرقي البصرة) سنة ١٤١ ونشأ يتيماً فقدمت به أمه البصرة بعد سنتين من مولده فتعلم العربية ورغب في الأدب فلم تعباً أمه بحاله وأسلمته إلى عطار بالبصر فمكث عنده لا يفتر عن معاناة الشعر والاختلاف إلى الأدياء والمجان إلى أن صادفه عند العطار والبه بن الحباب الشاعر الماجن الكوفي في إحدى قدماته إلى البصرة فأعجب كل منهما بالأخر فأخرجه والبه معه إلى الكوفة فبقى معه ومع ندمائه من خلعاء الكوفة وتخرج عليهم في الشعر وفاقهم جميعاً، وفد بغداد وقد أربت سنة على الثلاثين فاتصل ببعض الأمراء وبلغ خبره الرشيد فأذن له في مدحه فمدحه بقصائد طنانة وكان يقصد بعض عمال الولايات ويمدحهم ومنهم الخطيب =

فَبِتْنَا يَرَانَا اللَّهُ شَرَّ عَصَابَةٍ تُجَرَّرُ أَذْيَالُ الْفُسُوقِ وَلَا فُخْرُ
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي لَا يِرْقَأُ دَمْعُهُ فَقَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ^(١):
مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِيَّةٍ سَرَبُ^(٢)

= عامل مصر ثم انقطع إلى محمد الأمين وثبت عنده بعض ما يوجب تعزيره فسجنه ولم يلبث بعد أن خرج من السجن أن مات سنة ١٩٩ .

وكان أبو نواس جميل الصورة، فكه المحضر، كثير الدعابة، حاضر البديهة متينا في اللغة والشعر والأدب متعصبا لليمانية على المضرية وأكثر علماء الشعر ونقدته على أن أبا نواس أشعر المحدثين بعد بشار وأكثرهم تفننا، وأرصنهم قولاً، وأبدعهم خيالاً، مع دقة لفظ، وبديع معنى ومن جيد شعره :

تقول غداة البين إحدى نسائهم لى الكبد الحرى فسر ولك الصبر
وقد خضبتها عبرة فلدمعها على خدها خد وفى نحرها نحر
وقالت: إلى العباس قلت : فمن إذاً ومالى عن العباس معدى ولا قصر
فهل يكفلن ألا براحتة الندى وهل يزهون إلا بأوصافه الشكر؟؟

والبیت المذكور فى المقامة مقطوع عما قبله لأنه قد ذكر قبل ذلك أنواع اللذائذ التى اغتتموها فى ليلتهم، وقد أحسن فى هذا القطع .

(١) نو الرمة : هو غيلان صاحب مى (تقدمت ترجمته) ولا يرقأ دمعهُ أى لا يجف لكثرتة وقد بين البديع معنى هذا فى المقامة.

(٢) الكلية، والكولة - بضم أولهما - ولا تقل كلوة بالكسر- إحدى لحمتين منتبرتين حمراوين لازقتين بعظم الصلب عند الخاصرتين فى كظيرين من الشحم والجمع كليات وكلى، ومفريية : أى مقطوعة، وسرب : سائل من قولهم : سربت المزادة فهى سرية - وبابه فرح - أى سالت وإذا تقطعت الكلى سال بول المرء من دون أن يقدر على حبسه. وما أسمع هذا التشبيه وأبرده !

فَإِنَّ جَوَامِعَهُ: إِمَّا مَاءٌ، أَوْ عَيْنٌ، أَوْ أَنْسِكَابٌ، أَوْ بَوْلٌ، أَوْ نَشِيئَةٌ، أَوْ
أَسْفَلُ مَزَادَةٍ، أَوْ شِقِّ، أَوْ سَيْلَانٌ. وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي يَثْقُلُ وَقَعُهُ فَمِثْلُ
قَوْلِ ابْنِ الرَّومِيِّ^(١):

(١) هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي مولى بني العباس الشاعر
المكثّر، المطبوع صاحب النظم العجيب، والتوليد الغريب، والمعاني المخترعة
والأهاجي المقذعة، ولد ببغداد سنة ٢٢١ ونشأ بها وأقام كل حياته وكان كثير
التطير جدا وله فيه أخبار غريبة حتى كان أصحابه إذا أرادوا أن يعبثوا به
أرسلوا إليه من يتطير من اسمه فلا يخرج من بيته ويمتنع من التصرف سائر
يومه وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتز يخاف هجوه ويخشى فلتات لسانه
ويقال أنه دس عليه من أطعمه خشكانه (ترادف ما يسمى الآن بسكويتا)
مسمومة فاكلها ثم أتى منزله وأقام به أياما ومات سنة ٢٨٣ ببغداد، وقيل بل
مرض ووصف له الطبيب دواء فيه سم فغلط في مقداره وأكثر منه فمات، وقال
ابن الرومي الشعر في كل غرض ولا سيما الوصف والهجاء ونبغ في الشعر
نبوغا لم يقصر به كثيرا عن درجة البحتری، وربما فاقه في اختراع المعاني
الناردة أو توليدها من معاني من سبقه بشكل جديد ووضعها في قالب أحسن
وكان إذا اخترع المعنى أو ولده من كلام غيره لا يزال يستقصى فيه وينظمه
بوجوه مختلفة حتى لا يدع فيه بقية، وهو ممن جمع صقال اللفظ، واجادة المعنى
ويكفيه فضلا أن يكون المتنبي أحد رواة ديوانه والأخذين عنه ومن معانيه
البدیعة قوله:

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أطال هجاءه =

إِذَا مَنْ لَمْ يَمْنَنْ بِمَنْ يَمُنُّهُ وَقَالَ لِنَفْسِي : أَيُّهَا النَّفْسُ أُمَّهَلِي
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي تَشْجُ عَرُوضُهُ وَيَأْسُو ضَرْبَهُ فَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :
دَلَفْتُ لَهُ بِأَبْيَضٍ مَشْرَفِيٍّ كَمَا يَدْنُو الْمُصَافِحُ لِلسَّلَامِ^(١)
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي يَعْظُمُ وَعِيدُهُ وَيَصْغُرُ خَطْبُهُ فَمِثَالُهُ قَوْلُ عَمْرُو بْنِ
كَلْثُومٍ^(٢) :

= لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه
وقوله وقد غاب عن بغداد في بعض أسفاره :

بلد صحبت به الشيبية والصباء ولبست ثوب اللهو وهو جديد
فإذا تمثل في الضمير رأيتاه وعليه أغصان الشباب تميد
وقوله وهو وجود بنفسه:

غلط الطبيب على غلطة مورد عجزت موارده عن الإصدار
والناس يلحون الطبيب وإنما غلط الطبيب إصابة الأقدار
ومعنى البيت الذى بالمقامة: أن الممدوح إن أحسن لم يطلب شكر إحسانه ولم
يرج من ورائه خيرا لنفسه فهو يمن بطبعه، ومعنى أنه ثقيل الوقع أن تجد فى
عبارته نبوا وجفاء لتكرار المن أربع مرات. (١) عروض هذا البيت (مشرفى) وهو
السيف ومن خصاله أنه يكسر ويميت (وضربه السلام) وهو الأمن ومن
خصائصه تطبيب الآلام، ودلفت: سرت. (٢) هو ابو الأسود عمرو بن كلثوم بن
مالك التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائها المشتهرين
بقصيدة واحدة والمجيدىن للفخر، وأمه ليلي بنت مهلهل أخى كليب، نشأ عمرو
فى قبيلة تغلب بالجزيرة الفرانية شجاعا، هماما، خطيبا، جامعاً لخصال =

كَأَنَّ سَيُوفَنَا مِنَّا وَمِنْهُمْ مَخَارِيقُ بَأْيَدِي لَاعِبِينَا

= الشرف، وساد قومه وهو ابن خمس عشرة سنة، وقاد الجيوش مظفرا فى كثير من أيامهم، وأكثر ما كانت فتن تغلب وحربها مع أختها بكر بن وائل بسبب الحرب المشؤومة المشهورة بحرب البسوس وكان آخر صلح له فيها على يد عمرو بن هند أحد ملوك الحيرة من آل المنذر ولم تمض مدة يسيرة حتى حدث بين وجوه القبيلتين ملاحاة ومشادة ومشاحة فى مجلس عمرو بن هند قام أثناءها شاعر بكر الحارث بن حلزة اليشكرى وأنشد قصيدته المشهورة وما فرغ منها حتى ظهر لعمرو بن كلثوم أن هوى الملك مع بكر فانصرف بن كلثوم وفى نفسه مافيهما ثم خطر فى نفس ابن هند أن يكسر من أنفة تغلب بإذلال سيدها وهو عمرو بن كلثوم فدعاه وأمه ليلى بنت مهلهل وأغرى هنداً أمه أن تستخدمها فى قضاء أمر فصاحت ليلى : واذلاه، فثار به الغضب وقتل ابن هند فى مجلسه ثم رحل توا إلى بلاد الجزيرة وأنشد معلقته التى أولها .

ألا هبى بصحنك فاصبحينا ولا تبقى خمور الأندرينا

من سامى فخره قوله وهو يتوعد عمرو بن أبى حجر الغسانى:

ألا فاعلم - أبيت اللعن - أنا على عمد سنأتى ما نريد

تعلم أن محملنا ثقيل وأن زياد كبتنا شديد

وأنا - ليس حى معد يوازننا إذا لبس الحديد

والمخاريق الخرق المفتولة التى يلعب بها الصبيان وليس أهون خطبا منها ولا تجد أخف ضرر فيها ومن هذا كان هذا البيت صغير الشأن وإن كان سياقه فى أمر عظيم وهو تشبيه حالهم وإقدامهم على العدو رافعى السيوف.

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ أَكْثَرُ رَمْلًا مِنْ يَبْرِينَ فَمَثَلُ قَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ (١):
مُعْرُورِيَّارَ مَضَ الرُّضْرَاضِ يَرْكُضُهُ وَالشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا فِي الْجَوِّ تَنْوِيمٌ
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ كَأَسْنَانِ الْمَظْلُومِ. وَالْمَنْشَارِ الْمَثْفُومِ فَكَقَوْلِ
الْأَعَشَى:

وَقَدْ غَدَوْتُ إِلَى الْحَانُوتِ يَتَّبَعُنِي

شَاوٍ مِثْلُ شَلُولٍ شَلْشَلٌ شَوْلٌ (٢)

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي يَسْرُكَ أَوْلَهُ وَيَسُوؤُكَ آخِرُهُ فَكَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:
مَكْرٌ مَفْرٌ مُقْبَلٌ مُدْبِرٌ مَعَا كَجَلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّةُ السَّيْلِ مِنْ عِلِّ (٣)

(١) نو الرمة تقدم وليس في البيت ما يفيد كثرة الرمل كما ذكر اللهم إلا إذا
كثرت الراءات في البيت ولكنه بعيد جد البعد. (٢) تقدمت ترجمة الأعشى والبيت
من معلقته التي يقول في أولها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل وهل تطيق وداعا أيها الرجل؟

والحانوت دكان الخمار يذكر ويؤنث والشاوي الذي يشوى اللحم والمثل
بكسر الميم وفتح الشين المستحث والجيد السوق، وقيل الذي يشل اللحم في
السفود، واشلول بفتح الشين مثل المثل ويروى: نشول بفتح النون وهو الذي
يأخذ اللحم من القدر، ويروى شليل بصيغة المصغر، والشلشل بضم الشينين
كقنفذ: الخفيف اليد في العمل والتحريك والشول بفتح فكسر هو الذي يحمل
الشيء وقيل هو المعنى بحاجته ويروى شمل وهو الطيب النفس والرائحة.

(٣) مكر مفر بكسر ميمهما علي وزن مفعول الموضوع للمبالغة ومعنى مقبل مدبر
معا أنه سلس العنان شديد العدو وقد شبهه في عدوه بالحجر لأنه يطلب
الإنحطاط بطبعه من غير واسطة فكيف إذا أعانته قوة اذفاع السيل من مرتفع
عال.

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي يَصْفَعُكَ بَاطِنُهُ وَيَخْدَعُكَ ظَاهِرُهُ فَكَقَوْلِ الْقَائِلِ
عَاتَبْتُهَا فَبَكَتْ وَقَالَتْ يَا فَتَى نَجَاكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْ عَتْبِي
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي لَا يُخْلَقُ سَامِعُهُ. حَتَّى تُذَكَّرَ جَوَامِعُهُ فَكَقَوْلِ طَرْفَةِ:
وُقُوفًا بِهَا صَحْبِي عَلَى مَطِيهِمْ يَقُولُونَ: لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدُ (١)
فَإِنَّ السَّامِعَ يَظُنُّ أَنَّكَ تُنْشِدُ قَوْلَ امْرِئِ الْقَيْسِ. وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي
لَا يُمْكِنُ لِمُسَّهُ فَكَقَوْلِ الْخَبْرَزِيِّ:
تَقْشَعُ غَيْمُ الْهَجْرِ عَنْ قَمَرِ الْحَبِّ
وَأَشْرَقَ نُورُ الصُّلْحِ مِنْ ظُلْمَةِ الْعَتْبِ (٢)

(١) البيت في معلقة امرئ القيس وقافيته: (وتحمل) وهي أكثر دورانا على الألسنة وشهرة من معلقة طرفة فقبل أن يذكر القارئ القافية لا يدرى السامع أنه ينشد لطرفة.

(٢) لم نقف على ترجمة حقيقية تثبت هذا البيت لشاعر ولكن الذي عثرنا عليه ترجمة لرجل اسمه (نصر بن أحمد الخبزاري) قال عنه أبو منصور الثعالبي: وقد بلغني من غير جهة أنه كان أميا لا يتهجى وكانت حرفته خبز خبز الأرز في دكانه بمربد البصرة فكان يخبز وينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه ويتطرفون باستماع شعره ويتعجبون من حاله وأمره وأحداث البصرة يتنافسون في ميله إليهم وذكره لهم ويحفظون كلامه لقرب مأخذه وسهولته، وكان ابن لك على ارتفاع مقدار ينتاب دكانه ويسمع شعره ونحن نكاد نجزم بأن البيت لهذا الشويعر لأننا نجد كلامه الذي عثرنا عليه كله =

وَكَقَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ :

نَسِيمٌ عَبِيرٍ فِي غَلَالَةِ مَاءٍ وَتَمَثَالُ نُورٍ فِي أَدِيمِ هَوَاءٍ ^(١)
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي يَسْهُلُ عَكْسُهُ فَكَقَوْلِ حَسَّانٍ ^(٢):

= على هذا النمط فمن ذلك قوله :

قالوا عشقت صغيراً؟ قلت أرتع فى روض المحاسن حتى يدرك الثمر
ربيع حسن دعانى لافتتاح هوى لما تفتح منه النور والزهر
وقوله: ورد الخدود ورمان النهود وأغـ صان القنود تصيد السادة الصيدا
شرطى إذا ما رأيت الخصر مختصرا والرئف مرتدفا والقدم مقبودا
وألفاظ البيت المذكور فى المقامة تدل على أشياء لا يمكن لمسها ولا الدنو منها فى
أصل معناها فالقمر والنور والظلمة معان لا أجسام لها وما له جسم منها وهو
القمر بعيد المنال ولما أضيف القمر للحب والغيم للهجر والنور للصالح والظلم
للعتب أضحى كل شىء سوى تخيله زهنا بعيدا جدا.

(١) العبير: الرائحة الطيبة المستحسنة والغلالة الثوب، والأديم الجلد ومن ذا
الذى يستطيع أن يلمس نسيم الريح الطيب أو ثوب الماء أو صورة النور أو جلد
الهواء؟ بعيد غاية البعد أن يوجد القدير على هذا.

(٢) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى شاعر رسول الله صلى الله عليه
وسلم وأشعر أهل المدر وفحل شعراء المخضرمين وهو من بنى النجار من أهل
المدينة نشأ فى الجاهلية ونبه شأنه فيها إذ أدرك الكثير من فحولها فلم يقصر
عن اللحاق بهم بل بذ الكثير منهم وكان يمدح الملوك والمناذرة والغساسنة فى
الجاهلية ويرحل إليهم فينال منهم جزيل العطايا وأكثر من كان يمدحهم ويكثر
انتجاعهم آل جفنة من ملوك غسان لما بين أهل يثرب والغساسنة من صلة
النسب وقرب الجوار فكان له من جوائزهم مدد لا ينقطع حتى ناله منهم =

بَيْضُ الْوَجْهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شَمُّ الْأَنْوْفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ

= شىء بعد أن أسلم وتنصروا ولما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم الأنصار أسلم معهم ودافع عنه بلسانه كما دافع قومه الانصار بسيوفهم، فكان لقوله من النكاية فى قريش وأعداء النبي أحسن بلاء وأحمد أثر. وكان شاعر أهل المدر فى الجاهلية وشاعر اليمانية فى الإسلام ولم يكن فى أصحاب رسول الله ولا فى أعدائه حين دعوته إلى الله أشعر منه وكان رسول الله ينصب له منبرا بالمسجد ويسمع هجاءه فى أعدائه ويقول (أجب عنى، اللهم أيده بروح القدس) .

ومن شعره فى الجاهلية :

ولقد تقلدنا العشيبة أمرها	ونسود يوم النائبات ونعتلى
ويسود سيدنا ججاج سادة	ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابة	فيهم ونفصل كل أمر معضل
وتزور أبواب الملوك ركابنا	ومتى نحكم فى البرية نعدل

ومن شعره فى الإسلام يفاخر وفد تميم بقوم رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إن الذوائب من فهر وأخوتهم	قد بينوا سننا للناس تتبع
يرضى بها كل من كانت سريرته	تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا
قوم إذا حاربوا ضرروا عدوهم	أو حاولوا النفع فى اشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة	إن الخلائق - فاعلم - شرها البدع
إن كان فى الناس سباقون بعدهم	فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم	لا يطمعون ولا يزرى بهم طمع
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم	وإن أصيبوا فلا خوف ولا جزع =

وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ أَطْوَلُ مِنْ مِثْلِهِ فَكَحْمَاقَةَ الْمُتَنَبِّي (١):

= ومما سار من شعره مسير الأمثال قوله :

إن امرأ يمسى ويصبح سالماً من الناس - الأماجنى - لسعيد

وقوله :

رب حلم أضاعه عدم الما ل وجهل غطى عليه النعيم

وقوله :

فلو كان مجد يخلد الدهر واحداً من الناس أبقى مجده الدهر مطعماً

ومات رضى الله تعالى عنه فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ وقد عمر قريبا من ١٢٠ سنة .

والشم جمع اشم، وهو المتصف بالشمم الذى هو عزة النفس وكرامتها وأصله ارتفاع قصبه الأنف، وسهولة عكس هذا البيت تقديم شطره الثانى على الأول من غير اختلال فى المعنى وعكسه بعضهم هكذا .

سوء الوجوه لئيمة احسابهم فطس الأنوف من الطراز الآخر

(١) هو أبو الطيب أحمد بن الحسن الجعفى الكندى الكوفى المتنبى الشاعر الحكيم صاحب الأمثال السائرة والمعانى النادرة وخاتم ثلاثة الشعراء وآخر من بلغ شعره غاية الارتقاء وهو من سلالة عربية من قبيلة جعف بن سعد العشيرة أحد قبائل اليمانية.

ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ فى محلة كندة ونسب إليها - وليس بكندى - ونشأ بها وأولع بتعلم العربية من صباه وكان نادرة فى الحفظ لا يسأل عن شىء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر، وكان أبوه - فيما يقال - سقاء فخرج به إلى الشام ورأى أبو الطيب أن استتمام علمه باللغة والشعر لا يكون =

عِشْ أَبَقِ اسْمُ سُدُّ جُدُّ قَدْ مَرَّ أَنَّهُ اسْرَفُهُ تُسَلُّ

غَضِّ أَرْمِ صَبِّ أَحْمِ اغْزُ اسْبِ رُعْ زَعُ دِلِّ ابْنِ نَلِّ
وَأَمَّا الْبَيْتُ الَّذِي هُوَ مُهَيَّنٌ بِحَرْفٍ . وَرَهَيْنٌ بِحَدْفٍ . فَكَقَوْلُ

= إلا بالمعيشة في البادية فخرج إلى بادية بنى كلب وهو بعد فتى لا يزيد عمره على عشرين سنة فأقام بينهم مدة ينشدهم من شعره ويأخذ عنهم اللغة إذ كانت لا تزال صحيحة بالبادية حتى أحاط بغريبها وحوشيتها فعظم شأنه بينهم ..

وكانت الأعراب الضاربون بمشارف الشام شديدي الشغب على ولاتها فوشى بعضهم إلى لؤلؤ أمير حمص من قبل الأخشيدي بأن أبا الطيب ادعى النبوة في بنى كلب وتبعه منهم خلق كثير ويخشى على ملك الشام منه فخرج لؤلؤ إلى بنى كلب وحاربهم وقبض على المتنبي وسجنه طويلا ثم استتابه وأطلقه فخرج من السجن وقد لصق به اسم المتنبي مع كراهته له .

فأما منزلته في الشعر فقد شهد له أبو العلاء المعري - وهو من تعرف بعد غوره وفرط نكائه وتوقد خاطره وشدة تعمقه في المعاني والتصورات الفلسفية - بالسبق وقدمه على نفسه وغيره، وهو الذي يقول عنه ابن رشيق: ثم جاء المتنبي فملاء الدنيا وشغل الناس

ومن شعره

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أن الليث يبتسم
أعيذها نظرات منك صادقة أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره إذا استوت عند الأنوار والظلم
يا من يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم =

أبى نُوَاس:

لَقَدْ ضَاعَ شِعْرِي عَلَى بَابِكُمْ كَمَا ضَاعَ دُرٌّ عَلَى خَالِصَةٍ

وَكَقَوْلِ الْآخَرِ:

إِنْ كَلَامًا تَرَاهُ مَدْحًا كَانَ كَلَامًا عَلَيْهِ ضَاءٌ

يَعْنِي أَنَّهُ إِذَا أُنشِدَ «ضَاعًا» كَانَ هَجَاءً. وَإِذَا أُنشِدَ «ضَاءً» كَانَ

مَدْحًا^(١). قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَتَعَجَّبْتُ وَاللَّهِ مِنْ مَقَالِهِ.

وَأَعْطَيْتُهُ مَا يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى تَغْيِيرِ حَالِهِ. وَافْتَرَقْنَا.

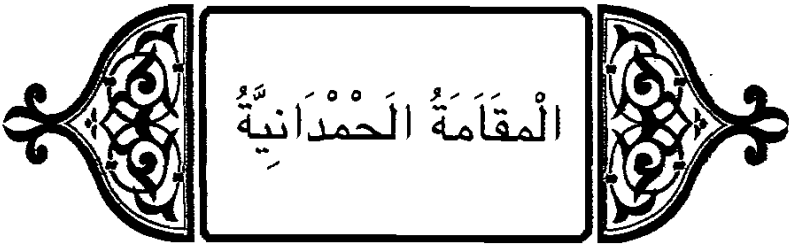
= إن كان سرکم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاکم ألم

وبیننا - لو رعیتم ذاک - معرفة إن المعارف فی أهل النهی نمم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا ألا تفارقهم فالرحلون هم

وعش من العيشة، وأبق من البقاء، واسم من السمو، وسد من السيادة، وجد من الجود، وقد من قيادة الجيوش، ومر من الامر، وانه من النهى، وره من الرؤيا، وفه من فاه أى تكلم، وتسل أى يسألك الناس عما اغلق عليهم، وغظ من الغيظ، وارم من الرماية، وصب من الاصابة، واحم من الحماية اى الوقاية واغز من الغزو، واسب من السبى، ورع من الروع وهو الخوف، وزع من الوزع وهو الكف، ود فعل بقى على حرف واحد أصل أخذه من وداه أى أعطى ديتته أو أخذها ول فعل كذلك من الولاية وابن من البناء والمراد به بناء المجد والمكرمات ويروى أثن من الثناء ونل من النوال.

(١) الكلام ظاهر .



حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: حَضَرْنَا مَجْلِسَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ بْنِ
حَمْدَانَ يَوْمًا^(١)

(١) هو أبو الحسن علي أشهر أمراء الدولة الحمدانية من قبيلة تغلب . وكان سيف الدولة يملك حلب والعواصم ثم أخذ دمشق من الاخشيدية ومات سنة ٣٥٧ وان أخوه الحسن ناصر الدولة يملك الموصل والجزيرة وخلف سيف الدولة ابنه سعد الدولة وخلف ناصر الدولة ابنه ابو تغلب ثم أخوه الغضنفر وسيف الدولة ممدوح أبي الطيب وله فيه المديح الذي خلد اسمه أبد الدهر ومنه .

لُكِلَ امرئٌ من دهره ما تعودا وعادات سيف الدولة الطعن في العدا
قال عنه صاحب اليتيمة : كان غرة الزمان، وعماد الاسلام ، ومن به سداد
التغور وسداد الامور، وكانت وقائعه في عصاة العرب يكف بأسها، وتفل أنيابها
وتذل صعابها، وتكف الرعية سوء آدابها. وحضرته مقصد الوفود، ومطلع
الجود، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال، وموسم الادباء، وولية الشعراء، ويقال أنه
لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر
ونجوم الدهر وكان مع ذلك أديبا نقادة شديد العارضة سريع البديهة ومن
شعره في وصف قوس قزح :

وساق صبيح للصبح دعوته فقام وفي أجفانه سنة الغمض =

وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْهِ فَرَسٌ . مَتَى مَا تَرَقَّ الْعَيْنُ فِيهِ تُسَهِّلُ . فَلَحَظَتْهُ

= يطوف بكاسات العقار كأنجم
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا
يطرزها فوق السحاب بأصفر
كأذيال خود أقبلت في غلائل
فمن بين منقض علينا ومنفض
على الجود كنا والحواشي على الارض
على أحمر في أخضر تحت مبيض
مصبغة والبعض أقصر من بعض
وأنشده أبو الطيب المتنبى قصيدته التي مطلعها :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم
فلما وصل قوله :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة ووجهك وضاح وثغرك باسم
وقال : قد انتقدنا عليك هذين البيتين ما انتقد على امرئ القيس قوله :

كأنى لم أركب جواد للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروى ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد أجفال
وبيتاك لا يلتئم شطراهما ما ليس يلتئم شطرا هذين البيتين .

كان ينبغى لامرئ القيس أن يقول :

كأنى لم أركب جوادا ولم أقل لخيلى كرى كرة بعد أجفال
ولم أسبأ الزق الروى للذة ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
(ليكون قد جمع ما يناسب الركوب مع لذته ، ويضم لذة الشرب إلى لذة النساء
وهما أقرب الأشياء تناسبا) ولك أن تقول :

وقفت وما في الموت شك لواقف ووجهك وضاح وثغرك باسم
تمر بك الأبطال كلمى هزيمة كأنك في جفن الردى وهو نائم

الجماعة^(١). وقال سيف الدولة: أَيْكُمْ أَحْسَنَ صِفَتَهُ. جَعَلْتُهُ صَلَاتَهُ^(٢)
فَكُلُّ جَهْدٍ جَهْدُهُ. وَيَذَلَّ مَا عِنْدَهُ^(٣). فقال أحدُ خَدَمِهِ: أَصْلَحَ اللَّهُ
الأميرَ رأيتُ بِألمسِ رجلاً يَطُءُ الفُصاحَةَ بِنَعْلَيْهِ^(٤). وَتَقَفَ الأَبصارُ
عَلَيْهِ^(٥). يَسْأَلُ النَّاسَ. وَيَسْقِي الأَيَّاسَ^(٦). وَلَوْ أَمَرَ الأميرُ بِإِحْضارِهِ.

= فقال : أبو الطيب أيد الله مولانا أن صح إن الذى استدرك على امرئ القيس
هذا كان أعلم منه بالشعر فقد أخطأ امرؤ القيس وأخطأت أنا . ومولانا يعلم أن
الثوب لا يعرفه البزاز معرفة الحائك لان البزاز لا يعرف جملته والحائك يعرف
جملته وتفاريقه لانه هو الذى أخرجه من الغزلية إلى الثوبية وإنما قرن امرؤ
القيس لذة النساء بلذة الركوب للصيد وقرن السماحة فى شراء الخمر للاضياف
بالشجاعة فى منازلة الاعداء. وأنا لما ذكرت الموت أتبعته بذكر الردى وهو الموت
ليجانسه ولما كان وجه الجريح المنهزم لا يخلو من أن يكون عبوسا وعينه من أن
تكون باكية قلت : ووجهك وضاح وثرعك باسم، لأجمع بين الاضداد فى المعنى
وإن لم يتسع اللفظ لجمعها .

فانظر إلى دقة الملاحظة مع سرعة البديهة وقوة العارضة .

(١) لحظته الجماعة : نظروا إليه وتأملوا فيه . (٢) الصلة فى الاصل : العطية
وأراد منها هنا الجزاء والمكافأة . (٣) جهد جهده : أى اجتهد بكل ما فيه من
قوة وأفرغ قصارى جهده فى أن ينعبته ليكون له . (٤) أى أنه قد أصبح ملك
الفصاحة وفارسها . (٥) أى لا تتحول عنه ولا تبصر إلى سواه لانها أضحت
أسيرة لديه بما شاقها منه . (٦) يسأل الناس: يطلب منهم العطاء . ويسقى :
يذم ويعيب واليأس أى الحال التى لزمته .

لَفَضْلُهُمْ بِحَضَارِهِ^(١) فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: عَلَىٰ بِهِ فِي هَيْئَتِهِ فَطَارَ
الْحَدْمُ فِي طَلْبِهِ. ثُمَّ جَاءُوا لِلْوَقْتِ بِهِ. وَلَمْ يُعْلِمُوهُ لآيَةَ حَالٍ دُعِيَ^(٢)
ثُمَّ قُرِبَ وَأَسْتَدْنَىٰ وَهُوَ فِي طِمْرَيْنِ قَدْ أَكَلَ الدَّهْرَ عَلَيْهِمَا وَشَرِبَ^(٣).
وَحِينَ حَضَرَ السَّمَاطُ. لَثِمَ البِسَاطُ^(٤). وَوَقَفَ فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ:
بَلَعْتُنَا عَنْكَ عَارِضَةً فَأَعْرَضَهَا فِي هَذَا الْفَرَسِ وَوَصَفِهِ^(٥). فَقَالَ:
أَصْلَحَ اللَّهُ الْإِمِيرَ كَيْفَ بِهِ قَبْلَ رُكُوبِهِ وَوُثُوبِهِ. وَكَشَفَ عِيُوبَهُ

(١) الحضار بكسر أوله قوة البيان وجودة القريحة من قولهم : ناقة حضار إذا جمعت
قوة وجودة سير أو هو من قولهم : رجل حضر بفتح فضم إذا كان ذا بيان وفقه .
(٢) أى أنهم لم يبطنوا فى استدعائه ولم يخبروه بما كان فى المجلس وذلك كتمهيد
لنعتة بالفصاحة والبيان الكاملين .

(٣) طمرين : ثوبين خلقين وأكل الدهر عليهما وشرب من قول بعضهم :

سألتنى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل

(٤) حضر فعل يتعدى ويكون لازما تقول : حضره وتحضره وأحضره وأحضره
أياه والسماط جماعة الحاضرين مع الامير ولثم البساط قبله إجلالا لشأنه .

(٥) العارضة : البديهة ، وقيل هى الصرامة وهى المضاء فى الامور يقال رجل صارم
وصرامة إذا كان ماضيا فى الامور ومنه فلان صريم سحر على هذا الامر أى : متعب
حريص عليه . والمعنى أنه وصل إلينا أن لك بديهة حاضرة وأنت ماض فى البراعة قوى
البيان فاذا كان ذلك حقا فانشره علينا فى وصف هذا الفرس.

وَعُيُوبِهِ^(١)؟ فَقَالَ : ارْكَبْهُ فَرَكِبَهُ . وَأَجْرَاهُ ثُمَّ قَالَ : أَصْلَحَ
 اللَّهُ الْأَمِيرَ وَهُوَ طَوِيلُ الْأُنْثَيْنِ . قَلِيلُ الْإِثْنَيْنِ . وَاسِعُ
 الْمَرَاثِ . لَمَيْنُ الثَّلَاثِ^(٢) غَلِيظُ الْأَكْرَعِ . غَامِضُ

(١) وثب من مكنان إلى مكنان وثبا ووثوبا ووثيبا ووثباناً ووثب إليه : طفر، وفرس وثابة سريعة ، والغيوب : جمع غيب وهو ماخفي على الإنسان فلم يعلم به والمعنى : أنه لاطلاقة لى على وصفه ولاسبيل إلى نعتة حتى أركبه وأركض به فأعلم سرعتة وأتبين ماخفي عنى من صفاته التى لاتظهر بمجرد النظر ليكون وصفى صحيحاً صادقاً.

(٢) المراث ومثله المروث بوزن منبر مبعر الفرس : ولين الثلاث سيأتى فى كلامه تفسيره وقد سبق المفضل الضبى إلى مثل ذلك ، روى الزجاج قال : قال المفضل الضبى : قال لى أمير المؤمنين المنصور : صف لى الجواد من الخيل فقلت يا أمير المؤمنين إذا كان الفرس طويل ثلاث قصير ثلاث رحب ثلاث صلقى ثلاث فنك الجواد الذى لايلارى قال : فسرهما . فقلت : أما الثلاث الطوال فالانلن والهادى والقخذ . وأما القصار فالظهور والعسيب والسلق وأما الرحب فالليلن والمنخر والجيبة ، والصافية الاديم والعين والحافر . غير أن البديع قد زاد قيهها وبسط الوصف بكثير منه . وقد وصف ابن أقيصر الفرس فقال : اذا استقبلته ألقى ، وإذا استبترته جبا ، وإذا اعتروضته استوى . وفى هذا المعنى يقول أنيف بن جبلة الضبى فارس الشيط :

ولقد شهدت الخيل يحمل شكنى	عند كسرحان القصيمة منهب
أما اذا استقبلته فكأنه	للعين جذع من أوال مشذب
وإذا اعترضت به استوت أقطره	وكأنه مستدبراً متصوب

والقصيمة : رملة تنبت الغضى نثبها خبيت، وأوال - بوزن سحاب - جزيرة كبيرة بالبحرين بينها وبين القطيف مسيرة يوم فى البحر عندها مغاص اللؤلؤ .

الأربع^(١). شديد النفس. لطيف الخمس^(٢) ضيق القلت. رقيق
الست^(٣). حديد السمع. غليظ السبع^(٤). دقيق اللسان. عريض
الثمان^(٥). مديد الضلع. قصير التسع^(٦) واسع الشجر. بعيد
العشر^(٧) يأخذ بالسابع. ويطلق بالرامح. يطلع بلائح. ويضحك

(١) الكرع، محركة، قوائم الدابة، والكراع بوزن غراب ويؤنث والجمع أكرع وأكارع
مستدق الساق : وغامض الاربع سيأتى معناه فى المقامة .

(٢) يروى : النفس بالتحريك ومعناه أنه اذا تنفس كان نفسه طويلا وشديداً. ويروى
النفس بفتح فسكون ومعنى شدة النفس شهامتها وقوتها والعرب تتمدح بكرم الخيل
وشدتها وطيب أصلها كما تمدح ذلك فى الاناسى ولطيف الخمس معناه مذكورة فى
كلامه.

(٣) أصل القلت النقرة فى الجبل وهو فى الفرس النقرة فى رأس الورك يكون فى
جوفها الموقف وهو عصبية اذا انفكت عرجت الدابة.

(٤) من الأوصاف التى تمتدحها العرب فى الخيل أن يكون فى اذنيها صلابة فاذا
استرختا كانت مذمومة ويقولون عن الفرس المسترخى الأذنين أخذى، فمعنى حديد
السمع شديد الأذنين صلبهما.

(٥) الدقيق ضد الغليظ.

(٦) مديد: ممتد مستكمل أضلاعه.

(٧) الشجر بفتح فسكون مخرج الفم أو مؤخره أو ما انفتح من منطبق الفم أو ملتقى
اللهمتين أو ما بين اللحيين والجمع أشجار وشجور وشجار.

عَنْ قَارِحٍ^(١). يَخْدُ وَجْهَ الْجَدِيدِ. بِمَدَاقِّ الْحَدِيدِ^(٢). يُحْضِرُ كَالْبَحْرِ إِذَا مَاجَ. وَالسَّيْلُ إِذَا هَاجَ^(٣). فَقَالَ سَيْفُ الدَّوْلَةِ: لَكَ الْفَرَسُ مُبَارِكاً فِيهِ. فَقَالَ: لَازِلْتُ تَأْخُذُ الْأَنْفَاسَ. وَتَمْنَحُ الْأَفْرَاسَ^(٤). ثُمَّ أَنْصَرَفَ وَتَبِعْتُهُ وَقُلْتُ: لَكَ عَلَى مَا يَلِيقُ بِهَذَا الْفَرَسِ مِنْ خَلْعَةٍ إِنْ فَسَّرْتَ مَا وَصَفْتَ. فَقَالَ: سَلْ عَمَّا أَحْبَبْتَ. فَقُلْتُ: مَا مَعْنَى قَوْلِكَ

(١) يأخذ بالسابح : أى يبتدى سيره بيديه اللتين تشبهان يدي السابح، ويطلق بالرامح أى أنه يتبعهما رجليه الرامحتين أى السريعتين من رمح اذا ركض، ويطلع بلائح. أى أنه يلاقيك بوجه لائح أى مشرق ذى غرة. ويضحك عن قارح: أى يظهر لك سنه الذى يدل على بلغ التسع من عمره.

(٢) يخذ: يشق ويروى يحز أى يقطع والجديد الأرض ويروى الكديد وهو ما غلظ. والمداق جمع مدق بكسر ففتح أو بضمين. والمعنى أنه يسير سيراً متواصلاً وكأنه فى سيره يشق وجه الارض بحوافره التى تشبه المداق.

(٣) أحضر الفرس أى ارتفع فى عدوه وأسرع والبحر إذا ماج وتدافعت أمواجه وتلاحق بعضها ببعض - والعرب تشبه الفرس بالماء كثيراً وتضع له أسماء مأخوذة من أسماء بعض المياه وأماكنها فمن ذلك الغمر اذا كان كثير الجرى. وأصل الغمر الماء الكثير. ومنه اليجبوب اذا كان سريع الجرى وأصله الجدول السريع. ومنه الجموم اذا كان كلما ذهب منه احضار جاءه احضار وأصله البئر التى لاينزح ماؤها ومن ذلك سكب وفيض اذا كان خفيف الجرى سريعه وأصلها فيض الماء وانسكابه وهكذا.

(٤) أى أدام الله نعمتى الشجاعة والكرم لتنهب النفوس وتعطى النفيس.

بَعِيدُ الْعَشْرِ؟ فَقَالَ: بَعِيدُ النَّظَرِ وَالْخَطْوِ^(١) وَأَعَالَى اللَّحْيَيْنِ^(٢). وَمَا
بَيْنَ الْوَقْبَيْنِ^(٣). وَالْجَاعِرَتَيْنِ^(٤). وَمَا بَيْنَ الْغُرَابَيْنِ^(٥). وَالْمُنْخَرَيْنِ وَمَا
بَيْنَ الرَّجْلَيْنِ وَمَا بَيْنَ الْمُنْقَبِ وَالصَّفَاقِ^(٦). بَعِيدُ الْغَايَةِ فِي السَّبَاقِ .
فَقُلْتُ : لِأَفْضُ فُوكَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ قَصِيرُ التَّسْعِ . قَالَ : قَصِيرُ
الشَّعْرَةِ^(٧) قَصِيرُ الْأُطْرَةِ^(٨) قَصِيرُ الْعَسِيبِ^(٩) . قَصِيرُ الْقَضِيبِ^(١٠)
قَصِيرُ الْعَضْدَيْنِ^(١١) . قَصِيرُ الرَّسْغَيْنِ^(١٢) . قَصِيرُ النَّسَا^(١٣)
قَصِيرُ الظَّهْرِ^(١٤) قَصِيرُ الْوُظِيفِ^(١٥) فَقُلْتُ : لِلَّهِ أَنْتَ ! فَمَا مَعْنَى
قَوْلِكَ : عَرِيضُ التَّمَانَ ؟ قَالَ : عَرِيضُ الْجِبْهَةِ^(١٦) عَرِيضُ الْوَرِكِ^(١٧)

(١) يرى الشيء عن بعد ويسرع إليه. (٢) عظمى الحنك اللذين يكون عليهما
الأسنان . (٣) الوقب النقرة أي نقرة في الجسد. والوقبان من الفرس نقرتان
فوق عينيه. (٤) الجاعرتان حرفا الورك المشرفان على الفخذين.
(٥) الغرابان هما طرفا الوركين الاسفلان. (٦) المنقب موضوع على السرة ينقبه
البيطار والصفاق ما بين الجلد والمصران. (٧) إذا كان الفرس قصير شعر
الجلد رقيقه فهو أجرد وهو ممدوح. (٨) الاطره : ما أحاط بالظفر من اللحم .
(٩) العسيب عظم الذنب. (١٠) الذكر. (١١) العضد من الإنسان ما بين مرفقه
والكتف ومن الفرس ما بين الكتف والركبه. (١٢) الرسغ : المستدق بين الحافر
والوظيف من يد أو رجل. (١٣) النسا: عرق يخرج من الورك ويصل إلى الحافر.
(١٤) يريد من ظهره المكان الذي يركبه الفارس منه. (١٥) الوظيف : مستدق
الذراع والساق. (١٦) الجبهة : أعلى الوجه. (١٧) الورك : معروف.

عَرِيضُ الصَّهْوَةِ^(١) عَرِيضُ الْكَتْفِ^(٢) عَرِيضُ الْجَنْبِ^(٣) عَرِيضُ
 الْعَصَبِ^(٤) عَرِيضُ الْبَلْدَةِ^(٥) عَرِيضُ صَفْحَةِ الْعُنُقِ^(٦) فَقُلْتُ: أَحْسَنْتَ
 فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ غَلِيظُ السَّبْعِ؟ قَالَ: غَلِيظُ الذَّرَاعِ غَلِيظُ الْمَحْزَمِ^(٧)
 غَلِيظُ الْعُكُوتِ^(٨) غَلِيظُ الشَّوَى^(٩) غَلِيظُ الرُّسْغِ غَلِيظُ الْفَخْذَيْنِ غَلِيظُ
 الْحَاذِ^(١٠). قُلْتُ لِلَّهِ دَرُكٌ! فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ رَقِيقُ السَّتِّ؟ قَالَ: رَقِيقُ
 الْجَفْنِ رَقِيقُ السَّالِفَةِ^(١١) رَقِيقُ الْجَحْفَلَةِ^(١٢) رَقِيقُ الْأَدِيمِ^(١٣) رَقِيقُ
 أَعَالَى الْأُذُنَيْنِ رَقِيقُ الْعُرْضَيْنِ^(١٤). فَقُلْتُ: أَجَدْتَ فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ

(١) الصهوة: مكان الفارس في ركوبه. (٢) الكتف: مافوق العضد.

(٣) الجنب: المراد به ما بين أعلاه وآخره.

(٤) العصب: أطناب المفاصل التي تربط بعض أجزاء الجسم ببعض.

(٥) البلدة: الصدر. (٦) صفحة العنق: جانبه. (٧) موضع الحزام.

(٨) العكوة: أصل الذنب.

(٩) الشوى: جلدة الرأس.

(١٠) الحاذ: الظهر ويروى الجبال، ومعناها العروق التي تربط اليد.

(١١) السالفة: ما تقدم من عنقه.

(١٢) الجحفلة للفرس ونحوه مثل الشفة للإنسان والمشفر للبعير.

(١٣) الأديم: الجلد.

(١٤) العرضان: هما جانبا العنق.

لَطِيفُ الْخَمْسِ؟ فَقَالَ: لَطِيفُ الرَّوْرِ. لَطِيفُ النَّسْرِ^(١). لَطِيفُ الْجَبْهَةِ.
لَطِيفُ الرُّكْبَةِ. لَطِيفُ الْعُجَايَةِ^(٢). فَقُلْتُ: حَيَّاكَ اللَّهُ فَمَا مَعْنَى قَوْلِ
غَامِضُ الْأَرْبَعِ؟ قَالَ: غَامِضُ أَعَالَى الْكُتْفَيْنِ^(٣) غَامِضُ الْمَرْفَقَيْنِ^(٤)
غَامِضُ الْحَاجَجَيْنِ^(٥) غَامِضُ الشَّظِيِّ^(٦) قُلْتُ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِكَ لَيْنُ
الثَّلَاثِ؟ قَالَ: لَيْنُ الْمُرْدَعَتَيْنِ^(٧) لَيْنُ الْعُرْفِ^(٨) لَيْنُ الْعِنَانِ^(٩). قُلْتُ: فَمَا
مَعْنَى قَوْلِكَ قَلِيلُ الْإِثْنَيْنِ؟ قَالَ: قَلِيلُ لَحْمِ الْوَجْهِ قَلِيلُ لَحْمِ الْمُتْنَيْنِ^(١٠)
قُلْتُ: فَمِنْ أَيْنَ مَنبِتُ هَذَا الْفَضْلِ؟ قَالَ: مِنْ التُّغُورِ الْأُمُويَّةِ. وَالْبِلَادِ
الْإِسْكَندَرِيَّةِ^(١١). فَقُلْتُ: أَنْتَ مَعَ هَذَا الْفَضْلِ. تُعَرِّضُ وَجْهَكَ لِهَذَا

(١) النسر: هو لحمة تشبه النواة أو الحصاة تكون في باطن حافر الفرس من أعلاه. (٢) العجاية: عصب مركب فيه فصوص من عظام كفصوص الخاتم عند رسغ الدابة. (٣) معناه أنه مكتنز اللحم ليس بناشز العظم. (٤) المرفقان مؤخر العضدين الذين يتصل عليهما العضدان. (٥) الحاجج: منبت الحاجب. (٦) الشظي: عظم مستدق لاصق بالركبه أو الذرع أو هو عصب صغار فيه. (٧) المرذغة: ما بين العنق والترقوة. (٨) الشعر النابت على محذب عنقه. (٩) أراد بلين عنانه سهولة قياده وسلاسته. (١٠) المتنان: ما يحيطان بالصلب عن يمين وشمال من العصب. (١١) الأموية: المنسوبة لبني أمية، وببلاد الاندلس مدينة اسمها الاسكندرية فهو ينتسب إليها.

الْبَدْلُ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

سَاخَفُ زَمَانِكَ جِدًّا إِنَّ الزَّمَانَ سَخِيفٌ^(١)
دَعِ الحَمِيَّةَ نِسِيًّا وَعِشْ بِخَيْرٍ وَرِيفٌ^(٢)
وَقُلْ لِعَبْدِكَ هَذَا يَجِينَا بِرَغِيفٌ

(١) السخف : الحمق، والمعنى: أن عليك أن تجارى الدهر فى حماقته لتنال منه رغباتك فانه لايفل الحديد الا الحديد.

(٢) قال الاستاذ الامام: الريف: السعة فى المأكل والمشرب واقتصر عليه مع أنه تغمده الله برحمته كان يكتب فى شرحه كل مايتصور أن يرجع الكلام إليه ونحن نقول أنه لايبعد أن تكون الكلمة مأخوذة من ورف الظل يرف ورفا ووريفا اذا طال وامتد ويكون المعنى وعش بخير ممتد متسع وهو ظاهر وبيدع.

رَفَعُ
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الرصافية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: خَرَجْتُ مِنَ الرَّصَافَةِ^(١) أُرِيدُ دَارَ
الْخُلَافَةِ. وَحَمَارَةَ الْقَيْظِ تَغْلَى بِصَدْرِ الْغَيْظِ^(٢). فَلَمَّا نَصَفْتُ
الطَّرِيقَ^(٣) اشْتَدَّ الْحَرُّ. وَأَعُوذَنِي الصَّبْرُ^(٤). فَمَلْتُ إِلَى مَسْجِدٍ قَدْ
أَخَذَ مِنْ كُلِّ حَسَنٍ سِرَّهُ وَفِيهِ قَوْمٌ يَتَأَمَّلُونَ سُقُوفَهُ. وَيَتَذَاكِرُونَ
وَقُوفَهُ^(٥) وَأَدَاهُمْ عَجْزُ الْحَدِيثِ^(٦) إِلَى ذِكْرِ اللُّصُوصِ وَحِيلِهِمْ.
وَالطَّرَارِينَ وَعَمَلِهِمْ^(٧) فَذَكَرُوا أَصْحَابَ الْفُصُوصِ^(٨) مِنَ اللُّصُوصِ.

(١) الرصافة بضم أوله : اسم لبلدان كثيرة منها واحدة بالشام وأخرى بالبصرة وثالثة
بالاندلس ورابعة بأفريقية وقرية بواسط وأخرى بنيسابور واسم محلة ببغداد التي هي
دار الخلافة أي المكان الذي يجلس فيه الخلفاء. (٢) حمارة القَيْظ : شدة الحر.
(٣) نصفت الطريق أي قطعت نصفه أو انتصفته أي صرت في نصفه. (٤) أي افتقرت
إلى الصبر لانه ذهب مني كله. (٥) أي أعمدته وسواريه جمع واقف. (٦) أخره.
(٧) الطرارون : الذين يختلسون المال خفية من طر اذا شق أو قطع وهم الذين يقال لهم
اليوم (نشالون). (٨) جماعة ينقشون أسماء بعض الناس علي فصوص ثم يذهبون
الي ديارهم حال غيببتهم يطلبون من المال ما أرادوا دون أن ينكر عليهم أهل البيت
والفص علامة.

وَأَهْلَ الْكَفِّ وَالْقَفِّ^(١) وَمَنْ يَعْمَلُ بِالْأُطْفِ^(٢) وَمَنْ يَحْتَالُ فِي الصِّفِّ^(٣) وَمَنْ يَخْنُقُ بِالذَّفِّ^(٤). وَمَنْ يُكْمِنُ فِي الرَّفِّ. إِلَى أَنْ يُمَكِّنَ اللَّفَّ^(٥) وَمَنْ يُبَدِّلُ بِالْمَسْحِ^(٦). وَمَنْ يَأْخُذُ بِالْمَزْحِ^(٧). وَمَنْ يَسْرِقُ بِالنُّصْحِ^(٨) وَمَنْ يَدْعُو إِلَى الْأُصْلِحِ^(٩). وَمَنْ قَمَشَ بِالصَّرْفِ^(١٠). وَمَنْ أَنْعَسَ بِالطَّرْفِ^(١١). وَمَنْ بَاهَتَ

(١) أهل الكف : الذين يدخلون بين متشاجرين ليكفوهم عن الشجار ويختلسون في هذه الاثناء أموالهم وأهل القف : الذين يختلسون المال بين أصابعهم.
(٢) أى يسرق بالتطفيف فى المكيال. (٣) أى يسرق من صفوف المصلين منتهزا اشتغالهم بالصلاة . (٤) أى يدخل للسرقة فإذا تعرض له رب البيت قتله ويكون معه جماعة يضربون بالطبول والدفوف حتى إذا صاح لا يسمعه أحد ولا يغيثه إنسان . (٥) يختفى فى مكان الامتعة حتى يتمكن من جمعها والفرار بها.
(٦) الذى يضع دراهم زائفة فى فمه ثم يأخذ من آخر دراهم جيدة ويدينها الى فمه ثم يمسخها موهما أنه يختبرها وهو فى الواقع يستبدلها بما معه من الردىء . (٧) الذى يختلس دراهمك فاذا عرفت ذلك منه ردها إليك يوهمك أنه يمازحك . (٨) الذى يسرق منك نقودك على هيئة النصيحة لك كمن يدخل عليك وبين يديك دراهم فيقول لك لا تفعل هذا فان بعض الناس كان مثلك فدخل عليه طرار فوضح يده على كيسه هكذا (ويضع يده) ثم أخذ هكذا (ويأخذه) ثم سار الى الباب ويفر (٩) الذى يرتقب حصول الخلاف بين اثنين فيدخل بينهما ولا يزال ينتهز غفلتهما بشأنتهما حتى يسلب ما قدر عليه من مالهما . (١٠) قمش جمع ومعناه الذى يجيء الى الصيرفى يوهمه أنه يريد صرف دينار مثلا فيختلس الذى أمامه ويهرب . (١١) أى الذى يتناوم لينام صاحب المال فاذا نام أخذ ماله.

بِالنَّرْدِ^(١). وَمَنْ غَالَطَ بِالقِرْدِ^(٢). وَمَنْ كَابَرَ بِالرَّيْطِ. مَعَ الإِبْرَةِ
 وَالخَيْطِ^(٣). وَمَنْ جَاءَكَ بِالقُفْلِ^(٤). وَشَقَّ الأَرْضَ مِنْ سَفْلٍ^(٥). وَمَنْ
 نَوَّمَ بِالبَنْجِ^(٦). أَوْ أَحْتَالَ بِبِيرْنَجٍ^(٧) وَمَنْ بَدَّلَ نَعْلَيْهِ. وَمَنْ
 شَدَّ بِحَبْلَيْهِ^(٨). وَمَنْ كَابَرَ بِالسَّيْفِ^(٩). وَمَنْ يَصْعَدُ فِي

- (١) أى الذى يدخل الدار ومعه النرد فإذا توسطها وعلم به صاحبها بسيط النرد
 فإذا جاء ليقبض عليه نادى بأنه يظلمه فى اللعب ولا يعطيه ما قامره به .
 (٢) الذى يكترى قرادا يوقفه على باب دكان ليشتمل به صاحب الدكان فيسرقه
 (٣) الريط : جمع ريطة والمراد به هنا الثياب الذى يلبس فوق غيره . وهذه الحيلة
 هى أن الطرار يرفع ثوب بعض المارة خلسة ويمسك بطرفها الاسفل ثم يأخذ فى
 خياطته بما على العاتق فان لم يشعر به صاحب الثياب أخذ هميانه (وهو وعاء
 دراهمه) واذا استشعره صاح: أنى كنت أخيط لك ثوبك هكذا أفلا تريد .
 (٤) الذى يبيع التاجر قفلا سهل الفتح فإذا أغلق التاجر به جاء فسرقه.
 (٥) الذى يحفر حفيرة فى الأرض حتى تصل الدار فإذا نام أهلها دخلها.
 (٦) البنج : مخدر معروف. (٧) النيرنج : ضرب من الشعبة يشبه السحر.
 (٨) بدل نعليه : الذى يدخل الحمام أو المسجد ومعه نعل خلق ثم ينتهز غفلة
 الناس ويتحين اشتغالهم فيأخذ نعلين جديدين ويخرج وشد بحبلية: الرجل يصعد
 جدارا أو يرقى سطحا ثم يشد على مايجده من المتاع حبلا يكون قد ترك طرفه
 فى الارض من أسفل الدار مثلا ثم ينزل فيشد ذلك الحبل ويأخذ ما علق به
 ويسير. (٩) كابر بالسيف : أى عاند به جهارا وهؤلاء قطاع الطريق.

الْبَيْرِ^(١). وَمَنْ سَارَ مَعَ الْعَيْرِ^(٢). وَأَصْحَابُ الْعَلَامَاتِ^(٣) وَمَنْ يَأْتِي
الْمَقَامَاتِ^(٤). وَمَنْ فَرَّ مِنَ الطَّوْفِ^(٥). وَمَنْ لاذَ مِنَ الْخَوْفِ^(٦). وَمَنْ
طَيَّرَ بِالطَّيْرِ^(٧). وَمَنْ لَاعَبَ بِالسَّيْرِ. وَقَالَ: اجْلِسْ وَلَا ضَيْرٌ^(٨). وَمَنْ
يَسْرِقُ بِالْبَوْلِ^(٩) وَمَنْ يَنْتَهزُ الْهُولَ^(١٠). وَمَنْ أَطْعَمَ فِي السُّوقِ. بِمَا

(١) يصعد في البير : الرجل يختبئ في بئر فإذا ورده قوم وأدلى أحدهم دلوه
صعد المختبئ فيه فيخافونه وهم يحسبونه من الجن فيتذرع بذلك إلى سلبهم
وسرقتهم . (٢) العير : جماعة المسافرين القافلة ، وهذا يسير معهم يوهمهم أنه
أحدهم حتى إذا وجد منهم غرة انتهزها . (٣) أى الذين يجعلون لأنفسهم شعاعا
كشعار المتصوفة وأمثالهم يريدون بذلك أن يطمئن الناس لهم فإذا تمكنوا من
ذلك سرقوهم . (٤) الذى يلبس لباس العلية والكبراء ليدخل بيوتهم من غير
ممانعة فتتسنى له السرقة . (٥) الطوف : العسس ورجال الشرطة الذين يطوفون
لحفظ الأمن والفار منهم الذى يجرى أمامهم دون أن يطلبوه فإذا لقي دارا
دخلها حتى إذا فطن له ربها ذكر له أنه هارب من الطوف لانهم يريدونه ظلما
فينجو . (٦) لاذ ، التجأ وهو الذى يقبل عليك ويحتمى بك يوهمك أنه يخاف عدوا
فإذا لاحت له منك غرة انتهزها . (٧) الذى يتخذ حماما يطيره ويدخل البيوت فإن
سأله أحد زعم أنه يبحث عن حمامه . (٨) السير : قطعة من جلد واللاعب به
الذى يلاعبك ويداعبك فى إخفاء بعض الاشياء فمن لم يعرفها ضربه وفى هذا
منازعة تمكنه من الخلسة (٩) الذى يجلس بجانب المال ويكشف سواته موهما
أنه يبول فيخجل صاحب المال فيخفى وجهه فيتمكن اللص من السرقة .
(١٠) الذى يرتقب حصول كارثة كحريق أو معركة فيدخل بين الناس وينتهز
اشتغالهم للسرقة .

يَنْفُخُ فِي الْبُوقِ^(١). وَمَنْ جَاءَ بِبَسْتُوقٍ^(٢) وَأَصْحَابُ الْبَسَاتِينِ^(٣).
وَسُرَّاقُ الرَّوَّازِينِ^(٤). وَمَنْ صَبَرَ فِي الصَّرْحِ^(٥). وَمَنْ سَلَّمَ فِي
السَّطْحِ^(٦)، وَمَنْ دَبَّ بِسِكِّينٍ. عَلَى الْحَائِطِ مِنْ طِينٍ^(٧). وَمَنْ جَاءَكَ
فِي الْحَيْنِ. يُحْيِي بِالرِّيَّاحِينَ^(٨). وَأَصْحَابُ الطُّبْرَزِينِ. كَاعَاوَانَ
الدَّوَّائِينَ. وَمَنْ دَبَّ بِأَيْنٍ. عَلَى رَسْمِ الْمَجَانِينِ^(٩). وَأَصْحَابُ
الْمَفَاتِيحِ^(١٠).

- (١) الرجل ينادى فى السوق بأنه يعالج الشهوة بدواء يعرفه.
(٢) البستوق ، والبستوقة : الإناء الذى يتخذ للماء (كالدورق والقلة) ومعنى هذا:
الرجل الذى يدخل البيوت ويبيده هذا فإن عثر به أحد قال : أتى أريد أن تملأوا
لى هذا ماء وإذا لم يعثر به أحد ووجد شيئاً أخذه وانطلق .
(٣) أصحاب البساتين : الرجل يأتىك فيمتدح نفسه بالمهارة فى خدمة البساتين
والحنكة فى القيام عليها ثم لايزال بك حتى توليه شؤون بستانك فإذا تولاه سرق
ماشاء بدون أن يشتبه به أحد. (٤) الروازين : جمع روزنه وهى الكوة.
(٥) ضبر : وثب ، والصرح : البناء العالى. (٦) الذى معه حبل كالسلم يرميه
على الدار ثم يصعد عليه. (٧) الذى يصعد على الحائط ومعه سكين يضرب بها
من يتعرض له. (٨) الذى يدخل عليك ويبيده باقة زهر فإن أحسست به أوهمك
أنه جاء مهدياً إياه لك . (٩) دب : أى مشى ، والمعنى : الذى يدخل الدور
للسرقة فإن أبصره أحد ما صاح صياح المجانين ليظن الناس به ذلك فيتركوه
(١٠) الذين يحملون مفاتيح كثيرة ليفتحوا بها الدور والصناديق.

وَأَهْلُ الْقُطْنِ وَالرَّيْحِ^(١). وَمَنْ يَقْتَحِمُ الْبَابَ. عَلَى زِيٍّ مِنْ أَنْتَابٍ^(٢).
وَمَنْ يَدْخُلُ فِي الدَّارِ. عَلَى صُورَةٍ مِنْ زَارٍ. وَمَنْ يَدْخُلُ بِاللَّيْلِ.
عَلَى زِيٍّ الْمَسَاكِينِ. وَمَنْ يَسْرِقُ فِي الْحَوْضِ. إِذَا أُمِّكَنْ فِي
الْحَوْضِ^(٣). وَمَنْ سَلَّ بِعُودَيْنِ^(٤). وَمَنْ حَلَّفَ بِالدَّيْنِ^(٥). وَمَنْ غَالَطَ
بِالرَّهْنِ^(٦). وَمَنْ سَفَّتَجَ بِالدَّيْنِ^(٧).

(١) جماعة تجعل في أيديها قطعاً من القطن المندوف ثم ينفخونه ليطير إلى بعض البيوت فيدخلونها بحجة البحث عنه.

(٢) أي الرجل الذي يدخل الدار كأنه ضيف فان وجد من أهل البيت اشتغالا عنه سرقهم.

(٣) الذي يجيء الحمامات ليسرق من يدخلها إذا نزل الحوض.

(٤) الذي يجلس على سطح داره منتظرا ورود القافلة مثلا فإذا وصلتته مد يده بعضا إلى المتاع فأخذ منه ماشاء. (٥) أي الذي يدعى على أحد الوجهاء والعيون مقدارا زهيدا ويكلفه الحضور أمام القاضي ليحلف على البراءة منه فيأنف من ذلك فيعطيه له. (٦) غلط بالرهن: الرجل يأخذ معه صندوقا صغيرا مغلقا يودعه عند آخر موهما أن به جواهر وأشياء نفيسة ثم يرهنه عنده ويأخذ منه جزءا من المال ثم لا يعود. (٧) سفتح بالدين: سفتح عامل بالسفتجة وأصلها يشبه ما يسمى الآن (بوليصة) وكيفية هذا: أن الرجل يأتي رجلا آخر قد عزم على السفر إلى ناحية ما ومعه مال فيقول له: لا تكلف نفسك عناء حمل المال فأنا أريحك منه فأعطنييه وخذ هذه الورقة إلى فلان هناك فبيني وبينه معاملة وإذا وصلتته أعطاك ذلك المبلغ. ولا يكون شيء من ذلك حقيقيا.

وَمَنْ خَالَفَ بِالْكَيْسِ^(١). وَمَنْ زَجَّ بِتَدْلِيسٍ^(٢) وَمَنْ أَعْطَى الْمَفَالِيسَ.
وَمَنْ قَصَّ مَنْ الْكُمِّ. وَقَالَ: انظُرُوا حُكْمُ^(٣). وَمَنْ خَاطَ عَلَى
الصِّدْرِ^(٤). وَمَنْ قَالَ: أَلَمْ تَدْرِ^(٥)؟ وَمَنْ عَضَّ وَمَنْ شَدَّ^(٦).

(١) خالف بالكيس: الرجل يذهب إلى بعض التجار فيساومه في بضاعه ثم يخرج له كيسا به دنانير ويهم بنقده الثمن فيأبى التاجر لقلته فيأخذ كيسه ويضعه في ثيابه ثم يزيد له في الثمن فإذا رضى أخرج له كيسا آخر يشبه الأول في لونه وحجمه ثم يعد له منه فلوسا والتاجر لا يدري. فإذا تأملها التاجر وأراد إمساكه يكون قد أفلت. (٢) الذى ينتقد دراهم الناس فيخفى بعضها ويضع بدلا منه زيوفا. (٣) الذى يقطع كمه ثم يتعلق بمن معه مال مدعيا عليه به فإذا رآه أحد شكأ إليه قائلا: انظر ماذا فعل بى وأنا أطالبه بحقى.

(٤) خاط على الصدر : الرجل يستصحب إبرة وخيطا فإذا لقي رجلا آخر أمسك بتلابيبه ونصح له أن ينتظر حتى يخيط له ثوبه على صدره فتأخذه الدهشة لغرابة ذلك الفعل وحينذاك يسلبه ما يشاء ثم يفر. (٥) وقال : ألم تدرى؟ : الرجل يأتى إلى آخر فيقول له: لقد سمعت عجيبا. ألم يصل إليك أن فلانا جاءه سارق فأمسك به هكذا (ويمسكه) ثم مازال السارق به حتى وصل إلى موضع النقود فى ثيابه فاختمتها منه، ولا يفتأ يحدثه حتى يصنع به الذى يخبره بغرابته. (٦) من عض : الرجل يلقي آخر فيبدوّه بالمنزعة فإذا اشتبك معه لا يزال يعض فى موضع النقود ويقرضه بأسنانه حتى يتمكن من اختلاسها، ومن شد : الرجل يربط الثوب ونحوه بما يمسكه فى يده فينهض عنه صاحبه وقد اتسل عنه وهو غافل.

وَمَنْ دَسَّ إِذَا عَدَّ^(١). وَمَنْ لَجَّ مَعَ الْقَوْمِ . وَقَالَ لَيْسَ ذَا نَوْمٍ^(٢) وَمَنْ
غَرَّكَ بِالْأَلْفِ^(٣). وَمَنْ زَجَّ إِلَى خَلْفٍ^(٤) وَمَنْ يَسْرِقُ بِالْقَيْدِ . وَمَنْ يَأْلُمُ
لِلْكَيْدِ^(٥). وَمَنْ صَافَحَ بِالنَّعْلِ^(٦).

(١) من دس إذا عد: الرجل يعد دراهم غيره وفي أثناء ذلك أخذ جيدها ويضع بدله زيوفا. (٢) الذي يدخل المسجد مع جماعة فيرى رجلا نائما عند متاعه فيقول إنه ليس نائما فلا تخفوا متاعكم لئلا يراكم. فيعتر النائم ، فيتصنع النوم، ويجيء بعضهم إليه فيأخذ متاعه وكأنه يختبره ليعلم أنائم أم لا فيشتد النائم في تصنعه، ثم يذهب ذلك السارق جوار الحائط يوهم أنه يخفى شيئا ثم يخرجون جميعا فإذا قام النائم يبحث عما خبأوه وجده حصى ومدرا. (٣) الرجل يودع أحد التجار كيسا له فيه دراهم وعلى وجهها عند أوله بعض الدنانير، ثم تجيئه طالبا كيسه فيفتحه أمامه ويأخذ الدنانير بمراى منه يوهم أن كل ما فيه كذلك، ثم تجيئه ثانية فيأخذ منه بضاعة بقيمة عالية دون أن يعطيه شيئا – والتاجر يظن أن في الكيس سداد – ثم لا يعود إليه. (٤) الرجل يتفق مع آخر على أن يذهب أحدهما إلى تاجر يوهمه أنه يشتري منه ويأخذ بعض المتاع يفحصه ثم يجيء الثاني فيطرحه الأول إليه بخفة من غير أن يبصره التاجر ثم يضطرب ويصيح شاتما فيه لاعنا له موهما أنه اختطفه منه ويكون قد ذهب. (٥) الذي يسرق بالقيد ومثله الذي يألم للكيدي: هو الذي يجعل في رجليه قييدا ثم يسير به فإذا رأيته شكا إليك أنه كان أسيرا فترق له وتأخذه لتأويه فيختلس منك. (٦) الذي يجيء رجلا فيضربه بنعله الخلق فإذا خلع الثاني نعله ليضربه به خطفه وفر.

وَمَنْ خَاصَمَ فِي الْحَقِّ^(١). وَمَنْ عَالَجَ بِالشَّقِّ^(٢). وَمَنْ يَدْخُلُ فِي
السَّرْبِ^(٣). وَمَنْ يَنْتَهزُ النَّقْبَ^(٤). وَأَصْحَابُ الْخَطَاطِيفِ. عَلَى
الْحَبْلِ مِنَ اللَّيْفِ^(٥). وَأَنْجَزَ الْحَدِيثُ إِلَى ذِكْرِ مَنْ رَبِحَ عَلَيْهِمْ.
فَقَالَ كَهْلُ مِنْهُمْ : سَأَحَدْتُكُمْ بِمَا يُضْحِكُ السَّامِعَ وَيُشْبِعُ
الْجَائِعَ.

(وذكر كلاماً غير متناسب مع الآداب نتركه تعففاً).

(١) الذي يلقاك ومعك مال فيعرض عليك سلعة تساوى كثيرا بقليل وليست معه
فاذا رضيت قال لك: هل معك الثمن؟ فتقول: نعم، ثم تخرجه له، فاذا أخذه أنكرو
أنه لك وجادلك.

(٢) عالج بالشق: الرجل الذي يحتال للسرقة بشق الوعاء كالكيس ونحوه .

(٣) السرب : الحفيرة في الأرض، ويدخل فيه : أى يختفى عن أعين المارة فيه
حتى إذا وجد فرصة سانحة لم يأل جهدا فى انتهازها.

(٤) ينتهز: أى يعتد غنيمة وربحا، والنقب: ثلم الجدار وشقه، والمعنى مقصده
وهو السرقة.

(٥) الذي يجعلون خطافا فى طرف حبل ويرسلونه إلى الدور فأى شيء علق به
أخذه وولوا هاربين.

رفع
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة المغزلية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ^(١) وَأَنَا مُتَّسِعٌ

(١) تقدم عن البصرة شيء ليس بالقليل ولكننا نذكر هنا طرفاً من ميزاتها وخصائصها:

صعد على بن أبي طالب كرم الله وجهه منبرها فخطب الناس ثم قال في آخر خطبته: يا أهل البصرة، يا بقايا ثمود، يا جند المرأة، واتباع البهيمة. دعا فاتبعتم. وعقر فانهزمتم. أما أنى أقول لا رغبة فيكم ولا رهبة منكم غير أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أرض يقال البصره أقوم الأرضين قبلة، قارئها أقرأ الناس، وعابدها أعبد الناس، ومتصدقها أكثر الناس صدقة، وتاجرها أعظم الناس تجارة، منها إلى قرية يقال لها الابله أربع فراسخ يستشهد عند مسجدها سبعون ألفاً الشهيد منهم كالشهيد في يوم بدر. ويقال: أن لاهل البصرة ثلاث أشياء ليس لاحد من أهل البلدان أن يدعيها عليهم: النخل، والشاء، والحمام. أما النخل فهم أعلم خلق الله به وأحذقهم باصلاحه وفيها من أصناف النخل ما ليس في بلد من البلدان. وأما الشاء المعبدية فقد تبلغ الشاة منها خمسين ديناراً، وهم يحتفظون بها ويبالغون في اقتنائها ككرائم الخيل عند العرب وقد وصل بهم الحد إلى =

الصَّيِّتِ كَثِيرُ الذِّكْرِ^(١) فَدَخَلَ عَلَى فَتَيَانٍ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: أَيَّدَ اللَّهُ
الشَّيْخَ دَخَلَ هَذَا الْفَتَى دَارَنَا فَأَخَذَ فَنَجَّ سِنَّارِ^(٢).

بِرَأْسِهِ دَوَّارِ^(٣). بِيَسْطِهِ زِنَّارِ^(٤). وَفَلَكَ دَوَّارِ. رَخِيمُ الصَّوْتِ إِنْ
صَرَ^(٥). سَرِيْعُ الْكِرَّانِ فَرَ^(٦). طَوِيلُ الذَّيْلِ إِنْ جَرَ^(٧). نَحِيْفُ

= أن يحفظوا أن بدار فلان شاه أمها شاه بنى فلان وأبوها تيس بنى فلان مقدار
حلبها بالغداة والعشى كذا. وأما حمامهم فقد بلغت فى الهداية أن جاءت من
أقصى بلاد الروم ومن مصر إلى البصرة وينتهى ثمن الطائر منها إلى تسعمائة
دينار وتباع بيضتها بعشرين دينارا.

(١) أى أنه دخلها وله شهرة واسعة والناس يتناقلون أخباره ويتحدثون بشأنه
وهذا مدعاة إقبالهم عليه وانصرافهم إليه.

(٢) فنج بفاء فنون فجيم حيوان يؤخذ من جلده فراء كأحسن ما يكون وأطلقه
هنا وأراد منه جلده. والسِنَّار – بضم أوله وتشديد ثانية -: السنور، وهو الهر،
والمعنى شئ يشبه ذلك والمراد تشبيه الغزل بالهر لأنه يكون وجود الخيط عليه
شبيها به فى الصورة .

(٣) الدوار: الدوران وظاهر ذلك فى المغزل لأنه كثير الدوران .

(٤) أصل الزنار: الخيط الذى يضعه القسوس فى أوساطهم والمغزل يصنع له
دائرة من نفسه فى وسطه. (٥) صر: صوت ، وأنك لتسمع للمغزل صوتا إذا
دار. (٦) أى إذا تحرك فهو سريع.

(٧) متى أدرت المغزل للغزل طال الخيط حتى يصل المغزل الأرض.

الْمُنْطَقِ. ضَعِيفُ الْمُقْرَطِقِ^(١). فِي قَدْرِ الْحَرْرِ. مُقِيمٌ بِالْحَضْرِ.
لَا يَخْلُو مَنْ السَّفَرِ^(٢) إِنْ أُوْدِعَ شَيْئاً رَدَّ. وَإِنْ كَلَّفَ سَيْراً جَدًّا. وَإِنْ
أَجَرَ حَبِلاً مَدًّا. هُنَاكَ عَظْمٌ وَخَشَبٌ. وَفِيهِ مَالٌ وَنَشَبٌ. وَقَبْلُ
وَبَعْدُ^(٣). فَقَالَ الْفَتَى : نَعَمْ - أَيْدِ اللّهِ الشَّيْخَ - لِأَنَّهُ غَضَبَنِي عَلَى

مُرْهَفٍ سِنَانُهُ مُذَلِّقِ أَسْنَانُهُ^(٤)
أَوْلَادُهُ أَعْوَانُهُ تَفْرِيقِ شَمْلِ شَانُهُ^(٥)

(١) المنطق : مكان المنطقة ، وهى شقة تلبسها المرأة وتشد وسطها بها فترسل
الاعلى على الاسفل إلى الأرض والاسفل يجر على الأرض ليس لها حجة ولا
نيفق ولا ساقان، والمقرطق : مكان القرطقة وهى ثوب نو طاق واحد.
(٢) أى أنه لا يتسنى العمل به لغير المقيم ومع ذلك فإنه مسافر دائما لطول
حركته ودوامها.

(٣) المغزل يصنع من الخشب رأسه وعوده أو من العظم كذلك وقد يصنع الرأس
من العظم والعود من الخشب، والحبل الخيط الذى يغزل عليه والنشب أصله
المال والعطف لتفخيم الشأن، وقيل ويعد : المراد بهما الخير والمنفعة من قولهم
ليس له قبل بكذا أى طاقة وليس عنده بعد أى منفعة طائلة.

(٤) مرهف ومذلق معناهما محدد والسنان أصله طرف الرمح واستعير هنا
لاسنان المشط .

(٥) أولاده: هم أسنانه لأنها تتفرع عنه وتخرج منه، والشمل المجتمع، والمشط

مُوَاتِبٌ لِصَاحِبِهِ مُعَلَّقٌ بِشَارِبِهِ^(١)
 مُشْتَبِكُ الْأَنْيَابِ فِي الشَّيْبِ وَالشَّبَابِ^(٢)
 حَلْوٌ مَلِيحُ الشُّكْلِ ضَاوٍ زَهِيدُ الْأَكْلِ^(٣)
 رَامٌ كَثِيرُ النَّبْلِ حَوْفَ اللَّحَى وَالسَّبْلِ^(٤)
 فَقُلْتُ لِلأَوَّلِ : رُدَّ عَلَيْهِ الْمَشْطُ لِيَرُدَّ عَلَيْكَ الْمَغْزَلُ.

(١) أى أنه يقفز على صاحبه فيصل إلى رأسه أو لحيته أو شاربه.

(٢) الأنياب هى الأسنان والشيب بكسر أوله جمع أشيب والمعنى أنه يحتاجه كل واحد لافرق بين الشيوخ والشبان.

(٣) ضاو : أى نحيف هزيل، وزهيد الاكل: قليله والمشط كذلك لأنه ضئيل، ولا يعلق به إلا قليل الشعر.

(٤) نبلة أسنانه وهو كثيرها والسبل فتح الباء جمع سبلة وهى ما على الشارب من الشعر وتسكين الباء لضرورة موافقة النظم.

المقامة الشيرازية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْيَمَنِ^(١). وَهَمَمْتُ
بِالْوَطَنِ^(٢). ضَمَّ إِلَيْنَا رَفِيقٌ رَحْلَهُ فَتَرَأَفْنَا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ حَتَّى جَذَبَنِي
نَجْدٌ^(٣). وَالْتَقَمَهُ وَهْدٌ^(٤). فَصَعِدْتُ وَصَوَّبٌ^(٥). وَشَرَّقْتُ وَغَرَبٌ^(٦)
وَنَدِمْتُ عَلَى مُفَارَقَتِهِ بَعْدَ أَنْ مَلَكَنِي الْجِبَلُ وَحَزَنُهُ^(٧). وَأَخَذَهُ الْغُورُ

(١) قفلت: رجعت .

(٢) هممت به: عزمت عليه .

(٣) النجدة: ما ارتفع من الأرض.

(٤) الوهد: ما تطامن وانخفض من الأرض.

(٥) صعدت : سرت مرتفعاً بما يناسب النجد، وصوب: سار منحدرًا أو على
اعتدال يتفق مع الوهد.

(٦) سرت جهة الشرق وسار جهة الغرب.

(٧) الحزن: المرتفع الشديد وكأنه كان على قمة الجبل.

وَبَطْنُهُ^(١) فَوَاللَّهِ لَقَدْ تَرَكْنِي فَرَاقُهُ. وَأَنَا أَشْتَاقُهُ^(٢). وَغَادَرَنِي بَعْدَهُ.
أُقَاسِي بَعْدَهُ^(٣). وَكُنْتُ فَارِقْتُهُ ذَا شَارَةَ وَجَمَالٍ. وَهَيْئَةً وَكَمَالٍ^(٤).
وَضَرَبَ الدَّهْرُ بِنَا ضُرُوبَهُ^(٥). وَأَنَا أْتَمَتُّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَأَتَذَكَّرُهُ
فِي كُلِّ لَحَاةٍ. وَلَا أَظُنُّ أَنَّ الدَّهْرَ يَسْعِدُنِي بِهِ وَيَسْعِفُنِي فِيهِ. حَتَّى

(١) المعنى: أنه أسف كثيرا على مفارقتة وتمنى لو تمكن من العودة إليه ولقائه
مرة ثانية ولكن ابتعاد كل واحد منهما عن الثاني حال دون هذه الأمنية.

(٢) الشوق، والاشتياق: نزوع النفس إلى الشيء واندفاعها نحوه. يقال: شاقه
الشيء - من باب قال - فهو شائق، وذلك مشوق، وشوقه فتشوق: أى هيج
شوقه، واشتاقه: أى هاج شوقه إليه والمعنى: أن فراق ذلك الرفيق أثر في نفسى
وألمها واهتاج إليه خواطرى .

(٣) غادرنى: تركنى، والضمير عائد إلى الرفيق أو إلى الفراق، وبعده بفتح
أوله - ظرف، والبعد - بالضم - ضد القرب ، وقد بعد - بالضم بعدا فهو بعيد
أى متباعد، ومقاساة البعد: تحمل مشقاته، ومعاناة ويلاته وألامه.

(٤) أى أنه غادره جميلا بهى الطلعة وسيم الخلقة تظهر عليه أمارات النعمة
ومخايل الرفاهة.

(٥) ضرب الدهر بهم ضربانا، ومن ضربانه ، كناية عن ايصال صروفه ومحنه
إليهم، وتقول : لحا الله زمانا ضرب ضربانه حتى سلط عليه ضربانه.

أَتَيْتُ سِيرَانَ^(١) فَبَيْنَا أَنَا يَوْمًا فِي حُجْرَتِي إِذْ دَخَلَ كَهْلٌ قَدْ غَبَرَ
فِي وَجْهِهِ الْفَقْرُ^(٢). وَأَنْتَزَفَ مَاءَهُ الدَّهْرُ^(٣). وَأَمَالَ قَنَاتَهُ السَّقْمُ^(٤).
وَقَلَّمَ أَظْفَارَهُ الْعَدَمَ^(٥). بِوَجْهِهِ أَكْسَفَ مِنْ بَالِهِ. وَزِيٍّ أَوْحَشَ مِنْ

(١) سيران : مدينة فارس العظمى وهى مدينة جليلة عظيمة ينزلها الولاية ولها سعة ورفاهة عيش حتى أنه ليس فيها منزل إلا ولصاحبه بستان فيه جميع الثمار والرياحين والبقول وكل ما يكون فى البساتين وشرب أهلها من عيون تجرى فى أنهار ينحدر إليها الماء من جبال يتراكم فوقها الثلج . وهى الآن من بلاد ايران وقاعدة ولاية فارس إحدى ولايات تلك الملكة.

(٢) غير : أثار الغبار، والكهل : الرجل إذا تمشت جنوة الشيب فى فحمة شبابه .

(٣) انتزف : أخذه ولم يبق منه شيئاً، والمراد بالماء هنا جدة الشباب وميعته.

(٤) أصل القناة الرمح وكنى بها عن ظهره، والسقم: المرض وفى الحديث (خذ من صحتك لسقمك) أى اعمل فى زمن قوتك ما يفيدك حال اعتلاك. والمراد هنا أن ظهره قد تقوس واحدوب لما نزل به .

(٥) الأظفار : جمع ظفر وتكون به القوة والشدة والبطش، ومنه أظفار المنية على رأى، وإذا كان الاملاق قد قلمها فقد أذهب بطشه فهو كناية عن ضعفه وهو ان حاله بعد ما نزل به .

حاله^(١). ولثَّة نَشْفَةٍ. وَشَفَّة قَشْفَةٍ^(٢) وَرَجْعِلٍ وَحَلَةٍ. وَيَدٍ مَحَلَةٍ^(٣).
وَأَنْيَابٍ قَدْ جَرَعَهَا الضَّرُّ. وَالْعَيْشُ الْمُرُّ^(٤). وَسَلَّمَ فَازٌ دَرَّتُهُ عَيْنِي
وَلَكِنِّي أَجَبْتُهُ. فَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يُظَنُّ بِنَا^(٥)
فَبَسَطْتُ لَهُ أُسْرَةً وَجَهِي. وَفَتَقْتُ لَهُ سَمْعِي^(٦) وَقُلْتُ

(١) يقال: فلان كاسف البال اذا كان سىء الحال رديئه قال الشاعر :

إنما الميت من يعيش كئيبا كاسفا باله قليل الرجاء
أوحش: ذا وحشة.

(٢) اللثة : اللحمة التي تحيط بالأسنان ونشفها ذهب ما فيها من الرطوبة
والبلالة ، والشفة : معروفة، وقشفة : أى قد علاها القشف وهو الخشونة التي
تنشأ عن الجوع ونحوه.

(٣) رجل وحلة : أى عليها الوحل وهو الطين ، ويد محلة : أصابها المحل وهو
الجذب والفقر .

(٤) أى أن أمره قد تغير إلى بؤس شديد وضنك ملازم .

(٥) المعنى : أن ظاهر حاله دعانى إلى التقزز منه وإنكاره وأنه استتراب ذلك
منى واستبشعه فعرض بى لا قدره قدره وأقوم له بما تستوجبه مكانته من التجلة
والاحترام .

(٦) بسطت له أسرة وجهي: ضحكت له، ولقيته بالبشر والطلاقة، وفتقت له
سمعى: كناية عن الاقبال عليه، والمعنى: أننى حينما سمعت ألفاظه غيرت =

لَهُ : إِيهِ^(١) . فَقَالَ: قَدْ أَرْضَعْتُكَ تَدَى حُرْمَةٍ وَشَارَكْتُكَ عِنَانَ
عَصْمَةٍ. وَالْمَعْرِفَةُ عِنْدَ الْكِرَامِ حُرْمَةٌ. وَالْمَوَدَّةُ لِحَمَةٍ^(٢)؟
فَقُلْتُ: أَبْلَدِي أَنْتَ أُمَّ عَشِيرِي^(٣)؟. فَقَالَ: مَا يَجْمَعُنَا إِلَّا بَلَدٌ

= سببى فى ملاقاته واستبدلت جفائى ونفرتى وانصرافى عنه، بالملاطفة
والدعابة والتوجه إليه.

(١) إِيهِ : أَسْمُ فَعْلٍ مَعْنَاهُ طَلَبُ الزِّيَادَةِ مِنَ الْحَدِيثِ فَإِنْ كَانَ مِنْوْنَا فَالزِّيَادَةُ مِنْ
مَطْلُوقِ حَدِيثٍ وَأَنْ كَانَ بِلَا تَنْوِينٍ فَمِنْ كَلَامٍ مَعِينٍ.

(٢) أَى أَنَّهُ حَدَّثَنِى عَنِ نَفْسِهِ وَعَرَفَنِى بِسَابِقِ صِلَةٍ وَبَسَطَ لى أَمْرَهُ مَعى وَمَوَدَّتِهِ
لى وَاسْتَنْهَضَ فى نَفْسِى أَثَارَ ذَلِكَ وَنَاشَدَنِى أَلَّا أُنْسَى قَدِيمَ مَعْرِفَتِهِ .

(٣) أَى هَلِ الْجَامِعَةُ بَيْنِى وَبَيْنَكَ الْإِشْتِرَاكُ فى الْبَلَدِ أَوِ الْإِشْتِرَاكُ فى الْعَشِيرَةِ
الَّتِى هِىَ الصَّدَاقَةُ وَرَبْمَا صَحَّ فى عَشِيرِى النِّسْبَةُ إِلَى الْعَشِيرَةِ وَهِيَ الْقَبِيلَةُ وَهُوَ
أَقْرَبُ لِمَكَانِ الْبِيَاءِ وَإِنْ كَانَ الْقِيَاسُ فى النِّسْبَةِ إِلَى مِثْلِ عَشِيرَةٍ وَقَبِيلَةٍ وَجِهِينَةٍ مِمَّا
فِيهِ تَاءُ التَّائِيثِ وَيَاءٌ قَبْلَهَا حَذْفُ الْيَاءِ وَالتَّاءُ مَعاً، لَكِنْ أَجَازَ صَاحِبُ أَدَبِ الْكَاتِبِ
عَدَمَ حَذْفِ الْيَاءِ إِذَا كَانَ الْاسْمُ الْمَنْسُوبُ إِلَيْهِ غَيْرَ مَشْهُورٍ، وَمَلْخَصٌ مَا فِيهِ أَنَّكَ
إِذَا أَرَدْتَ النِّسْبَ إِلَى اسْمٍ عَلَى فَعِيلٍ أَوْ فَعِيلَةٍ كَرَبِيعَةٍ وَثَقِيفٍ وَحَنِيفَةٍ وَعَتِكَ أَوْ
عَلَى فَعِيلٍ أَوْ فَعِيلَةٍ كَقَرِيشٍ وَجِهِينَةٍ وَهَذِيلٍ وَمَزِينَةٍ قُلْتَ: رَبِيعَى وَثَقِيفَى وَحَنِيفَى
وَعَتَكَى وَقَرِيشَى وَجَهْنَى وَهَذَلَى وَمَزْنَى، فَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْاسْمُ مَشْهُوراً لَمْ
تَحْذَفِ الْيَاءُ فى الْأَوَّلِ وَلَا الثَّانِى ، وَإِنَّمَا نَكَرْتَ ذَلِكَ لِأَنَّى لَمْ أَرِ جَوَازَ عَدَمِ
الْحَذْفِ لغيره .

الْغُرْبَةَ^(١) . وَلَا يَنْظِمُنَا إِلَّا رَحِمُ الْقُرْبَةِ^(٢) . فَقُلْتُ: أَيُّ الطَّرِيقِ
شَدَّنَا فِي قَرْنٍ^(٣) ؟ قَالَ: طَرِيقُ الْيَمَنِ . قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ :
فَقُلْتُ: أَنْتَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ؟ فَقَالَ: أَنَا ذَاكَ . فَقُلْتُ: شَدَّ مَا
هَزَلْتَ بَعْدِي وَحَلَّتْ عَنْ عَهْدِي^(٤) :! فَاَنْفُضْ إِلَى جُمْلَةٍ حَالِكٍ .
وَسَبَبَ اخْتِلَالِكَ فَقَالَ: نَكَحْتُ خَضْرَاءَ دِمْنَةَ^(٥) . وَشَقِيتُ مِنْهَا بَابْنَهُ .
فَأَنَا مِنْهَا فِي مِحْنَةٍ ، قَدْ أَكَلْتُ حَرِيَّتِي^(٦) وَأَرَأَيْتَ مَا شَيْبَتِي .
فَقُلْتُ: هَلَّا سَرَّحْتَ . وَأَسْتَرَّحْتَ^(٧) . ثم ذكر كلاماً يندى له وجه
الادب فتعففنا عن ذكره والخوض فيه .

(١) المعنى : لست من بلدك ولا من عشيرتك ، ولكنى رجل اشتركت معك في
الاغتراب عن الوطن والنزوح عن مقر الامل . (٢) القرية : الاقتراب في المسكن ،
والمراد به ما يعم طريق السفر . (٣) القرن ومثله القران : أصله الحبل يربط به
البعيران وتقول أعطيته بغيرين في قرن وفي قران معاً مأخوذ من الاقتران وهو
الاجتماع ومنه قيل للصاحب قرين . (٤) أى ما أشد هزالك وضعفك وما أكثر
نحافتك وضالة جسمك فلقد تغيرت عما عرفتك ويقال : حال فلان اذا تغير ومنه
قوله وكلام البديع مأخوذ منه :

لئن كان إياه لقد حال بعدنا عن العهد والانسان قد يتغير

(٥) خضراء الدمن مفسرة في الحديث : (اياكم وخضراء الدمن . قالوا: وما هي
يا رسول الله ؟ قال : المرأة الحسنه في المنبت السوء) .

(٦) حريبة الرجل : ماله الذى يعيش منه .

(٧) سرحت : طلقت هذه المرأة، وفي الكتاب العزيز : (أو تسريح باحسان) .

المقامة الحلوانية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: لَمَّا قَفَلْتُ مِنَ الْحَجِّ فِيمَنْ قَفَلَ^(١) وَنَزَلْتُ حُلُوانَ مَعَ مَنْ نَزَلَ^(٢). قُلْتُ لِغُلَامِي: أَجِدُ شَعْرِي طَوِيلًا وَقَدْ اتَّسَخَ بَدَنِي قَلِيلًا^(٣). فَاخْتَرْنَا حَمَامًا نَدْخُلُهُ. وَحَجَّامًا

(١) قفل: رجع ، وتقول : قفل الجند من الغزو الى أوطانهم قفلا وقفولا وهذا وقت القفل أى العود والرجوع، ورأيت القفل: أى جماعة العائدين كما يقال القعد لجماعة القاعدين، ويقال : أقفلهم الامير أى رجعهم ، والمعنى: حينما رجعت الى وطنى عائداً من مكة بعد أداء فريضة الحج مع الذين رجعوا. (٢) حلوان: اسم يقع على قريتين وبلدين إحداهما فى آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد وهى المقصودة هنا. (٣) يحرم على الانسان متى نوى الحج وأحرم به أن يلق شعره أو يقصره حتى يؤدى شعائره فيتحلل ويجوز له ذلك ونحوه، والحكمة فى مثل ذلك إظهار تمام الطاعة الى الله بالخروج عن مظاهر النعمة وعلائم الرفاهية بكل أنواعها والتجرد من أسباب الاغترار والذعة ، ومدة الحج طويلة بحيث لا يستطيع المرء أن يتمهل بعدها أو يبسط فى تنظيف نفسه وإزالة ما طال من شعره، وعيسى قد زاد على مدة الحج بالمدة التى قضاه فى طريقه الى حلوان، فهو لا شك أشد احتياجا وأكثر افتقارا للنظافة.

نَسْتَعْمَلُهُ^(١). وَلَيْكُنِ الْحَمَّامُ وَأَسِعِ الرُّقْعَةَ^(٢). نَظِيفَ الْبُقْعَةِ^(٣). طَيِّبَ
 الْهَوَاءِ. مُعْتَدِلَ الْمَاءِ^(٤). وَلَيْكُنِ الْحَجَّامُ خَفِيفَ الْيَدِ حَدِيدَ الْمَوْسَى
 نَظِيفَ الثِّيَابِ قَلِيلَ الْفُضُولِ^(٥). فَخَرَجَ مَلِيًّا. وَعَادَ بَطِيًّا^(٦). وَقَالَ :
 قَدْ اخْتَرْتُهُ كَمَا رَسَمْتِ^(٧). فَأَخَذْنَا إِلَى الْحَمَّامِ السَّمْتِ^(٨) وَأَتَيْنَاهُ
 فَلَمْ نَرَ قَوَامَهُ^(٩). لَكِنِّي دَخَلْتُهُ وَدَخَلَ عَلَى أَثْرِي رَجُلٌ وَعَمَدَ إِلَى

(١) الحمامة فى الاصل: مختصة بامتصاص الدم، والحجام المصاص، والمحجم
 والمحجمة - بوزان منبر ومكنسة: آلة الحمامة التى يجتمع فيها الدم عند المص
 والمحجم أيضاً المشروط الذى يتخذه الحجام، والفعل حجم - من بابى ضرب
 ونصر - : أى صنع ذلك ، واحتجم : طلب الحمامة ، ولكنها استعملت بعد ذلك
 فيما هو أعم من هذا ، ومن الحلاقة التى هى فى الاصل خاصة بقص الشعر،
 وهذا مراد البديع، ولعل منشأ هذا أن الذى يتولى الامرين واحد .

(٢) المراد أن يكون كبير المساحة لأن المكان الضيق تتأذى النفس منه .

(٣) البقعة : المكان الذى يستنقع فيه الماء .

(٤) أى : يكون وسطا بين البرودة والسخونة .

(٥) الفضول : فى الاصل جمع فضل وهو الزيادة والمراد الكلام الذى يزيد عن
 قدر الحاجة فى التفاهم .

(٦) مليا : أى قدراً طويلاً من الزمن ، وقد فسر ذلك بما بعده .

(٧) أى : أئنى فعلت الذى أمرتنى به وسرت على رغبتك .

(٨) السمت : الجهة، والمعنى أننا سرنا متجهين نحو الحمام لنقضى منه لباثتنا .

(٩) قوامه : القائم عليه الذى يراعى شؤونه والمراد صاحبه .

قِطْعَةً طِينٍ فَلَطَخَ بِهَا جَبِينِي وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِي. ثُمَّ خَرَجَ وَدَخَلَ
 آخِرُ فَجَعَلَ يَدْلِكُنِي دَلْكًا يَكْدُ الْعِظَامَ^(١) وَيَغْمِرُنِي غَمْرًا يَهْدُ
 الْأَوْصَالَ^(٢) وَيُصَفِّرُ صَفِيرًا يَرِشُ الْبِزَاقَ^(٣). ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَأْسِي
 يَغْسِلُهُ. وَإِلَى الْمَاءِ يُرْسِلُهُ^(٤). وَمَالَبْتُ أَنْ دَخَلَ الْأَوَّلُ فَحَيًّا أَخْدَعَ
 الثَّانِي بِمُضْمُومَةٍ قَعَقَعَتْ أَنْيَابَهُ^(٥). وَقَالَ : يَا لِكُمْ مَالِكٍ وَلِهَذَا

(١) يكد : يتعب، والمعنى أنه كان يباليغ في ذلك غير مراعاة أنه يتضرر منه ويتأذى به .

(٢) الاوصال : المفاصل ، ويهد : يكسر ، وتقول منه : هدى هذا الامر ، وهد ركنى - إذا بلغ منك وكسرك قال النمر :

على فاجع هد العشييرة ففده به أعلن الناعى الحديث المجمعما

وتقول أيضاً : هذا رجل هدك من رجل - اذا وصفته بالجلد والشدة - :

أى غلبك وقهرك وكسرك، ومثله هذه امرأة هدتك من امرأة، ويقال فى هذين : هادك، وهادتك، والاول أكثر .

(٣) البصاق والبساق والبزاق - والكل بوزن غراب - : ماء الفم إذا خرج منه .

(٤) أرسل الماء : صبه . (٥) الاخدع : عرق فى العنق، قال الصمة بن عبد الله :

تلفت نحو الحى حتى وجدتنى وجعت من الاعياء ليثا وأخدعا

والمضمومة: اليد إذا انطبقت أصابعها سميت بذلك لانضمام أجزائها إلى بعض والانياب جمع ناب وهو معروف وقعقعتها: جعلتها بحيث يسمع لها صوت لتضاربها والمعنى: أنه لم يمض وقت طويل منذ ابتداء الرجل الثانى بدلكى حتى عاد الاول فوجده قد استأثر بى فضربه بجمع يده ضربه سمع لها اصطكاك فى أنيابه.

الرَّأْسِ وَهُوَ لِي^(١). ثُمَّ عَطَفَ الثَّانِي عَلَى الْأَوَّلِ بِمُجْمُوعَةٍ هَتَكَتْ حِجَابَهُ^(٢) وَقَالَ: بَلْ هَذَا الرَّأْسِ حَقِّي وَمَلِكِي وَفِي يَدِي^(٣) ثُمَّ تَلَكَمَا حَتَّى عَيِيَا. وَتَحَاكَمَا لِمَا بَقِيَا^(٤). فَأَتَى صَاحِبَ الْحَمَامِ. فَقَالَ الْأَوَّلُ: أَنَا صَاحِبُ هَذَا الرَّأْسِ. لِأَنِّي لَطَخْتُ جَبِينَهُ وَوَضَعْتُ عَلَيْهِ طِينَهُ. وَقَالَ الثَّانِي: بَلْ أَنَا مَالِكُهُ لِأَنِّي دَلَكْتُ حَامِلَهُ. وَغَمَزْتُ مَفَاصِلَهُ. فَقَالَ الْحَمَامِيُّ: ائْتُونِي بِصَاحِبِ الرَّأْسِ أَسْأَلُهُ. أَلَا هَذَا الرَّأْسِ أُمَّ لَهُ. فَأَتَيْانِي وَقَالَا لَنَا عِنْدَكَ شَهَادَةٌ فَتَجَشَّمْ^(٥). فَقُمْتُ

(١) المعنى : أى شئ سوغ لك أن تدلك صاحب ذلك الرأس وأنا الذى أستحق هذا لأننى أول من لقيه .

(٢) عطف عليه : أى حمل عليه وكر. والمجموعة : مثل المضمومة، وأراد من حجاب قوته لأنها تحجب صاحبها عن انتهاك الناس لحرماته وتعديهم عليه، والمعنى أن هذه الضربة أضعفت قوته وهونت أمره .

(٣) أى : إذا كنت تدعى أن لك وحدك حق التصرف فيه بمجرد ملاقاتك له أولاً ولطخك الطين عليه فان لى حقا هو أكد من حقل وهو أنه تحت حوزتى الآن وفى تصرفى . (٤) يقال للرجل إذا تعب من شئ وناله الاعياء منه : عى به ، والمعنى أنهما تضاربا ضرباً شديداً حتى أنهك كل واحد منهما الآخر وكاد الموت يدنو منهما ثم تراضيا على أن يرفعا أمرهما لمن يفصل بينهما . (٥) أى تحمل المشقة التى تلحقك فى السير لأداء هذه الشهادة أمام صاحب الحمام .

وَأَتَيْتُ. شِنْتُ أُمَّ أَبَيْتُ^(١). فَقَالَ الْحَمَامِيُّ: يَا رَجُلُ لَا تَقُلْ غَيْرَ
الصِّدْقِ. وَلَا تَشْهَدْ بِغَيْرِ الْحَقِّ. وَقُلْ لِي هَذَا الرَّأْسِ لِأَيِّهِمَا. فَقُلْتُ:
يَا عَافَاكَ اللَّهُ^(٢) هَذَا رَأْسِي قَدْ صَحَبَنِي فِي الطَّرِيقِ. وَطَافَ مَعِيَ
بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ^(٣). وَمَا شَكَّكَتُ أَنَّهُ لِي. فَقَالَ لِي: اسْكُتْ يَا
فُضُولِي. ثُمَّ مَالَ إِلَى أَحَدِ الْخُصَمَيْنِ فَقَالَ: يَا هَذَا إِلَى كُمِ هَذِهِ
الْمُنَافَسَةُ مَعَ النَّاسِ. بِهَذَا الرَّأْسِ. تَسَلَّ عَنْ قَلِيلِ خَطَرِهِ، إِلَى لَعْنَةِ
اللَّهِ وَحَرِّ سَقَرِهِ^(٤). وَهَبْ أَنْ هَذَا الرَّأْسِ لَيْسَ، وَأَنَا لَمْ نَرِ هَذَا
التَّيْسَ^(٥). قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَقَمْتُ مِنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ خَجَلًا .
وَلَبِسْتُ الثِّيَابَ وَجِلًّا^(٦). وَأَنْسَلْتُ مِنَ الْحَمَامِ عَجَلًا. وَسَبَبْتُ

(١) أى: أننى سرت الى الحمامى إن طائعا وان مكرها. (٢) عافاك الله : جملة المقصود منها الدعاء له بالعافية والسلامة، وفيها إشارة إلى أن الذى حل به مما يشبه السقم ولا يقل خطبه عن المرض. (٣) العتيق : أصله القديم، والمراد به الكعبة المكرمة سميت بذلك لقدم عهدا وفى التنزيل: (وليطوفوا بالبيت العتيق) . (٤) الخطر: الشأن والمنزلة، أو هو الجعل وأصله الذى يجعل للسابق من الخيل فى الحلبة، والمعنى: هون على نفسك شأن هذا الرأس ولا تجعل له فى قلبك المنزلة التى تحملك على المنافسة واسل ذلك بالذهاب الى لعنه الله وناره الحامية فهو نهاية فى تفضيع حاله. (٥) خبر ليس محذوف أى ليس موجودا أو تجعل ليس بمعنى العدم والمعنى: أفرض هذا الرأس عدما لا وجود له. (٦) الوجل : الخوف، ووجل صفة مشبهة منه معناها: خائف، والوجل انكسار فى النفس تظهر آثاره بحمرة الوجه ونحوها.

الغلام بالعضِّ والمصِّ^(١). ودَقَّقْتُهُ دَقَّ الجِصِّ^(٢) وَقَلْتُ لآخر: أَذْهَبُ
فَأَتِنِي بِحِجَامٍ يَحُطُّ عَنِّي هَذَا النَّقْلَ فَجَاعَنِي بِرَجُلٍ لَطِيفِ الْبُنْيَةِ^(٣).
مَلِيحِ الْحَلِيَّةِ^(٤). فِي صُورَةِ الدُّمِيَّةِ^(٥).

فَارْتَحْتُ إِلَيْهِ. وَدَخَلَ فَقَالَ : السَّلَامُ عَلَيْكَ وَمِنْ أَيِّ بَلَدٍ أَنْتَ؟
فَقُلْتُ : مِنْ قُمَّ^(٦). فَقَالَ : حَيَّاكَ اللَّهُ ، مِنْ أَرْضِ النُّعْمَةِ
وَالرَّفَاهَةِ^(٧) وَبَلَدِ السُّنَّةِ وَالْجُمَاعَةِ^(٨). وَلَقَدْ حَضَرْتُ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ جَامِعَهَا وَقَدْ أَشْعَلْتُ فِيهِ الْمَصَابِيحَ . وَأُقِيمَتِ التَّرَاوِيحُ .

(١) فِي الْحَدِيثِ: مَنْ تَعَزَّى بِعِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضَوْهُ بِهَنْ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا، أَيِ قَوْلُوا
لَهُ عَضُ هُنَّ أَبِيكَ، وَمَعْنَى سَبَبْتَهُ بِالْعَضِّ، قَلْتُ لَهُ ذَلِكَ: وَالْمَصُّ أَنْ يَقُولَ لَهُ:
يَامَا صَ هُنَّ أُمِّكَ. (٢) أَيِ ضَرْبَتِهِ ضَرْبًا أَلِيمًا. (٣) الْبُنْيَةُ: الْجِسْمُ. وَأَصْلُهَا هَيْئَةُ
الْبِنَاءِ سُمِّيَ بِهَا الْجِسْمُ لِانْتِصَامِ بَعْضِ أَجْزَائِهِ إِلَى الْبَعْضِ مِثْلَ تَضَامِ الْبِنَاءِ.
(٤) الْحَلِيَّةُ: الشَّكْلُ وَالصُّورَةُ وَرَبْمَا أُرِيدَ مِنْهَا مَا يَتَجَمَّلُ بِهِ مِنْ ثِيَابٍ وَنَحْوِهِ.
(٥) الدُّمِيَّةُ: الصُّورَةُ مِنْ عَاجٍ أَوْ رِخَامٍ وَنَحْوَهُمَا وَالْجَمْعُ دُمَى كَمَدِيَّةٍ وَمَدَى تَشْبَهُ
بِهَا الْغَيْدُ الْحَسَانُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ :

أَقُولُ دُمَى وَهِيَ الْحَسَانُ الرَّعَائِبِيُّ .

(٦) بَلَدَةٌ مِنْ بِلَادِ أِيْرَانَ. (٧) الرَّفَاهَةُ وَالرَّفَاهِيَّةُ بِتَخْفِيفِ يَائِهَا وَالرَّفَهْنِيَّةُ كِبَلَهْنِيَّةُ
رَغْدِ الْعَيْشِ وَلَيْنِهِ وَخَصْبِهِ وَهُوَ رَفِيهِ وَرَافِهِ وَرَفَهَانَ وَمَتْرَفَهُ مَسْتَرِيحٍ مَتْنَعِمٍ.

(٨) الْجُمَاعَةُ كَلِمَةٌ كَثُرَ اسْتِعْمَالُهَا عِنْدَ عُلَمَاءِ الشَّرْعِ فِي الْفِرْقَةِ الَّتِي تَضُمُّ
السُّوَادَ الْأَعْظَمَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَيَقَابِلُهَا عِنْدَهُمُ الْمُعْتَزَلَةُ وَالْجَبْرِيَّةُ وَغَيْرُهُمَا .

فَمَا شَعَرْنَا إِلَّا بِمَدِّ النَّيْلِ. وَقَدْ أَتَى عَلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ (١). لَكِنْ صَنَعَ اللَّهُ لِي بِخُفِّ قَدِّ كُنْتُ لِبِسْتُهُ رَطْبًا فَلَمْ يَحْصُلْ طِرَازُهُ عَلَى كُمِهِ (٢) وَعَادَ الصَّبِيُّ إِلَى أُمِّهِ. بَعْدَ أَنْ صَلَّىتُ الْعَتَمَةَ وَأَعْتَدَلِ الظِّلُّ (٣) وَلَكِنْ كَيْفَ كَانَ حَجُّكَ هَلْ قَضَيْتِ مَنَاسِكَهُ كَمَا وَجِبَ. وَصَاحُوا: الْعَجَبُ الْعَجَبُ (٤) فَانْظَرْتُ إِلَى الْمَنَارَةِ. وَمَا أَهْوَنَ الْحَرْبَ عَلَى النَّظَّارَةِ (٥). وَوَجَدْتُ الْهَرِيسَةَ عَلَى حَالِهَا. وَعَلِمْتُ أَنَّ الْأَمْرَ بِقَضَاءِ مَنْ اللَّهِ وَقَدَرٍ. وَإِلَى مَتَى هَذَا الضُّجْرُ. وَالْيَوْمُ وَغَدُ. وَالسَّبَبُ وَالْأَحَدُ. وَلَا أَطِيلُ. وَمَا هَذَا الْقَالُ وَالْقِيلُ؟ وَلَكِنْ أَحْبَبْتُ أَنْ تَعْلَمَ إِنَّ الْمُبْرَدَ فِي النَّحْوِ حَدِيدُ الْمُوسَى (٦) فَلَا تَشْتَغَلِ بِقَوْلِ

(١) الكلام هذيان وخرافة والا فالنيل بمصر .

(٢) ليس للخف طراز أى علامات ولا كم ولكنه يهرف .

(٣) أين صلاة العتمة أى العشاء من اعتدال الظل وهو يكون نهاراً؟

(٤) مناسك الحج ما تكلفنا الشارع بادائه .

(٥) الجماعة يرقبونها من بعيد .

(٦) هذا ضرب من الهذيان أيضا وإن كان يصح أن يقال أن معنى كونه حديد

الموسى فى النحو أنه سريع المضاء فيه قوى العارضة بين الحجة .. والمبرد هو

أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الاكبر الثمالى نسبة الى ثماله بن سلمة بن

كعب بن الحرث بن كعب قبيلة من الازد صاحب كتاب الكامل والمقتضب

والتعازى وغيرهما كان شيخ النحو والعربية وإليه انتهت الزعامة فيهما بعد =

الْعَامَّةُ. فَلَوْ كَانَتْ الْإِسْتِطَاعَةُ

= طبقة شيوخه كالجرمي والمازني وكان من أهل البصرة . وتلقى عن أبي عمر الجرمي وأبي عثمان المازني وأبي هاشم السجستاني وغيرهم من أهل العربية. وكان يعول على المازني . ويقال أنه بدأ بقراءته كتاب سيبويه على الجرمي وختمه على المازني ، وكان اسماعيل القاضي وهو أقدم مولدا منه يقول : ما رأى محمد بن يزيد مثل نفسه ، وأخذ عنه الصولي ونفطويه النحوي وآبو على الطوماري وجماعة كثيرة ، وكان حسن المحاضرة. مليح الاخبار . كثير النوادر ، وقال أبو سعيد السيرافي : سمعت أبا بكر بن مجاهد يقول : ما رأيت أحسن جوابا من المبرد في معاني القرآن فيما ليس فيه قول لمتقدم، وسمعتة يقول : لقد فاتني منه علم كثير لقضاء ذمام ثعلب ، قال السيرافي : وسمعت نفطويه يقول : ما رأيت أحفظ لخبار بغير أسانيد منه ومن أبي العباس ابن الفرات، وقال أبو سعيد : وقد نظر في كتاب سيبويه في عصره جماعة لم يكن لهم كتناهيه مثل أبي زكوان القاسم بن اسماعيل ومثل أبي علي بن زكوان ومثل أبي يعلى بن ابي ذرعة من أصحاب الحديث ومثل الطبري ومثل أبي عثمان الاثناندي وأبي بكر محمد بن اسماعيل المعروف بمبرمان وغيرهم، وقال أبو عبد الله المفجع : كان المبرد لعظم حفظه اللغة واتساعه يتهم فتواضعنا على مسألة لا أصل لها نسأله عنها لننظر كيف يجيب ! وكنا قبل ذلك تمارينا في عروض بيت الشاعر :

أيا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

فقال قوم : من البحر الفلاني وقال آخرون : من البحر الفلاني فقطعناه وتردد على أفواهنا تقطيعه ومنه (ق بعضنا) فقلت له : أيدك الله تعالى، ما القبعض عند العرب؟ فقال : القطن ، يصدق ذلك قول الشاعر : =

= كان سنامها حشى القبعضا

قال : فقلت لاصحابى : ترون هذا الجواب والشاهد ؟ ان كان صحيحا فهو عجب ، وان كان اختلق الجواب فى الحال فهو أعجب !! وروى أن أبا العباس ثعلبا تحلف أبا العباس المبرد بكلام قبيح فبلغ ذلك المبرد فانشده :

رب من يعنيه حالى وهو لا يجرى ببالى
قلبه ملآن منى وفؤادى منه خالى

فلما بلغ ثعلبا ذلك لم يسمع منه بعد ذلك فى حقه كلمة قبيحة . وحكى أبو بكر ابن السراج عن محمد بن خلف قال : كان بين أبى العباس المبرد وأبى العباس ثعلب من المنافرة مالا خفاء به ولكن أهل التحصيل يفضلون المبرد على ثعلب وفى ذلك يقول احمد بن عبد السلام :

رأيت محمد بن يزيد يسمو الى الخيرات فى جاه وقدر
جليس خلائف وغذى ملك وأعلم من رأيت بكل أمر
وكان الشعر قد أودى فأحيا أبو العباس دائر كل شعر
وقالوا : ثعلب رجل عليم . وأين النجم من شمس ويدر؟
وقالوا : ثعلب يفتى ويملى . وأين الثعلبان من الهزبر ؟

وروى أن بعض أكابر أولاد طاهر سأل أبا العباس ثعلبا أن يكتب له مصحفا على مذهب أهل التحقيق فكتب: (والضحى) بالياء، ومن مذهب الكوفيين أنه إذا كانت كلمة من هذا النحو أولها ضمة أو كسرة كتبت بالياء وان كانت من نوات الواو، والبصريون يكتبون جميع ذلك بالالف فنظر المبرد فى ذلك المصحف فقال: ينبغى أن يكتب (والضحا) بالالف لانه من نوات الواو، فجمع أبو طاهر بينهما، فقال المبرد لثعلب: لم كتبت والضحى بالياء؟ فقال : لضمة أوله. فقال له: ولم =

= إذا ضم أوله وهو من نوات الواو تكتبه بالياء فقال: لان الضمة تشبه الواو
وما أوله واو يكون آخره ياء فتوهموا أن أوله واو، فقال أبو العباس المبرد: أفلا
يزول هذا التوهم إلى يوم القيامة؟ ولبعضهم في مدح المبرد:

وأنت الذى يبلغ الوصف مدحه وان أطنب المداح فى كل مطنب
رأيتك والفتح بن خاقان راكبا وأنت عدیل الفتح فى كل موكب
وكان أمير المؤمنين اذا دنا إليك يطيل الفكر بعد التعجب
وأوتيت علما لا يحيط بكنهه علوم بنى الدنيا ولا علم تغلب
يروح إليك الناس حتى كانهم يبابك فى أعلى منى والمحصب

وقال الزجاج: لما قدم المبرد بغداد جئت لأناظره - وكنت أقرأ على أبي العباس
تغلب - فعزمت على اعناته، فلما فاتحته أجمنى بالحجة. وطالبنى بالعلة.
والزمنى الزامات لم أهتد إليها فتيقنت فضله واسترجحت عقله وأخذت فى
ملازمته ولبعضهم فى مديحه أيضا:

وإذا يقال: من الفتى كل الفتى والشيخ الكهل الكريم العنصر؟
والمستضاء بعلمه وبرأيه ويعقله؟ قلت : ابن عبد الاكبر

قال أبو العباس بن عمارة: صحف محمد بن يزيد المبرد فى كتاب الروضة فى
قوله : حبيب بن خدره، فقال: حبيب بن جدره، وفى ربيعى بن حراش فقال:
حراس، وصنف كتبا كثيرة ومن أكبرها كتاب المقتضب وهو نفيس إلا أنه قلما
يشتغل به أو ينتفع به. قال أبو على: نظرت فى كتاب المقتضب فما انتفعت منه
بشئء وإلا بمسألة واحدة وهى وقوع إذا جوابا للشرط فى قوله تعالى: (وان
تصبهم سيئة بما قدمت أيديهم إذا هم يقنطون).

قال أبو البركات بن الانبارى: وكان السر فى عدم الانتفاع به أن أبا العباس =

قَبْلَ الْفِعْلِ لَكُنْتُ قَدْ حَلَقْتُ رَأْسَكَ^(١). فَهَلْ تَرَى أَنْ نَبْتَدِيءَ؟
 قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ: فَبَقِيْتُ مُتَحِيرًا مِنْ بَيَانِهِ فِي هَذَا.

= لما صنف هذا الكتاب أخذه عنه ابن الراوندى المشهور بالزندقة وفساد الاعتقاد وأخذه الناس من يد ابن الراوندى وكتبوه منه فكأنه عاد عليه شؤمه فلا يكاد ينتفع منه أحد . وقال أبو بكر بن السراج: كان مولد المبرد سنة ٢١٠ ومات سنة ٢٨٥ ولذلك قال محمد بن العباس: قرأ على بن المنادى وأنا اسمع مات محمد يزيد المبرد فى شوال سنة ٢٨٥ فى خلافة المعتضد بالله تعالى . ولثعلب فى المبرد حين مات :

ذهب المبرد وانتهت أيامه	وليذهب مع المبرد ثعلب
بيت من الآداب أضحى نصفه	خربا وباقى النصف منه سيخرب
فتزوبوا من ثعلب فبكأس ما	شرب المبرد عن قريب يشرب
أوصيكم أن تكتبوا أنفاسه	ان كانت الانفاس مما يكتب

(١) هذه إحدى مسائل علم الكلام وقد تقدم كثير منها فى المقامة المارستانية وبيانها أنه قد وقع خلاف بين الأشاعرة وغيرهم فى هل الاستطاعة - وهى القدرة على الفعل وإحداث المراد - أمر يوجد فى المستطيع قبل العمل ومتى اتجهت إرادته إليه وتعلقت به أوجده أو هى أمر لا يوجد فى المستطيع إلا مقارنا للفعل وحين تتجه الإرادة لإنجازه يخلقه الله مع الفعل نفسه، والحجج المعتوه يؤيد الرأى الثانى الذى يقول أن الاستطاعة والفعل يخلقان معا ويستدل على ذلك بأنه لو ثبت حقيقة أن الاستطاعة توجد قبله ومتى توجهت الإرادة إليه حصل لكان توجه إرادته إلى خلق رأسه كافيا فى حلقها وإيضاح ذلك أنه يلزم عليه أن تكون الاستطاعة مؤثرة بنفسها فى الفعل غاية ما هناك أنها لا تؤثر قبل تسلط الإرادة عليه.

وَحَشِيَّتُ أَنْ يَطُولَ مَجْلِسُهُ فَقُلْتُ: إِلَى غَدٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَسَأَلْتُ عَنْهُ مَنْ حَضَرَ فَقَالُوا: هَذَا رَجُلٌ مِنْ بِلَادِ الإسْكَندَرِيَّةِ لَمْ يُوَافِقْهُ هَذَا الْمَاءُ. فَغَلَبَتْ عَلَيْهِ السُّودَاءُ. وَهُوَ طَوَّلَ النَّهَارَ يَهْدِي كَمَا تَرَى وَوَرَاءَهُ فَضْلٌ كَثِيرٌ. فَقُلْتُ: قَدْ سَمِعْتُ بِهِ وَعَزَّ عَلَى جُنُونِهِ. وَأَنْشَأْتُ أَقْوَالَ:

أَنَا أُعْطِيَ اللَّهَ عَهْدًا مُحْكَمًا فِي النَّذْرِ عَقْدًا^(١)
 لَا حَلَقْتُ الرَّأْسَ مَا عَشْتُ وَلَوْ لَاقَيْتُ جُهْدًا^(٢)

(١) عقدا : أى واجب النفاذ وفى الكتاب العزيز : (ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الإيمان) أى نويتموه ولم تطلقوه عفواً.
 (٢) الجهد. التعب، والمعنى أننى عزمته عزيمة أكيدة وانتويت نية لا أخلفها وأقسمت يمينا لا أحنث فيه أنى لا أحلق رأسى ولا استدعى حجاما يكون شأنه معى هكذا مهما كلفنى عدم استدعائه من المشقة وحملنى من العناء ومهما لقيت فى سبيل انفاذ هذا العزم من نصب واجهاد.

المَقَامَةُ النَّهْيِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ: مَلِئْتُ مَعَ نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِي إِلَى فَنَاءِ خَيْمَةِ أَلْتَمِسُ الْقَرِيَّ مِنْ أَهْلِهَا^(١) فَخَرَجَ إِلَيْنَا رَجُلٌ حَزُقَةٌ^(٢) فَقَالَ: مَنْ أَنْتُمْ؟ فَقُلْنَا: أَضْيَافٌ لَمْ يَنُوقُوا مِنْذُ ثَلَاثِ عَدُوفًا^(٣) (قَالَ) فَتَنَحَّحَ ثُمَّ قَالَ: فَمَا رَأَيْكُمْ يَا فَتْيَانُ فِي نَهْيِدَةِ فِرْقٍ كَهَامَةِ الْأَصْلَعِ فِي جَفْنَةِ رَوْحَاءِ^(٤) مُكَلَّلَةٍ بِعَجْوَةِ خَيْبَرَ مِنْ أَكْتَارِ جَبَّارٍ

(١) الخيمة معروفة وفناؤها المكان المتسع يمتد بجانبها، وألتمس: أطلب والقرى: الضيافة والنفر - بوزان بلح وتمر، ومثله النفير والنفرة كتمر الجماعة من الناس من ثلاثة إلى عشرة، والمعنى أنني قصدت خيمة ومعى جماعة من الناس من أخلائي أطلب الضيافة من أهلها لى ولهم. (٢) حزقة بضميتين، أو بفتح فضم، ثم قاف مشددة مفتوحة: الرجل العظيم البطن مع قصر أو هو القصير. (٣) يقال: ما ذقنا عدوفا ولا عدوفة ولا عدفا ويحرك ولا عدافا كغراب أى ما طعمنا شيئا ومنه قيل. دابة بلا عدوف أى علف. والمراد شكاية الحال وإظهار شدة الحاجة إلى الطعام. (٤) النهيدة: الزبدة، والفرق القطيع من الغنم العظيم ومن البقر أو هو خاص بقطيع الغنم وإضافة النهيدة إليه لأنها منه وهامة الأصلع: رأس الرجل الذى لا شعر له، وجفنة روحاء: متسعة، وأراد من =

رَبُوضٍ^(١) الْوَاحِدَةُ مِنْهَا تَمَلَأُ الْفَمَ^(٢) مِنْ جَمَاعَةٍ خَمَصٍ عَطَشٍ
خَمْسٍ يَغِيبُ فِيهَا الضَّرْسُ^(٣) كَأَنَّ نَوَاهَا أَلْسُنُ الطَّيْرِ^(٤) يَجْحَفُونَ

= تشبيهه الزبدة برأس الاصلع وصفها بالنقاء والضخامة لان رأس الاصلع نقية
من الشعر نظيفة ويغلب على الصلع ضخم الرأس وعظمها والمعنى: ما رأيكم فى
أن أحضر اليكم زبدة كانها رأس الاصلع ضخامة ونقاء قد اتخذت من لبن الغنم
فى قصعة واسعة وكنى بسعة القصعة عن كثرة المقدار الذى سيحضره لهم.

(١) مكللة: أى جعل على جوانبها شىء من العجوة وهى التمر وخيبر مدينة
تقرب من مدينة الرسول ﷺ كانت تسكنها اليهود ثم افتتحها المسلمون وتجلت
شجاعة على بن أبى طالب كرم الله — وجهه بأجلى معانيها يوم فتحها،
والاكتار جمع كتر وأصله السنام المرتفع وأراد منه عذق النخلة تشبيها له
بالسنام والجبار النخلة العظيمة والربوض الواسعة الاقطار والمعنى أننى أضع
لكم أيضا على جوانب هذه القصعة المملئة من الزبدة أجود أنواع التمر
وأفضلها لتسيغوا أكلها وتستمرئوا طعمها. (٢) المعنى: أن التمرة الواحدة من
العجوة التى سأحضرها لكم لسمنها وعظم ضخامتها تملأ الفم وليس الفم
مطلقا بل فم جماعة صفتهم كيت وكيت. (٣) الخمص الجياع وفى الحديث: (تغدو
خماصا) والخمصة — بفتح الخاء — : المرة من الجوع. يقال الجوع — من باب
نصر —: أصابه وأخلى بطنه والعطش العطاش والخمس تأكيد له وهو من صفات
الابل أن تمنع الورود ثلاثة أيام ثم ترد فى الرابع ويغيب فيها الضرس: لسمنها
وكونها طرية سائغة. (٤) السن الطير صغيرة وإذا كانت التمرة كبيرة ونواتها
صغيرة كان أكثرها غذاء فالعبارة كناية عن ذلك يقول: ليس عظمها ولا =

فِيهَا النَّهْيَةَ^(١) مَعَ أَقْعَبٍ قَدْ احْتَلَبْنَ مِنَ الْجِلَادِ الْهَرْمِيَّةِ الرَّبْلِيَّةِ^(٢)
 أَنْتَشْتَهُونَهَا يَا فِتْيَانُ؟ فَقُلْنَا: إِي وَاللَّهِ نَشْتَهِيهَا^(٣) فَقَهَقَهُ الشَّيْخُ
 وَقَالَ: وَعَمَّكُمْ أَيْضًا يَشْتَهِيهَا ثُمَّ قَالَ: فَمَا رَأَيْكُمْ يَا فِتْيَانُ فِي
 دَرْمَكِ كَأَنَّهَا قَطَعَ السَّبَائِكِ^(٤) تَجَرَّ ثُمَّ عَلَى سَفْرَةٍ حَرْتِيَّةٍ بِهَا رِيحُ

= ضخامتها ناجما عن كبر النواة بل أن معظمها وأكبر ما فيها جسم يؤكل.

(١) يحفون : يفرقون، والضمير في (فيها) للتمر. ويقال : أنه ليحف الزبد
 بالتمر. وقال جرير:

ودعا الزبير فما تحركت الحبي لو سمتهم جحف الخزير لثاروا

والخزير والخزيرة: لحم يقطع صفارا ويصب عليه ماء كثير فإذا نضج ذر عليه
 الدقيق فان لم يكن فيها لحم فهي حريرة واذا كان من نخالة فهي خزيرة والمعنى
 أنكم تطعمون الزبدة بالتمر وذلك أشهى وأحسن. (٢) الاقعب جمع قعب وهو
 وعاء اللبن، والجلاد الابل الكثيرات الدر والهرمية والربلية نسبتان إلى الهرم
 والربل بفتحهما، والهرم نبت أو شجر أو هو البقلة الحمقاء وابل هو ارم تأكلها
 فتبيض عثانينها منها، والربل ضرب من الشجر يتفطر في آخر القيظ بعد الهيج
 يبرد الليل من غير مطر وتربل أكله والمعنى: أنتى أنى لكم مع ما أسلفت بأقعب
 مملوءة من ألبان الابل التي كانت أكلت الهرم والرمل فغزر لبنها وسمن، والمراد
 التكنية عن سمن اللبن وغزارته. (٣) أى أنه بعد أن وصف لنا الوصف الذي
 يبعث الشوق ويزيد الرغبة سألنا عما إذا كنا نريد أن نأكل منه فما أجابنا الا
 بالذى يدل على الطلب ولكنه ما زاد على أن ضحك وذكر أنه يود أن يطعم معنا.
 (٤) الدرملك لباب الدقيق والسبائك: القطع من الفضة ونحوها، جمع سبيكة.

الْقَرْظُ ^(١) فَيَثِبُ إِلَيْهَا مِنْكُمْ فَتَى رَفِيفٌ. لَبِيقٌ خَفِيفٌ ^(٢) فَيَعْجُنُهُ مِنْ غَيْرٍ أَنْ يَرْجِفَهُ أَوْ يَخْشِفَهُ فَيَزِيلُهُ نَوْنَ مَلِكٍ نَاعِمٍ ثُمَّ يَلْتُهُ بِالسُّمَارِ أَوْ الْمَذْقِ لَتًا غَزِيرًا ^(٣) ثُمَّ يَعْمَدُ إِلَيْهِ فَيَلْوِيهِ وَيَدْعُهُ فِي نَاحِيَةِ الصَّيْدَاءِ حَتَّى إِذَا تَخَّ مِنْ غَيْرٍ أَنْ يَتَرَزَّ عَمَدًا إِلَى قَصْدِ الْغَضَا ^(٤)

(١) تجرثم: تجتمع، والسفرة: الجلدة التي توضع تحت الخوان ليتقى عليها فتات المائدة، وحرثيه نسبة الى الحرث وأصله قطع الشيء مستديرا وذلك وأراد الذي بولغ في العناية به، والقرظ: ثمر يدبغ به والمعنى أن رائحة الدباغ لا تزال عالقة به كناية عن جدتها. (٢) يثب: يظفر، والمراد يقوم، رفيف: حسن الخلق، ولبق حاذق وخفيف: أى سريع الحركة نشيط. والمعنى: ماذا تقولون إذا أحضرت لكم خالص الدقيق ولبابه وجيئتكم بسفرة مستديرة لا تزال علائم الجدة بادية عليها ووضعت فوقها ذلك الدقيق فيقوم منكم فتى خفيف اليد سريع الحركة كثير النشاط حاذق جميل ليقوم لكم بعمله. يرجفه أى يحركه بعنف وأصله الرجفة وهي الحركة الشديدة ومنه سميت القيامة: راجفة. ويخشفه يسىء صنعه بوضع ماء كثير يجعله قطعاً كمخشوف الرأس أى مفضوخها. (٣) يלתه: يخلطه ولت السويق، ومثله الجدح، أن يحرك السويق بالماء أو اللبن ونحوهما ويحرك حتى يستوى، وربما حرك بخشبة مجنحة الرأس لها ثلاث شعب وتسمى: المجدح، والسمار اللبن الحليب إذا خلط بالماء والمذق اللبن الحامض إذا صنع به ذلك قال: جاعوا بمذق هل رأيت الذئب قط. (٤) الصيذاء: الأرض الغليظة أو الحجارة التي تصنع منها القدور والمراد أن يكون على أرض تظهر فيها الحرارة مع جودة الهواء، وتخ ظهرت فيه الحموضة ويترز أى يببس ويشتد وقصد الغضا أغصانه والغضا شجر كثير اللهب شديد النار يضرب به المثل فى ذلك .

فَأَشْعَلَ فِيهِ النَّارَ فَلَمَّا خَبِتْ نَارُهُ^(١) مَهَّدَ لِقَرْمُوصِهِ^(٢) ثُمَّ عَمَدَ إِلَى عَجِينِهِ ففَرَطَحَهُ بَعْدَمَا أَنْعَمَ تَلْوِيئُهُ ثُمَّ دَحَا بِهِ عَلَيْهَا ثُمَّ خَمَّرَهُ^(٣) فَلَمَّا قَفَّ وَقَبَّ أَحَالَ عَلَيْهِ مِنَ الرِّضْفِ مَا يَلْتَقَى بِهِ الْأَوَارَانَ^(٤) حَتَّى إِذَا غَطَّاهُمَا عَلَى الْمَلَّةِ الْمُشَاكِهَةِ بِطَبَقٍ وَتَفَلَّجَ شَقَاقًا^(٥). وَحَكَى قَشْرُهَا رِقَاقًا. وَأَحْمَرَارُهَا أَحْمَرَارُ بَشْرِ الْحِجَازِ الْمَشْهُورِ بِأُمِّ الْجِرْدَانَ أَوْ عِدْقِ بْنِ طَابٍ سَنَّ عَلَيْهَا ضَرْبٌ بِيضَاءُ^(٦) كَالْتَلَّجِ إِلَى أَوَانَ رُسُوخِهَا فِي خِلَالِ الدَّهَانِ وَيَشْرَبُ لُبُّ الدَّرْمَكِ مَا عَلَيْهِ

(١) خبت النار: سكنت (٢) مهد: هيا، القرموص بضم أوله ومثله القرمص والقرماص بكسرهما: موضع خبز الملة وهي الرماد الحار والجمر والمعنى هيا مكانا ليكون قرموصا يخبز فيه. (٣) فرطحه: عرضه ليتسع، واللويث: الدقيق يذر على الخوان تحت العجين، ولوث: فعل منه أي وضع اللويث، وأنعم: صيره ناعما، وقال الأستاذ الإمام في بيان ذلك المعنى كلاما لا يفهم ولا يلتقى بالموضوع، ودحا: بسط، والباء في به للتعدية، والضمير في عليها للنار، والمعنى وضعه فيها وخمره: غطاه. (٤) قف: يبس وجف، وقب: ارتفع، والرضف الحجارة المحماة والأوار: النار، والتقاء الأوارين: تقابلهما، المقصود بهما النار الأولى من تحته ونار الرضف من فوقه.

(٥) الملة بالفتح الجمر، والمشاكهة: المشابهة قال زهير وشاكت فيها الطباء، وتفلاج: تشقق. (٦) البسر: التمر قبل أن تسير رطبا، وأم الجردان: نوع منه مشهور، وعدق بن طاب: نخل بالمدينة ورش عليها: صب، والضرب العسل.

مِنْ الضَّرْبِ قُدِّمَتْ إِلَيْكُمْ فَتَلَقُّمُونَهَا لَفْمٌ جُوبِينَ أَوْ زَنْكَلٍ^(١).
 أَفْتَشْتَهُونَهَا يَا فَيْتَانُ؟ (قَالَ) فَاشْرَابَ كُلُّ مَنْ إِلَى وَصْفِهِ^(٢).
 وَتَحَلَّبَ رِيْقَهُ^(٣). وَتَلَمَّظَ^(٤). وَتَمَطَّقَ^(٥). قُلْنَا : إِي وَاللَّهِ نَشْتَهِيهَا .
 قَالَ : فَقَهَّقَهُ الشَّيْخُ وَقَالَ : وَعَمَّكُمْ وَاللَّهِ لَا يُبَغِضُهَا ثُمَّ قَالَ : مَا
 رَأَيْكُمْ يَا فَيْتَانُ فِي عَنَاقِ نَجْدِيَّةٍ . عَلْوِيَّةٍ بَرِّيَّةٍ^(٦). وَقَدْ أَكَلْتَ الْبَرَمَ
 وَالشَّيْخَ النَّجْدِيَّ وَالْقَيْصُومَ وَالْهَشِيمَ^(٧). وَتَبَرَّضْتَ الْحَمِيمَ .

- (١) جوبين بصيغة المصغر وزنكل بوزن جعفر : رجلان شديدا النهم كثيرا الأكل.
- (٢) أى مد عنقه متطلعا راجيا تحقيق وصفه .
- (٣) أى سال لعا به .
- (٤) أى جرى ريقه فأخرج لسانه ليمسح به شفثيه .
- (٥) المعنى ضرب لسانه فى أعلا فمه وأسفله .
- (٦) العناق بفتح أوله : الانثى من المعز نجدية : منسوية إلى نجد وهو قسم من بلاد العرب ، وعلوية : المنسوية إلى العالية وهى أرض بين نجد وتهامة إلى ما وراء مكة ، والبرية : المنسوية إلى البر، والمراد أنها ليست مما يربى فى البيوت.
- (٧) البرم بفتححتين : ثمر الاراك أو الغضا. والشيخ : شجر معروف والقيصوم : نبات طيب الرائحة ، والهشيم : المتكسر من النبات اليابس .

وتملأت من القصيص^(١). فورى مْخُها وزهمتْ
كُشِيَتْها^(٢). تُشْحَطُ مُعْتَبَطَةً ثُمَّ تُتْكَسُ فِي وَطَيْسٍ حَتَّى
تَنْضَجَ مِنْ غَيْرِ امْتِحَاسٍ أَوْ إِنْهَاءٍ ثُمَّ تُقَدَّمُ إِلَيْكُمْ وَقَدْ عَطَّ إِهَابُهَا
عَنْ شَحْمَةِ بِيضَاءٍ عَلَى خُوانٍ مُنْضَدٍ بِصِلَائِقٍ كَانَتْهَا الْقَبَاطِيُّ
الْمُنْشَرُّ. أَوْ الْقُوهِىُّ الْمُمْصَرُّ. قَدْ احْتَفَّتْهَا نُقْرَاتٌ فِيهَا صِنَابٌ
وَأَصْبَاغٌ شَتَّى. فَتُوضَعُ بَيْنَكُمْ تُهَادِرُ عَرَقًا. وَتَسَايلُ مَرَقًا.
أَفْتَشُّتْهُونَهَا يَأْفَتِيَانُ. قُلْنَا : إِي وَاللَّهِ نَشْتَهِيهَا. قَالَ : وَعَمَّكُمْ
وَاللَّهِ يَرْقُصُ لَهَا. فَوَتَّبَ بَعْضُنَا إِلَيْهِ بِالسَّيْفِ وَقَالَ : مَا يَكْفِي
مَا بَنَا مِنَ الدَّقْعِ حَتَّى تَسْخَرَ بِنَا. فَأَتْتْنَا ابْنَتُهُ بِطَبَقٍ عَلَيْهِ جِلْفَةٌ.

(١) الحميم : الماء البارد وتبرضته : شربت منه ، والقصيص : نبات يكون في
أصول الكمأة وتملأت منه : امتلا جوفها ، وشاة ملية : فى بطنها ماء وأغراس
كثير فتحسبها حاملا .

(٢) ورى مخها : كثر من قولهم : ورت الأبل إذا سمنت ، وزهم بوزن فرح :
سمن ودسم ، والكشية أصلها شحمة بطن .

وَحُتَّالَةٌ وَلَوِيَّةٌ . وَأَكْرَمَتْ مَثْوَانَا^(١) فَانصَرَفْنَا لَهَا حَامِدِينَ وَلَهُ
ذَامِينَ .

(١) مَثْوَانَا : إِقَامَتُنَا ، وَفِي التَّنْزِيلِ (أَكْرَمَى مَثْوَاهُ) . وَالْمَعْنَى أَنَّهَا كَانَتْ خَيْرًا مِنْ
أَبِيهَا حَيْثُ أَحْسَنْتْ إِلَيْنَا فِي حِينِ أَنَّهُ أَسَاعَنَا وَلِذَلِكَ غَادَرْنَاهَا وَأَلْسَنْتْنَا رَطْبَةً
بِالْتَّنَاءِ عَلَيْهَا وَشَكَرْنَا صَنِيعَهَا .

المقامة الأبلسية

حدثنا عيسى بن هشام قال : أضللتُ إبلاً لي فخرجتُ في طلبها^(١) فحللتُ بوادٍ خضر^(٢) فإذا أنهارٌ مُصردَّةٌ^(٣) وأشجارٌ باسقةٌ^(٤) وأثمارٌ يانعةٌ^(٥) وأزهارٌ منورةٌ^(٦) وأنماطٌ مبسوطةٌ^(٧) وإذا شيخٌ جالسٌ فراعني منه ما يروعُ الوحيدَ من مثله فقال^(٨) : لا

- (١) يقال : أضل فلان البعير والفرس ونحوهما إذا ذهب عنه فلم يعرف لهما مكانا مثله ضلها ، والمعنى أنه تفقد إبله فلم يجدها فذهب يبحث عنها .
- (٢) الوادي مفرج بين جبال أو تلال أو أكام وجمعه أودية وأوداء وأوداة وأودية، وخضر أى أخضر وذلك كناية عن كثرة نباته وأعشيشاب أرضه .
- (٣) إنها مطردة : جارية .
- (٤) باسقة مرتفعة وفي التنزيل (والنخل باسقات) .
- (٥) ينع الثمر كمنع وضرب ينعا وينعا (بفتح أوله وضمه) وينوعا بالضم حان قطوفه ومثله أينع . (٦) أى زاهية .
- (٧) الانماط : جمع نمط وهو البساط ومبسوطة : مفروشة .
- (٨) راعه يروعه أفزعه وأخافه ، والمعنى أننى خشيت منه وأخذنى الرعب .

بأسَ عليك^(١) فسلمتُ عليه وأمرني بالجلوسِ فامتثلتُ .
وسألني عن حالي فأخبرتُ فقال لي : أصبتُ
دالتك^(٢) . ووجدتَ ضالتك . فهل تروى من أشعار
العرب شيئاً ، قلتُ : نعم . فأنشدتُ لامرئ القيس^(٣) .

(١) البأس : الشدة ، ولا بأس عليك : كلمة معناها لا يلحقك مكروه ولا ينزل بك
ألم . والمعنى أنه هداً روعى وسكن جأشئ .

(٢) الدال الذي يدلك على فقد منك ويهديك إليه والتاء فيه للمبالغة .

(٣) هو أبو الحرث حنجد بن حجر الكندي رأس الشعراء في الجاهلية ، والمبرز
في حليبتهم ، وقائدهم إلى التفنن في أبواب الشعر وضروبه ، وأباؤه من أشرف
كندة وملوكها ، وأمه فاطمة بنت أبي ربيعة أخت مهلهل وكليب التغلبيين ، وكانت
بنو أسد من المضرية خاضعة للملوك كندة وآخر ملك عليها هو حجر ابو امرئ
القيس .. وقد نشأ امرؤ القيس بأرض نجد بين رعية أبيه من بني أسد ، وسلك
مسلك المترفين من أولاد الملوك يلهو ويلعب ويعاقر الخمر ويغازل الحسان . وزاد
على ذلك أنه انفق وقته في التشبيب بالنساء والخروج في ذلك إلى حد الصراحة
في الفحش منصرفاً عما يأخذ به أمثاله أنفسهم من الاعتداد للملك وقيادة
الشجعان فمقته أبوه لذلك وزجره عن اللهو والتشبيب بالنساء ولما لم ينجح فيه
القول طرده عنه وأقصاه فالتف عليه بعض صعاك العرب وذؤبانهم وشذائهم
ينزلون المياه ويذبحون ويشربون ويطربون وتغنيهم القيان . وأنه لذلك في =

= إحدى نزلاته بأرض (دمون) يشرب ويلعب النرد مع رفاقه إذا جاءه نبأ ثوران بنى أسد على أبيه وقتلهم له لأنه كان يعسف فى حكمه لهم ويشتد عليهم فى الاتاوة التى يؤدونها إليه فلم ينزعج امرؤ القيس خشية أن ينغص على رفاقه عيشهم ثم قال : (ضيعنى صغيرا ، وحملنى ثأره كبيرا ، لا صحو اليوم ولا سكر غدا ، اليوم خمر ، وغدا أمر) ثم أخذ يجمع العدة ، ويستنجد القبائل فى إرراك ثأره فكان يجيبه بعضها ويعتذر بعضها فنازل بنى أسد وقتل منهم كثيرا ولم يشف ذلك من غلته ، وكانت فى نفس المنذر (أحد ملوك الحيرة) موجدة على آل امرئ القيس لأن الحارث جد امرئ القيس زاحم المناذرة ملوك الحيرة عند كسرى فى النيابة عنه على ملك الحيرة ، وقت أن شجر الخلاف بين المناذرة وكسرى قباذ (وهو أبو كسرى أنوشروان) فألب المنذر على امرئ القيس العرب ، من أياد ، وبهراء ، وتنوخ ، وأمداه كسرى أنوشروان بن قباذ بجيش من الأساوره لرضاه عن آل المنذر فلم يكن لامرئ القيس به طاقة وتفرق عنه أصحابه فجعل يستجير بالقبائل واحدة بعد واحدة وتقع من أجله حروب عديدة حتى نزل على السموعل بن عادياى اليهودى فأودعه ابنته ودروعه وسلاحه وطلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبى شمر الغسانى بالشام ليوصله إلى قيصر ، فلما بلغ قيصر استنصره على أعدائه الذين جلهم من شيعة المناذرة وأتباعهم المستظلمين بحماية الفرس أعداء الروم فأمداه قيصر بجيش لم يخرج عن بلاد الروم حتى بدا له فاسترجع الجيش ، وقفل امرؤ القيس راجعاً ، واشتد به فى طريقه علة قروح فمات منها ودفن بأنقرة ، وكان ذلك قبل الهجرة بقريب من قرن. =

= ويعتبر امرؤ القيس رأس فحول الجاهلية والمقدم فى الطبقة الأولى من شعرائهم المعروفة أخبارهم وهو - وإن كان راوية أبى دؤاد الأيادى وخاله المهلهل - لم يسبقه على مبلغ علمنا إلى طرق كثيرة من أبواب الشعر والإفاضة فيه أحد ، فهو أول من أجاد القول فى استيقاف الصحب ، وبكاء الدار . وتشبيه النساء بالظباء والمها والبيض ، وفى وصف الخيل بقيد الأوابد ، وترقيق النسب ، وتقريب مأخذ الكلام ، وتجويد الاستعارة ، وتنويع التشبيه ، حتى ليظن أنه المبتكر لذلك ، ويغلب على شعره التشبيب والوصف أيام صبوته ، وبث الشكوى وتنكر الخلان زمن محنته ، وقد يفحش فى تشبيه النساء وتحدثه عنهن ، ويشم من شعره رائحة النبل ، وتلمح فيه اشارات السيادة والملك من ذلك قوله :

فظل العذارى يرتمين بلحمها وشحم كهذاب الدمقس المفتل

وقوله :

وظل طهاة اللحم ما بين منضج صفيف شواء أو تقدير معجل

وقوله :

ولو أن ما أسعى لادنى معيشة كفانى ولم أطلب قليل من المال

ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل أمثالى

وشعره - وان اشتمل بشملة البداوة فى جفاء العبارة وخشونة الألفاظ وتجهم المعانى - تراه يخطر أحيانا فى حلل من حسن الديباجة وبديع المعنى ودقة النسب ومقاربة الوصف وسهولة المأخذ، مما كان منه لخاله أجمل مثل حاكوه فى ترقيق شعرهم وحسن تأتيهم فى تصوير معانيه فمن النوع الأول قوله فى =

= وصف محبوبته :

ف يصرعه بالكثيب البهر
كخرعوبة البانة المنفطر

واذ هي تمشى كمشى النزي
برهرهة رودة رخصة

وقوله فى معلقته :

أثيث كقنو النخلة المتعكل
تضل العقاص فى مثنى ومرسل
وساق كأنبوب السقى المذلل
أساريع ظبى أو مساويك أسحل

وفرع يغشى المتن أسود فاحم
غدائره مستشزرات لى العلا
وكشح لطيف كالجديل مخصر
وتعطو برخص غير شثن كأنه

ومن النوع الثانى قوله :

وأرحلنا - الجزع الذى لم يثقب

كأن عيون الوحش - حول خبائنا

وقوله :

لدى وكرها العناب والحشف البالى

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً

وقوله :

وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل

أغرك منى إن حبك قاتلى

ومن شعره السائر مسيرة الأمثال قوله :

فليس على شىء سواه بخزان

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه

وقوله :

فأنتك لم يفخر عليك كفاخر ضعيف ، ولم يغلبك مثل مغلب

وقوله :

وقد طوفت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمة بالاياب

(١) عبيد : هو عبيد (بفتح العين وكسر الباء الموحدة) بن الابرص بن عوف بن جشم بن عامر بن مالك بن زهير بن مالك بن الحرث بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن مضر الاسدى الشاعر من فحول شعراء الجاهلية . عده ابن سلام فى الطبقة الرابعة وقرنه بطرفة بن العبد وعلقمة بن عبدة التميمى وعدى بن زيد العبادى . قال : وعبيد بن الابرص قديم عظيم الشهرة وشعره مطرب زاهب لا أعرف منه إلا قوله :

أقفر من أهله ملحوب فالقطيبات فالذنوب

قال : ولا أدرى ما بعد ذلك . وقال الجاحظ : أن عبيدا وطرفة دون ما يقال عنهما إن كان شعرهما ما فى يد الناس فقط ، وقد أشار أبو العلاء المعرى إلى اختلال بائية عبيد بقوله :

وقد يخطىء الراى امرؤ وهو حازم كما اختل فى نظم القريض عبيد

ويذكرون أن سبب قوله للشعر أنه كان محتاجا ولم يكن له مال فأقبل ذات يوم ومعه غنيمة له ومعه أخته ماوية ليوردا غنمهما فمنعه رجل من بنى مالك بن ثعلبة وجبهه (أى قابله بما يكره) فانطلق حزينا مهموما للذى صنع به المالكى حتى =

= اتى شجيرات فاستظل تحتهن فنام هو وأخته . فيزعمون أن المالكى نظر إليه
- واخته إلى جنبه - فقال :

ذاك عبيد قد أصاب ميا يا ليته القحها صبيا

فحملت فولدت ضاويا

(ضاويا) : أى ضعيفا ، والعرب تزعم أن زواج القرائب يضعف الولد ، فسمعه
عبيد فرفع يديه ثم ابتهل فقال : اللهم إن كان فلان ظلمنى فادلى منه وانصرنى
عليه ووضعه رأسه فنام ولم يكن قبل ذلك يقول الشعر فأتاه أت فى المنام بكبة من
شعر حتى القاها فى فيه ثم قال : قم ، فقام وهو يرتجز ويتغنى ببني مالك ،
وكان يقال لهم : بنو الزينة :

أيابنى الزنية ما غركم ؟ ! فلكم الويل بسربال حجر

ثم استمر بعد ذلك فى الشعر وكان شاعر بنى أسد غير مدافع وأدرك حجرا ابا
امرىء القيس .

(١) لبيد : هو أبو عقيل لبيد بن ربيعة العامرى ، أحد أشراف الشعراء
المجيدىين، والقواد الفرسان المعمرين ، والاجواد العريقين ، والحكماء المحنكين ،
وهو من بنى عامر بن صعصعة أحد بطون هوزان من مضر، وأمه عيسية . نشأ
لبيد جوادا ، شجاعا ، فاتكا . فاما الجود فقد ورثه عن أبيه الملقب : (بربيعة =

= المعتزين) ، وأما الشجاعة والفتك فهما خصتا قبيلته إذ كان عمه ملاعب الاسنة أحد فرسان مضر فى الجاهلية ، وكان بين قبيلته وبين عبس أخواله عداوة شديدة فاجتمع وفداهما عند النعمان بن المنذر ، وعلى العبسيين الربيع بن زياد، وعلى العامريين ملاعب الاسنة ، وكان الربيع مقربا عند النعمان يؤاكلة وينادمه فأوغر صدره على العامريين وعدد معايبهم ومخازيهم . فلما دخل وفدهم على النعمان غض منه وأعرض عنه فشق ذلك عليهم وخرجوا غضابا يتذكرون فى أمرهم مع الملك ، ولبيد يومئذ صغير يسرح إبلهم ويرعاها ، فسألهم عن خطبهم، فاحتقروه لصغره فألح عليهم والحف فى مسألتهم حتى أشركوه معهم فوعدهم أنه سينتقم لهم منه غدا عند النعمان أسوأ انتقام : بهجاء لا يجالسه بعده ولا يؤاكلة : فكان ذلك ومقت النعمان الربيع ، ولم يقبل له عذرا ، ولم يجتمع به بعد ، وأكرم العامريين وقضى حوائجهم . فكان هذا أول ما اشتهر به لبيد ثم قال بعد ذلك المقطعات والمطولات ، وشهد له النابغة وهو غلام بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته التى أولها :

عفت الديار محلها فمقامها بمنى تأبد غولها فرجامها

ومن حوادث فتكه : أن الحارث الاعرج الغسانى أرسل مائة من الفتيان الفتاك على رأسهم لبيد ليغتالوا المنذر بن ماء السماء فذهبوا إليه وأظهروا أنهم أتوه داخلين فى طاعته ، فأدناهم إليه ، ولما صادفوا منه غرة قتلوه . وهربوا ، فتبعهم جنود المنذر وقتلوا كثيرا منهم وفر الباقي وفيهم لبيد . ولما ظهر الاسلام =

= وأقبلت وفود العرب على النبي صلى الله عليه وسلم جاء لبيد في وفد بني عامر وأسلم وعاد إلى بلاده وحسن إسلامه وتنسك وحفظ القرآن كله وهجر الشعر حتى لم يرو له بعد الإسلام غير بيت واحد قيل هو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

وقيل : لا . بل قوله :

الحمد لله إذ لم يأتني أجلي حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وبعد أن فتحت الامصار ذهب إلى الكوفة زمن عمر بن الخطاب واختارها دار إقامة . ومن أحاديث جوده أنه نذر في الجاهلية (ألا تهب الصبا إلا أطمع) وألزم ذلك نفسه في الإسلام ، وكانت له جفنتان يغدو بهما ويروح على مسجد قومه بالكوفة ، فهبت الصبا والوليد بن عقبة والى الكوفة على المنبر ، ولبيد يومئذ قليل المال ، فحرض في خطبته الناس أن يعينوه على مروته ففعلوا وبعث إليهم هو مائة بكرة فشكرته ابنة لبيد عن أبيها على ذلك بشعر جميل ، وما زال بالكوفة حتى مات في أوائل خلافة معاوية سنة ٤١ هـ وقد قيل انه عاش ١٣٠ سنة .

وقال لبيد الشعر ونبع فيه وهو غلام ، وجرى فيه على سنن الاشراف والفرسان كعنترة وعمرو بن كلثوم فلم يجعله مورد كسب ولذلك ترى في شعره ولا سيما معلقته نبالة الفخر والتحدث بالفتوة والنجدة والكرم وإبواء الجار وعزة القبيل، ويشابهه علو همته جزالة لفظه ، وفخامة عبارته ، ورقة معانيه ، وشرف مقاصده وقلة اللغو في لفظه ، وكثرة اشتماله على عقائد الإيمان ، والحكمة الصادقة، =

= والموعظة الحسنة . وقد شهد له النبي صلوات الله وسلامه عليه بقوله : أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد (ألا كل شيء ما خلا الله باطل) .

ومن جيد شعره قوله فى معلقته مفتخرا :

إنا اذا التقت المجامع لم يزل
ومقسم يعطى العشيرة حقها
فضلا ونو كرم يعين على النداء
من معشر سنت لهم أباؤهم
لا يطبعون ولا يبور فعالهم
فاقنع بما قسم الملك فإنما
وإذا الامانة قسمت فى معشر

منا لزاز عزيمة جشامها
ومنذ مر لحقوقها هضامها
سمح كسوب رغائب غنامها
ولكل قوم سنة وامامها
اذ لا تميل مع الهوى احلامها
قسم الخلائق بيننا علامها
أوفى بأوفر حظنا قسامها

وقال يرثى النعمان :

الا تسألان المرء ماذا يحاول
أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم
الا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل أناس سوف تدخل بينهم

انحب فيقضى ام ضلال وياطل
بلى كل ذى لب إلى الله واسل
وكل نعيم لا محالة زائل
دويهيّة تصفر منها الأنامل

وقال يرثى أخاه أربد :

وما المال والاهلون الا ودائع
وما الناس إلا عاملان : فعامل

ولا بد يوما ان ترد الودائع
يتبر ما بينى وآخر رافع

فمنهم سعيد أخذ بنصيبه ومنهم شقى بالمعيشة قانع

(١) طرفة : هو عمرو بن العبد البكرى أقصر فحول الجاهلية عمرا وأجودهم طويلة ، وأوصفهم للناقة ، مات أبوه وهو صغير ، وولى أمره أعمامه ومال إلى البطالة ، واللهم ، والخذ بأسباب الصبوة والفتوة وقول الشعر والوقوع به فى أعراض الناس حتى هجا قومه وأهله وحتى هجا عمرو بن هند ملك العرب على الحيرة ، مع أنه كان يتطلب معرفته وجوده ، فبلغ عمرو بن هند هجاء طرفه له ، فاضطغنها عليه ، وأسرها فى نفسه ، حتى اذا ما جاءه هو وخاله المتلمس يتعرضان لفضله - وكان قد بلغه عن المتلمس مثل الذى وصل إليه عن طرفة - أظهر لهما البشاشة والوداد ليؤمنهما ، وأمر لكل منهما بجائزة وكتب لهما كتابين. وأحالهما على عامله بالبحرين ليستوفياها منه ، فبيناهما فى الطريق ارتاب المتلمس فى صحيفته فعرج على غلام يقرؤها له ، ومضى طرفة فإذا فى الصحيفة الامر بقتله ، فألقى الصحيفة وأراد أن يلحق طرفة فلم يدركه وفر إلى ملوك غسان ، وذهب طرفة إلى عامل البحرين ، وقتل هناك وعمره نحو ست وعشرين سنة .

وقال طرفة الشعر وهو صبى فنبغ حتى عد من الفحول ولم ينيف على العشرين، وزاد عليهم بقصيدته الطويلة التى وصف فيها الناقة بخمسة وثلاثين بيتا وصفا لم يسبقه إليه أحد ، وتعد معلقته من أجود المعلقات ، وأكثرها غريبا ، وأغزرها =

فَلَمْ يَطْرَبْ

= معنى ، وروى له غيرها من الشعر ، ولكنه قليل بالنسبة لشهرته ، وربما دل هذا على أن الرواة قد جهلوا أكثره . ويجيد طرفة الوصف فى شعره مقتصرًا فيه على بيان الحقيقة بعيدا عن الغلو والاعراق وكذلك كان هجاؤه على شدة وقعه : ومطلع معلقته :

تلوح كباقي الوشم فى ظاهر اليد لخولة أطلال ببرقة ثمهد

ومنها :

رأيت بنى غرباء لا ينكروننى ولا أهل هاذاك الطراف الممدد
الا أيهذا الزاجرى أحضر الوغى وأن اشهد اللذات هل أنت مخلدى
فان كنت لاتسطيع دفع منيتى فدعنى أبادرها بما ملكت يدي
أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد
ومن أبياته السائرة :

وظلم نوى القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند
أرى الموت اعداد النفوس ولا أرى بعيدا غدا، ما أقرب اليوم من غد
ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالاخبار من لم تبع له بتاتا، ولم تضرب له وقت موعد

وقوله :

كل خليل كنت خالته لا ترك الله له واضحه
كلهم أروع من ثعلب ما أشبه الليلة البارحة

لِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ وَقَالَ : أَنْشِدْكَ مِنْ شِعْرِي ؟ فَقُلْتُ لَهُ : إِيَّاهُ

فَأَنْشِدَ :

وقوله :

إذا ذل مولى المرء فهو ذليل
حصاة على عوراته لدليل

وأعلم علما ليس بالظن أنه
وأن لسان المرء ما لم يكن له

وقوله :

حتى تظل له الدماء تصيب

قد يبعث الامر الصغير كبيره

ومن كلامه يفتخر :

لأنرى الأدب فينا ينتقر
أقتار ذاك أم ريح قطر
من سديف حين هاج الضير
قري الاضياف أو للمحتضر
إنما يخزن لحم المدخر
حين لايمسكها الا الصبر

نحن في المشتاة ندعو الجفلى
حين قال الناس فى مجلسهم
بجفان تعترى نادينا
كالجوابى لاتنى مترعة
ثم لا يخزن فينا لحمها
نمسك الخيل على مكروها

ومن قوله فى الناقة :

بعوجاء مرقال تروح وتغدى
على لاحب كأنه ظهر برجد
سفنجة تبرى لازعر أربد
وظيفا وطيفا فوق مور معبد
حدائق مولى الاسرة أغيد

وانى لامضى الهم عند احتضاره
أمون كألواح الأران نصأتها
جمالية وجناء تردى كأنها
تبارى عتاقا ناجيات وأتبع
تربعت القفين فى الشول ترتعى

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طَوَّعَتْ مَا بَانَا وَقَطَّعُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلِ أَقْرَانَا^(١)
حتى أتى على القصيدة كلها . فقلتُ : يا شيخُ هذه القصيدة
لجريرٍ قد حفظتها الصَّبِيَّانُ . وعرفها النسوانُ . وولجتِ
الأخبية^(٢) .

تريـع الى صوت المهيب وتتقى بذى خصل روعات أكلف ملبد
كأن جناحى مضرحى تكنفا حفاقيه شكا فى العسيب بمسرد
فطورا به خلف الزميل وتارة على حشف كالشن زاو مجدد
(١) بان: افترق وبعد ، والخليط : الجماعة الذين تجمعهم المصالح فتخلط
بينهم، وطوعت : أطعت ووافقت ، والأقران: جمع قرن : وهو الحبل يشد به
البعيران ، والمعنى : أن القوم الذين كانت معهم خلطتك قد فارقوك ولو أنك
وافقتهم وسرت معهم لم يكن بينكم افتراق أبد الدهر .

(٢) الأخبية : جمع خباء وهو الخيمة ، والاندية : جمع ناد وهو مجلس القوم
ومحل سمرهم وكل هذه الكنايات عن شهرتها وذيوخ انتسابها لجرير وجرير هو
أبو حرزة جرير بن عطية بن الخطفى التميمى اليربوعى أحد فحول الشعراء
الاسلاميين ، وبلغاء المداحين الهجائين ، وأنسب الثلاثة المفلقين ، وهو من بنى
يربوع أحد أحياء تميم ، ولد باليمامة سنة ٤٢ هـ من بيت اشتهر بالشعر ونشأ
بالبادية وفيها قال الشعر ونبغ فيه وكان يختلف إلى البصرة فى طلب الميرة
ومدح الكبراء ، وينزل على من يسكن البصرة من قومه ، فرأى الفرزدق وما =

ووردت الأندية . فقال : دَعْنِي مِنْ هَذَا وَإِنْ كُنْتَ تَرَوِي لِأَبِي

= كسبه الشعر من المنزلة عند الامراء والولاة وهو تميمي مثله وود لو يسبقه إلى ما ناله ، وأغراه قومه للتنويه بشأنهم وتفخيم أمرهم ، إذ كان الشعر في ذلك العصر هو وسيلة الإعلان عن الشرف وكريم الخصال ، فوقعت بينهما المهاجاة والملاحاة عشر سنين ، وكان أكثر إقامة جرير أثنائها بالبادية ، وكان الفرزدق مقيما بالبصرة مصر العرب يملأ عليه الدنيا هجاء وسبا فما زال به بنو يربوع حتى أقدموه البصرة فكان يقيم بها كثيرا ، واتصل بالحجاج ومدحه فآكرمه ورفع منزلته عنده فعظم أمره وشرق شعره وغرب حتى بلغ الخليفة عبد الملك فحسد الحجاج عليه وأوفده الحجاج مع ابنه محمد إلى الخليفة بدمشق ليصل بذلك إلى مدحه فلما دخل عليه الوفد استأذنه في انشاده فأبى ، وقال له إنما أنت للحجاج ، فما برح يتوسل إليه حتى قبل مدحه وأجازه عليه جائزة سنوية ، ومن ذلك الحين عد من مداح خلفاء بني أمية ودخل في غمار المتزاحمين على أبوابهم والمتنافسين في نيل جوائزهم وجره ذلك إلى معادة منافسيه ومهاجاتهم، وحرش الفرزدق بينه وبينهم وأغراهم بالمال ونصب له منهم ثمانين شاعرا ولكن جريرا غلبهم كلهم وأخرسهم ، وثبت له من دونهم الفرزدق والاخلط فبقيت حرب المهاجاة بينهم سجالا حتى مات الاخلط ، وغبر الفرزدق وجرير يتسابان بعده إلا نحو ستة أشهر ومات باليمامة سنة ١١٠ هـ وكان في =

= جرير على هجائه للناس وخوضه فى أعراسهم - عفة ودين ، وحسن الخلق ، ورقة الطبع ، ظهر أثرها فى شعره .

وقد اتفق علماء الأدب وأئمة النقد على أنه لم يوجد فى الشعراء الذين نشأوا فى الإسلام أبلغ من جرير والفرزدق والاختل وأما اختلفوا فى السابق منهم والمبرز فى حليتهم ومال إلى كل واحد منهم جماعة انتصروا له وفضلوه على أخويه . ولكل هوى وميل فى تقديم صاحبه : فمن كان هواه فى النسيب ، وجودة الغزل والتشبيب ، وجمال اللفظ ولين الاسلوب ، والتصرف فى أغراض شتى فضل جريرا وحكم بسبقه ، ومن مال إلى جودة الفخر ، وفخامة اللفظ ودقة المسلك ، وصلابة الشعر ، وقوة أسره ، فضل الفرزدق ورأه خيرا من كليهما : ومن نظر بعد بلاغة اللفظ ، وحسن الصوغ إلى إجابة المدح والإمعان فى الهجاء ، واستهواء وصف الخمر ، واجتماع الندمان عليها حكم للأختل .. وهناك فريق يدخل فى الموازنة بينهم ما ليس من موضوع الأدب : فأهل الحسب والنسب يقدمون الفرزدق ، وأهل الدين والعفة يقدمون جريرا ، وأدباء المسيحيين يقدمون الاختل ولا عبرة فى ذلك فى باب صناعة الشعر . على أن طائفة من أهل النقد المعتد بهم يرون جريرا أشعر الشعراء الثلاثة لأنه طرق جميع أبواب الشعر ولم يقصر فى باب ، وأن الفرزدق امتاز بالفخر ، وأن الاختل تفرد بالمدح والهجاء ووصف الخمر ، ويحتجون بأنه لما ماتت امرأة الفرزدق لم تندبها النوادب إلا بشعر جرير فى رثاء امرأته وأن الفرزدق كان يحسده على رقة شعره ويقول : (ما أحوج جريرا مع عفافه إلى صلابة شعرى ! وأحوجنى مع =

فأنشدنيه ، فأنشدته :

= شهواتى إلى رقة شعره) ، وأن له فى كل باب من الشعر ابياتا سائرة هى
الغاية التى يضرب بها المثل ، فيقال : أن أغزل شعر قالته العرب هو قوله من
القصيدة التى ذكر البديع مطلعها بالمقامة :
أن العيون التى فى طرفها حور
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به
قتلتنا ثم لم يحيين قتلانا
وهن أضعف خلق الله إنسانا
وأن أمدح بيت قوله :

ألستم خير من ركب المطايا
وأن أفخر بيت قوله :

إذا غضبت عليك بنو تميم
وأن أهجى بيت - مع التصون عن الفحش - قوله :
رأيت الناس كلهم غضابا
ففض الطرف إنك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا
وأن أصدق بيت قوله :

أنى لأرجو منك خيرا عاجلا
وأن أشد بيت تهكما قوله :

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعا
وأنحو ذلك كثير من شعره .. قيل وقد لعب جرير وجد فى قصيدة يهجو بها
الاختل التغلبى بما لو أرادته غيره لامتتع عليه ففى لعه يقول :
أبشر بطول سلامة يا مربع
إن الذين غدوا بلبك غادروا
وشلا بعينك لا يزال معينا

لا أندبُ الدهرَ ربعًا غيرَ ما نُوسُ ولستُ أُصَبُّوا إلى الحادينَ
بالعيس^(١)

غیضن من عبراتهن وقلن لی : ماذا لقيت من الهوى ولقينا ؟
وفى جده يقول :

إن الذى حرم المكارم تغلبا جعل الخلافة والنبوءة فينا
مضرابى ، وأبو الملوك ، فهل لكم يا خزر تغلب من أب كأبينا ؟
هذا ابن عمى فى دمشق خليفة لو شئت ساقكم إلى قطينا
قيل : فلما بلغ عبد الملك هذا الشعر قال : ما زاد ابن المراغة أن جعلنى شرطيا!
أما أنه لو قال : لو شاء ساقكم إلى قطينا ، لسقتكم إليه كما قال ومن بديع
شعره القصيدة المذكور مطلعها بالمقامة ومنها :

لا بارك الله فى الدنيا إذا انقطعت أسباب دنياك من أسباب دنيانا
ما أحدث الدهر مما تعلمين لكم للجل صرما ، ولا للعهد نسيانا
أبدل الليل لا تسرى كواكبه أم طال حتى حسبت النجم حيرانا

(١) ندب الميت : بكى عليه وعدد محاسنه ، والربع : الدار ، أو المحلة والجمع
ربوع وأرباع وأربع ، وغير مأنوس : ليس مسكونا فارقه أهله ، وصبا يصبو :
مال ، والعيس : الإبل . وأبو نواس قد يكون أول من استنكر على الشعراء
وقوفهم على الأطلال وبكاءهم على الدمى واستنطاقهم النوى والأحجار وذكرهم
مغانى الاحباب وتعفى الرياح لها فهو يقول فى هذا البيت أنه لا يبكى على ربع
لا يحله أحد ، ولا تميل نفسه إلى ذكر الابل وحداتها .

أحقُّ منزلةً بالهجرِ منزلةً وصل الحبيبِ عليها غيرُ ملْبوسٍ^(١)
يا ليلةً غبرت ما كان أطيبها
والكوسُ تعملُ في أخواننا الشُّوسِ^(٢)
وشادنٍ نطقتُ بالسحرِ مقلتهُ مُزَنرٍ حلفَ تسبيحٍ وتقديسِ^(٣)
نازعتُهُ الرِّيَقَ والصهبَاءَ صافيةً
في زىِّ قَاضٍ ونسكِ الشَّيخِ إبليسِ^(٤)

(١) هذا البيت يشبه أن يكون استدلالاً على مذهبه وهو لعمري دليل ناهض فهو يقول : أن أحق مكان يهجره الانسان وينفر منه ذلك المكان الذي أصبح وصال الحبيب فيه أمراً غير ممكن .

(٢) غبرت : مضت ، والكوس : جمع كأس وأصله كؤوس فخفت ، والشوس : جمع أشوس وهو ينظر إليك بمؤخر عينه كبرا ، وإذا كانت الخمر قد أمالت هؤلاء فكيف بغيرهم ؟

(٣) الشادن : الغزال إذا قوى وطلع قرناه واستغنى عن أمه ، والمراد صبي مثله على التشبيه وقد شدن - من باب دخل - : إذا صار كذلك قال :
يا ما أميلح غزلانا شدن لنا ، والشدنيات من النوق منسوبة إلى موضع باليمن ، ومزئر : يلبس الزنار وهو ما يكون على وسط النصارى والمجوس ومثله الزنارة والزنير ، وحلف تسبيح وتقديس : أى طائع عابد لا يفتر عن تسبيح الله وتقديسه .

(٤) نازعه نزاعاً ومنازعة : جاذبه ، والصهباء : من أسماء الخمر ، وصافية =

لَمَّا ثَمَلْنَا وَكُلُّ النَّاسِ قَدْ ثَمَلُوا وَخَفْتُ صرْعَتَهُ إِيَّاي بِالْكُوسِ^(١)
غَطَطْتُ مُسْتَنْعِسًا نَوْمًا لَانْعِسَهُ

فَاسْتَشَعَرْتُ مُقْلَتَاهُ النَّوْمَ مِنْ كَيْسِي^(٢)

وَأَمْتَدُّ فَوْقَ سَبْرِيرٍ كَانَ أَرْفُقَ بِي عَلَى تَشَعُّثِهِ مِنْ عَرْشِ بَلْقَيْسِ
وَزَرْتُ مُضْجِعَهُ قَبْلَ الصَّبَّاحِ وَقَدْ

دَلَّتْ عَلَى الصُّبْحِ أَصْوَاتُ النَّوَاقِيسِ^(٣)

فَقَالَ : مَنْ ذَا ؟ فَقُلْتُ : الْقُسُّ زَارَ وَلَا بُدُّ لِدِيرِكَ مِنْ تَشْمِيسِ قَسَيْسِ

= واقع موقع الحال من الصهباء ، والمعنى : أننى جاذبته الكأس وأنا ألبس لبوس المتعبدين وأتزيى بزى النساك .

(١) يقال للشارب الذى يتمايل من الشرب ثمل والمعنى : إنه لما اخذت الخمر بعقولنا وظهر فعلها فينا وخشيت أن يلقينى صريعا من كثرة ما يقدم لى منها .

(٢) غط النائم يغط غطيطا : تردد نفسه حتى صار له صوت، والكيس خلاف الحمق وأصله بفتح أوله فكسره ضرورة وفسره الإمام بوعاء الدراهم وتمحل له وتبعه على ذلك بعض النقلة الذين لا يميزون بين غث المعانى وسمينها والمعنى على ما ذكرنا أنه تناول لينام ذلك الشادن مخافة أن يطول عليه مجلس الشراب فنجعت حيلته وذلك من آثار كياسته .

(٣) المضجع : مكان الرقاد ، ومن عادات النصارى أن يدقوا النواقيس قبيل الشمس ينادون بها عابديهم ليقيموا التقاليد الدينية ، وأبو نواس يقول أنه زار مضجع ذلك الشادن فى هذا الوقت .

فقال : بئسَ لعمري أنتَ من رجلٍ فقلت: كلاً . فإنى لستُ
 بالبئسِ^(١) (قال) فطربَ الشيخُ وشهقَ وزعق^(٢). فقلتُ : قبَّحَكَ اللهُ
 منْ شَيْخٍ لا أدري أبانتحالك^(٣) شعرَ جريرٍ أنتَ أسخفُ أم بطربك
 منْ شعرِ أبي نواسٍ وهوَ فويسقُ عيار^(٤) ؟؟. فقال: دعني منْ هذا
 وامضِ على وجهك فإذا لقيتَ في طريقك رجلاً معه نحيٌ صغيرٌ
 يدورُ في الدورِ حولَ القدورِ. يزهي بجليته ويباهي بلحيته^(٥) فقل

(١) بالبئس : أى الرجل الذى يقال فى حقه بئس .

(٢) الطرب : خفة تصيب الانسان لشدة حزن أو سرور ، وشهق - بالفتح
 يشهق - بالفتح والكسر - شهيقا - فيهما - ارتفع صوته ، والشهقة :
 كالصيحة وزعق - من باب قطع - : صاح ، والمعنى : أن الطرب أخذ بلب هذا
 الشيخ ومال بعقله فصار يصيح ويزعق . وإنما يكون هذا ممن ذهل واستحوذ
 السرور على فؤاده فهو لا يعى .

(٣) انتحل فلان شعر غيره أو قول غيره : إذا ادعاه لنفسه ، ومثله تنحل .

(٤) الفويسق : تصغير فاسق ، والعيار : الذى يلقي لنفسه حبلها على غاربها لا
 يهدىها إلى فضيلة ولا يزجرها عن ارتكاب مذمة .

(٥) يريد أن يلغز فى المذبة وسيأتى فى كلامه بيان ذلك وهى خشبة تغشى
 بالجلد فى أطرافها خوص ، والنحي : أصله الزق يوضع فيه نحو السمن
 والعسل ولما كان يخفى ما بداخله وجلد المذبة يخيفها شبهها به من هذه الجهة
 والمذبة من خصائصها أنها تستعمل فى طرد الذباب وشبهه عن القدور =

لَهُ دَأْنَى عَلَى حَوْتٍ مَصْرُورٍ . فِي بَعْضِ الْبُحُورِ . مُخْطَفِ الْخُصُورِ .
يَلْدَعُ كَالزُّنْبُورِ وَيَعْتَمُّ بِالنُّورِ . أَبُوهُ حَجْرٌ . وَأُمُّهُ ذَكَرٌ . وَرَأْسُهُ ذَهَبٌ .
اسْمُهُ لَهَبٌ . وَبَاقِيَهُ ذَنْبٌ . لَهُ فِي الْمَلْبُوسِ . عَمَلُ السُّوسِ . وَهُوَ فِي
الْبَيْتِ آفَةُ الزَّيْتِ . شَرِيبٌ لَا يَنْقَعُ . أَكُولٌ لَا يَشْبَعُ . بَذُولٌ لَا يَمْنَعُ .
يَنْمَى إِلَى الصُّعُودِ . وَلَا يَنْقُصُ مَالَهُ مَنْ جُودٍ يَسُوءُكَ مَا يَسُرُّهُ .
وَيَنْفَعُكَ مَا يَضُرُّهُ^(١) . وَكَنتُ أَكْتَمُكَ حَدِيثِي . وَأَعِيشُ مَعَكَ فِي
رِخَاءٍ لَكِنَّكَ أَبَيْتَ فَخَذِ الْآنَ فَمَا أَحَدٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ إِلَّا وَمَعَهُ مُعِينٌ
مِنَّا وَأَنَا أَمَلَيْتُ عَلَى جَرِيرٍ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَأَنَا الشَّيْخُ أَبُو مَرَّةَ^(٢) .

= والطعام فهي تدور في الدور حول القدور ، ويزهى : يعجب - بالبناء للمجهول
فيهما - لأنهما لم يستعملا على صيغة للفاعل وأراد من اللحية الخوص .
(١) هذا لغز آخر في السراج وقد شبهه بالحوت في أن كلامها لا يعيش الا
في السائل : الحوت في البحر ، وهذا في المسرحية ، ومخطف الخصور:
نحيلها، واعتم لبس العمامة وعمامة السراج هي النور كما ذكر ، وأبوه حجر أى
الذي أخرج مادته وهي الزيت حجر المعصرة ، وأمه ذكر أى أنه يتربى بين
أحضان ذكر وهو القنديل لأن يعبر عنه بضمير المذكر وله في الملبوس الحريق
وهو أشد مما يعمل السوس ، ينمى إلى الصعود : أى أنه دائم الارتفاع لا
ينخفض فكأنه منسوب إليه .

(٢) أبو مرة : كنية إبليس ، والهاجس : أصله الخاطر الذى يخطر فى القلب =

قال عيسى بن هشام : ثُمَّ غَابَ وَلَمْ أَرَهُ

= وأريد به في مثل هذه العبارات ما يلقيه على لسان الشاعر رقيه من الجن ، وقد تقدم اللماع إلى هاجس بعض الشعراء في المقامة الاسودية وأن العرب كانت تعتقد أن لكل واحد منهم رثيا من الجن يملى عليه قصائده قالوا : وهاجس امرئ القيس لافظ بن لاحظ . وحدث رجل من أهل الشام أنه خرج في طلب لقاح له على فحل كأنه فدن يسبق الريح رفعه إلى خيمة في فنائها شبح كبير . قال : فسلمت فلم يرد على . فقال : من أين وإلى أين . قال : فاستحتمته إذ بخل برد السلام وأسرع إلى السؤال فقلت : من ههنا فنعم وأما إلى ههنا فوالله ما أراك تبهج بذلك إلا أن يسهل عليك مداراة من ترد عليه ! قلت : وكيف ذلك أيها الشيخ . ؟ قال : لأن الشكال غير شكك ، والزى غير زيك . فضرب قلبي إنه من الجن وقلت : أتروى من أشعار العرب شيئا ؟ قال : نعم وأقول . قلت فأنشدني - كالمستهزىء به - فأنشدني قول امرئ القيس :

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فلما فرغ قلت لو أن امرأ القيس ينشر لردعك عن هذا الكلام . فقال : ماذا تقول؟ قلت : هذا لامرئ القيس . قال : لست أول من كفر نعمة أسداها . قلت : ألا تستحي أيها الشيخ . المثل امرئ القيس يقال هذا ؟ قال : أنا - والله - منحتة ما أعجبك منه ! قلت : فما اسمك ؟ قال : لافظ بن لاحظ . فقلت : اسمان منكران . قال : أجل . فاستحتمت نفسي له بعد ما استحتمته لها وقد عرفت أنه من الجن ، وذكروا أن هاجس الأعشى اسمه مسحل بن اثاثة ويروون عن الاعشى أنه قال : خرجت أريد قيس بن معد يكره بحضر موت فضللته في =

ومضيتُ لوجهي فلقيتُ رجلاً

= أوائل أرض اليمن لاني لم أكن سلكت ذلك من قبل فأصابني مطر فرميت ببصرى أطلب مكاناً ألقأ إليه فوقعت عيني على خباء من شعر فقصدت نحوه واذا بشيخ على باب الخباء فسلمت عليه فرد على السلام وأدخل ناقتي خباء آخر كان بجانب البيت فحططت رحلي وجلست فقال : من أنت ، وأين تقصد ؟ قلت : أنا الاعشى أقصد قيس بن معد يكرب . فقال : حياك الله أظنك امتدحتته بشعر . قلت : نعم . قال : فأنشديني . فابتدأت مطلع القصيدة .

رحلت سمية غدوة أجمالها غضبا عليك فما تقول بدا لها ؟

فلما أنشدته هذا المطلع منها قال : حسبك ، أهذه القصيدة لك ؟ قلت : نعم ، قال : من سمية التي نسبت بها ؟ قلت : لا أعرفها وإنما هو اسم ألقى في روعي . فنادى : يا سمية اخرجي واذا جارية خماسية قد خرجت فوقفت وقالت : ما تريد يا أبت ؟ قال انشدي عمك قصيدتي التي مدحت بها قيس بن معد يكرب ونسبت بك في أولها فاندفعت تنشده القصيدة حتى أتت على آخرها لم تخرم منها حرفاً فلما أتمتها قال . انصرفي ثم قال : هل قلت شيئاً غير ذلك ؟ قلت نعم ، كان بيني وبين ابن عم لي يقال له يزيد بن مسهر يكنى أبا ثابت ما يكون بين بني العم فهجاني وهجوته فأفحمته . قال : ماذا قلت فيه ؟ قلت :

(ودع هريرة إن الركب مرتحل) فلما أنشدته البيت الأول قال : حسبك . من هريرة هذه التي نسبت فيها ؟ قلت : لا أعرفها وسبيلها سبيل التي قبلها فنادى يا هريرة . فإذا الجارية قريبة السن من الأولى خرجت فقال : انشدي عمك قصيدتي التي هجوت بها أبا ثابت يزيد بن مسهر فأنشدتها من أولها إلى

فِي يَدِهِ مَذْبَةٌ. فَقُلْتُ : هَذَا وَاللَّهِ صَاحِبِي. وَقُلْتُ لَهُ مَا سَمِعْتُ

آخِرَهَا لَمْ تَحْرَمَ مِنْهَا حَرْفًا فَسَقَطَتْ فِي يَدِي وَتَحِيرْتُ وَتَغَتَشَنِي رَعْدَةٌ فَلَمَّا رَأَى مَا نَزَلَ بِي قَالَ : لِيْفِرْخَ رَوْعَكَ أبا بَصِيرَ أَنَا هَاجِسُكَ مَسْحَلُ بْنُ أَثَاثَةَ الَّذِي أَلْقَى عَلَى لِسَانِكَ الشَّعْرَ فَسَكَنْتَ نَفْسِي وَرَجَعْتَ إِلَى وَسْكَانِ الْمَطَرِ فَدَلَّنِي عَلَى الطَّرِيقِ وَأَرَانِي سَمْتًا مَقْصَدِي وَقَالَ : لَا تَعْجِ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا حَتَّى تَقَعَ بِبِلَادِ قَيْسِ .

وَرَوَى عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْبَجَلِيِّ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ : سَافَرْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَقْبَلْتُ لَيْلَةً عَلَى بَعِيرٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْقِيَهُ فَلَمَّا قَرَّبْتَهُ مِنَ الْمَاءِ تَأَخَّرَ فَمَقَلْتَهُ وَدَنَوْتُ مِنَ الْمَاءِ فَإِذَا قَوْمٌ مَشْهُوهُونَ عِنْدَ الْمَاءِ فَبَيْنَمَا أَنَا عِنْدَهُمْ إِذْ أَتَاهُمْ رَجُلٌ أَشَدَّ تَشْوِيهَا مِنْهُمْ فَقَالُوا : هَذَا شَاعِرٌ ، ثُمَّ قَالُوا : يَا أبا فُلَانٍ أَنْشُدْ هَذَا فَإِنَّهُ ضَيْفٌ فَأَنْشُدْ :

وَدَعِ هَرِيرَةَ إِنْ الرِّكْبَ مَرْتَحِلَ

فَوَاللَّهِ مَا حَرَّمَ مِنْهَا بَيْتًا حَتَّى أَتَى عَلَى آخِرِهَا فَقُلْتُ : مَنْ يَقُولُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ ؟ قَالَ : أَنَا أَقُولُهَا . قُلْتُ : لَوْلَا مَا تَقُولُ لَأَخْبَرْتُكَ أَنْ أَعْشَى قَيْسَ بْنَ ثَعْلَبَةَ أَنْشُدْنِيهَا عَامَ أَوَّلِ بَنْجِرَانَ . قَالَ : أَنْكَ صَادِقٌ ، أَنَا الَّذِي أَلْقَيْتَهَا عَلَى لِسَانِهِ وَأَنَا مَسْحَلُ بْنُ أَثَاثَةَ ، مَا ضَاعَ شَعْرٌ شَاعِرٍ وَضَعَهُ عِنْدَ مَيْمُونِ بْنِ قَيْسِ . قَالُوا : وَاسْمُ هَاجِسِ النَّابِغَةِ هَازِرٌ وَفِي حَدِيثِ الرَّجُلِ الشَّامِيِّ الْمَتَّقِمِ فِي قِصَّةِ امْرَأَةٍ الْقَيْسِ أَنَّهُ سَأَلَ لِأَفْظَا مِنْ أَشْعَرِ الْعَرَبِ ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

ذَهَبَ ابْنُ حَجْرٍ بِالْقَرِيضِ وَقَوْلُهُ وَلَقَدْ أَجَادَ فَمَا يَعَابُ زِيَادَ

لِلَّهِ هَازِرٌ إِذْ يَجُودُ بِقَوْلِهِ أَنْ ابْنَ مَاهِرٍ بَعْدَهَا لَجُودَ

مِنْهُ فَنَاوَلْنِي مَسْرَجَةً وَأَوْمَأَ إِلَيَّ غَارٍ فِي الْجَبَلِ مَظْلَمٍ فَقَالَ : دُونَكَ
الْغَارَ^(١) وَمَعَكَ النَّارَ. (قَالَ) فَدَخَلْتُهُ فَإِذَا أَنَا بِإِبِلِي قَدْ أَخَذَتْ
سَمَتَهَا. فَلَوَيْتُ وَجُوهَهَا وَرَدَدْتُهَا. وَبَيْنَا أَنَا فِي تِلْكَ الْحَالَةِ فِي

فسأله الشامي : من هاذر ؟ قال : صاحب زياد الذبياني وهو أشعر الجن
وأضنهم بشعره فالعجب له كيف سلسل لآخي نبيان ، ولقد علم بنية لي قصيدة
له من فيه إلى أذننها ثم صرخ بها : أخرجي فدي لك من ولدت حواء فقلت له : ما
أنصفت أيها الشيخ فقال : ما قلت بأسا . ثم رجعت إلى نفسي فعرفت ما أراد
فسكت ثم انشدتني الجارية :

نأت بسعاد عنك نوى شطون فبانث والفؤاد بها حزين

حتى أتت على قوله منها :

فألفيت الامانة لم تخنها كذلك كان نوح لا يخون

فقال : لو كان رأى قوم نوح فيه كراى هاذر ما أصابهم الغرق ، وما نظن ذلك
إلا حديث خرافة وإلا كيف كان زهير بن أبي سلمى المزني وهو واحد الشعراء
ديباجة وحسن وضع وحكمة يظل في تنقيح قصيدته عاما وعلماء الأدب مجمعون
على تسمية أربع منها حوليات . أنا نجب لذلك ونستبعده ولا يسعنا إلا أن نقول
ليست هذه أولى خرافات العرب في جاهليتهم والعجيب الاغرب من هذا أن
يتناقل كبار الأدباء ذلك الكلام من غير تعليق عليه ولا إشارة إلى إبطاله .
(١) أصل نونك اسم فعل بمعنى خذ ولعله أراد خذ في السير إلى طريقه .

الغِيَاضُ أَدَبُ الْخَمْرِ^(١) إِذْ بَأَى الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيُّ تَلَقَّانِي
بِالسَّلَامِ. فَقُلْتُ : مَا حَدَاكَ وَيْحَكَ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ^(٢)؟ قَالَ : جُورُ
الْأَيَّامِ. فِي الْأَحْكَامِ . وَعَدَمُ الْكِرَامِ. مِنْ الْأَنَامِ^(٣). قُلْتُ : فَاحْكُمْ
حَكْمَكَ يَا أَبَا الْفَتْحِ فَقَالَ : أَحْمَلْنِي عَلَى قَعُودٍ^(٤). وَأَرْقِ لِي مَاءً فِي
عُودٍ^(٥). فَقُلْتُ : لَكَ ذَلِكَ. فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

نَفْسِي فِدَاءً مُحْكَمٍ كَلَّفَتْهُ شَطَطًا فَاسْجَحَ^(٦)

(١) الغياض : جمع غيضة وهي مجتمع الأشجار ، وأدب الخمر : أى أمشى
مشية المحاذر الذى يخدع الناظرين إليه فهو يخشى أن يشعر به أحد .
(٢) أى ما الذى ساقك إلى ذلك المكان .

(٣) جور الأيام ظلمها وعدم إعطائها كل ذى حق حقه فهي تشبه القاضى إذا
مال ولم ينصف ، وزادنى قلقا واضطرابا أننى لم أجد بين الناس كريما أَدْفَعُ بِهِ
الْمَسْغِبَةَ .

(٤) أى أعطنى جملا اركبه .

(٥) أراد امنحنى ناقة احتلبها وأشرب لبنها

(٦) الشطط : مجاوزة الحد ، وأسجح : معناه أنصف وسمح وأحسن ، ومنه
قول عائشة لعلى رضى الله عنهما . ملكت فأسجح أى قدرت فسهل وأحسن
العفو وهو مثل سائر ، والمعنى أنه يفديه بنفسه لأنه بذل ما يجاوز الحد وما
يمنعه منه كثير

ماحكٌ لحيتهُ ولا مسجَ المخاطِ ولا تنحنحٌ^(١)
ثمَّ أخبرتهُ بخبرِ الشَّيخِ. فأوما إلى عمامتهِ وقالَ : هذهِ ثمرةُ
برِّه. فقلتُ : يا أبا الفتحِ شحذتَ على إبليسَ إنك لشحاذٌ!!

(١) أى لم يتلكأ بل أجابنى من فوره ، وأصل هذا ما ذكره ابو عثمان عمرو بن
بحر الجاحظ فى وصف الخطباء باللكنة ، والعى ، والحصر ، واحتباس القول ،
والتمتمة ، وهم يستترون بالنحنحة ونحوها إخفاء لعوارهم وسترا لعيوبهم وقال
بشر بن معمر فى نحو ذلك :

ومن الكبائر مقول متنتع جم التنحنح متعب ميهور
وذلك أنه شهد ريسان أبا بجير بن ريسان يخطب . وقال الاشل الازرقى من
بعض أخوال عمران بن حطان الصفر القعدى - فى زيد بن جندب الايادى
خطيب الازراقة واجتمعا فى بعض المحافل فقال بعد ذلك الاشل :

نحنح زيد وسعل لما رأى وقع الاسل
ويل أمه اذا ارتجل ثم أطال واحتفل

المقامة الأرمنية

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لَمَّا قَفَلْنَا مِنْ تِجَارَةِ
إِرْمِينِيَّةَ أَهَدْتُنَا الْفَلَاةَ إِلَى إِطْفَالِهَا^(١) . وَعَثَرْنَا بِهِمْ فِي أَذْيَالِهَا .
وَأَنَا خُونًا بِأَرْضِ نِعَامَةٍ^(٢) . حَتَّى اسْتَنْظَفُوا حَقَائِبَنَا . وَأَرَا حُوا

(١) الفلاة : الصحراء والأرض الواسعة التي لا شجر بها ولا نبات ، وأطفالها
للصوص وقطاع الطريق سموا بذلك لطول إقامتهم بها وعدم مبارحتهم إياها
كما سمي المحاويج والفقراء بنى غرباء في نحو قول طرفه :

رأيت بنى غرباء لا ينكرونني ولا أهل هناك الطراف الممدد

وأرمنية (بكسر أوله وتخفيف الياء الثانية أو تشديدها) : كورة بالروم أو أربعة
أقاليم أو أربع كور متصل بعضها ببعض يقال لكل كورة منها أرمنية والنسبة
إليها أرمني بالفتح .

(٢) عثر : كبا وكأنه جعلهم حجرا يعثرون بسببه لشدة ما نالهم منهم قال
الاستاذ الإمام ومعنى أرض نعامة . مفازة ونقول : أنه لا يبعد أن يكون قد أراد
بإضافة الأرض إلى النعامه جعلها سببا في جبنهم لشدة عدوهم وقلة غنائمهم
وضعفهم في قتالهم من قولهم أجبن من نعامة ومثل قول الشاعر : اسد على وفي
الحروب نعامة .

ركائبنا^(١). وبقينا بياض اليوم. فى أيدي القوم. قد
نظمنا القد أحزاباً. وربطت خيولنا اغتصاباً^(٢). حتى أردف
الليل أنابته. ومد النجم أطنابه ثم انتحوا عجز الفلاة
وأخذنا صدرها. وهلم جراً^(٣) حتى طلع حسن الفجر من

(١) الحقائب : جمع حقيبة وهى وعاء الثياب واستنظفوها اخنوا كل ما فيها
والركائب المطايا وأراحوها أخنوا ما عليها .

(٢) أى أننا مازلنا عامة النهار تحت أمرتهم خاضعين لاحكامهم لانهم أوثقونا
بالقد وهو سير من جلد تشد به الأسارى وربطوا خيولنا قهرا .

(٣) أردف الليل إعجازه استتبعها وجعل بعضها يتلو بعضا وهو كناية عن
اشتداد الظلمة واحتباك الغسق قال امرؤ القيس :

فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازا وناء بكلل

والإطناب : جمع طناب واصله الحبل الذى تشد به الخيمة و اراد منه هنا خيوط
النور المنبعثة من النجوم وأشعتها ، وانتحوا : قصدوا ويمموا والمراد أنهم
ساروا إلى جهة غير الجهة التى سلكها هؤلاء ، وهلم جرا : كلمة اختلف فى
عربيتها وتفسيرها . قال فى القاموس : هلم بمعنى تعال وهو مركب من ها
التنبيه ومن : (لم) أى ضم نفسك إلينا ثم استعمل استعمال البسيط يستوى فيه
الواحد والجمع والتذكير والتأنيث عند الحجازيين ، وسبقه إلى نكره صاحب
الصاح وتبعه الصنعانى فقالا : لا تقول كان ذلك عام كذا وهلم جرا إلى =

نقَابِ الحِشْمَةِ وَاِنْتُضِيْ سَيْفُ الصُّبْحِ مِنْ قِرَابِ

= اليوم: ولا يخفى عدم جريان ما قاله فى القاموس فى مثل هذا . وتوقف الجمال بن هشام فى كون هذا التركيب عربيا محضا وساق وجوه توقفه فى رسالة له وأجاب عن ذكره فى الصحاح ونحوه ، وذكر ما للعلماء فى إعرابه وبيان معناه ثم قال : فلنذكر ما ظهر لنا فى توجيه هذا المقال بتقدير كونه عربيا فنقول : هلم هذه هى القاصرة التى بمعنى أنت وتعال ألا أن فيها تجوزين أحدهما أنه ليس المراد بالاتيان هنا المجيء الحسى بل الاستمرار على شىء ، والمداومة عليه كما تقول : امش على هذا الامر ، وسر على هذا المنوال ومنه قوله تعالى : (وانطلق الملائم منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم) المراد بالانطلاق ليس الذهاب الحسى بل انطلاق الالسنه بالكلام ولهذا أعربوا أن تفسيرية وهى إنما تأتى بعد جملة فيها معنى القول كقوله تعالى : (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك) والمراد بالمشى ليس المشى على الأقدام بل الاستمرار والدوام أى دوموا على عبادة أصنامكم واحبسوا أنفسكم على ذلك ، والثانى أنه ليس المراد الطلب حقيقة وانما المراد الخبر وعبر عنه بصيغة الطلب كما فى قوله تعالى (ولنحمل خطاياكم ، فليمدد له الرحمن مدا) ، وجرا : مصدر جره يجره إذا سحبه ولكن ليس المراد الجر الحسى بل المراد التعميم كما استعمل السحب بهذا المعنى ألا ترى أنه يقال : هذا الحكم منسحب على كذا أى شامل له فإذا قيل . كان ذلك عام كذا وهلم جرا فكأنه قيل . واستمر ذلك فى بقية الاعوام استمرارا وذلك جار فى جميع الصور وهذا هو الذى يفهمه الناس من هذا الكلام ، وبهذا =

الظلمة^(١). فما طلعت شمسُ النهارِ إلا على الأشعارِ والأبشارِ.^(٢)
وما زلنا بالأهوالِ ندرأُ حجبها. وبالفلواتِ نقطعُ نجبها. حتى
حللنا المراغة^(٣) وكلُّ منَّا انتظمَ إلى رفيقٍ. وأخذَ في طريقِ^(٤).
وانضمَّ إلى شأبٍ يعلوه صغارُ. وتعلوه أطمارُ^(٥). يُكنى أبا الفتحِ
الإسكندرِيُّ وسرنا في طلبِ أبي جابرِ^(٦) فوجدناه يطلعُ من ذاتِ

= التأويل ارتفع إشكال العطف فإن هلم حينئذ خبر وإشكال التزام أفراد
الضمير إذ فاعل هلم هذه مفرد أبدا كما تقول واستمر ذلك أو استمر الذي
ذكرته .

(١) شبه بزوغ النور وانحسار الظلمة عنه بالجمال الرائع الذي يطلع من تحت
النقاب أو بالسيف الذي يستل من غمده .

(٢) أى لم يكن عليهم ما يستترون به غير أشعارهم وبشرتهم وهى جلدة
الجسم . (٣) ندرأُ : ندفع ونمنع ، والنجب فى الأصل لحاء الشجر وقشره ،
والمعنى أنهم استمروا فى مدافعة الأهوال والارتطام بعباب المخاوف يقطعون
الصحراء دائبين حتى وصلوا المراغة وهى بلد بأذربيجان شرقى بحيرة أرمينية .
(٤) أى أنهم تقسموا فى سيرهم فمضى كل اثنين معا وأخذنا طريقا غير طريق
الباقين .

(٥) صغار بالغين المعجمة كما فى النسخة الامامية وهى الهوان والذل ويروى
صفار بضم أوله وبالفاء وهو الجوع والصفرة الجوعة ويقال للجائع مصفور
ومصفر بوزن معظم وهذه الرواية أحسن والاطمار الثياب البالية .

(٦) كنية الخيز .

لظي تسجراً بالغضا^(١). فعمد الإسكندريُّ إلى رجلٍ فاستماحه
كفَّ ملحٍ وقال للخبازِ : أعرنى رأسَ التنورِ. فإني مقرورٌ^(٢). ولما
فرع سنامهُ جعل يحدثُ القومَ بحاله. ويخبرهم باختلاله^(٣).
وينشر الملحَ في التنورِ من تحت أذياله يُوهمهم أن أذى بثيابه.
فقال الخبازُ: مالك لا أبا لك؟! اجمع أذيالك فقد أفسدت الخبزَ
علينا. وقام إلى الرغفانِ فرماها وجعل الإسكندريُّ يلقطها.

(١) ذات لظا : هي النار ، وتسجر توقد والغضا شجر اذا احترق دامت ناره
طويلا واشتدت .

(٢) استماحه طلب منه . والتنور الكانون يخبز فيه ورأسه فتحة في أعلاه
والمقرور الذي أصابه القر وهو البرد .

(٣) فرع سنامه : صعد فجلس قريبا من رأسه والمعنى : أنهم بعد أن وصلوا
المراغة وساروا مثنى وكان من حظ عيسى أن رافقه أبو الفتوح كان أول همهم
البحث في طلب ما يسدان به جوعهما ويدفعان آلامه ويردان شدته ففكر أبو
الفتح في حيلة يصل بها إلى مطلبهما بدون كبير عناء ومن غير أن يتجشما لذلك
مالا فنظر غير بعيد إلى تنور قد أوقد ورغفان الخبز تخرج منه فعمد إلى رجل
طلب منه قبضة من الملح وذهب إلى الخباز فرجاه أن يسمح له بالدفع فوق
التنور شاكياً له مالقيه من البرد فأذنه وحين جلس على رأس التنور جعل يحدث
الناس بما لقيه من أذى الدهر ومحنته .

ويتأبطها^(١). فأعجبتني حيلته فيما فعل وقال: اصبر على حتى
أحتال على الأدم^(٢). فلا حيلة مع العدم^(٣) وصار إلى رجل قد
صفف أواني نظيفة فيها ألوان الألبان. فسأله عن الأثمان.
واستأذن في الذوق. فقال: افعل. فأدار في الأنية إصبعة. كأنه
يطلب شيئاً ضيعه^(٤). ثم قال: ليس معي ثمنه. وهل لك رغبة في

(١) المعنى أنه حينما جلس رفع ثوبه ليدفىء جسده ثم كان يخالس الخبز
ويقذف في التنور قبضة من الملح فتسمع لها فرقة فتوهم التنار أن بجسمه قملاً
فهو يتساقط إلى التنور وهذه أصوات احتراقه وخشى أن يكون قد علق بالخبز
شيء منه فرمى به وانتهزها أبو الفتح فرصة يرد بها كيد الجوع فكان يأخذه
ويضعه تحت أبطه .

(٢) مأخوذ من قول لبيد بن ربيعة :

مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه ان استه من برص ملمعه
وانه يدخل فيها أصبعه يدخله حتى يوارى أشجعه

كأنما يطلب شيئاً ضيعه

(٣) الأدم - بوزن قفل - ومثله الأدام - بكسر أوله - : ما يؤكل مع الخبز أى

شيء كان ، وأدمته - بالمد ، وبالقصر ، وبالتشديد - : جعلت فيه أداما .

(٤) حيلة : الاحتيال ، ولا نرى المعنى يصلح على هذا إذ كيف يقول انهما

سيحتالان في طلب الأدم ثم يقول أن المعدم لا احتيال له . لكن يمكن أن يراد

من الحيلة الحول وهو : الحركة ، والقوة ، والدفع ، والمنع والعدم : الفقر ، =

الحجامة؟ فقال: قَبَّحَكَ اللهُ! أنتَ حجامٌ؟ قال: نعمَ فعمدَ لإِعراضِهِ
يَسْبُهَا^(١). وإلى الأنيّةِ يَصُبُّهَا. فقال الإسكندرِيُّ: آثرني على
الشَّيْطَانِ^(٢). فقال: خُذْهَا لا بُورِكَ لَكَ فِيهَا. فأخَذَهَا وأوينا إلى
خُلُوةٍ^(٣). وأكلناها بدفَعَةٍ^(٤). وسرنا حتَّى أتينا قريةً استطعمنا
أهلها^(٥). فبادرَ من بين الجماعةِ فتى إلى منزله فجاءنا بصحفةٍ
قد سدَّ اللبنُ أنفاسَها. حتَّى بلغَ رأسَها^(٦). فجعلنا نتحسَّأها^(٧).

= والاملاق ، والمعنى : تعال بنا نطلب الادم بالاحتتيال فانه لا قوة لامرىء تربت
يده واقفر جرابه ونصب معينه وانه لا يستطيع أن يدفع عن نفسه أو يمنع
نونها.

(١) أعراض : جمع عرض بكسر أوله والمعنى أنه بعد أن عرف أنه حلاق
وقد أدار في الأنيّة أصابعه تقذر وعافت نفسه ما فيها فأوسعه سباً وقصد أن
يريق اللبن .

(٢) أى بدلا من أن تريقها فيذهب هباء ولا ينتفع بها أحد أعطينا .

(٣) أوينا إلى خلوة : ملنا إليها .

(٤) بدفعه أى بتدافع وشدة . (٥) أى طلبنا منهم أن يطعمونا .

(٦) الصحفة وعاء يوضع فيه اللبن وهو معروف بهذا الاسم عند المصريين
ومعنى كون اللبن قد سد أنفاسها أنها ممتلئة .

(٧) حسا يحسو وتحسى أيضا : شرب جرعة بعد جرعة .

حَتَّى اسْتَوْفَيْنَاهَا. وَسَأَلْنَاهُمْ الْخَبْزَ فَأَبَوْا إِلَّا بِالثَّمَنِ. فَقَالَ
 الْإِسْكَندَرِيُّ مَا لَكُمْ تَجُودُونَ بِاللَّبَنِ. وَتَمْنَعُونَ الْخَبْزَ إِلَّا بِالثَّمَنِ^(١)؟
 فَقَالَ الْغُلَامُ: كَانَ هَذَا اللَّبْنُ فِي غُضَارَةٍ. قَدْ وَقَعَتْ فِيهِ فَارَةٌ
 فَحَنْنُ نَتَّصِدَّقُ بِهِ عَلَى السَّيَّارَةِ^(٢). فَقَالَ الْإِسْكَندَرِيُّ: إِنَّا
 لِلَّهِ. وَأَخَذَ الصَّحْفَةَ فَكَسَّرَهَا. فَصَاحَ الْغُلَامُ: وَاحْرِبَاهُ^(٣)،
 وَامْحَرُوبَاهُ. فَاقْشَعَرَّتْ مِنَّا الْجِلْدَةُ. وَأَنْقَلَبَتْ عَلَيْنَا الْمَعِدَةُ^(٤).
 وَنَفَضْنَا مَا كُنَّا أَكَلْنَاهُ^(٥).

(١) المعنى : أن الخبز أقل قيمة من اللبن وأزهد ثمنا فما الذي حداكم لأن
 تجودوا بالشيء الرفيع القدر السنى القيمة فى حين أنكم تمنعوننا المرتخص
 الذى لا قدر له ولا يساوم فيه بجانب ما تمنحون ؟

(٢) الغضارة : القصة العظيمة ، والسيارة : الجماعة السائرون .

(٣) واحرباه : كلمة تألم مأخوذة من الحرب بالتحريك وهو استلاب المال .

(٤) الجلد : بشرة الجسم الظاهرة والمراد قشعريرة البدن . والقشعريرة :

انتفاض الجسم وانما تكون اذا أصاب الانسان من خوف أو وجل والجملة كناية
 عن ذلك لانهم خافوا عاقبة أكلهم وظنوا أن الامر سيشتد بهم ويهلك أبدانهم ،

وانقلاب المعدة : كناية عن المرض عليهما ونزوله بساحتها .

(٥) نفضنا : طرحنا، ورمينا، والمراد الكناية عن أنهما استقءا ما تناولا من

الاكل فرارا من نزول المرض بهما .

وقلتُ: هذا جزاءُ ما بالأمسِ فعلناهُ وأنشأ أبو الفتحِ

الإسكندرِيُّ يَقُولُ:

يَا نَفْسُ لَا تَتَغَيَّرِي فَالْشَّهْمُ لَا يَتَغَيَّرُ
مَنْ يَصْحَبُ الدَّهْرَ يَأْكُلُهُ فِيهِ سَمِينًا وَغَنًّا
فَالْبَسَ لِدَهْرٍ جَدِيدًا وَالْبَسَ لآخرَ رَتًّا^(١)

(١) التثني : اندفاع النفس إلى القىء ، والمعنى : أيتها النفس اسكنى واستقرى فى مكانك ولا يذرعى القىء فهذه عادة الدهر يتقلب دائما ولا بد لمن صحبه أن يجد فى تصاريفه عجا وخليق بمن يسايره أن يكون مثله فيرتدى رداء التقلب أيضا .

رَفَع
عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ النَّاجِمِيَّةُ

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بِتُّ ذَاتَ لَيْلَةٍ فِي كِتَابَةِ^(١)
فَضْلٍ مِنْ رُفَقَائِي فَتَذَاكَرْنَا الْفَصَاحَةَ . وَمَا وَدَعْنَا الْحَدِيثَ حَتَّى
قُرِعَ عَلَيْنَا الْبَابُ^(٢) . فَقُلْتُ : مِنَ الْمُنْتَابِ^(٣) فَقَالَ : وَفَدُّ اللَّيْلِ وَبَرِيدُهُ .
وَقَلُّ الْجُوعِ وَطَرِيدُهُ^(٤) . وَغَرِيبُ نَضْوِهِ طَلِيحٌ . وَعَيْشُهُ تَبْرِيحٌ . وَمَنْ

(١) الكتيبة في الاصل : الجيش أو الجماعة المغيرة من الخيل إذا بلغت مائة حتى تكون ألفا ، والمراد منها هنا مطلق الجماعة .

(٢) ودع بوزن وضع وبالتضعيف بمعنى ترك وقرع الباب : طرق ، والمعنى : أننا جلسنا نتسامر والحديث ذو شجون فتحدثنا عن الفصاحة وقال كل منا ما حضره ونفض جملة الذي عنده ثم انتقلنا إلى حديث آخر ولكننا لم نكد نبدأه ونترك موضوعنا الأول حتى طرق علينا الباب . (٣) انتاب فلان فلانا إذا أتاه المرة بعد الأخرى ولم يزل يعاوده وكانهم سموه بذلك لانه طرقتهم بعد أن طرق كثيرا من المنازل فاعتبروا متابعتة طرق الابواب تتابعا عليهم ولا يبعد أن يكون قد أراد منه مطلق الطارق . (٤) الوفد : الجماعة الواردون للانتجاع ونحوه وكأنه جعل الليل لصعوبة الكد فيه حاملا له على الوفادة ، وبريده : رسوله ويقال منه : أبرد له اذا أرسل إليه ، والفل : المنهزم ويقال : سيف مفلول إذا كان به كلال .

دُونَ فَرخِيهِ مَهَامَهُ فَيُح^(١). وَضَيْفٌ ظُلُّهُ خَفِيفٌ. وَضَالَّتُهُ رَغِيفٌ.
 فَهَلْ مِنْكُمْ مُضَيْفٌ^(٢)؟ فَتَبَادَرْنَا إِلَى فَتْحِ الْبَابِ وَأَنْخُنَا رَاحِلَتَهُ.
 وَجَمَعْنَا رَحِلَتَهُ^(٣). وَقُلْنَا: دَارَكَ أَتَيْتَ. وَأَهْلَكَ وَافَيْتَ وَهَلُمَّ الْبَيْتَ.
 وَضَحِكْنَا إِلَيْهِ. وَرَحَّبْنَا بِهِ. وَأَرَيْنَاهُ ضَالَّتَهُ^(٤). وَسَاعَدَنَا حَتَّى
 شَبِعَ. وَحَادِثْنَا حَتَّى أَنْسَ^(٥). وَقُلْنَا: مَنْ الطَّالِعُ بِمَشْرِقِهِ، الْفَاتِنُ
 بِمَنْطِقِهِ^(٦)؟؟ فَقَالَ: لَا يَعْرِفُ الْعُودَ كَالْعَاجِمِ. وَأَنَا الْمَعْرُوفُ

(١) النضو: البعير المهزول، والطليح الذى زاد به التعب، والتبريح: الشدة
 والجهد، والمهامه: الصحارى، وفيح: أى واسعة.

(٢) ظله خفيف: أى لا يكلفكم مشقة والضالة أصله المفقود الذى يطلبه صاحبه
 وأراد أن أمنيته سد جوعه.

(٣) الرحلة بضم أوله: الوجوه التى تقصدها بارتحالك ومعنى جمعها تهيئتها
 فى أمر واحد.

(٤) أى طمأنناه باظهار مرغوبة.

(٥) ساعدناه: أى أعدنا له ما أراد حتى امتلا جوفه، وإذا كان للقادم دهشة
 فهو فى حاجة للتحدث وحبب الانس اليه بابتدائه بالكلام ولذلك فهم مازالوا به
 يخاطبونه حتى خلع عذار الوحشة واطمأنت نفسه إليهم.

(٦) أى من ذلك الذى ظهر لنا كما يظهر الكوكب فاسترق ألبابنا بعذب حديثه
 واستولى على أفئدتنا بحسن بيانه.

بِالنَّاجِمِ^(١) عَاشَرْتُ الدَّهْرَ لِأَخْبِرَهُ. فَعَصَرْتُ أَعْصُرَهُ. وَحَلَبْتُ
أَشْطَرَهُ^(٢). وَجَرَّبْتُ النَّاسَ لِأَعْرِفَهُمْ. فَعَرَفْتُ مِنْهُمْ غَثَّهُمْ
وَسَمِينَهُمْ^(٣). وَالْغُرَابَةَ لِأَنْوُقِهَا. فَمَا لَمَحْتَنِي أَرْضٌ إِلَّا فَقَاتُ عَيْنِهَا
وَلَا انْتَضَمْتُ رُفْقَهُ إِلَّا وَلَجْتُ بَيْنَهَا^(٤). فَأَنَا فِي الشَّرْقِ أُنْكَرُ. وَفِي
الْغَرْبِ لَا أُنْكَرُ. فَمَا مَلِكٌ إِلَّا وَطِئْتُ بِسَاطِهِ. وَلَا خَطْبٌ إِلَّا خَرَقْتُ

(١) عجم الورد : عضه ليعرف أصلب هو أو لا وفى خطبة الحجاج حين قدم
للعراق (وأن أمير المؤمنين جمع كنانته بين يديه فعجم عيدانها فوجدنى أصلبها
مكسرا فرماكم بى) ، الناجم : الظاهر يريد أنه لا يخفى على أحد .

(٢) لأخبره : أى لأختبره وأعرفه ، والأعصر : جمع عصر وهو الزمن أيا كان
مقداره ، والأشطر : اخلاف الناقة وقد جرى فى كلامهم (حلبت الدهر أشطره)
مجرى المثل يريدون عرفت حلوه ومره ، غثه وسمينه خيره وشره ، سعاداته
وشقاءه .

(٣) يريد أنه امتحن الناس بمصادقتهم وابتلاهم بالعشرة معهم ليتبين حالهم
فأدركه وظهرت له حقائقهم .

(٤) أى أنه اراد أن يختبر الاغتراب والاسفار كما اختبر الناس فقطع الحزون
والسهول وطوى البحار ولم تبق أرض إلا وعرفها ولا جماعة من الخلان إلا دخل
بينها وسار معها .

سماطه^(١). وما سكنت حرباً إلا وكنتُ فيها سفيراً. قد جربني
الدَّهرُ في زمني رخائه وبُوسه. ولقيني بوجهي بشره وعبُوسه^(٢).
فما بحت لبُوسه. إلا بلبُوسه^(٣).
وإن كانَ صرفُ الدَّهرِ قدماً أضربني وحملني من ريبه ما يحملُ
فقدُ جاءَ بالإحسانِ حيثُ أحلني محلَّة صدقٍ ليسَ عنها محولٌ^(٤)

(١) الخطب : الامر الجسيم والكربة العظيمة ، والسماط : جماعة الجيوش تتقدم
الملك ، والمعنى : أن له في كل نازلة يدا .

(٢) السفير : الرجل الذي يدخل بين المتنازعين ليصلح ذات بينهما ويجمع
كلمتهما وكنى بذلك عن حذقه ولباقته إذ لا يقوى على السفارة غير الفطن
اللييب ، والبشر : طلاقة المحيا والعبوس : انقباضه ، والمعنى : أنه عاشر الدهر
في كلا الحالين من الفرج والضيق وصاحبه في طريقه عسره وميسرته .

(٣) اللبوس : اللباس ، والمعنى : أنه لبس لكل حالة لباسها وتقدم لكل عصر بما
يليق به وأخذ أهبطه في كل أوانة بما يناسبها .

(٤) صرف الدهر ، خطوبه ونوازله ، وريبه كذلك ومعنى البيتين أنني اغتفر
للدهر ذنوبه الماضية وأنسى قديم إيساعته بما أولانيه من نعمة حاضرة وسعادة
شاملة .

قُلْنَا: لَا فُضَّ فُوكَ . وَلِلَّهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ^(١). مَا يَحْرُمُ السُّكُوتُ إِلَّا
عَلَيْكَ، وَلَا يَحِلُّ النَّطْقُ إِلَّا لَكَ. فَمَنْ أَيْنَ طَلَعَتْ وَأَيْنَ تَغْرُبُ^(٢)؟ وَمَا
الَّذِي يَحْنُو أَمْلَكَ أَمَامَكَ. وَيَسُوقُ غَرَضَكَ قَدَامَكَ؟؟^(٣). قَالَ: أَمَّا
الْوَطَنُ فَالْيَمَنُ وَأَمَّا الْوَطْرُ فَالْمَطَرُ. وَأَمَّا السَّائِقُ فَالضُّرُّ. وَالْعَيْشُ
الْمَرْءُ^(٤). قُلْنَا: فَلَوْ أَقَمْتَ بِهَذَا الْمَكَانِ لِقَاسَمْنَاكَ الْعُمَرَ فَمَا دُونَهُ
وَلِصَادَفَتْ مِنَ الْأَمْطَارِ مَا يُزْرَعُ. وَمِنَ الْأَنْوَاءِ مَا يُكْرَعُ قَالَ: مَا
أَخْتَارُ عَلَيْكُمْ صَحْبًا. وَلَقَدْ وَجَدْتُ فَنَاعَكُمْ رَحْبًا. وَلَكِنْ أَمْطَارُكُمْ

(١) لا فض فوك أى لا خلى الله فمك من حليته وهى الاسنان ولما كان يتوقف
على الاسنان حفظ الحروف وكان الثرم مضيعة لكثير من الكلمات جعلوا هذه
الكلمة دعاء لمن يستجيديون نطقه ويستملحون لفظه .

(٢) أى من أين أقبلت وإلى أين أنت ذاهب .

(٣) المعنى أى المقصود لك فى سيرك وأى علة تحتك على ادمان السفر ومتابعة
الجولان .

(٤) الوطر القصد ، والمطر المراد منه العطاء وقد أجاب على اسئلتهم كلها على
الترتيب ، والمعنى أن محل إقامتى الذى أقبلت منه هو اليمن والمقصد الذى من
أجله أجوب الطرقات هو طلب المال والسبب الذى يدفعنى إلى ذلك هو الفقر
والحياة الكريهة .

ماءٌ والماءُ لا يروى العطاش^(١). قلنا: فأىُّ الأمطارِ يرويك؟ قال:
مطرٌ خلفي^(٢) وأنشأ يقولُ :

سجستانَ أيُّها الراحلةُ وبحراً يؤمُّ المنى ساحله^(٣)

(١) الانواء : الأمطار الغزيرة ويكرع يشرب من مكانه بدون كوب ، والفناء :
الساحة أمام البيوت ، والرحب المتسع ، والمعنى أنهم ذكروا له استعدادهم
لاستقباله ورضاهم عن إقامته بينهم متمدحين حالهم ليرغب فيها فأجاب بأنه
رضيهم إخوانا واعتقد أنهم سيكونون عند شروطهم وقرهم على ما نعتوا به
أنفسهم ولكنه لا يستطيع الإقامة بينهم ولا يجسر على التخلف عن السير لانهم
إن أعطوه فانما يعطونه طعاما وشرابا وهما لا يسدان حاجته ولا يقومان برغبته
(٢) أى إذا كان الماء لا يرويك وقد أخبرتنا أنك تقصد المطر فأى مطر تعنى ؟
فقال : المطر الخلفى أى المنسوب إلى خلف بن أحمد ، وذلك مثل قول الشاعر
(أو قريب منه) :

ما نوال السحاب وقت غمام كنوال الأمير وقت عطاء

فنوال الأمير بدرة مال ونوال السحاب قطرة ماء

(٣) يؤم : يقصد . والمعنى سيرى أيتها الراحلة نحو سجستان واجعلها جهتك
واقصدى ذلك الأمير الذى تتوجه الرغبات إليه ويسعى نحوه نوو الحاجات .

سَتَقْصِدَ أَرْجَانَ إِنْ زُرْتَهَا بِوَاحِدَةٍ مِائَةٍ كَامِلِهِ (١)
وَفَضْلُ الْأَمِيرِ عَلِيِّ بْنِ الْعَمِيدِ كَفَضْلِ قُرَيْشٍ عَلَيَّ بِأَهْلِهِ (٢)

(١) أَرْجَانُ : بلدة من بلاد فارس بفتح الالف والراء مشدودة وقد خففت لضرورة الشعر . ومعنى البيت أنك وردت حضرة الأمير بأرجان فستنال أمانيك مضاعفة .

(٢) ابن العميد : هو الاستاذ الرئيس الوزير أبو الفضل محمد حسن ابن العميد كاتب المشرق وعماد ملك آل بويه وصدر وزرائهم وهو فارسي الاصل من مدينة قم وكان أبوه كاتباً مترسلاً بليغاً من كبار كتاب الدولة السامانية وهي إحدى الدول التي استقلت استقلالاً داخلياً في أواسط الدولة العباسية . نشأ شغوفاً بالعلوم العقلية واللسانية فبرع في الحكمة والنجوم ونبغ في الأدب والكتابة وقد قيل (بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بأبن العميد) ثم رحل عن أبيه إلى آل بويه وتقلد شريف الاعمال في دولتهم إلى أن تولى وزارة ركن الدولة أبي علي الحسن بن بويه والد عضد الدولة المشهور سنة ٢٢٨ فساس دولته ووطد أركانها وتشبه بالبرامكة ففتح باباً للعلماء والفلاسفة والشعراء والأدباء وكان يشاركونهم في كل ما يعلمون الا الفقه . وما زال في وزارته محط الرحال ، وكعبة الآمال حتى توفي سنة ٢٦٠ هـ . وكان ابن العميد أول من فتح باب الولوع بالرسائل البيعية متوخياً فيها السجع القصير الفقرات مقتبسا من القرآن بعض الآيات ومن السنة بعض الأحاديث الماثورة مشيراً إلى الحوادث المشهورة ناثراً فيها =

قال عيسى بن هشام : فخرجَ وودَّعناهُ

= الابيات الحكمية موثرا بعض الحلية اللفظية كالجناس والمطابقة مضمنا الامثال السائرة وحاكاه فى طريقته هذه فحول معاصريه فاصبح عميد رفقتهم وضليع حلبتهم وكلهم كارع من حياضه قاطف من رياضه إن لم يكن بالاقتباس منه فبالشاركة له وإن كان هو أقلهم التزاما للمسجوع وأقربهم إلى المطبوع .
وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدى فمدحه بتلك القصائد المشهورة السائرة التى منها :

من مبلغ الاعراب أنى بعدهم	شاهدت رسطاليس والاسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه	متملكا متبديا متحضرا
ولقيت كل الفاضلين كأنما	رد الإله نفوسهم والاعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدا	وأتى فذلك إذا اتيت مؤخرا
بأبى وأمى ناطق فى لفظه	ثمّن تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته	وقطفنت أنت القول لما نورا

ومن بديع رسائله ما كتب به إلى ابن بلكا عند استعصائه على ركن الدولة وهى رسالة طريفة شيقة كما أنها غرة كلامه وواسطة عقده وهى مطولة جداً نذكر منها لمعاً . قال فى أولها :

كتابى وأنا مترجح بين طمع فيك ، ويأس منك ، واقبال عليك ، وإعراض عنك ، فانك تدل بسابق حرمة ، وتمت بسابق خدمة ، وأيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضى محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة ، وتتبعهما بأنف خلاف =

وَأَقَمْنَا بَعْدَهُ بُرْهَةً نُّشْتَاقُهُ

= ومعصية ، وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل ما يرمى لك ، لا جرم أنى وقفت بين ميل اليك ، وميل عليك : أقدم رجلا لصدك ، وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسط يدا لاصطلامك ، وأتوقف عن امتثال بعض الأمور فيك ضنا بالنعمة عندك ، ومنافسة فى الصنعة لديك وتأميلا لفيئتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضع الرأى ثم يستدرک ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة فإلى انجلاء ، وكما أنك أتيت من أساعتك بما لم تحتسبه أولياؤك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما وصفت ، وسوء ما أثرت ، وسأقيم على رسمى فى الابقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستبقاء والمطاولة ما أمكن ، طمعا فى انابتك ، وتحكيما لحسن الظن بك ، فلست اعدم فيما أظاھرہ من أعدار ، وأرادفه من انذار ، احتجاجا عليك ، واستدراجا لك .
ومنها :

وزعمت أنك فى طرف من الطاعة بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها ، وطلبت شطريها ، فنشدتك الله إلا صدقت عما سألتك : كيف وجدت ما زلت عنه ؟ وكيف تجد ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الاول فى ظل ظليل ، ونسيم عليل ، وريح ليليل ، وهواء عدى ، وماء روى ومهاد وطى ، وكن كنين ، =

وَيُؤَلِّمُنَا فِرَاقَهُ. فَبَيْنَمَا نَحْنُ بِيَوْمِ غَيْمٍ فِي سِمَطِ الثُّرَيَّا جُلُوسٌ إِذِ

= ومكان مكين ، وحصن حصين ، يقيق المتالف ، ويؤمنك المخاوف ، ويكنفك من نواب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدثن ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال ، وتعلقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك ، ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك ؟ ففيم الآن أنت من الامر ؟ وما العوض عما عدت والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونقضت منها كفك ، وغمست في خلافها يدك ؟ وما الذى أظلك بعد انحسار ظلها عنك ؟ أظل نو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغنى من اللهب ! قل : نعم كذلك ، فهو والله أكتف ظلالك فى العاجلة ، وأروحها فى الأجلة : إن أقمت على المحايدة والعقود ، ووقفت عن المشاقة والجحود .

ومنها :

تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي فستكرها ، والمس جسديك ، وانظر هل يحس ، واجسس عرقك هل ينبض ، وفتش ما حنا عليك هل تجد فى عرضها قلبك ، وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو أموت مريح ، ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

ومما سار من كلامه مسير الامثال قوله :

متى خلصت للدهر حال من اعتوار أنى ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى =

= خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله . الرتب لا تبلغ الا بتدرج وتدرّب ، ولا تدرك الا بتجشم كلفة وتصعب . المرء أشبه شىء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه . قد يبذل المرء ماله فى إصلاح أعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه ؟ هل السيد الا من تهابه اذا حضر ، وتغتابه اذا ادبر ؟

وله شعر رائع ، يأخذ بالألباب ويأسر النهى ومنه قوله

ما بين حر هوى وحر هواء	قد ذبت غير حشاشة ودماء
خلوا من الاشجان والبرحاء	لا استفيق من الغرام ولا ارى
بنوى الخليط وفرقة القرناء	وصروف أيام أقمن قيامتى
عونى على السراء والضراء	وجفاء خل كنت احسب انه
متنقل كتتنقل الافياء	ثبت العزيمة فى العقوق ووده
كالخط برقم فى بسيط الماء	ذى ملة يأتيك ، اثبت عهده
عجبا كحاضر ضحكه وبكائى	ابكى ويضحكه الفراق ولن ترى

وقوله :

وصد عنى وملاً	يا من تخلى وولى
واتبع العقد حلا	وأوسع العهد نكثاً
عهد الشبيبة ولى	ما كان عهدك الا
ألم ثم تولى	أو طائفنا من خيال
إذا دنا فتدلى	أو عارضنا لاح حتى
من الصبا فتجلى =	الوت به نسلمات

المراكبُ تُساقُ والجنائبُ تُقادُ^(١). وإذا رجلٌ قد هجمَ علينا^(٢).
فقلنا: من الهاجمُ؟ فإذا شيخنا الناجمُ. يرقلُ في نيلِ المنى. وذيلِ
الغنى. فقمنا إليه مُعانقينَ وقلنا: ما وراءك يا عصام^(٣). فقال:

= أهلا بما ترتضيه	فى كل حال وسهلا
ليجزىــنك ودى	بمثل فعلك فعلا
إن شئت هجرا فهجرا	أو شئت وصلا فوصلا
صبرت عنى فانظر	ظفرت بالصبر أم لا
انى إذا الخلولى	وليته ما تولى

وعنه أخذ صاحب ابن عباد وتولى له كتابة خاصته . وتوفى سنة ٢٦٠ هـ .

(١) الجنائب : جمع جنيبة ، وهى الدابة التى يأخذها المسافر معه ليستريح إليها
إذا تعبت راحلته .

(٢) أى طلع علينا بغتة .

(٣) ما وراءك يا عصام : مثل يضرب عند الاستفسار عن أمر مرغوب فى
معرفة ، جهله السائل ، وعرفه المخاطب ، وعصام هو حاجب النعمان بن المنذر
منع النابغة الذبياني من الدخول عليه وهو مريض فقال له النابغة :

ألم أقسم عليك لتخبرنى	امحمول على النعش الهمام ؟
فانى لا الام على دخول	ولكن ما وراءك يا عصام
فان تهلك - ابا قابوس - يهلك	ربيع الناس والبلد الحرام

جِمالٌ مُوقرةٌ^(١) . وبِغالٌ مُثقلةٌ^(٢) . وَحِقائبٌ مُقفلةٌ^(٣) . وَأُنشأَ يَقُولُ :
مولاي أَيُّ رذيلةٍ لم يَأبها خَلْفٌ وَأَيُّ فَضيلةٍ لم يَأْتها^(٤)

(١) الوقرة : الحمل وأوقره :حملة والموقرة المحملة .

(٢) مثقلة : أى جعل عليها متاع كثير .

(٣) الحقائب : جمع حقيبة ، وهى الوعاء الذى يجعل فيه المسافر ثيابه وأمتعته ،
والمراد هنا مجرد الوعاء .

(٤) خلف بن أحمد : أحد الامراء الذين انتجعهم البديع ومدحهم ، وله فيه
قصائد شبيقة منها التى مطلعها :

لك الخير من طيف على النأى طارق
ألم بنا والليل فى درع ثاكل
فثرنا إلى الأكوار والعيس نوم
نهاجر دار العامرية والحمى
خيلى واهما لليالى وصرفها
ألم ترنى بعد النهى وبلوغها
إذا سجع القمرى راسلت لحنه

ثوبى ريثما ولى ولا لمع بارق
لواحدها والنجم فى لوز عاشق
تؤم بنا أقصى بلاد المشارق
إلى أرض غزلان الظبا والمناطق
لقد ثقفت إلا كعوب خلانقى
رجعت لأوطار الشباب الفرانق
بايقاع دمع للغناء موافق

ويقول فيها :

لعمري لئن من الوزير فإنما
إذا اقتنصت منه خراسان لفضة
يلح على شوس القوافى وصيدها
يمن على عبد بنعماه ناطق
أماطت نساء العرب در المخانق
فيلبسها ماء المعانى الدقائق =

ما يُسمعُ العافِينَ إِلَّا هَاكَهَا لفظًا وليسَ يُجابُ إِلَّا هَاتِهَا^(١)

على ملك ؟ ردت أذن في حمالقي

= أبعد وزير المشرقين أُردها

ومن قصائده فيه قوله :

سماء الدجى ما هذه الحدق النجل؟ أصدر الدجى حال ، وجيد الضحى عطل؟
لك الله من عزم أجوب جيويه كانى فى أجفان عين الردى كحل
كأن الدجى نقع وفى الجوحومة كواكبها جنـد طوائرها رسل
كأن الربى سكرى ولا سكر بالقرى كان الربى ثكلى ، وما بالربا ثكل
كان السرى ساق كأن الكرى طلا كأننا لها شرب كأن المنى نقل
كان بصدر العيس حقدًا على الثرى فمن يدها خبط ومن رجلها نكل
كأن أبانا أودع الملك الذى قصدناه كنزا لم يسع رده مطل
يقول فيه :

له الكنف المأمول والنائل الجزل
وخير له قصر ، ودر له نزل
بها للغواذى عن ولايتها عزل
لدى ، أجد ما تقولون أم هزل؟
بمثلك عن أمثالهم مثلنا يسلو

يقولون : وافى حضرة الملك الذى
فقيد له طرف ، وحلت له حبى
وفاضت عليه مطرة خلفية
يذكرهم بالله إلا صدقتم
طوينا للقياك الملوك وانما

(١) العافين : جمع عاف وهو طالب الفضل وتكسيـره عفاة ، وهاك : اسم فعل
معناه خذ ، والمعنى أن طلاب فضله والواردين على حضـرته لا يسمعون منه إلا
كلمة خذ الدالة على كرم زائد وسماحة لا تتناهى وهم لا يجيبونه بغير هات تلك
الكلمة التى تنبىء عن احتياجهم إليه .

إِنَّ الْمَكَارِمَ أَسْفَرَتْ عَنْ أَوْجِهِ

بيضٍ وكان الخال في وجناتها^(١)

بأبي شمائله التي تجلو العلا ويذا ترى البركات في حركاتها
من عدها حسنات دهر إنني ممن يعدُّ الدهر من حسناتها^(٢)
قال عيسى بن هشام : فسألنا الله بقاءه وأن يرزقنا لقاءه .
وأقام الناجم أياماً مقتصرًا من لسانه . على شكر إحسانه . ولا
يتصرف من كلامه . إلا في مدح أيامه والتحدث بإنعامه .

(١) الخال : نقطة سوداء تكون في الصدغ الأبيض وهي ما تتمدح بها الغواني وتكسبهن جمالاً وبهجة . ومعنى البيت أن الأمير زينة المكرمات وحلية الفضائل ، وإنما الرجال بصالح الأعمال ، فإذا افتخر الناس بالمكارم فإنها لتفتخر به .
(٢) المعنى : أنه إذا كان لانسان أن يعتبر فضائل هذا الأمير حسنة من حسنات الدهر فإنني أقول أن الدهر نفسه (وهو الذي يجود بالحسنات) حسنة من حسنات الأمير ذلك نهاية المبالغة في الأطراء .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ الخَلْفِيَّةُ

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لَمَّا وُلِّيتُ أَحْكَامَ البَصْرَةِ .
وَانْحَدَرْتُ إِلَيْهَا عَنِ الحَضْرَةِ^(١) . صَحِبَنِي فِي المَرْكَبِ شَابٌّ كَأَنَّهُ
العَافِيَةُ فِي البَدَنِ^(٢) . فَقَالَ : إِنِّي فِي أعْطَافِ الأَرْضِ وَأَطْرَافِهَا
ضَائِعٌ^(٣) لَكِنِّي أَعَدُّ مَعَدَّ أَلْفٍ^(٤) . وَأَقُومُ مَقَامَ صَفٍ . وَهَلْ لَكَ أَنْ

(١) تقدم عن البصرة كلام واف ، وانحدرت : سرت ، والحضرة : أراد بها ذات

الخليفة الذي ولاه شؤون البصرة أو مكان اقامته وهو بغداد

(٢) يريد أن هذا الشاب طيب العشرة ، وسيم الخلق ، غزير الادب كامل المروءة ،

بحيث يتمناه الإنسان مثلما يتمنى الصحة ، ويأسف لفراقه ؛ كما يأسف اذا
فارقته العافية .

(٣) اعطاف : جمع عطف - بكسر أوله - وهو الجانب ، والمعنى : أنه مهضوم

الحق ، مهيض الجناح ، ولا يعترف الناس له بفضله ، ولا يذعنون لكياسته ونبله .

(٤) المعنى : أن الحق أنتى لست فى المكانة التى أنزلنيها الناس ، وإنما أنا من

تَتَّخِذْنِي صَنِيعَةً^(١) . وَلَا تَطْلُبْ مِنِّي ذَرِيعَةً^(٢) . فَقُلْتُ : وَأَيُّ ذَرِيعَةٍ
أَكْدُ مِنْ فَضْلِكَ . وَأَيُّ وَسِيلَةٍ أَعْظَمُ مِنْ عَقْلِكَ^(٣) ؟ لَا بَلْ أَخْدِمَكَ

الشجاعة والاقدام ، وكمال الرجولية ، بحيث أسد مسد الالف فأنا من الذين
عناهم ابن دريد بقوله :

والناس ألف منهم كواحد وواحد كالألف أن أمر عنى

(١) الصنيع والصنيعة : الطعام والاحسان . والجمع : صنائع ، وتقول : هو
صنيعى وصنيعتى إذا أحسنت اليه وربيته وخرجته ويقال أيضاً : صنعت
الجارية - بالبناء المجهول - إذا أحسن إليها حتى سمت . وقوله تعالى :
(واصطنعتك لنفسى) أى أحسنت اليك لتقوم برسالتى .

(٢) تقول : فلان ذريعتى إلى فلان أى وسيلتى ، وقد تذرعت به إليه : توسلت .
ويقال أيضاً : أنا ذريع لفلان عند فلان أى وسيلة وشفيع . والمعنى : أفما ترى
أن تحسن إلى وتتعهدى ثم لا تطلب منى وسيلة غير الحفاوة بى والقيام
بشؤونى . هذا هو المعنى المتبادر ولا أدرى كيف يتفق مع الذى نعت به نفسه
قبل ذلك ؟ ولو حملت الذريعة على الوثيقة ونحوها لنتج من ذلك معنى صحيح
يناسب ما قبله وما بعده ولكننا لم نجد فى معاجم اللغة التى بايدينا الذريعة
معنى يساعد على ذلك .

(٣) المعنى أننى لم أكلفك شيئاً ، ولا أطلب منك - كما رأيت - وسيلة فإن
فضلك وعقلك كافيان .

خِدْمَةَ الرَّفِيقِ^(١). وَأَشَارِكُكَ فِي السَّعَةِ وَالضَّيْقِ^(٢). وَسِرْنَا لَمَّا
وَصَلْنَا الْبَصْرَةَ غَائِبَ عَنِّي أَيَّامًا فَضِيقْتُ لَغَيْبَتِهِ ذَرَعًا^(٣). وَلَمْ أَمْلِكُ
صَبْرًا. فَأَخَذْتُ أُفْتَشُ جُيُوبَ الْبَلَدِ حَتَّى وَجَدْتُهُ^(٤). فَقُلْتُ : مَا
الَّذِي أَنْكَرْتَ؟ وَلِمَ هَجَرْتَ^(٥)؟ فَقَالَ : إِنَّ الْوَحْشَةَ تَقْدَحُ فِي الصُّدْرِ
اِقْتِدَاحَ النَّارِ فِي الزَّنْدِ^(٦). فَإِنْ أُطْفِئَتْ نَارَتْ وَتَلَاشَتْ . وَإِنْ

(١) يروى الرقيق بقافين وهذه الرواية واضحة المعنى ويروى الرقيق بالفاء
الموحدة ، ومن معانيه : العبد ، وحينئذ فالمعنى جلى .

(٢) المعنى : لا أبخل عليك بما بيدي إذا اثريت وأواسيك بطيب عشرتي إن
أملحت. (٣) ضاق بالامر ذرعا وذرعا : أى لم يطقه ، ولم يقدر عليه .

(٤) جيب الارض : مدخلها ، وجمعه جيوب ، والمعنى أنه حينما فارقنى داخلتنى
الوحشة ، وزاد بى الغم ، فعيل صبرى ، ولم أستطع نسيانه ولا السلو عنه ،
فخرجت فى طلبه أبحث عنه ولم أترك مدخلا للبلد ولا منعظفا إلا ولجته ، إلى أن
هدتنى اللطاف اليه .

(٥) المعنى : أى شىء حملك على هجرانى وتركى ، وما الذى رأيت منى فلم
يعجبك ، ولم يرق فى نظرك .

(٦) الوحشة : الخلوة ، والغم ، والخوف ، وانقباض النفس عند استنكارها أمرا
تكرهه ، وتقْدَحُ : تشتعل ، أو تظهر ، والزند : العود الذى يقْدَحُ به النار ،
وجمعه زناد أو أزند وازناد . والمعنى : أن الالم ليتوقد فى الصدر كما تتوقد
النار اذا احتك الزناد .

عاشت. طارت وطاشت^(١). والقطر إذا تتابع على الإناء امتلاً
وفاض^(٢). والعتب إذا ترك فرخ وباض^(٣). والحر لا يعلقه شرك
كالعطاء ولا يطرده سوط كالجفاء^(٤). وعلى كل حال ننظر من

(١) بادت : هلكت ويروى نارت : ومعناه انهزمت على تشبيه الوحشة أو النار
بالرجل المنهزم أمام عدوه ، وتلاشت : تضاءلت وانمحت آثارها ، وطارت :
ارتفعت ، وطاشت : حمقت ، والمعنى : أن النار إذا بودرت قبل أن تلتهب ،
وعولجت من قبل أن يندلع لسانها ويرتفع شواظها فلا بد أن تنكسر حدتها
وتضمحل قواها فتعفوا آثارها ، فأما اذا تركت وشأنها ولم تتخذ الحيطة لها
فإنها لا تترك سبدا ولا لبدا ولا تبقى ولا تذر ، وكذلك نار الاحقاد والآلام .

(٢) القطر : المطر ، تتابع : توالى وفاض : زاد حاجته ، والمعنى : أن توالى
المطر وهو نعمة يعقب ضررا إذا زاد عن الكفاية فكيف بك اذا توالى البأساء
والضراء واذا كان الاناء يرمى الزائد عن سعته فلا بد أن يفجر الوحشان
(المغتم) وشديد الضغط يعقبه انفجار دائما .

(٣) أفرخت البيضة وفرخت : انشقت عن الفرخ ، والطائرة اذا صار لها فرخ ،
والعتب والعتبة - بالتحريك - : الامر الكريه من الشدة والبلاء . يقال حمل فلان
فلانا على عتبة أى على شدة وكريهة . وفى حديث عائشة (إن عتبات الموت
تأخذها) أى كروبه وشدائده والمعنى أن الكربات والشدائد اذا لم يعمل المرء على
ازالتها تولدت عنها شرور ومساو وأصبح كبجها بعد ذلك عسيرا .

(٤) لا يملك الحر ويستهويه أكثر من الاحسان ولا يسيئه وينفره سوى الاساءة ،
وأحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم .

عالٍ على الكريمِ نظرَ إدلالٍ. وعلى اللئيمِ نظرَ إذلالٍ^(١) فمن لقينا
بأنفٍ طويلٍ لقيناهُ بخُرطومٍ فيلٍ^(٢). ومن لحظنا بنظرٍ شزرٍ
بعناهُ بثمنٍ نزرٍ^(٣).

(١) الإدلال - بالدال المهملة - ومثله الدلال : التعزز على من لك عنده منزلة ،
وفى الحديث : يمشى على الصراط مدلاً (أى منبسطة لا خوف عليه)، ولعله
مأخوذ من الدال وهو الهدى والسمت عبارة عن الحالة التى يكون عليها المرء
من السكينة والوقار وحسن السيرة والطريقة واستقامة المتظر والهيئة والأدلال
- بالذال المعجمة - الاحتقار ، والاهانة ، والأزدراء ، وتهوين الشأن ، والمعنى :
أنه يجعل الناس فى المعاملة على قسمين فيعامل كل صنف بما يليق له ويلائمه
فيتعزز على الكريم ويدل عليه وينأى عن اللئيم ويحقره وهو بهذا يشير إليه بأنه
من الكرام الذين تجب الدالة عليهم ، وينبغى فى حقهم التيه .

(٢) يقال : شمخ الرجل بأنفه إذا كان متكبراً صلفاً ، والشموخ الارتفاع وأصله
من قولهم : جبل شامخ أى مرتفع عال ولبعضهم :

ترى شمخ الأطواد من شمخ خندف ذراهن فى ضحضاح بحرك تفرق

فهم يكونون بشموخ الأنف عن الارتفاع والتكبر ، وخرطوم الفيل : أنفه مع شفته
العليا وهما بالغان الغاية فى الطول ، والمعنى : أن الذى يتكبر علينا ويزور
بجانبه عنا نعامله من جنس هذه المعاملة ونكيل له بكيله بل نفوقه صلفاً وإباء
وكبراً والكبر على أهل الكبر صدقة .

(٣) اللحظ : النظر بشق العين مما يلي الصدغ ويسمى اللحاظ فاما الذى يلي =

وَأَنْتَ لَمْ تَغْرِسْنِي لِيَقْلَعَنِي غِلَامُكَ^(١). وَلَا اشْتَرَيْتَنِي لِتَبْيِعَنِي
خِدَامُكَ^(٢). وَالْمَرْءُ مِنْ غِلْمَانِهِ كَالْكِتَابِ مِنْ عُنْوَانِهِ^(٣) فَإِنْ كَانَ

= الانف فالقوق والماق ، وأراد منه هنا مجرد النظر ، والنظر الشزر . أكثر ما
يكون في حال الغضب وإلى الاعداء والنزر : القليل والبخس ، والمعنى : أن حقا
علينا أن من تأفف منا أو سئمنا فعاف عشرينا غير أسفين عليه ولا متألمين له .

(١) شبه نفسه بالشجرة التي يغرسها الانسان وكأئه أراد من ذلك أن من زرع
لا يزال يتعهد زرعته بالسقى إلى أن ينمو ويشتد ويحافظ عليه ويمنع عنه الايدي ،
والمعنى : انك لم تكلف نفسك عناء معاشرتي ، والقيام على ، وتأدية شؤوني
لتتركني إلى خدمك فيسيئوا إلى وتحمل رعايتي إليهم فيهملوا أمرى .

(٢) هذه الفقرة كالتى قبلها ، وشبه نفسه هنا بالشيء الذى يشتريه ويدفع المرء
فيه ماله وذلك يكون مدعاة إلى الاحتفاظ به والخوف عليه :

(٣) المعنى : أن خدم الانسان ينبئون عن أخلاقه ويدلون على خفيه كالكتاب اذا
خفى دل عليه عنوانه ، وهذا ضد الذى يقوله بعض الناس اذا حسنت أخلاق
السيد ساءت أخلاق المسود . وللعباس بن الاحنف فى التشبيه بالكتاب ودلالة
العنوان عليه :

لا جزى الله دمع عيني خيرا وجزى الله كل خير لسانى

كنت مثل الكتاب أخفاه طى فاستدلوا عليه بالعنوان

جفاؤُهُمْ شَيْئًا أَمَرْتَ بِهِ فَمَا الَّذِي أَوْجَبَ؟ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ عَلِمْتَ بِهِ
كَانَ أَعْجَبَ^(١)!! ثُمَّ قَالَ :

ظَفَرَتْ يَدَا خَلْفِ بْنِ أَحْمَدَ إِنَّهُ سَهْلُ الْفَنَاءِ مُؤَدَّبُ الْخَدَّامِ^(٢)
أَوْ مَارَأَيْتَ الْجُودَ يَجْتَازُ الْوَرَى وَيَحُلُّ مِنْ يَدِهِ بَدَارَ مَقَامِ^(٣)

(١) أى أن أمرك دائر بين أن تكون أوعزت إلى خدمك بالاساءة إلى ومعاملتى
بالشر وهذا عجيب جدا لانه لا سبب يدعو إلى مثل هذه المعاملة وبين أن يكونوا
قد صنعوا ذلك من عند أنفسهم وبغير علمك وهذا أكثر عجا وأشد غرابة اذ
كيف يتصرف الخادم تصرفا لم يأمره به سيده ، أو يعمل عملا لا رغبة لمولاه
فيه. (٢) اليد آلة القوة وواسطة البطش ولذلك يعبرون بها عن ذلك ويكونون عن
القوة والمنعة ووفر النعمة ورخاء العيش بمثل : اشتد ساعده ، وقويت يده
وظفرت يده، وما أشبه ذلك وفى ضد ذلك تربت يد ، وأمحلت ، وضعفت ،
ويقولون فلان رحب الفناء - بكسر أوله - : المتسع أمام الدار ويجمع على أفنية
بوزن كساء وأكسية، والمعنى : إنه يدعو لخلف بالخصب والنماء والقوة لانه كريم
حسن الوفادة كثير الزوار ومع هذا فإن خدمه مؤدبون لا يسيئون إلى أحد ولا
يمل منهم طارق، وفيه تعريض بعيسى.

(٢) جاز المكان يجوزه : تعدها إلى غيره واجتازه كذلك ، والمقام والاقامة : المكث
والبقاء ، والمعنى : أن الكرم وطيب الاخلاق وشريف الخلال تمر بالناس جميعا
لا تعرج عليهم ولا تقع بساحتهم فإذا بلغت الامير القت عصاها عنده وبقيت لديه
لا تحول ولا تتحول وفى البيت كناية عن نسبة صفة الكرم اليه كقولهم : المجد
بين برديه ، والكرم حشو ثوبيه ، والسؤدد طوع يديه ، وكقول الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى فى قبة ضربت على ابن الحشرج

قَالَ عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ : ثُمَّ أَعْرَضَ وَتَبِعَتْهُ أُسْتَعْطَفُهُ^(١) وَمَا زِلْتُ
الْأَلْفَةَ^(٢) حَتَّى انصَرَفَ . بَعْدَ أَنْ حَلَفَ أَنْ لَا أُورِدَتْ مِنْ أَسَاءِ
عَشْرَتِهِ^(٣) . فَوَهَبْتُ لَهُ حُرْمَتَهُ^(٤) .

(١) أَعْرَضَ : المراد منه سار معرضاً ، واستعطفه : أطلب منه العطف وهو الميل
والشفقة ، والمعنى : أنه تركنى ومضى متألماً مما حدث له مظهراً الاعراض عنى
فلم أستطع أن أتركه بل سرت إليه ومازلت به أطلب منه ألا يحمل فى نفسه
شيئاً و ألا يكون خطأ الخادم معه مدعاة إلى التقاطيع والنفور .

(٢) الألفه : استعمل فى استعطافه اللطف وهو الرفق ، واللين والهدوء .

(٣) انصرف : ذهب إلى قصده ، وحلف - بالتخفيف - : أقسم وأوردت :
أحضرت ، والمعنى أنه تركنى سائراً فى طريقه بعد أن أقسم على ألا يبقى عندى
ولا ينتظر بحضرتى ذلك الخادم الذى أهانه وأساء معاملته وكأنه أقسم عليه
لثقتة وكرم أخلاقه وشرف طباعه ومن كانت تلك سجاياه فإنه يبر الناس فى
قسمهم ويجيبهم إلى طلبتهم .

(٤) حرمة الرجل : كرامته وكأن أصله حرمة الرجل لحرمة أهله لانهم موضع
إهانته وكرامته . ومعنى وهبته حرمة : أعطيته كرامته ومنحتها له وكأنما كان
مفقودها بسبب سوء المعاملة فأرجعها إليه بما صنع من طرد الخادم .

المَقَامَةُ النَّيسَابُورِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ بِنَيْسَابُورَ^(١) يَوْمَ جُمُعَةٍ فَحَضَرْتُ الْمَفْرُوضَةَ^(٢) وَلَمَّا قَضَيْتُهَا اجْتَازَ بِي رَجُلٌ قَدْ لَبَسَ دَنِيَّةً^(٣) وَتَحَنَّكَ سَنِيَّةً^(٤). فَقُلْتُ لِمَصَلِّ بَجَنَبِي: مَنْ هَذَا؟ قَالَ : هَذَا

(١) نيسابور : إحدى مدن مملكة إيران .

(٢) المفروضة: الصلاة وأراد بها صلاة الجمعة .

(٣) اجتاز : مر ، والدنية - بتشديد النون والياء جميعا: قلنسوة طويلة يلبسها القضاة وكأنها منسوبة إلى الدن ، وليست هذه اللفظة من كلام العرب وإنما هي من الالفاظ المستعملة في العراق - حينذاك - وقد استعملها شعراؤهم كثيرا .
قال ابن لنك :

نفسى تقيك أبا الهندام يا أملى أنى بكل الذى ترضاه لى راضى
ما كان . . . فقيها اذ ظفرت به فكيف ألبسته دنية القاضى
وقال الصابى : وفوقه دنية تذهب طورا وتجى

(٤) تحنك : جعل عمامته تدور من تحت حنكه ، والسنية المنسوبة إلى أهل السنة.

سُوس لَا يَقَعُ إِلَّا فِي صُوفِ الْإِيْتَامِ^(١). وَجَرَادٌ لَا يَسْقُطُ إِلَّا عَلَى
الزَّرْعِ الْحَرَامِ^(٢) وَلِصٌّ لَا يَنْقُبُ إِلَّا خَزَانَةَ الْأَوْقَافِ^(٣). وَكُرْدِيٌّ لَا

(١) السوس : نوع من الودود ، وتقول المشهور أن الذي يأكل الصوف ونحوه من
الثياب نويبة تسمى : (الأرضة) وأن السوس يأكل الطعام ونحوه قال الشاعر:

فقد أطعمتني دقلا حوليا مسوسا مدودا حجريا

وحجريا : منسوباً إلى حجر قصبه اليمامة . وقال آخر :

آليت حب العراق الدهر أطعمه والحب يأكله في القرية السوس

غير أن القاموس فسره بأنه نود يقع في الصوف . وقال : وأرض الخشب -
كعنى - أكلته الأرضة لدويبة معروفة وهذا يدل على أنه يجوز أن يقال : سوس
وأرض لكل شيء . والمعنى : أن هذا القاضى خبيث لئيم دنىء يقع في
الصوف - وأراد به الاموال - فيأكله ويفسده ولكنه لا يختار إلا صوف الايتام
وأموالهم لأنه لا يوجد لليتيم من يدافع عنه ويحاسب له .

(٢) الجراد : معروف ويقال للذكر والانثى وهو ينزل بالزرع فيهلكه ومنه قيل :
سرحة لم تجرد أى لم تصبها آفة تأكل ثمرتها ولا ورقها ، وقيل : جردت الأرض
فهى مجرودة أى أصابها الجراد وأهلكها ، والمراد تشبيه ذلك القاضى به فى
أكله الأموال وإهلاكها فهو يقول انه كالجراد الذى ينزل بالزرع فلا يترك فيه
ثمرة نافعة ثم انه لا ينزل بالزرع المباح بل يختص الحرام منه زيادة فى تشنيع
حاله .

(٣) اللص : السارق ، والمعنى أن هذا الرجل يشبه اللص فى أخذه أموال =

يَغِيرُ إِلَّا عَلَى الضَّعَافِ^(١). وَذَنْبٌ لَا يَفْتَرِسُ عِبَادَ اللَّهِ إِلَّا بَيْنَ
الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ^(٢). وَمَحَارِبٌ لَا يَنْهَبُ مَالَ اللَّهِ إِلَّا بَيْنَ الْعُهُودِ
وَالشُّهُودِ^(٣). وَقَدْ لَبَسَ دَنِيَّتَهُ. وَخَلَعَ دِينِيَّتَهُ^(٤). وَسَوَى طَيْلَسَانَهُ.

= الناس واختلاسها ولكنه لا يسطو الا على ما اشتد الحظر عليه وزادت حرمة
انتهابه كأموال الاوقاف المرصودة لمنافع الناس العامة .

(١) الاكراذ : جيل من الناس فى طبعهم النذالة ، ودناءة النفس فهم أشد الناس
ميلا إلى النهب وسلب الاموال . وهذا القاضى يشبههم فى ذلك غير أنه لا يسطو
على جميع الناس بل يختص بنهبة الضعاف والعجزة الذين لا يقدرّون على
مغالبتة ولا يجسرون على مجالدته . فأما الأقوياء والذين لهم شوكة فهو يمنحهم
فوق حقوقهم ليتستروا عليه ، ويعاونوه على ظلمه .

(٢) ذنب : المراد به انسان يشبه الذئب فى الخبث ، والذئب أخبث الحيوانات
وأردأها ومن ثم سمي صعايلك العرب وشطارهم بالذؤبان ، والمعنى : أنه
يتظاهر بالصلاح والتقوى والخشية من الله والخوف من عذابه ولكنه يعمل عمل
الذين ليس فى قلوبهم شىء من الشفقة ولا تداخلهم الرحمة بعباده فهو يسطو
على الناس وهو راعك وساجد .

(٣) العهود : العقود والمواثيق ، والمعنى أنه يحتال على الناس بصور خداعة
يوهمهم أنها شرعية ليقتنص أموالهم ويستفيدا لنفسه ، والحقيقة أن هذه
الاشياء متصنعة صورية لا تتفق مع الشرع فى شىء .

(٤) دينيته : صفته الدينية، والمعنى : أنه قد ارتدى رداء القضاة ورجال الدين =

وَحَرْفَ يَدِهِ وَلِسَانَهُ^(١) . وَقَصَّرَ سَبِيلَهُ وَأَطَالَ حَبَالَهُ^(٢) . وَأَبْدَى
شَقَاشِقَهُ وَغَطَّى مَخَارِقَهُ^(٣) .

= ولبس لبوسهم وتزى بزيتهم ولكنه قد ترك حقيقة صفاتهم ونبذ صالح أعمالهم
التي لا يلائمها ما يفعله من ابتزاز الاموال ونهبها .

(١) الطيلسان : لباس أخضر يلبسه الخواص من النساك ، وتطلس : لبسه ،
وسواه : وضعه كما ينبغي أن يوضع ، وحرف يده ولسانه : أى حددهما كناية
عن تهيئته واستعداده للاختلاس وإيقاع الناس فى شباكه .

(٢) السبال - بوزن صحاب - جمع السبلة بالتحريك وهى الشارب ، وتقصيره
من سيما الصالحين ، وعلامات الوراغ والاتقياء ، وقال الهروى : هى الشعرات
التي تحت اللحي من الاسفل ، والسبلة عند العرب مقدم اللحية وما أسبل منها
على الصدر، وليس ذلك مراداً هنا لأن تقصير هذا ليس من شارات الزهاد ،
وأطال حباله : أى شباكه التي يصيد بها الناس .

(٣) الشقاشق : جمع شقشقة بكسر الشينين وأصلها النفاحة التي يخرجها
فحل الابل من حلقه عند هياجه ورغائه يرجع فيها هديره ثم قيل للخطيب الذي
فى لسانه ذراية أنه لئو شقشقة تشبها بالفحل الكثير الهدير .
وقال الاخطل :

إذا هدرت شقاشقه ونشبت له الاظفار ترك له الهدار

(أراد نشبت وترك فخفف باسكان الشين والراء) ويقال : مخرق الرجل : أى
أوهم أنه على حق وصواب وهو على خلافهما ، والمخرقة منه وجمعها مخارق =

وَبِيضَ لِحِيَّتِهِ. وَسَوْدَ صَحِيفَتِهِ^(١). وَأَظْهَرَ وَرْعَهُ. وَسَتَرَ طَمَعَهُ^(٢).
 قُلْتُ : لَعَنَ اللَّهُ هَذَا فَمَنْ أَنْتَ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ أَعْرَفُ
 بِالْإِسْكَانْدَرِيِّ. فَقُلْتُ : سَقَى اللَّهُ أَرْضًا أَنْبَتَتْ هَذَا الْفَضْلَ. وَأَبًا
 خَلَفَ هَذَا النَّسْلَ. فَأَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ : الْكَعْبَةَ. فَقُلْتُ : بَخٍ بِخٍ بِأَكْلِهَا
 وَلِمَا تُطْبَخُ^(٣). وَنَحْنُ إِذَا رَفَاقٌ^(٤). فَقَالَ : كَيْفَ ذَلِكَ وَأَنَا مُصْعَدٌ

= قيل: وهى كلمة مولدة . والمعنى : أن هذا القاضى أظهر ذرابة لسانه ،
 وفصاحة منطقته وقوة بيانه لاستجلاب الناس والتفافهم حوله وأخفى كذبه وباطله
 فى نفسه

(١) بيض لحيته : أى أنه عاش طويلا حتى ابيضت ولكنه لم يعمل عملا صالحا
 فى حياته كلها بل كل أعماله شرييرة فاسدة فهو قد لوث صحيفه ذكره
 وتسويدها كناية عن ذلك .

(٢) المعنى : أنه أظهر للناس تعففه عن الدنيا وميله إلى ثواب الآخرة وأخفى
 عنهم أغراضه ونياته الخبيثة . (٣) بَخٍ كَقَدِ أَى عَظَمَ الأَمْرَ وَفَخَمَ تَقَالَ وَحَدَهَا
 وَتَكَرَّرَ بَخٍ بَخٍ الأَوَّلُ مَنُونٌ وَالثَّانِي مَسْكَنٌ وَقَالَ فِى الأَفْرَادِ بَخٍ سَاكِنَةٌ وَبَخٍ مَكْسُورَةٌ
 وَبَخٍ مَنُونَةٌ وَبَخٍ مَنُونَةٌ مَضْمُومَةٌ وَيُقَالُ بَخٍ بَخٍ مَسْكِنِينَ وَبَخٍ بَخٍ مَنُونِينَ وَبَخٍ بَخٍ
 مَشْدِيدِينَ : وهى كلمة تقال عند الرضا والاعجاب بالشىء أو الفخر والمدح ،
 وقوله بأكلها ولم تطبخ معناه ، أن ثوابها وعظيم أجرها (والضمير للفعله
 الصالحة المفهومة عند الكلام) يحصل لك قبل الفعل فكيف بك بعده .

(٤) رفاق : جمع رفيق بوزن كريم وكرام ، والرفيق : الصاحب ، والصديق ، =

وأنت مصوبٌ^(١)؟! قلتُ: فكيف تصعدُ إلى الكعبةِ: (٢)؟ قالَ : أما
أنى أريدُ كعبةَ المحتاجِ. لا كعبةَ الحجاجِ^(٣). ومشعرَ الكرمِ. لا

= والذي يعاونك فى عملك مأخوذ من الرفق وهو لين الجانب ، ولطافة الفعل ،
ويقع الرفيق على الواحد والجمع تقول : وهو رفيقى ، وهم رفيقى كما تقول : هم
رفقائى ، ورفاقى ، وفى التنزيل : (وحسن أولئك رفيقا). والمعنى : انك تقصد
الكعبة وأنا أقصدها وقد شملت منك ربح النبل وكرم الخلق فهلا كنت رفيقى فى
ذلك السفر .

(١) مصعد : أى ذاهب نحو الشمال من الصعود وهو الارتفاع ، ومصوب :
سائر نحو الجنوب من قولهم صوب إذا تسفل ، وقال أبو النجم : تصوب الحسن
عليها وارتنقى ، والمعنى : أنه لا سبيل إلى مرافقتك ، والسير معك لان طريقنا
غير واحدة .

(٢) المعنى : أنه عجيب جدا أن تقول انك مصعد فى حين أنك ذكرت لى أنك
انما تقصد الكعبة والسائر إليها يكون مصوبا لا مصعدا .

(٣) كعبة المحتاج : أى مقصد العفاة والعائذين ، وطلاب المكارم ، ورأئدى
الجود ، والمعنى: أننى لم أقصد بالكعبة ذلك المعنى الذى يتبادر إلى ذهنك وهى
التي يؤمها الحجاج لقضاء النسك ولكننى قصدت معنى آخر وهو المكان الذى
يلجأ إليه نوح الحاجة والمعوزين.

مشعرَ الحَرَمِ^(١). وبيتَ السَّبِيِّ لا بيتَ الهُدَى^(٢). وقبلةَ الصَّلَاتِ. لا
قبلةَ الصَّلَاةِ^(٣). ومنى الضَّيْفِ. لا منى الخَيْفِ^(٤).

(١) شعائر الحج : علاماته وآثاره ومعالمه التي ندب الله إليها وأمر بالقيام عليها
ومن الاخير سمي المشعر الحرام لأنه معلم للعبادة وموضع تؤدي فيه وفي
التنزيل : (فاذكروا الله عند المشعر الحرام) وهو الجبل الذي يقف عليه الامام
وعليه المقيدة (مكان النار التي يشعلونها للاستضاءة) والمعنى : اننى قصدت
موضع الكرم والبذل والسخاء وإسداء المعروف وحسن العطاء ولم أقصد المعنى
الذى يتبادر إلى ذاكرتك وهو موضع أداء بعض شعائر الحج .

(٢) السبى : السبايا التي يغنمها الجيش بانتصاره على عدوه ، والهدى : ما
يساق إلى مكة من النعم لتنحر وواحدة : هدية ، وجمعه : اهداء والمعنى : اننى
اقصد بمسيرى بيتا تساق السبايا إليه لا بيتا تنحر البدن عنده .

(٣) الصلاة - بكسر أوله - : جمع صلة وهى المنحة ، والهبة ، والعطية ،
والصلاة - بفتح الأول - : المفروضة التى هى إحدى فرائض الدين ، والقبلة :
التي يتوجه إليها ، والمعنى : لا تظن اننى متوجه إلى ذلك المكان الذى يتوجه
نحوه المصلى حين صلاته ولكنما أنا سائر إلى المكان الذى تكون فيه الهبات
والعطايا .

(٤) منى - كالى وتصرف - : قرية بمكة سميت بذلك لما يمنى بها من الدماء =

قلتُ : وأينَ هذه المكارمُ؟ فأنشأُ يقولُ :

بحيثُ الدينُ والملكُ المؤيدُ وخذُ المكرّماتُ به مُوردٌ^(١)
بأرضٍ تنبتُ الأمالُ فيها لأنَّ سحابها خلفُ بنِ أحمدٍ^(٢)

= والخيف ناحية منها وهو غرة بيضاء في الجبل الاسود الذي خلف أبي قيس ، وأصله ما ارتفع عن مجرى السيل عن غلظ الجبل وجمعه خيوف ، وهناك مسجد سمي بمسجد الخيف لوقوعه في سفح الجبل عند ذلك المكان ، وأضاف منى إلى الضيف إشارة إلى كثرة عدد الواردين على حضرته ، والمعنى : اننى لا اقصد بما ذكرت لك أنى أخذ فى طريقى إلى منى التى يسير إليها من يقضى فريضة الحج ولكنى أردت منى التى يذهب إليها الضيفان ويسيرون نحوها .

(١) يروى والملك المؤيد - بالياء المثناه - أى المنصور ويروى الملك المؤيد - بالباء الموحدة - أى الدولة الباقية ، وقد شبه المكرّمات بانسان يتفرق فى وجهه ماء الشباب وتجرى فيه الصحة والعافية ، ويتقلب فى أعطاف النعمة والرفاهية وكنى بتورد خذه عن ذلك كله ، جعل سبب التورد فى خد المكرّمات ممدوحه المقصود بالتوجه إليه فكأنه يقول : أنه حلية المكارم ، وأن بقاءها ودوامها بوجوده وبقائه .

(٢) السحاب : المطر ، والمعنى : أن هذه الارض التى أيممها منبت الأمال ، ومغرس الأمانى لان الذى يجودها ويتعهدا هو خلف بن احمد الذى لا يخيب عنده قاصد ، ولا يضل بساحته سالك ، ولا يضيع لديه رجاء .

المَقَامَةُ العُلْمِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي بَعْضِ مَطَارِحِ الْغُرْبَةِ
مَجْتَازًا فَإِذَا بِرَجُلٍ يَقُولُ لِآخَرَ : بِمِ أَدْرَكَتَ الْعِلْمَ ؟ وَهُوَ يَجِيبُهُ^(١)
قَالَ : طَلَبْتُهُ فَوَجَدْتُهُ بَعِيدَ الْمَرَامِ^(٢) . لَا يَصْطَادُ بِالسَّهَامِ^(٣) . وَلَا

(١) مطارح : مواضع ، الغربة : البعد عن الأهل ، والنأى عن الوطن ، مجتازا
مارا وسائرا ، والمعنى : أنتى كنت أسير يوما فى بعض الأماكن التى رمانى بها
الانتزاح عن ديار الأهل والاحباب ، وأدنتنى إليها مفارقة الوطن فلقيت رجلين
وقف أحدهما يسأل صاحبه وأخذ الثانى يجيبه .

(٢) المرام : المطلب ، وقد رام الشىء - من باب قال - : طلبه
ورغب فيه ، والمعنى أن مطلبه عسير ، والرغبة فيه شاقة فكيف بنواله
والحصول عليه .

(٣) المعنى : أن القوة ، وسلامة الاعضاء ، والقدرة على الرماية وغيرها اشياء لا
تكفى ولا تنفع فى تحصيل العلم والوقوف على أسرارهِ لأنه ليس كالطائر الذى
يقع بمجرد تسديد السهم إليه وإصابته به .

يُقَسَمُ بِالْأَزْلَامِ^(١). يُرَى فِي الْمَنَامِ^(٢). وَلَا يَضْبُطُ بِاللِّجَامِ . وَلَا يورثُ عن الأعمام^(٣). وَلَا يَسْتَعَارُ مِنَ الْكِرَامِ . فَتَوَسَّلْتُ إِلَيْهِ

(١) الأزلام : قدام الميسر أو القدر الذي كان العرب يستقسمون عند أصنامهم. وكان الرجل منهم يضعها في وعاء له (وهي مكتوب عليها الأمر والنهي : افعل ، ولا تفعل) فإذا أراد سفرا أو زواجا أو أمرا مهما أدخل يده فأخرج منها زلما فان خرج الأمر مضى لشأنه وان خرج النهي كف عنه ولم يفعله ، وقدام الميسر عشرة سبعة منها رابحة وأكثرها نصيبا المعلى ولذلك يقولون : أحرز فلان القدر المعلى إذا نال حظا وافرا وثلاثة لاحظ لها قال بعضهم يصف سوء حظه ونكد طالعه :

لى سهام ليس فيهن ربيع هن وغد وسفيح ومنيح
وكانوا ينحرون جزورا ويقسمونه أقساما يجعلون لكل قدر من الرابحة قسما
يختلف باختلافها ثم يجلسون إلى الشراب ويحيلون القدر فايهم خرج له واحد
منها أخذ نصيبه ، والمعنى أن العلم ليس شيئا ينال بالمقامرة والحظ وسعادة
الجد ولكنه يتوصل إليه بالدأب والجد في العمل والسعى إليه .

(٢) أى أنه ليس خيالات أو رؤى وأطيافا تمر بك في نومك وأنت مستريح هادىء
بل لا بد من متابعتة السهر وادمان المطالعة وكثرة البحث .

(٣) الترككات تصل إلى الوارثين من غير نصب ولا اجهاد ، وكذلك العاربة لا
يتحمل المستعير فى الحصول عليها شيئا من المشقة ، وقد كنى بالجملتين عن
عدم التمكن من العلم مع الراحة ونفى السعى والاجتهاد .

بافتراضِ المدرِ^(١) . واستنادِ الحجرِ . وردُّ الضجرِ وركوبِ الخطرِ
وإدمانِ السهرِ . واصطحابِ السفرِ . وكثرةِ النظرِ . وإعمالِ
الفكرِ . فوجدتهُ شيئاً لا يصلحُ إلا للغرسِ . ولا يغرسُ إلا فى
النفسِ^(٢) . وصيداً لا يقعُ إلا فى الندرِ . ولا ينشِبُ إلا فى
الصدرِ^(٣) . وطائراً لا يخدمهُ إلا قنصُ اللفظِ . ولا يعلقهُ إلا شركُ

(١) المدر : قطع الطين اليابس ، وبه سُمى ذلك الرجل اللئيم البخيل وهو أحد
بنى هلال بن مالك بن صعصعة (مادرا) لانه سقى أبه فبقى فى الحوض قليل
من الماء فسلح فيه وجعل يرمى فيه المدر وبه يضرب المثل فى البخل ، والمعنى أنه
لم يجد وسيلة أتجح للحصول على العلم من المشقة والجهد الطويل وعدم الدعة
والكسل وقد كنى عن ذلك بما ذكره من اصطحاب السفر وكثرة النظر وغيرهما .
(٢) المعنى : أنه بعد أن عرف العلم وتذوقه أدرك أن الحصول عليه جملة واحدة
أمر غير ممكن ولا يستطيع السبيل إليه وإنما الذى يتأتى هو أن يغرس ثماره ثم
لا يزال يتعهددها بالسقى والنماء حتى تينع وتورق ثم تتهدل أغصانها وتثمر
الثمر الطيب والجنى النافع المفيد وعلم فيما علمه أن مغرس هذه الثمار ومنبتها
لا يكون الا النفس .

(٣) الندر ، والنادر : القليل ، والمعنى أنه وجد أيضا أن مسائل العلم ومشكلاته
عويصة لا يتسنى الحصول عليها فى كل حين ولا تقع للباحث دائما ، وينشِب :
يعلق ، والمعنى : أنه لا يصيد العلم ويضبطه غير الصدور .

الحفظ^(١) . حملته على الروح وحبسته على العين^(٢) . وانفقت من العيش وخرنت في القلب^(٣) وحررت بالدرس^(٤) . واسترحت من النظر إلى التحقيق . ومن التحقيق إلى التعليق^(٥) . واستعنت في

(١) القنص في الاصل : الطائر والمراد به هنا : الفخ والشرك ، وقد قنصه - من باب ضرب - واقتنصه ، وتقنصه : صاده ، والقانص والقنيص والقناص : الصياد ، والمعنى : أن العلم كالطائر لكن لا سبيل لتصيده الا أشراك الالفاظ ولا طريق للحفاظ عليه وضبطه من الضياع غير الحفظ .

(٢) المعنى : أننى جعلت له مكانا لا زوال له ولا فناء ولا يصيبه ملل ولا إعياء وهو الروح وذلك أن أعضاء الجسم تتألم من الحمل ويثقل كاهلها طويل مدته فربما طرحت به وتركته ولكن الروح لا يعترها مثل هذا وربما صح أن المعنى أنه لم يقتصر على العلوم العقلية واللسانية بل أنه ضرب بسهم في العلوم التي تتغذى بها الروح وتتكمّل كفلسفة الاخلاق مثلا .

(٣) المعنى : أننى انفقت مالى وصرفت الذى أدخره لقوتى ومعيشتى فى سبيل الحصول على غذاء العقل وقوام القلب وهو العلم فإن كنت قد أصبحت خالى اليد صفر الاناء من متاع الدنيا فقد امتلأ عقلى علوما ومعارف .

(٤) أى حررت المسائل ووقفت على دقائقها وتبينت أسرارها وعرفت خباياها بالمدارسة والمذاكرة وكثرة المعاودة .

(٥) المعنى أننى كنت أنتقل من النظر فى المسألة ويحثها إلى اكتشاف حقيقتها واتضح كنهها على ما هى عليه ثم أتجاوز ذلك إلى تسطير رأى فيها وتكوين عقيدتى والتعليق عليها بما رأيت .

ذَلكَ بِالتَّوْفِيقِ . فَسَمِعْتُ مِنَ الكَلَامِ مَا فَتَّقَ السَّمْعَ وَوَصَلَ إِلى
القَلْبِ وَتَغَلَّغَلَ فى الصِّدْرِ . فَقُلْتُ : يَا فَتَى وَمَنْ أَيْنَ مَطْلَعُ هَذِهِ
الشَّمْسِ ؟ فَجَعَلَ يَقُولُ :

إِسْكَندَرِيَّةٌ دَارِي لو قَرَّ فِيهَا قَرَارِي
لَكِنَّ بِالشَّامِ لَيْلِي وَبِالعِرَاقِ نَهَارِي ^(١)

(١) المعنى : أن مطلعى ومكانى الذى منه نشأت وفيه درجت هو الاسكندرية
ولكنى لا أطيل البقاء بها فانا متنقل دائما فساعة ترانى بالعراق وأخرى تجدنى
بالشام والمراد مطلق التنقل إلى مطلق الجهات .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ الوَصِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لَمَّا جَهَّزَ أَبُو الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيّ
وَلَدَهُ لِلتَّجَارَةِ أَقْعَدَهُ يُوصِيهِ فَقَالَ بَعْدَ مَا حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ
وَصَلَّى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا بَنِيَّ إِنِّي وَإِنْ وَثِقْتُ
بِمَتَانَةِ عَقْلِكَ وَطَهَارَةِ أَصْلِكَ . فَإِنِّي شَفِيقٌ وَالشَّفِيقُ سِئَ الظَّنِّ (١)
وَلَسْتُ أَمِنُ عَلَيْكَ النَّفْسَ وَسُلْطَانَهَا . وَالشَّهْوَةَ وَشَيْطَانَهَا (٢)

(١) متانة العقل : حصافته ، وسداده ورجاحته ، وأصله من متن مشيء - من
باب ظرف - فهو متين : أى صلب ، واشتد ، وقوى ، والشفيق : رقيق القلب ،
والكثير العطف ، والمعنى : إننى متأكد من كمال عقلك ، ودقة نظرك ، عالم بأنك
لا تفرط ولا تضيع ، أمن عليك من الذى يخشاه الآباء على ابنائهم ولكنى مع ذلك
شديد الحنان عليك والرافة بك ، وسوء الظن من شدة الحب ، فلا بد لى أن
أنصحك وأوجه إليك بعض الحكم لتسترشد بها إذا اعوزتك الحيلة وعدمت
الوسيلة .

(٢) أى أن النفس أمارة بالسوء جلابة للمحن والبلايا وأن لها على الانسان
لسطانا نافذا وأمرًا مطاعا ودعاء مستجابا ، وأن الطبيعة الانسانية داعية إلى =

فاستعن عليهما نهارك بالصوم . وليلك بالنوم . إنه
لبؤسُ ظهارتهُ الجوعُ . ويطانتهُ . الهجوعُ^(١) . وما لبسهما
أسدٌ إلا لانتُ سورتُهُ^(٢) . أفهمتُهُما يا ابنَ الخبيثةِ ؟
وكما أخشى عليكَ ذاكَ فلا آمنُ عليكَ لصينٍ : أحدهما

= الشر سالكة بصاحبها طريق التهلكة ، وأن غوايتها امر لا يستطاع له رد ولا
يملك معه حزم فاذا توفرت فيك الدواعي إلى المفاصد والآثام فاقمع ذلك بالصوم
عامة نهارك والنوم ليلك فإن الصوم وكاء المعصية والنوم حاجز من التمادى فى
الضلالة والسير مع الشيطان .

(١) أنه - أى الحال الذى ينبغى أن يكون عليه الشباب والطريق الذى لا محيص
له من سلوكه - يشبه اللباس فى عمومه وشموله فيجب أن تتخذ ظهارته - أى
وجهه الذى ينظره الناس وييصرونه - من الجوع لانه يكسر القوة ويقلل من
الداعية إلى الشهوات ويضعف البنية ويهد العزيمة وظهارته - أى وجهه المختفى
الذى لا يطلع عليه الناس - من الهجوع وهو النوم لانه مدعاة الانصراف عن
أماكن اللهو ومجامع الفسق ومواضع الفجور .

(٢) الاسد . من السداد وهو التوفيق للصواب والقصد من القول . والعمل ،
والسورة : الشدة . والسطوة . والاعتداء ، والمعنى : أنه ما ارتدى أحد من
القاصدين من أعمالهم برداء الجوع والنوم الا وجد مغبتهما حميدة وعقباهما
نافعة مفيدة .

الكرم . واسمُ الآخرِ القرم^(١) . فإياك وإياهما إن الكرمَ أسرعُ في
المالِ من السوس^(٢) . وإنَّ القرمَ أشامُ من البسوس^(٣)

(١) القرم : بفتححتين - شدة الشهوة إلى اللحم ، وفعله قرم من باب طرب ،
والمراد به الرفه والدعة والتواني عن العمل والكسل من باب التكنية لأن أرياب
اليسار والنعمة يكون الشأن فيهم ذلك ، والمعنى : أننى كما أخشى عليك عادية
النفس وسطوة سلطانها وأخاف أن يضللك الشيطان فتتبع الشهوات وتميل إلى
المخازى فانى لأشد خوفاً عليك من أن تبذل مالك للناس وتعطيهم ، وأن
تستهويك نفسك إلى طبيعة المترفين وذوى النعمة والجاه فتكثر من الأكل وتدع
عملك وتترك شؤونك ، ومثل هذا فى التنفير والعطاء قول أبى الطيب المتنبى :
الجود يفقر والاقدام قتال .

(٢) المعنى أن السخاء والبذل يصيران بك إلى الاملاق والعدم لأنهما يتمشيان
فى المال كتمشى السوس فى الطعام واللباس أو كتمشى النار فى الحطب .

(٣) البسوس - ويقال لها البسوسة أيضاً - امرأة كانت سبباً فى شبوب نار
الحرب بين بكر وتغلب واندلاع لهيبها وتطايير شررها مدة لم يعهد لها نظير فى
تاريخ حروب العرب ، وقد اصطلق الفريقان لظاها وتحمل كل منهما من اعبائها
وأحمالها ما ضاق بها ذرعا ، وسبب ذلك : أن كليباً كان قد عز وساد فى ربيعة
فبغى بغياً شديداً ، وكان هو الذى ينزلهم منازلهم ويرحلهم ولا ينزلون ولا
يرحلون إلا بأمره فبلغ من عزه وبغيه أنه اتخذ جرو كلب فكان اذا نزل منزلاً به
كلاً قذف ذلك الجرو فيعوى فلا يرعى أحد ذلك الكلاً الا باذنه أو من أذن بحرب =

= فضرب به المثل فى العزة فقيل : أعز من كليب وائل . وكان يحمى الصيد ويقول: صيد ناحية كذا وكذا فى جوارى . فلا يصيد أحد منه شيئاً ، وكان لا يمر بين يديه أحد إذا جاس . ولا يحتبى أحد فى مجلسه غيره وكان لمرة بن زهل بن شيبان بن ثعلبة عشرة بنين جساس أصغرهم وكانت أختهم امرأة كليب (واسمها جلييلة) : وخاله جساس هى البسوس المذكورة فجاءت فنزلت على ابن اختها جساس فكانت جارة لبني مرة ومعها ابن لها ومعها ناقة خوارة اسمها سراب (وبها كتلك يضرب المثل فى الشؤم فيقال أشأم من سراب) من نعم بني سعد ومعها فصيل . فبينما أخت جساس تغسل رأس كليب زوجها ذات يوم اذ قال : من أعز وائل ؟ فصمتت . فأعاد عليها . فلما أكثر عليها قالت : أخواى جساس وهمام . فنزع رأسه من يدها وأخذ القوس فرمى فصيل ناقة البسوس (خاله جساس وجارة بني مرة) فقتله ، فاغمضوا على ما فيه وسكتوا على ذلك . ثم لقى كليب ابن البسوس فقال : ما فعل فصيل ناقتكم ؟ قال : قتلته وأخليت لنا لبن أمه ، فاغمضوا على هذه أيضاً . ثم أن كليباً أعاد على امرأته فقال : من أعز وائل ؟ فقالت : أخواى ، فأضمرها ، وأسرها فى نفسه ، وسكت حتى مرت به إبل جساس فرأى الناقة فأنكرها فقال : ما هذه الناقة ؟ قالوا : لخالة جساس فقال : أو قد بلغ من أمر ابن السعدية أن يجبر على بغير اذنى ؟ أرم ضرعها يا غلام ، فأخذ القوس فرمى ضرع الناقة فاختلط دمها بلبنها ، وراحت الرعاة على جساس فأخبروه بالامر فقال : احلبوا لها مكيالى لبن بمحلبها ولا تذكروا لها من هذا شيئاً ، ثم اغمضوا عليها أيضاً ، حتى أصابتهم سماء فغدا فى غيبها =

= يتمطر وركب جساس بن مرة وابن عمه عمرو بن الحرث بن زهل فمرت بكر بن وائل على نهى يقال له شببث فنفاهم كليب عنه وقال : لا يذوقون منه قطرة ، ثم مروا على نهى آخر يقال له الاحص فنفاهم عنه ، ثم مروا على بطن الجريب فمنعهم إياه ، فمضوا حتى نزلوا الذنائب وأتبعهم كليب وحيه حتى نزلوا عليه ثم مر عليه جساس وهو واقف على غدير الذنائب فقال : طردت أهلنا عن المياه حتى كدت تقتلهم عطشاً . فقال كليب : ما منعناهم من ماء الا ونحن له شاغلون . فمضى جساس ، وقيل : بل ناداه فقال : هذا كفعلك بناقة خالتي ، فقال له : أو قد ذكرتها ؟ أما أنى لو وجدتها فى غير إبل مرة لاستحللت تلك الابل !! فعطف عليه جساس فرسه فطعنه برمح فانفذ حضيئه ، فلما تداعمه الموت قال : يا جساس اسقنى من الماء قال : تجاوزت شببثاً والاحص . وتقول أخته حين رأته لابيها : أن هذا لجساس أتى خارجا ركبته ! فقال : والله ما خرجت ركبته إلا لامر عظيم ، فلما جاء قال : ما وراءك يا بنى؟ قال : ورأى إنى طعنت طعنة لتشغلن بها شيوخ وائل زما . قال : أقتلت كليباً؟ قال : نعم . قال : وددت أنك وأخوتك كنتم قبل هذا ، ما بى الا أن تتشاعم بى أبناء وائل . وزعموا أن جساساً قال لأخيه نضرة بن مرة وكان يقال له عضد الحمار :

وانى قد جنيت عليك حربا	تغص الشيخ بالماء القراح
مذكرة متى ما يصح عنها	فتى نشبت بأخر غير صاح
تتكلم عن ذناب الغى قوما	وتدعو آخرين إلى الصلاح =

= فأجابه نضلة :

فان تك قد جنيت حربا فلا وان ولا رث السلاح

فلما بلغ الخبر مهلهلا أبا كليب غدا بالخيـل وتحمل معه القوم . وقال المفضل : لما قتل كليب قالت بنو تغلب بعضهم لبعضهم : لا تعجلوا على أخوتكم حتى تعذروا بينكم وبينهم فانطلق رهط من أشرافهم وذوى أسنانهم حتى مرة بن ذاهل فعظموا ما بينهم وبينه وقالوا له : اختر منا خصالا أما أن تدفع إلينا جساسا ونقتله بصاحبنا فلم نظلم من قتل قاتله وأما أن تدفع إلينا هماما وأما أن تقيدنا من نفسك . فسكت وقد حضرته وجوه بنى بكر بن وائل فقالوا : تكلم غير مخذول ، فقال : أما جساس فغلام حديث السن ركب رأسه فهرب حين خاف فلا علم لى به . وأما همام فأبو عشرة وأخو عشرة ولو دفعته اليكم لصيح بنوه فى وجهى وقالوا : دفعت أبانا للقتال بجريرة غيره . وأما أنا فلا أتعجل الموت ، وهل تزيد الخيل على أن تجول جولة فأكون أول قتيل ولكن هل لكم فى غير ذلك ؟ هؤلاء بنى فدونكم أحدهم فاقتلوه به . وإن شئتم فلكم ألف ناقة تضمنها لكم بكر بن وائل، فغضبوا وقالوا : أنا نأتك لتؤدى لنا بنيك ولا لتسومنا اللبـن !! وتفرقوا ، ووقعت الحرب ، وتكلم فى ذلك عند الحرث بن عباد فقال : لا ناقة لى فى هذا ولا جمل ، وهو أول من قالها وأرسلها مثلا .

ودامت حربهم أربعين سنة فيها خمس وقعات مزاحفات، وكانت تكون بينهم مغاورات، وكان الرجل يلقي الرجل والرجلان الرجلين ونحو هذا، وكان أول تلك الأيام عنيزة - وهى عند فلجة - فتكافأوا : لا لبكر ولا لتغلب، وفيه يقول =

= مهلهل :

كأنا غلوة وبنى أبينا بجنب عنيزة رحيا مدير
ولولا الريح اسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور

فتفرقوا ، ثم غبروا زمانا ، ثم التقوا يوم واردات ، وكان لتغلب على بكر ، وقتلوا
بكر أشد القتل ، وقتلوا بجيرا ، وفى ذلك يقول مهلهل :

فأنى تركت بسواردات بجيرا فى دم مثل العبير
هتكت به بيوت بنى عباد وبعض الغشم أشفى للصدر

ثم انصرفوا بعد يوم واردات غير بنى ثعلبة بن عكابة ورأسوا على أنفسهم
الحرث بن عباد فاتبعتهم بنو ثعلبة بن عكابة حتى التقوا بالحنو فظهرت بنو ثعلبة
على تغلب ، ثم التقوا يوم القضيبات لبنى تغلب على بكر حتى ظنت بكر أن
سيقتلوا معا ، وقتلوا يومئذ همام بن مرة ، ثم التقوا يوم فضة - وهو يوم
التحالق - ، ويوم الثنية ، ويوم فضة و يوم الفصيل ، كلها لبكر على تغلب وحدث
أبو عبيده أن آخر من قتل فى حرب بكر وتغلب هو جساس بن مرة بن زهل بن
شيبان وهو قاتل كليب بن ربيعة وكانت أخته امرأة كليب وكان قد قتله جساس
وهى حامل فرجعت إلى أهلها ووقعت الحرب وكان من الفريقين ما كان ثم
صاروا إلى المودعة بعدما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت أخت جساس غلاما
سمته الهجرس رباه خاله فكان لا يعرف أبا غيره . ثم زوجه ابنته ووقع بين
هجرس وبين رجل من بنى بكر بن وائل كلام فقال له البكرى ما أنت بمنته حتى
نلحقك بأبيك ، فأمسك عنه ودخل إلى أمه كئيبا فسألتها عما به فأخبرها الخبر، =

إِنَّهَا خُدَعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّيْلِ (١) . بَلَى إِنَّ اللَّهَ لَكَرِيمٌ وَلَكِنْ كَرُمٌ

= فلما أوى إلى فراشه ونام تنفس تنفسه أحست منها امرأته لهيب النار فقامت فزعة قد أفلقتها رعدة حتى دخلت على أبيها فقصت عليه قصة الهجرس ، فقال جساس : ثائر ورب الكعبة ، ويات جساس على مثل الرضف حتى أصبح فأرسل إلى الهجرس فأتاه فقال له : انما انت ولدى ، ومنى بالمكان الذى قد علمت ، وقد زوجتك ابنتى ، وأنت معى ، وقد كانت الحرب فى أبيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطلحنا وتحاجزنا وقد رأيت أن تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وأن تتطلق معى حتى نأخذ عليك مثل الذى أخذ علينا وعلى قومنا ، فقال الهجرس : أنا فاعل ، ولكن مثلى لا يأتى قومه إلا بلامته وفرسه ، فحملة جساس على فرس وأعطاه لأمه ودرعا ، وخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا إليه من العافية ثم قال : وهذا الفتى ابن أختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد فيما عقدتم فلما قربوا الدم وقاموا إلى العقد أخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال :

وفرسى وأذنيه ، ورمحى ونصلييه ، وسيفى وغراريه ، لا يترك الرجل قاتل أبيه وهو ينظر إليه .

ثم طعن جساسا فقتله ، ثم لحق بقومه ، فكان آخر قتيل فى بكر بن وائل .

(١) المعنى : لا تغتر بما يقوله بعض الناس من أن الله كريم يحب من عباده الكرماء وأنه سبحانه يخلف على عباده ويضاعف لهم الذى يبذلونه فإن هذا الكلام لا يقبله غير العقول الصغيرة التى تشبه عقول الصبيان ، وأن الذى =

الله يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا ولا يضره^(١) ومن كانت هذه حاله .
فلتكرم خصاله . فإما كرم لا يزيدك حتى ينقصني ولا يريشك
حتى يببريني^(٢) . فخذلان لا أقول عبقرى . ولكن بقرى^(٣)

= يقول مثل ذلك لا يقصد الا خداعك وخداع أمثالك من الناس كما تقصد
الأمهات بمداعبة الاطفال ونحوها خداعهم عن طلب اللب .

(١) نعم أن الله سبحانه كريم كما يقولون ولكن لا يصح أن نتشبه به ونكون مثله
إذ أن كرمه لا ينتقص من ملكه ولا يضره ثم أنه يزيد من أموالنا وينميها ويعود
علينا بالثراء والمنفعة فأما نحن فلا نعطي شيئاً حتى يكون قدره نقصاً من
أموالنا فاذا اندفعنا في هذا السبيل فالويل لنا من الفقر وضياع المال .

(٢) راش السهم يريشه وريشه - بالتضعيف - فهو مريش ومريش : لزق له
الريش ، وبراه يببريه برياً ، وابتراه : نحته والمعنى : أن العطاء الذي ينقص من
واحد ليزيد الآخر ويضعف رجلاً ليقوى بضعفه ثانياً خيبة وفقدان .

(٣) العبقرى : الذى بلغت حاله غاية الجودة والحدق ونحوهما ، والبقرى - بضم
الباء الموحدة - : الكذب والداهية ومثله البقارى بالضم ويتشديد القاف وفتح
الراء ، ويبقر كدحرج - : هلك وفسد وأعيأ ومات وكأن أصل اشتقاقه من ذلك ،
والمعنى : ليست الخيبة فى الانفاق بممدوحة ولا مشكورة ولكنها منتهى الشر
وغاية الفساد فى الاعضاء فضلاً على الماء ، فلمت نفسى أن لو كنت مكنت
الاقتصاد فى أوائله ورغبت عن التهاون به فى ابتدائه لخرج آخره على كفاية =

إنه المالُ - عافاك اللهُ -

= أوله، وكان نصيب العضو الأول كنصيب الآخر ؟ فعبتمونى بذلك وشنعتموه بجهدكم وقبحتوه ، وقد قال الحسن عند ذكر السرف : أنه ليكون فى الماعونين : الماء ، والكلا ، فلم يرض بذكر الماء حتى أردفه بالكلا ، وعبتمونى حين ختمت على سد عظيم ، وفيه شىء ثمين من فاكهة نفيسه ، ومن رطبة غريبة ، على عبد نهم ، وصبى جشع وأمه لكعاء ، وزوجة خرقاء ، وليس من أصله الادب ، ولا فى ترتيب الحكم ، ولا فى عادات القادة ، ولا فى تدبير السادة ، أن يستوى فى نفيس المأكول ، وغريب المشروب ، وثمانى الملبوس ، وخطيره المركوب ، والناعم من كل فن ، واللباب من كل شكل - التابع والمتبوع ، والسيد والمسود ، كما لا تستوى مواضعهم فى المجلس ، ومواقع أسمائهم ، فى العنوانات ، وما يستقبلون به من التحيات ، وكيف وهم لا يفقدون من ذلك ما يفقد القادر ، ولا يكثرثون له اكتراث العارف ؟ من شاء أطعم كلبه الدجاج المسمن ، وأعلف حماره السمسم المقشر ، فعبتمونى بالختم وقد ختم بعض الأئمة على مزود سويق ، وختم على كيس فارغ ، وقال : طينه خير من طية فأمسكتم عن ختم على لا شىء وعبتم من ختم على شىء ، وعبتمونى حين قلت للغلام ، اذا زدت فى المرق فزد فى الانضجاج ، لتجمع بين التأدم باللحم والمرق ولتجمع مع الارتفاق بالمرق الطيب ، وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم : اذا طبختم لحما فزيدوا فى الماء فان لم يصب أحدكم لحما أصاب مرقا : وعبتمونى بخصف النعال، وبتصدير القميص، وحين زعمت أن المخصوفة أبقى، وأوطأ، وأوقى، وأنفى للكبر، وأشبه بالنسك، وأن الترقيع من الحزم، وأن الاجتماع مع الحفظ.=

فلا تنفقنَّ إلا منَ

= وأن التفرق مع التضییع ، وقد كان النبی صلی الله علیه وسلم یخسف نعله ، ويرقع ثوبه ، ویلطح أصبعه ، ویقول : لو أتیت بذراع لاکلت ، ولو دعیت إلى کراع لأجبت ، ولقد لفقت سعدي بنت عوف أزار طلحة - وهو جواد قریش وهو طلحة الفیاض - وكان فی ثوب عمر رقاع آدم وقال : من لم یستحی من الخلال خفت مؤنته وقل کبره ، وقالوا : لا جدید لمن یلبس الخلق ، وبعث زیاد رجلاً یرتاد له محدثاً واشترط علی الرائد أن یكون عاقلاً مسدداً فأتاه به موافقاً . فقال : أکنت ذا معرفة به ؟ قال : لا ، ولا رأیته قبل ساعتیه . قال : أفناقلته الکلام ، وفاتحته الأمور قبل أن توصله إلى ؟ قال : لا قال : فلم اخترته علی جمیع من رأیته ؟ قال : یومنا یوم قائظ ، ولم أزل أتعرف عقول الناس بطعامهم ولباسهم فی مثل هذا الیوم ورأیت ثیاب الناس جدداً وثیاباً لبسا (١) فظننت به الحزم ، وقد علمنا أن الجدد فی موضعه دون الخلق ، وقد جعل الله لكل شیء قدراً ، وبوأ له موضعاً ، كما جعل لكل دهر رجلاً ، ولكل مقام مقالاً ، وقد أحیا بالسم ، وأمات بالغذاء ، وأغص بالماء ، وقتل بالدواء ، فترقیع الثوب یجمع مع الصلاح التواضع ، وخلاف ذلك یجمع مع الاسراف التکبر ، وقد زعموا أن الاصلاح أحد الکسبیین كما زعموا أن قلة العیال أحد الیسارین ، وقد جبر الاحنف ید عنز وأمر النعمان بذلك ، =

(١) اللبس - بفتح اوله - نوع من الثیاب والذی یظهر لنا ان اراد به القديم الخلق

الربح . وعليك

= وقال عمر : من أكل بيضة فقد أكل دجاجة ، وقال رجل لبعض السادة :
أهدى إليك دجاجة ؟ فقال : إن كان لابد فاجعلها بياضة ، وعبتموني حين قلت :
لا يغترن أحد بطول عمره ، وتقوس ظهره ، ورقة عظمه ، ووهن قوته أن يرى
أكرومته ، ولا يحوجه ذلك إلى اخراج ماله فى يديه ، وتحويله إلى ملك غيره ،
وإلى تحكيم السرف فيه ، وتسليط الشهوات عليه ، فلعله أن يكون معمرأ وهو لا
يدرى وممدودأ له فى السن وهو لا يشعر ، ولعله أن يرزق الولد على اليأس ، أو
يحدث عليه بعض مخبات الدهور مما لا يخطر على البال ، ولا تدركه العقول ،
فيسترده ممن لا يرده ، ويظهر الشكوى إلى من لا يرحمه ، فعبتمونى بذلك .
وقد قال عمرو بن العاص : اعمل لدنياك عمل من يعيش أبداً ، واعمل لآخرتك
عمل من يموت غداً ، وعبتموني حين زعمت أن التبذير إلى مال القمار ، ومال
الميراث وإلى مال الالتقاط ، وحباء الملوك - أسرع ، وأن الحفظ إلى المال
المكتسب والغنى المجتلب ، وإلى ما يعرض فيه لذهاب الدين ، واهتضام العرض ،
ونصب البدن واهتمام القلب ، - أسرع ، وأن من لم يحسب ذهاب نفقته لم
يحسب دخله ، ومن لم يحسب الدخل فقد أضاع الاصل ، وأن من لم يعرف
للغنى قدره فقد أذن بالفقر ، وطاب نفساً بالذل ، وزعمت أن كسب الحلال
مضمن بالانفاق فى الحلال ، وأن الخبيث ينزع إلى الخبيث ، وأن الطيب يدعو
إلى الطيب ، وأن الانفاق فى الهوى حجاب دون الحقوق ، وأن الانفاق فى
الحقوق حجاب دون الهوى ، فعبتم على هذا القول . وقد قال معاوية : لم أر
تبذيراً قط إلا وإلى جانبه حق مضيع ، وقد قال الحسن : اذا اردتم أن تعرفوا =

الخبز والملح

= من أين أصاب الرجل ماله ، فانظروا فى أى شىء ينفقه فإن الخبيث ينفق فى السرف ، وقلت لكم بالشفقة منى عليكم ، وبحسن النظر لكم ، وبحفظكم لأبائكم ، ولما يجب فى جواركم ، وفى ممالحتكم وملابستكم ، وأنتم فى دار الأفات والحوائج غير مأمونات ، فإن أحاطت بمال أحدكم آفة لم يرجع إلى بقية فاحرزوا النعمة باختلاف الامكنة ، فإن البنية لا تجرى فى الجميع الا مع موت الجميع ، وقد قال عمر رضى الله عنه فى العبد والأمة ، وفى ملك الشاة والبعير ، وفى الشىء الحقير اليسير : فرقوا بين المنايا ، وقال ابن سيرين لبعض البحرينى : كيف تصنعون بأموالكم ؟ قال : نفرقها فى السفن فإن عطب بعض سلم بعض ، ولولا أن السلامة أكثر لما حملنا خزائنا فى البحر ، قال ابن سيرين : تحسبها خرقاء وهى صناع ، وقلت لكم - عند اشفاقى عليكم - أن للغنى سكرًا ، وأن للمال لنزوة ، فمن لم يحفظ للغنى من سكر الغنى قد أضاعه ، ومن لم يرتبط المال بخوف الفقر ، فقد أهمله ، فعبتمونى بذلك ، وقال زيد بن جبلة : ليس أحد أفقر من غنى أمن الفقر ، وسكر الغنى أشد من سكر الخمر ، وقلتم : قد لزم الحث على الحقوق ، والتزهيد فى الفضول ، حتى صار يستعمل ذلك فى أشعاره بعد رسائله . وفى خطبه بعد سائر كلامه ، فمن ذلك قوله فى يحيى بن خالد :

منوع اذا ما منعه كان أحزما

عدو تلال المال فيما ينوبه

ومن ذلك قوله فى محمد بن زياد :

= وإهانة فى حقه للمال

وخبليقتان : تقى وفضل تحرم

ولك في الخل والبصل رخصة

= وعبتموني حين زعمت أن المال مقدم على العلم لأن المال به يغاث العالم ، وبه تقوم النفوس قبل أن تعرف فضيلة العلم ، وأن الاصل أحق بالتفضيل من الفرع، وإنى قلت وان كنا نستبين الامور بالنفوس فأنا بالكفاية نستبين وبالخلة نعمى ، وقلتم : وكيف تقول هذا وقد قيل لرئيس الحكماء ، ومقدم الادباء : العلماء أفضل أما الاغنياء ؟ قال : بل العلماء : قيل : فما بال العلماء يأتون أبواب الاغنياء أكثر مما يأتى الاغنياء أبواب العلماء ؟ قال : لمعرفة العلماء بفضل الغنى ، ولجهل الاغنياء بفضل العلم . فقلت : حالهما هي القاضية بينهما ، وكيف يستوى شئ ترى حاجة الجميع إليه وشئ يغنى بعضهم فيه عن بعض وعبتموني حين قلت : إن فضل الغنى على القوت إنما هو كفضل الآله تكون في الدار إن احتيج إليها استعملت ، وان استغنى عنها كانت عدة وقال الحصين بن المنذر : ووددت لو أن مثل أحد ذاهباً لا انتفع منه بشئ قيل : فما ينفعك من ذلك ، قال : لكثرة من يخدمنى عليه ، وقال أيضاً عليك بطلب الغنى فلو لم يكن لك فيه الا انه عز في قلبك . وشبهه في قلب غيرك لكان الحظ فيه جسيماً . والنفع فيه عظيماً ، ولسنا ندع سيرة الانبياء وتعليم الخلفاء . وتأديب الحكماء لأصحاب الاهواء . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الاغنياء باتخاذ الغنم . والفقراء باتخاذ الدجاج . وقال : درهمك لمعاشك . ودينارك لمعادك . فقسم الامور كلها على الدين والدنيا . ثم جعل أحد قسمي الجميع الدرهم . وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : أنى لا بغض أهل البيت ينفقون رزق الايام في اليوم . وكان هشام يقول : ضع الدرهم يكون مالا ، ونهى أبو =

ما لم تذمَّهما^(١) . ولم تجمع بينهما^(٢) . واللحم لحمك وما أراك تأكله^(٣) والحلو طعام من لا يبالي على أي جنبينه

= الاسود الدؤلى وكان حكيما أديبا وداهيا أريباً - عن جودكم هذا المولد . وعن كرمكم هذا المستحدث . فقال لابنه : اذا بسط الله لك فى الرزق فابسط . واذا قبض فاقبض . ولا تجاود الله فإن الله أجود منك . وقيل : درهم من حل يخرج فى حق خير من عشرة آلاف قبضاً . وتلقط عرندا من بريم فقال : تضيعون مثل هذا وهو قوت امرىء مسلم يوماً إلى الليل ؟ وتلقط أبو الدرداء حبات حنطة فنهاه بعض المسرفين فقال : أن مرفقة المرء رفقه فى معيشته .

فليستم على تربون . ولا برأى تقتدون . فقدموا النظر قبل العزم . وتذكروا ما عليكم قبل أن تذكروا ما لكم . والسلام .

هذه رسالة سهل ، وهى آية فى البلاغة ، وقوة الاسترسال فى المخاصمة لولا أنها تمتدح خصلة أجمع الناس على مذمتها واتفقوا على نكرانها .

(١) يروى تدمهما - بالبدال المعجمة - والمعنى : أن لك أن تأتدم بالخل والبصل ما رضيت بهما نفسك ، ولم تنزع عنهما ، والفعل أذمه أذماما أى وجده مذموما ، ويروى : تدمنهما - بالبدال المهملة ويعد الميم والنون - أى ما لم تواظب عليها وتكثر من تناولهما . (٢) أى أنهما مرخصان لك ولكن كل واحد منهما بانفراده فلا تحدث نفسك بتناولهما معاً .

(٣) يريد أن ينهاه عن أكل اللحم فهو يقول له : أن كلمة اللحم لا معنى لها غير لحمك أنت وليس له وجود فى العالم إلا ذلك ولا أتوهم أن نفسك تقبل أن تأكله فهو نهاية فى التقريز والتنفير .

يقع^(١) . والوجباتُ عيشُ الصالحين^(٢) . والأكلُ على الجُوعِ واقيةُ
الفوتِ^(٣) . وعلى الشبِيعِ داعيةُ الموتِ . ثم كنْ مع الناسِ كلاعبِ
الشطرنجِ : خذْ كلَّ ما معهمْ واحفظْ كلَّ ما معك^(٤) . يابىَّ قدُّ

(١) المعنى أنه لا يأكل الطلو إلا رجل قد وطن نفسه على الهلاك وأحب الموت فهو
لا يبالي على أى جانب من جانبيه يخر على الارض ، والفقرة مأخوذة من قول
الشاعر :

ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى

(٢) الوجبات : جمع وجبة وهى الأكلة الواحدة فى اليوم والليلة ، والمعنى أن
الاقبال من الأكل وتباعد المسافة بين كل أكلتين من شأن الصالحين وعادات
الكلمة من الرجال فقلدهم وتشبه بهم .

(٣) الفوت : المراد به هنا الاعدام ، والفقر ، والمعنى : انك اذا لم تأكل الا جائعاً
فقد أمنت على نفسك عادية السرف وسلطان الاعواز فأما اذا أكلت ممتئناً فانك
تعرض نفسك للموت والهلاك ويقرب ذلك من الحديث : (نحن قوم لا نأكل حتى
نجوع ، واذا أكلنا لا نشبع).

(٤) الشطرنج : لعبة معروفة ، ومن عادة اللاعبين أن يهتم كل واحد منهما بغلبة
الآخر والفوز عليه وأخذ قطعه دون أن يهمل فى التحفظ بكل ما معه فهو يقول
له: لتكن حالتك فى الانفاق مع الناس كحال اللاعب : خذ منهم ولا تعطهم .

أَسْمَعْتُ وَأَبْلَغْتُ . فَإِنْ قَبِلْتَ فَاللَّهُ حَسْبِكَ . وَإِنْ أَبَيْتَ فَاللَّهُ
حَسْبُكَ^(١) . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
أَجْمَعِينَ .

(١) حَسْبِكَ : كَافِيكَ ، وَحَسْبُكَ : مَحَاسِبُكَ ، وَالْمَعْنَى : أَنَّنِي نَصَحْتُكَ عِلْمًا مَنَى
بِحَالِ الْحَيَاةِ وَشُؤُونِهَا وَأَبْلَغْتُكَ مَا وَصَلَ عِلْمِي مِنْ تَجَارِبِهَا فَإِذَا أَنْتَ عَمِلْتَ بِمَا
أَعْلَمْتُكَ فَإِنَّ اللَّهَ يَكْفِيكَ فِي مَهَامَتِكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا وَعَيْتَ لِأَبِيكَ وَحَسَابِكَ عَلَى
اللَّهِ .

رَفَعُ

عبد الرحمن الخدي
أسكنه الله الفردوس

www.moswarat.com

المقامة الصيمرية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَقَ
المعروفُ بأبي العنْبَسِ الصَّيْمَرِيِّ : إِنَّ مِمَّا نَزَلَ بِي مِنْ
إِخْوَانِي الَّذِينَ اصْطَفَيْتُهُمْ وَانْتَخَبْتُهُمْ وَأَدَّخَرْتَهُمْ لِلشَّدَائِدِ مَا
فِيهِ عِظَةٌ وَعِبْرَةٌ وَأَدَبٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ وَاتَعَطَّى وَتَأَدَّبَ (١) .

(١) المعنى : أن حادثاً أليماً نزل بي كان سببه الائتلاف بجماعة أسفرت الالفة
عن عدم غنائهم . وقلة جدواهم وأن في هذا الحادث لعظات بالغات ،
وعبرة زاجرة ، وأدبا جما ، وقديما كان الاخوان غصة وألماً . وفيهم يقول
الشاعر :

وأخوان تخذتهم دروعا فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاما صائبات فكانوها ولكن في فؤادي
وقالوا : قد صفت منا قلوب لقد صدقوا ولكن عن ودادي =

وذلك أني قدمتُ من الصيمرةِ

= وقال :

تخذتكم درعا حصيناً لتدفعوا نبال العدا عني فكتتم نصالها

وقال عبدالله بن معاوية :

العهد عهدان : عهد امرئ

وعهد ذي لونين ملالة

إن لم تزره قال : قد ملني

شيمته مثل الخضاب الذي

ولآخر :

إذا افتقرت نأى واستد جانبه

وإن أذاك لمال أو لتنصره

مدلى القرابة عند النيل يطلبه

حلو اللسان بعيد القلب مشتمل

وقال سفيان بن عيينه : صحبت الناس خمسين سنة ما ستر لي أحد عورة ،

ولا رد عني غيبه ، ولا غفا لي عن مظلمة ، ولا قطعته فوصلني ، وأخص أخواني

لو خالفته في رمانة فقلت هي حامضة وقال هي حلوة لسعي بي حتى يشيط

دمي .

إلى مدينة السلام^(١) . ومعى جرابٌ دنانيرٍ ومنَ الخرثى والآلة
وغير ذلك ما لا أحتاجُ معه إلى أحدٍ^(٢) . فصحبتُ من أهل
البيوتات والكتاب والتجار ووجوه الثناء من أهل الثروة
واليسار^(٣) والجدّة والعقار^(٤) جماعةً اخترتهم للصحبة :
وادخرتهم للنكبة^(٥) فلم نزلُ فى صبوحٍ وغبوقٍ^(٦) نتغذى بالجدايا

(١) قال فى المشترك : الصيمرة - بالصاد المهملة مفتوحة ، وياء ساكنة ، وميم
مفتوحة ، وراء مهملة ، وهاء - اسم يقع على موضعين : أحدهما ناحية بالبصرة
على فم نهر معقل ، فيها عدة قرى يشملها هذا الاسم وهم جهال يعبدون رجلا
يقال له عاصم بن شباش وولده من بعده ، وإليها ينسب أبو العنيس محمد بن
اسحق بن ابراهيم الصيمرى صاحب الكتب فى الهزل مات سنة ٢٧٥ ، والثانى
بلدة من نواحي خوزستان وهى المسماة بمهرجان قذق ، وإليها ينسب أبو تمام
ابراهيم بن احمد بن الحسين بن احمد بن حمدان الهمداني الصيمرى من أهل
بروجرد وأصله من الصيمرة ، ومدينة السلام : هى بغداد .

(٢) الخرثى: الاثاث، والآلة : كل ما يحتاج إلى الارتفاق به فى الاعمال المنزلية.
(٣) وجوه الثناء : أى الجماعة الذين لهم وجهة ذكر ، ونباهة صيت ، وارتفاع
شهرة . (٤) الجدة الغنى ، وبساطة المال ، وسعة الرزق ، ورفاهة العيش .
(٥) ادخرته : خزنته لانتفع به وقت الشدة مغالاة به، والمعنى : أننى اخترت هذه
الجماعة من بين المياسير والوجوه وجعلتهم عدة للنوائب . وترسا أتقى به
الخطوب ودرعا يقينى من العاديات والشدائد . (٦) الصبوح : ما حلب من اللبن
صباحا أو ما أصبح عندك من الشراب . والغبوق : ما كان كذلك فى المساء ،
ويستعملون هذين اللفظين فى معنى الشرب صباحا ومساء .

الرُّضْعِ والطَّاهِجَاتِ . الفارسية والمُدَقَّاتِ الإبراهيمية^(١)
والقلايا المحرقة والكباب الرشيدى والحملان^(٢) وشرابنا نبيذ
العسل وسماعنا من المحسنات الحذاق . الموصوفات فى
الآفاق^(٣) . ونقلنا اللوز المقشر والسكر والطبرزد^(٤) وريحاننا

(١) الجدايا : جمع جدى - وهو جمع غير معروف ، والمذكور له من الجموع
جدا وأجد وجديان - وهو الذكر من أولاد المعز فى سنته الأولى والرضع :
كناية عن طراة اللحم ، والطباهجات جمع طباهجه : وهى ضرب من اللحم
المشرح يصنع من البيض والبصل ، والمدققات : اللحم يقطع قطعاً صفاراً ثم
يستوى بعد تكتيله كتلاً ، وهى أشبه بما يسمونه اليوم بمصر (كفته)
والإبراهيمية : المنسوبة لإبراهيم بن المهدي لأنه كان يتألق فيها .

(٢) القلايا : ما يقلى من اللحم وغيره ويضاف إليه ما يطيبه ، والمحرقة التى
تزيد فى العطش خرافتها ، والكباب : اللحم المشوى ، والرشيدى : المنسوب إلى
هارون الرشيد الخليفة العباسى لأنه كان يستجده ، والحملان : جمع حمل وهو
الخروف .

(٣) المحسنات الحذاق : المغنيات اللاتى أجدن الصناعة ويرعن فيها ،
والموصوفات فى الآفاق : اللاتى طار ذكرهن وارتفع صيتهن .

(٤) النقل - بفتح أوله فى الصحيح وضمه فى المشهور - : كل ما يتنقل من
الخمير إليه ومنه إليها ويسمى الآن : مزه والطبرزد نوع من السكر صلب أبيض
ويعرف اليوم باسم السكر النبات .

الوردُ . وبخورنا الندُّ^(١) . وكنتُ عندهمُ . أعقلُ من عبدِ اللهِ بنِ
عباسٍ (٢) .

(١) الورد : معروف ، والند : عود يتبخر به ، وقيل هو العنبر ، والمعنى المقصود بكل ما ذكر أنهم كانوا على حالة من اليسرة ونعومة العيش وطيب الحياة وأنهم قد جمعوا فيها كل أنواع المسرة وكل مجلب للانس وطمأنينة خاطر .

(٢) ابن العباس : هو أبو العباس عبدالله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف القرشي الهاشمي ابن عم رسول الله صلى عليه وسلم ، وأمه أم الفضل لبابة بنت الحرث الهلالية ، ولد وبنو هاشم بالشعب قبل الهجرة بثلاث وقيل بخمس والأول اثبت ، وهو حبر العرب وأوفاهم عقلا وحشما وعلما وجمالا وكمالا ، وترجمان القرآن ولسانه ، وكان أبيض طويلا مشربا صفرة ، جسيما ، وسيما ، صبيح الوجه ، له وفرة ، يخضب بالحناء ، اذا قعد أخذ مقعد رجلين ، متفقا في الدين ، عالما بالتأويل ، حكيم ، وكان لا يسأل عن شيء الا وجد له عنده جوابا لسعة حفظه ورجاحة عقله وكمال استعداده : فإن كان في القرآن أخبر به ، فإن لم يكن وكان عن أبي بكر وعمر أخبر به ، فإن لم يجده في شيء منها قال برأيه ، ويروى عن عبدالله بن يزيد قال : شتم رجل ابن عباس فقال : انك لتشتمني وفي ثلاث خصال : أنى لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأحبه ولعلى لا أقاضى إليه أبداً ، وأنى لأسمع بالغيث يصيب بلاد المسلمين فأفرح به ومالى بها سائمه ولا راعية ، وأنى لآتى على آية من كتاب الله تعالى فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم . وقد ولاه على كرم =

وأظرفَ منُ أبي نُواسٍ .

= الله وجهه البصرة ، وكان قائد الميسرة يوم صفين ولم يزل والى البصرة حتى قتل على ، ويروى أنه كان يفسر الناس فى رمضان وهو أمير البصرة فما ينقضى الشهر حتى يفقههم ، وسعى إليه ساع برجل فقال : إن شئت نظرنا فإن كنت كاذبا عاقبناك ، وإن كنت صادقاً نفيناك ، وإن شئت أقلتك . قال : هذه . ونظر الحطيئة إليه فى مجلس عمر - وقد قرع بكلامه - فقال : من هذا الذى نزل على القوم بسنه ، وعلاهم فى قوله ؟ قالوا : هذا ابن عباس فأنشأ يقول :

انى وجدت بيان المرء نافلة يهدى له ووجدت العى كالصمم

المرء يبلى ويبقى الكلم سائرة وقد يلام الفتى يوما ولم يلم

ويروى عن النعمان حسان بن ثابت قال : كانت لنا عند عثمان أو غيره من الامراء حاجة فطلبناها إليه لجماعة من الصحابة منهم ابن عباس وكانت حاجة صعبة شديدة فاعتل علينا فراجعوه إلى أن عذروه وقاموا الا ابن عباس فلم يزل يراجعه بكلام جامع حتى سد عليه كل حجة فلم ير بدأ من أن يقضى حاجتنا فخرجنا من عنده وأنا آخذ بيد ابن عباس فمررنا على أولئك الذين كانوا اعذروا وضعفوا فقلت : كان عبدالله أولاكم بهم . قال : أجل . فقلت أمدحه :

إذا قال لم يترك مقالا لقائل بملتقطات لا ترى بينها فصلا

كفى وشفى ما فى النفوس ولم يدع لذى أربة فى القول جداً ولا هزلاً

سموت إلى العليا بغير مشقة فنلت ذراها لا دنيئاً ولا وغلاً

واتفقوا على أنه رضى الله عنه مات بالطائف سنة ٦٨ هـ واختلفوا فى سنه =

وَأَسْحَى مِنْ حَاتِمٍ (١) .

= فقيل ابن احدى وسبعين وقيل ابن اثنتين وقيل ابن أربع والاول هو الاقوى .
(١) حاتم : هو أبو سفانة وأبو عدى مجد العرب ، وفخارهم ، وحديث سؤدهم ،
وعنوان مروعتهم ، وثالث الثلاثة الذين سارت الركبان بأخبار كرمهم ، وملاً
الخافقين نكر جودهم (هو، وكعب بن مامة ، وهرم بن سنان) وهو أعلاهم كعباً ،
وأنبههم نكراً ، وأكثرهم أخباراً حاتم بن عبدالله بن سعد الطائي ، أدرك مولد
النبي صلى الله عليه وسلم ومات قبل مبعثه ، وروى عن علي بن أبي طالب
رضى الله عنه وكرم الله وجهه أنه قال يوماً : سبحانه الله ! ما أزهّد كثيراً من
الناس فى الخير ! عجباً لرجل يأتيه أخوه المسلم فى حاجة فلا يرى نفسه للخير
أهلاً ! فلو أنه كان لا يرجو ثواباً ، ولا يخاف عقاباً - لكان ينبغى له أن يسارع
إلى مكارم الاخلاق فانها تدل على سبيل النجاح ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير
المؤمنين أسمعته من النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم ، لما أتى بسبايا طى
وقفت جارية لعساء عيطاء ، فلما رأيته أعجبت بها ، وقلت لأطلبنها من النبي
صلى الله عليه وسلم ، فلما تكلمت أنسيت جمالها بفصاحتها فقالت : يا محمد ،
إن رأيت أن تخلى عنى ، ولا تشمت بى أحياء العرب فإنى ابنة سيد قومى ،
وإن أبى كان يفك العانى ، ويشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ولم يرد طالب
حاجة قط، أنا ابنة حاتم الطائي . فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا جارية هذه
صفة المؤمن، ولو كان أبوك مسلماً لترحمنا عليه ، خلوا عنها فإن أباه كان =

= يحب مكارم الاخلاق . وقال عدى بن حاتم : قلت للنبي صلى الله عليه وسلم :
إن أبى كان يطعم المساكين ، ويعتق الرقاب ، ويصل الرحم ، فهل له فى ذلك
أجر ؟ قال: إن أباك رام أمراً فأدركه (يريد ارتفاع الذكر) . وأول ما ظهر من
أمر حاتم أن أباه خلفه فى إبله - وهو غلام - فمر به جماعة من الشعراء -
فيهم عبيد بن الابرص ، وبشر بن أبى حازم ، والنابغة الذبياني - يريدون
النعمان فقالوا لحاتم : هل من قرى ؟ فقال - ولم يعرفهم - تسألوننى القرى وقد
رأيتم الأبل والغنم ، انزعوا ، فنزلوا ، فنحر لكل واحد منهم ، وسألهم أسمائهم
فأخبروه ففرق فيهم الإبل والغنم ، وجاء أبوه فقال : ما فعلت ؟ قال : طوقتك
مجد الدهر تطويق الحمامة ، وأخبره فقال أبوه : إذن لا أبالى . وحدثت زوجة
النوار قالت : أصابتنا سنة اقشعرت لها الارض ، وضنت المراضع على أولادها ،
فوالله أنى لفى ليلة بعيدة ما بين الطرفين اذ تضاعى : أولادنا : عبدالله ، وعدى ،
وسفانة ، فقام إلى الصبيين وقمت إلى الصبية فوالله ما سكتوا الا بعد هدأة من
الليل ، ثم ناموا ، ونمت أنا وإياه ، فأقبل على يعلنى بالحديث ، فعرفت ما يريد ،
فتناومت وما يأتينى نوم ، فقال : ما لها ؟ أنامت ؟ فسكت ، ثم تهورت النجوم ،
وإذا شئ قد رفع كسر البيت فقال : ما هذا ؟ قالت : جارتك فلانة ، قال :
مالك؟ قلت : الشر ، أتيتك من عند الصبية يتعاونون عوى الذئاب من الجوع ،
قال: أعجليهم ، فهببت إليه فقلت : ماذا صنعت ؟ فوالله لقد تضاعى صبيتك من
الجوع فما أصبت ما يعلهم ! فقال : اسكتى ، وأقبلت المرأة تحمل اثنين =

وأشجع من

= ويمشى بجانبها أربعة كأنها نعامة حولها رئالها فقام إلى فرسه جلاب ، فنحره وكشط عن جلده ودفغ الدبة إلى المرأة ثم قال لى : ابعثى صبيانك فبعثتهم فاجتمعنا فقال : تأكلون دون أهل الصوم ؟ ثم جعل يأتى بيتا بيتا ويقول: بونكم النار ، فاجتمعوا فالتفح بثوبه ناحية ينظر إلينا ، فوالله ما ذاق منها مزعة وأنه لأحوجهم ، وأصبحنا وما على الأرض إلا عظم أو حافز. وحكى ابن الاعرابى قال : أسر حاتم فى عنزة فقالت له امرأة يوما : قم فافصد لنا هذه الناقة - وكان الفصد عندهم أن يقطع عرق من عروق الناقة ثم يجمع الدم فيشوى ويؤكل - فقام حاتم إلى الناقة فعقرها ، فلطمته المرأة ، فقال : لو ذات سوار لطمتنى ! فذهبت مثلا . ثم قال له النسوة . إنما قلنا افصدها ، قال: هذا فزدى ، يعنى أنه فصدى وهى لغة طيء ، وقال ابن الاعرابى وابن السكيت وجماعة من الرواة : خرج الحكم ابن العاصى ومعه عطره يريد الحيرة - وكان بالحيرة سوق يجتمع إليه كل الناس كل سنة ، وكان النعمان قد جعل لبني لأم بن عمرو ريع إلى الحيرة فأجاره ، ثم أمر حاتم بجزور بن سعد فنحرت وأكلوا منها ومع الحاتم - غير الحكم - ابن عمه ملحان بن حارثة بن سعد بن الحشرج فلما فرغوا من الطعام طيبهم الحكم من طيبة ذلك ، فمر حاتم بسعد بن حارثة بن لأم وليس مع حاتم من بنى عمه غير ملحان، وحاتم على راحلته، وفرسه تقاد، فأتاه بنو لأم فوضع حاتم سفرته، وقال اطعموا حياكم الله، فقالوا : من هؤلاء =

= معك يا حاتم؟ قال : هؤلاء جيرانى ، قال له سعد : فأنت تجير علينا فى بلادنا ؟ قال له : أنا ابن عمكم وأحق من لم تخفروا ذمته ، فقالوا : لست هناك ، وأرادوا أن يفضحوه فوثبوا اليه فتناول سعد (وقيل كندى، وربما كان أصح لما ستقرأه فى شعر حاتم آخر القصة) ابن حارثة ابن لام حاتما، فأهوى له حاتم بالسيف ، فأطار أرنية أنفه ووقع الشر حتى تحاجزوا فقال حاتم :

وددت - وبیت الله - لو أن أنفه هواء فما مت المخاط عن العظم
ولكنما لاقاه سيف ابن عمه فأبى ومر السيف منه على الخطم

فقالوا لحاتم : بيننا وبينك سوق الحيرة فنماجدك ، ونضع الرهن، ففعلوا ووضعوا تسعة أفراس ووضع حاتم فرسه ثم خرجوا حتى انتهوا إلى الحيرة ، وسمع ذلك أياس بين قبيصه الطائى فخاف أن يعين النعمان بن لام للصهر الذى بينهم وبينه ، ويقويهم بماله وسلطانه فجمع أياس رهطه من بنى حية وقال : يا بنى حية إن هؤلاء القوم أرادوا أن يفضحوا ابن عمكم فى مجادة، فقال رجل من بنى حية : عندى مائة ناقة سوداء ، ومائة حمراء أدماء ، وقام آخر فقال : عندى عشرة حصن على كل حصان منها فارس مدجج لا يرى منه إلا عيناه ، وقال حسان بن جبلة الخير : قد علمتم أن أبى قد مات وترك كلاً كثيراً فعلى كل خمر أو لحم أو طعام ما أقاموا فى سوق الحيرة ، ثم قام أياس فقال : على مثل جميع ما أعطيتكم كلكم - وحاتم لا يعلم بشيء مما فعلوا - وذهب حاتم إلى ابن عمه مالك بن جبار وكان كثير المال فقال : يا بن عم أعنى على مخايلتى ثم =

= أنشد:

يا مال إحدى خطوب الدهر قد طرقت يا مال ما أنتم عنها بزحزاح
يا مال جاءت حياض الموت واردة من بين غمر فحضناه وضحضاح
فقال له مالك : ما كنت لأحرب نفسي ولا عيالي وأعطيك مالى . فانصرف عنه
وقال مالك فى ذلك :

أنا بنى عمكم ما أن بنا عليكم ولا نجاوركم إلا على ناح

وقد بلوتك اذ نلت الثراء فلم ألفك بالمال الا غير مرتاح

ثم أتى حاتم ابن عمه وهم بن عمرو - وكان يومئذ مصارما لا يكلمه - فقالت له
امراته : أى وهم ، هذا والله أبو سفانة حاتم قد طلع ، فقال : ما لنا ولحاتم ،
أثبتي النظر ، فقالت : ها هو ، فقال : ويحك ، هو لا يكلمنى فما جاء به إلى ؟
فنزل حتى سلم عليه ، فرد سلامه وحياه ثم قال له : ما جاء بك يا حاتم ؟ قال :
خاطرت على حسبك وحسبى ، قال : فى الرحب والسعة ، هذا مالى - وعدته
يومئذ تسعمائة بعير - فخذها مائة مائة حتى تذهب الابل أو تصيب ما تريد ،
فقالت امرأته : يا حاتم أنت تخرجنا عن مالنا أو تفضح صاحبنا (تعنى زوجها)
فقال : اذهبي عنى فوالله ما كان الذى غمك ليردنى عما قبلى ، وقال حاتم :

الا ابلغا وهم بن عمر رسالة فانك أنت المرء بالخير أجدر

رأيتك أدنى الناس منا قرابة وغيرك منهم كنت أحبو وأنصر =

= اذا ما أتى يوم يفرق بيننا بموت فكن يا وهم نو يتأخر
ثم قال أيأس بن قبيصة : احملوني إلى الملك - وكان به النقرس - فحمل حتى
أدخل عليه فقال : انعم صباحا أبيت اللعن، فقال النعمان : وحياك الهك ، فقال
أيأس : أتمد أختانك بالمال والخيول ، وجعلت بنى ثعل فى قعر الكنانة ؟ أظن
أختانك أن يصنعوا بحاتم كما صنعوا بعامر بن جوين ولم يشعروا أن بنى حية
بالبلد ؟ فإن شئت والله ناجرناك حتى يسفح الوادى دما، فليحضروا مجادهم
غدا بمجمع العرب ، فعرف النعمان الغضب فى وجهه وكلامه ، فقال له : يا
أحملنا لا تغضب فانى سأكفيك ، وأرسل إلى سعد بن حارثة وإلى أصحابه :
انظروا ابن عمكم حاتما فأرضوه فوالله ما أنا بالذى أعطيكم مالى تبذرونه وما
أطيق بنى حية ، فخرج بنو لام إلى حاتم فقالوا : أعرض عن هذا المجاد ندع
أرث أنف ابن عمنا ، قال : لا والله حتى تتركوا أفراسكم ويغلب مجادكم ،
فتركوا أرث أنف صاحبهم وأفراسهم وقالوا : قبحها الله وأبعدها فإنما هى
مقارف، فعمد إليها حاتم فعقرها وأطعمها الناس وسقاهم الخمر وقال حاتم فى
ذلك :

أبلغ بنى لام بأن خيولهم	عقرى وأن مجادهم لم يمجد
ها انما مطرت سماؤكم دما	ورفعت رأسك مثل رأس الأصيد
ليكون جيرانى كائى بينكم	نحلا لكندى وسبى مزند
وابن النجود اذا غدا متلاظما	وابن العذور ذى العجان الازبد =

= أبلغ بنى ثعل بنائى لم أكن
أبدأ لأفعلها طوال المسند
لا جئتهم فلا وأترك صحبتى
نهباً ولم تقدر بقائمة يدي
وحاتم شاعر فحل ولكن شهرته بالجوود والكرم غطت على شعره فأصبح لا يعد
فى الشعراء الا عند قصد الإطالة والاستقصاء ، ولقد فضله ماوية بنت عفزر -
وكانت ملكة - على النابغة وحكمت له حين أنشدها :

أماوى قد طال التجنب والهجر وقد عذرتنى من طلابكم العذر

فى قصة طويلة :

ومن شعره الرائع قوله :

وعاذلة هبت بليل تلومنى
تلوم على أعطائى المال ضلة
تقول : ألا أمسك عليك فإننى
ذرىنى وحوالى إن مالك وافر
أرىنى جواداً مات هزلاً لعلنى
وإلا فكفى بعض لومك واجعلى
ألم تعلمى انى اذ الضيف نابنى
أسود سادات العشيرة عارفا
وقد غاب عيون الثريا فعردا
اذا ضمن بالمال البخيل وصردا
أرى المال عند المسكين معبدا
وكل امرىء جار على ما تعودا
أرى ما تزين أو بخيلاً مخذدا
إلى رأى من تلحين رأىك مسندا
وعز القرى أقرى السديف المسرها
ومن دون قومي فى الشدائد منودا =

عمرو (١) .

= وألفى لأعراض العشيرة حافظا - وحقهم - حتى أكون المسودا
وقوله :

أما والذي لا يعلم الغيب غيرهه ويحي العظام البيض وهى رميم
لقد كنت أطوى البطن والزاد يشتهى مخافة يوما أن يقال لئيم
وما كان بى ما كان والليل ملبس رواق له فوق الأكام بهيم
ألف بحلى الزاد من نون صحبتى وقد أب نجم واستقل نجوم

(١) عمرو : هو أبو ثور عمرو بن معد يكرب بن عبدالله الزبيدى ، أحد فرسان العرب وأبطالهم وصاحب الغارات والوقائع فى الجاهلية والاسلام ورد على رسول الله صلى عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة وأسلم وأبلى فى وقائع الاسلام بلاء حسنا ، وله فى معركة القادسية موقف مشهود كان سبب الفتح كما كان فى موقعة اليرموك وغيرها مغوارا فارسا شجاعا هماما . حدث عن نفسه قال : قدمت المدينة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا من تبوك فأردت أن أدنو إليه فمنعنى من حوله فقال : دعوه ، فدنوت منه فقلت : أنعم صبحا أبيت اللعن ، فقال : يا عمرو أسلم تسلم ، ويؤمنك الله من الفزع الأكبر . فأسلمت ، ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سأله يوما : ما تقول فى الحرب ؟ قال : مرة المذاق ، اذا كشفت عن ساق ، فمن صبر عرف ، ومن ضعف تلف ، قال : فما تقول فى الرمح ؟ قال : خليك ، وربما خاتك ، قال : =

وَأَبْلَغَ مِنْ

= فالنبيل؟ قال : منايا تحظى وتصيب ، قال : فالترس ؟ قال : عليه تنور
الدوائر ، قال فالسيف؟ قال : عبدك ثكلتك أمك ، قال عمر : بل أمك ، فقال :
الحمى أصرعتنى ، فأغظ له عمر فى الكلام فقال :

أتوعدنى كأنك نورعين بأنقم عيشة أو نو نواس
فلا تفخر بملكك ، كل ملك يصير لذلة بعد الشمس

فقال عمر : صدقت فاقتص منى ، قال : بل أعفويا أمير المؤمنين ، لولا آية
سمعتها منك لجالتك بالسيف أخذ منك أم ترك ! قال : وما هى ؟ قال : سمعتك
تقرأ : (أنه من يأت ربه مجرماً فان له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى) والله لو
علمت أنتى اذا دخلتها مت لفعلت .

وهو شاعر مطبوع ، ومن جيد شعره :

ولما رأيت الخيل زورا كأنها جداول ماء أرسلت فاسبطرت
وجاشت إلى النفس أول فكرة فزدت على مكروها فاسبطرت
ظللت كأنى للرماح رديئة أقاتل عن أحساب قوم وفرت
ولو أن قومى أنطقتنى رمامهم نطقت ولكن للرماح أجرت

وقوله :

وقد عجبتُ أمانة أن رأتنى تفرع لمتى شيب فظيع
أشاب الرأس أيام طوال وهم ما تبلغه الضلوع =

= وزحفت كتيبة للقاء أخرى كان زهاها رأس صليح
وأسناد الأسنة نحو نحرى وهز المشرفية والوقوع

وقوله :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع
وصله بالنزوع ، فكل شيء سماك ، أو سموت له نزوع

وقوله :

ليس الجمال بمئزر فاعلم وأن رديت بردا ان الجمال معادن
ومناقب أورثن مجداً اعددت للحدثان سا بغة وعداء عندي
وحسام ذا شطب يقدر البيض والابدان قدا كل امرئ يجرى إلى
يوم الهياج بما استعدا لما رأيت نساغنا يفحصن بالمعزاء شدا
ويدت محاسنها التي تخفى وعاد الأمر جدا ويدت لميس كأنها
بدر السماء اذا تبدى نازلت كبشهم ولم أر من نزال الكبش ابدا
كم يندرون دمي وأن ذراً إن لقيت بان أشدا كم من أخ لى صالح
بوأته بيدي لحدا ذهب الذين أحبهم وبقيت مثل السيف فردا
ووفد على كسرى مع النعمان بن المنذر ليدافع عن العرب ويبطل ما كان كسرى
قد نسبه إليهم فقال :

انما المرء باصغريه قلبه ولسانه فيبلاغ المنطق الصواب، وملاك النجدة الارتياح،=

سحبانٍ وائلٍ (١) .

= وعفو الرأي خير من استكراه الفكرة ، وتوقيف الخبرة خير من اعتساف الحيرة، فاجتنب طاعتنا بلفظك ، واكتظم بادرتنا بحلمك ، وألن لنا كنفك يسلس لك قيادنا، فأنا أناس لم يوقس صفاتنا قراع مناقير من أراد لنا قضمًا، ولكن منعنا حمانا من كل من رام لنا هضمًا .

(١) سحبان وائل : هو سحبان بن زفر بن أباد الوائلي (نسبة لوائيل باهلة) الخطيب المصقع ، المضروب به المثل في البلاغة والبيان ، وفيه قال الاصمعي كان إذا خطب يتصبب عرقا ، ولا يعيد كلمة ، ولا يتوقف ولا يقعد حتى يفرغ ، ونشأ في الجاهلية بين قبيلة وائل (إحدى قبائل ربيعة) ولما ظهر الاسلام أسلم ، وتقلبت به الاحوال حتى التحق بمعاوية رضى الله عنه فكان يعده للملمات ، ويتوكأ عليه عند المفاخرة : لقوة عارضته ، وسرعة خاطره ، وقدم على معاوية وفد من خراسان وفيهم سعيد بن عثمان بن عفان فطلب سحبان فلم يجده في منزله ، فاقتضب من ناحية اقتضابا وأدخل عليه فقال له معاوية : تكلم ، فقال : احضروا لى عصا ، قالوا : وما تصنع بها وأنت بحضرة أمير المؤمنين ؟ قال : ما كان يصنع بها موسى وهو يخاطب ربه فضحك معاوية وأمر له باحضارها فلما وصلت إليه ركلها (خبرها) فلم ترق في نظره فطلب عصاه فأخذها ثم خطب من صلاة الظهر إلى أن حانت صلاة العصر ، ما تنحنح ، ولا سعل ، ولا توقف ، ولا تلكأ ، ولا ابتداء في معنى وخرج منه وقد بقى منه شيء . فمازالت =

= تلك حاله حتى دهش منه الحاضرون فأشار إليه معاوية بيده ، فأشار إليه سبحانه لا تقطع على كلامي ، فقال معاوية الصلاة ، قال . هي أمامك ، نحن في صلاة وتحميد ، ووعده ووعيد فقال معاوية : أنت أخطب العرب ، قال سبحانه :
والعجم ، والجن والانس ، وينسب إليه:

لقد علم أخى اليمانون أننى اذا قلت اما بعد انى خطيبها

ومن خطبة له فى الوعظ

أما بعد فان الدنيا دار ممر، والآخرة دار مقر ، فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم ، عند من لا تخفى عليه أسراركم ، وأخرجوا من الدنيا قلوبكم ، قبل أن تخرج منها أبدانكم ، ففيها حبيتم ، ولغيرها خلقتم ، اليوم عمل بلا حساب ، وغدا حساب بلا عمل ، إن الرجل إذا هلك ، قال الناس ما ترك ، وقال الملائكة ما قدم ، فقدموا بعضا ، ليكون لكم قرضا ، ولا تتركوا كلا ، يكون عليكم كلا

ومن جيد شعره فى مدح طلحة الطلحات الخزاعي

يا طلح أكرم من مشى حسبا وأعطاهم لتالد

منك العطاء فأعطنى وعلى مدحك فى المشاهد

والمروى له كلام يسير جدا ، بل والذى روى على ندرته قد نسبه إلى غيره بعض الرواة الموثوق بهم ، ومن هذا القطعة التى ذكرناها فقد نسبها أبو على القالى فى أماليه إلى بعض الاعراب فى صدر العصر العباسى ، ولعل السر فى عدم =

وأدهى من قصير^(١) . وأشعر من جرير . وأعذب من ماء الفرات
وأطيب من العافية . لبذلى ومرؤتى^(٢) . وإتلاف ذخيرتى . فلماً

= تدوين خطبه أنه كان يميل إلى الاطالة التي يعجز الرواة معها على الحفظ على
أنها لم تكن من السياسة فى شىء والقوم إذ ذلك لا يشغلهم غيرها .

(١) قصير : هو أحد أرباب الحجا والرأى من ثقة جذيمة الابرش الذين جمعهم
جذيمة حين استدعته الزباء إليها وعرضت عليه ملكها وزواجها فاستخفه ما
دعته إليه ، ورغب فيما أطمعته فيه فعرض على خاصته الامر فاجتمع رأيهم على
أن يسير إليها فيستولى على ملكها ما عدا قصيرا - وكان أديبا حازما أثيرا
عند جذيمة - فخالفهم فيما أشاروا به وقال : رأى فاتر ، وغدر حاضر فذهبت
كلمته مثلا ثم قال : الرأى أن تكتب إليها فإن كانت صادقة فى قولها فلتقبل إليك
والا لم تمكنها من نفسك ولم تقع فى حبالتها وقد وترتها وقتلت أباه فلم يوافق
جذيمة ما أشار به قصير فقال قصير :

إنى امرؤ لا يميل العجز ترويتى إذا اتت بون شأنى مرة الرزم

فقال جذيمة : لا ، ولكنك امرؤ رأيك فى الكن لا فى الضح فذهبت

كلمته مثلا . ثم سار إليها فقتل ، والحادث مشهور عرفه الصبيان فلا حاجة بنا
إلى ذكره .

(٢) المعنى أننى كنت فى نظرهم جامعا لفضائل الصفات ، وكريم الخصال ،
وشريف السجايا لما كان يعود عليهم من النفع وما كنت أمنحهم من المعروف ،
وكذلك الموسر موقر فى نظر الناس مغبوط منهم فلا يحاسب على هفواته ، ولا
تعد له زلاته ، ولا تساء معاملته ، فإذا املق رجع كل شىء إلى ضده وانقلب =

خَفَّ المتاعُ . وانحطَّ الشراعُ^(١) وفرغَ الجرابُ^(٢) . تبادرَ القومُ
البابَ^(٣) . لما أحسوا بالقصَّةِ . وصارتُ في قلوبهم غُصَّةً^(٤) .

= الحال ، وتغيرت الشؤون . وجريير ، وأبو نواس : تقدمت ترجمتها .

(١) الشراع : كل شيء ارتفع وتصوب ، ومعنى انحطاطه تهاويه إلى أسفل
وذلك كناية عن تغير حاله وانقلاب دهره أو هو شراع السفينة ومعنى انحطاطه
حينئذ ركود الريح وتعطل السفينة عن السير وفيه من الكناية نفس الذى فى
المعنى الأول . (٢) الجراب - بكسر أوله ولا يفتح أو الفتح فيه لغة ضعيفة - :
المزود والوعاء ، والجمع جرب بضمين أو جرب بضم فسكون وأجربة ، ومعنى
فراغه خلوة من المتاع ، وهذا كناية عن املاقه وبؤسه وخلو ذات يده .

(٣) تبادر القوم الباب : أسرعوا فى الهرب وتوجه كل واحد منهم معرضا عنى
موليا بوجهه نحو الباب فرارا منى ، والمعنى : أنهم مازالوا يفتدون على ،
ويتقربون إلى . ويحاولون بكل ما فيهم من جهد أن يتصلوا بى إلى أن نضب
معين ثروتى ، وعاض المال عندى وظهرت المتربة ، وبدا لهم سوء حالى . فلما
عرفوا عنى ذلك ، وشعروا بأنه لم يعد لهم لدى رقد نفروا ، منى وفروا ،
واستثقلوا ظلى .

(٤) الغصة - بضم أوله - الشجا وما اعترض فى الحلق فأشرق وجمعه
غصص ، تقول منه غصصت بالطعام بالكسر أغص غصصا (بوزان طرب) فأنا
غاص به وغصان ، وقال الشاعر :

إلى الماء يسعى من يغص بريقه فقل أين يسعى من يغص بماء

ودعوْنِي بِرُصَّةٍ (١) . وانبعثوا للفرار . كرمية الشرار (٢) .
وأخذتهم الضجرة (٣) فانسأوا قطرةً قطرةً (٤) . وتفرقوا

وقال آخر :

لو بغير الماء حلقي شرق كنت كالغصان بالماء اعتصار
والمراد هنا لازمه وهو الضيق ، والحزن ، وانقباض النفس ، وذلك لما فاتهم من
مجامع الانس ، ومحافل السرور ، ومجالس البهجة والطرب .

(١) البرصة - بفتح أوله - : دويبة صغيرة معروفة ، ودعوني : لقبوني وأطلقوا
على هذه الكلمة تحقيقاً لشأني ، واستهانة بي ، وتقليلاً لفائدتي وغنائتي وقد
يكون بالضم وهو جمع مفرده البراص - بوزن سحاب - وهو البقعة التي لا
تنتب أو منازل الجن ، ويكون المعنى إذ ذاك أنهم سموه بذلك لفقره ، وانتزاف
ماله ، وذهاب ثروته ، وضياح ما كان حوله من الفائدة والمنفعة .

(٢) الشرار : ما انفضل وتطاير من النار ، ومن طبيعة الشرار أن ينطلق في
الهواء بسرعة زائدة .

(٣) الضجرة - بضم أوله - : الضجر ، وهو ضيق النفس والقلق والغم
والتملل .

(٤) إذا بلغ الماء درجة مخصوصة كان لا بد له من مزايلة مكانه فيتساقط
ويتقاطر فإذا حصل ذلك لم يكن أسرع منه فهو يكتنى بانسلالهم قطرة قطرة عن
تسارعهم إلى الهرب منه ، واشتدادهم في الفرار من وجهه .

يمنةً ويسرةً^(١) . وبقيتُ على الأجرّة^(٢) . قد أورتوني
الحسرة . واشتملتُ منهم على العبرة لا أساوي بعرّة^(٣) . وحيداً
فريداً كالبوم . الموسوم بالشوم^(٤) أقعُ وأقومُ كأنّ الذي كنتُ فيه
لم يكن . وندمتُ حينَ لم تنفعني الندامة^(٥) . فبدلتُ بالجمالِ وحشةً .

(١) يمنة ويسرة - بفتح أولهما - : أى يمينا وشمالا ، والمراد أنهم فارقوه كل
واحد منهم إلى جهة إذ لم يكن لهم ما يجمعهم سوى مجلسه .

(٢) المراد ببقيت على الأرض منفردا ، والأجرة فى الاصل واحد الأجر وهو
الطوب المحروق الذى يتخذ فى البناء .

(٣) أورتوني حسرة : مثله قول أبى نؤيب .

أودى بنى وأعقبونى فى حسرة فتخرموا ولكل جنب مصرع

والعبرة - بفتح أوله - : الدمعة ، والبكاء . وبعرة الجمل ونحوه معروفة والمعنى :

أن ابتعادهم عنى وتركهم لى فريدا لا أنيس لى قد أعقبنى الندم والتحسر على
سابق أمرى معهم وجعلنى أقضى جميع أوقاتي فى البكاء والنحيب وتركنى

بأسا مسكينا لا قيمة لى ولا عضد . (٤) البوم والبومة : طائر يقال

للذكر والانتى بوم وبومة ، والموسوم : المعروف واصل الوسم والسمة - كالوعد

والعدة - : العلامة واليوم مما يتشاعم به ويتطير من صوته .

(٥) المعنى أننى أسفت وزاد بى الغم ولكن بعد فوات الوقت ولم يعد الندم

ينفعنى ولا الأسف يفيدنى .

وصارت بي طُرْشَةٌ^(١). أقْبَحُ من رَهْطَةِ المُنَادِي. كَانِي
 راهبٌ عُبَادِي^(٢). وقد ذهبَ المالُ وَيَقِي الطَنْزُ^(٣). وحصلَ بيدي
 ذَنْبُ العَنْزِ^(٤) وحصلتُ في بيتي وحْدَى مُتَفَتَّتةً كَبْدِي. لتعس
 جدِّي. قدْ قَرَّحْتُ دُمُوعِي خَدِي^(٥). أَعْمَرُ مَنْزِلًا دَرَسْتُ

(١) المراد من الوحشة قبح الهيئة وتغييرها لأن ذلك هو الذي يقابل الجمال ،
 والطرشة في الاصل : الخفيف من الصمم ، وأراد منه هنا ما اشتد منه وزاد
 بدليل تعقيبه بقوله : أقبح من رهطه وهو رجل عرف عنه الصمم الشديد .

(٢) العباد : جمع عابد والنسبة هنا غير قياسية إذ الاصل أن ينسب إلى المفرد .
 اللهم إلا اذا كان بالتأويل التسمية بلفظ الجمع واطلاقه على هذه الجماعة كعلم
 لهم . وصفات الراهب العزلة والابتعاد عن الناس وأراد من تشبيه نفسه به ذلك .

(٣) طنز يطنز طنزا : سخر وتهزأ واستهان ، والمعنى : أنه قد ذهب عنى جمال
 الغنى ، وأبهة اليسار وحالفتنى سخرية الفقر واستهانته .

(٤) ذنب العنز كناية عن عدم وجود شيء عنده لان ذنب العنز قصير جاف لا
 نفع فيه ولا فائدة به فوجوده والعدم سواء .

(٥) المعنى : أننى بقيت فى دارى وحيدا حزينا أسفا باكياً متوجعاً لما نالنى
 متألماً مما نزل بى ، وتعجبني أبيات قلتها فى مثل هذا الحال وهى :

بلوت الناس فى عسر ويسر وفى الحالين من فرج وضيق
 ولما لم أجد من يصطفينى لغير المال والحسب العريق
 نفضت يدي وما علقت بشيء سوى الآلام والحزن العميق
 إذا لم تلق فى القرناء خيرا فأولى أن تعيش بلا رفيق

طلوله^(١) . وعفتُ معالهُ سيوله^(٢) . فأضحى وأمسى بربعه
الوحوش . تجولُ وتنوش^(٣) . وقد ذهبَ جَاهى ونَقَدت
صحاحي^(٤) . وقلُّ مراحى . وسلحتُ فى راحي^(٥) . ورفضنى

(١) الطلل : ما بقى من آثار الديار أو الشخوص من كل شىء ، وجمعه طلول
أطلال ، ودرست : انمحت ، والمراد خلوها من القطين والسكان ، والمعنى أننى
صرت وحدى أعمر هذه الأماكن التى خلت بزهابهم . (٢) عفت : درست يقال :
عفا المنزل ، وعفته الريح ، يتعدى ويلزم - وبأبهما عدا - وعفته الريح
بالتضعيف - أيضا ، وشدت للمبالغة ، والسيول : جمع سيل وهو ما انحدر من
المطر وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

دمن عفت ومحا معالمها هطل أجش وبارح ترب

والمعنى : أن السيل بطول مروره بهذه الديار قد محا معالمها وعفا آثارها .

(٣) تجول وتنوش معناهما واحد ، والمراد أنه أصبح مسكنا للوحوش تذهب فيه
طورا وتجىء وتروح وتغدو . (٤) نفدت : فנית وفى التنزيل (ما عندكم ينفد وما
عند الله باق) ، والصحاح : جمع صحيح وهو كل ما يعتمد عليه والمراد ما كان
بيده من المال . (٥) مراحى : خفتى لإسداء المعروف ، وهو من قولهم راح
للمعروف يراح راحة اذا أخذته له خفة وأريحية ومنه الحديث (ومن راح فى
الساعة الثانية الخ) لم يرد رواح النهار بل المراد خف إليها وساحت فى راحى :
الراح : الراحة والارتياح ، وسلح فيها أفسدها على نفسه والمعنى : أن قلة المال
وخلو اليد جعلانى لا أبادر للبذل ولا أخف إلى الاعطاء كما كنت أولا وأن
الاملاق تركنى فاقد الراحة مسلوب الطمأنينة .

النُّدْمَانُ وَالْإِخْوَانُ الْقَدْمَاءُ لَا يَرْفَعُ لِي رَاسٌ . وَلَا أَعْدُ مِنَ النَّاسِ .
أَوْتَحُ مِنْ بَزِيعِ الْهَرَّاسِ . وَرَزِينِ الْمَرَّاسِ^(١) . أَتَرَدُّ عَلَيَّ
الشَّطُّ . كَأَنِّي رَاعِي الْبَطِّ^(٢) . أَمْشِي وَأَنَا حَافِي . وَأَتَّبِعُ الْفِيَّافِي^(٣) .
عَيْنِي سَخِينَةٌ . وَنَفْسِي رَهِينَةٌ^(٤) . كَأَنِّي مَجْنُونٌ قَدْ أَقْلَتَ مِنْ
دَيْرٍ . أَوْ عَيْرٍ يَدُورُ فِي الْحَيْرِ^(٥) . أَشَدُّ حَزْنًا مِنَ الْخَنَسَاءِ عَلَيَّ

(١) أوتح : أخس وأضعف شأننا وأحط قيمة وأنزل قدرا ، والهراس : صانع
الهريسة والمراس : صانع الامراس وهي الحبال ، وبزيع ورزين اسما رجلين ،
وقد ضرب بهما مثلا في خسة القدر وضعف الجاه لأن صناعتهما في زمانه
كانت أحط الصناعات وأقلها قدرا .

(٢) الشط . هو شاطئ النهر ، والبط : من نوع الأوز وهما يألفان الماء وإذا
كان لهما راع فهو دائما ملازم لشاطئ الماء . (٣) الفيافي الاراضي التي لا ماء
بها ولا نبات ، وأراد من ذلك الكناية عن الاماكن التي لا يوجد بها من الناس
أحد لانه كان يخجل أن يروه وهو على هذه الحال السيئة . (٤) يقال في الدعاء
على الرجل بالحزن : أسخن الله عينه ، وسخنت عينه كما يقال في الدعاء له
بالمسرة : أقر الله عينه وفي التنزيل (قرة عين لي ولك) ونفسي رهينة : محبوسة
، والمعنى : ضيقة متأللة .

(٥) العير - بفتح أوله - الحمار ، قال الشاعر :

ولا يقيم على ضعف يراد به ألا الاذلان عير الحي والوتد

والحير : الحظيرة التي تعمل للماشية وقاية لها من الحر والبرد

صخر^(١) ومن هندی

(١) الخنساء هی : السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمية ، أرقى شواعر

العرب ، وأحزن من بكى وندب .

كان أبوها عمرو وأخواها صخر ومعاوية سادات بنی سلیم من مضر ، وكانت هی من أجمل نساء عصرها ، فخطبها درید بن الصمة فارس جشم ، فرغبت عنه وأثرت التزوج فی قومها فتروجت منهم .

وكانت تقول المقطعات من الشعر فلما قتل شقيقها معاوية ثم أخوها لأبيها صخر جزعت عليهما جزعاً شديداً وبكتهما بكاء مرا ، وكان أشد وجدها على صخر لأنه كان شاطرها هي وزوجها أمواله مرارا ، فهاج حزنها الشعر في نفسها فقالت المراثي المطولات وفاقت النساء والرجال فيها ، وأطالت عليهما البكاء والعيول حتى تقرحت مآقيها وحتى ضرب بها المثل في الحزن والبكاء وكثرة الرثاء ، وجاء الاسلام فوفدت مع قومها على النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت ، وكان يعجبه شعرها ويستنشدها ، ويقول : هيه يا خناس ويومئء بيده وما فتئت تبكي صخرًا قبل الاسلام ، وبعده حتى عميت ، وبقيت إلى أن شهدت وقعة القادسية في السنة الخامسة عشرة من الهجرة مع أولادها الاربعة فأوصتهم وحصنتهم على الصبر عند الزحف فقتلوا جميعا ، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ! ولم تحزن عليهم حزنها على أخويها ، وتوفيت بالبادية في خلافة معاوية . =

= فأما شعرها فقد أجمع أغلب علماء الشعر على أنه لم تكن امرأة قبل الخنساء ولا بعدها أشعر منها ، ومن فضل ليلي الأخيلية لم ينكر أنها أرثى النساء ، وكان بشار بن برد يقول : لم تقل امرأة الشعر إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له : وكذلك الخنساء ؟ فقال : تلك غلبت الفحول !

ولم يكن شأنها عند شعراء الجاهلية أقل منه عند شعراء الاسلام فذلك النابغة الذبياني يقول لها - وقد أنشدته بسوق عكاظ قصيدتها التي مطلعها :

قذى بعينك أم بالعين عوار أم أقفرت إذ خلت من أهلها الدار ؟؟

لولا أن أبا بصير (يريد الأعشى) أنشدنى قبلك لقلت أنك أشعر من بالسوق ولشعر الخنساء رنين فى السمع ، وهزة فى القلب ، ووقع فى النفس ، لانه صادر عن فؤاد محزون ، وما خرج من القلب حل فى القلب ، وكان فوق ذلك لين اللفظ ، سهل الاسلوب ، حسن الديباجة .

وسئل جرير : من أشعر الناس ؟ قال : أنا لولا الخنساء ، قيل : فيم فضلتك ؟ قال : بقولها :

إن الزمان - وما يفنى له عجب أبقى لنا ذنبا واستوصل الراس

إن الجديدين فى طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

ومن جيد شعرها قولها ترثى أباها صخرا :

أعينى جودا ولا تجمدا ألا تبكيان لصخر الندى

ألا تبكيان الجرىء الجميل ألا تبكيان الفتى السيدا

رفيع العماد ، طويل النجا د ساد عشيرته أمردا

إذا القوم مدوا بأيديهم إلى المجد مد إليه يدا

عَلَى عَمْرٍو (١) .

فقال الذى فوق أيديهم
يحملة القوم ما عالهم
وان ذكر المجد ألفتيه
ومن قصيدتها التى تقدم مطلعها :
وأن صخرا لمولانا وسيدنا
وأن صخر لتأتم الهداة به
حمال ألوية ، هباط أودية
ومن قولها ترثيه :

ألا يا صخر إن أبكيت عيني
دفعت بك الخطوب وأنت حى
إذا قبح البكاء على قتيل
فقد أضحكتنى زمنا طويلا
فمن ذا يدافع الخطب الجيلا ؟
رأيت بكاءك الحسن الجميلا

(١) عمرو : هو ابن المنذر بن ماء السماء ، وهند أمه ، وكان قد قتله عمرو بن كلثوم فى قصة ذكرناها عند ترجمته فى المقامة العراقية وفى مقتله يقول : أفنون ابن صريم التغلبى مفتخراً بفعل عمرو بن كلثوم من قصيدة له :

لعمرك ما عمرو بن هند وقد دعا
فقام ابن كلثوم إلى السيف مصلتا
وجلاله عمرو على الرأس ضربة
وكان لعمرو أخ يقال له مرة بن كلثوم فقتل المنذر بن النعمان وأخاه ، وإياه عنى
الاختل بقوله :

ابنى كليب إن عمى اللذا
قتلا الملوك وفككا الاغلا

وقد تاهَ عقلي وتلاشتُ صحتي . وفرغتُ صرّتي^(١) . وفرَّ غلامي
وكثرتُ أحلامي وجزتُ في الوسواسِ المقدارَ . وصرتُ بمنزلةِ
العمارِ . وشيطانِ الدارِ . أظهرُ بالليلِ وأخفى بالنهارِ . أشأمُ من
حفارٍ . وأثقلُ من كراءِ الدارِ . وأرعنُ من طيطيءِ القصارِ^(٢) .
وأحمقُ من داودَ العصارِ . قدْ حالفْتنى القلةُ . وشملتْني الذلَّةُ .
وخرجتُ من الملةِ . وأبغضتُ في الله^(٣) . وكنتُ أبا الغنيسِ .
فصرتُ أبا عملسِ^(٤) .

(١) الصرة : وعاء الدراهم الذي توضع فيه . (٢) العمار : الجن الذين يسكنون
البيوت ، وشيطان الدار بيان له والحفار : الذي ينبش القبور ، وكراء الدار ثقل
جداً على من يسكنها بحيث لا يطيقه الا متضرراً متأنفاً فلعمرك إن من كان
أثقل منه لا طاقة لمخلوق على احتماله ، وأرعن : صيغة ، تدل على زيادة الرعونة
وهي الحمق ، والقار الذي صنعته تقصير الثياب ، وطيطيء اسم رجل .
(٣) أبغضت في الله : أى كرهنى الناس وابغضونى لأجل الله وابتغاء مرضاته
وذلك لانه خرج عن الملة . (٤) الغنيس فى الاصل : الاسد ، والعملس : الذئب
قال الشنفرى :

ولى نونكم أهلون سيد عملس وأرقت زهلول وعرفاء جبال
فهو يشير إلى المعنى الاصلى للفظين ويروى بدل عملس (عفلس ، وأبافقعس)
وليست بشيء ، والمعنى أننى كنت عظيماً مهاباً منظوراً إلى نظرة الاحترام
فأصبحت محتقرا مننولا ينظرنى الناس بعين المقت والازدراء .

قد ضللتُ المحجَّةَ . وصارتُ على الحجة^(١) . لا أجدُ لى ناصراً ،
والافلاسُ عندي أراهُ حاضراً^(٢) . فلما رأيتُ الأمرُ قد صعبَ
والزمانَ قد كلب^(٣) . التمسْتُ الدرهمَ فإذا هوَ معَ النسرينِ^(٤)
وعندَ مُنقطعِ البحرينِ^(٥) . وأبعدُ منَ الفرقديينِ^(٦) .

(١) المحجة : نهج الطريق ، والسبيل الواضع البين ، والحجة : البرهان ،
والدليل ، والمعنى أنني لم أتدبر الأمر ولم أنهج أعدل السبل وأقومها وأكثرها
هداية وأبينها فقام الدليل بما وصلت حالي إليه على أنني أستحق ذلك ولم أجد
إلا جزاء ما صنعت يدي . (٢) المعنى : أنه لم ينصرني على بلواء الزمان وكيده
أحد بل خذلني الناس جميعاً ، وكنت أجدني دائماً مفلساً معدماً . (٣) كلب :
يصح أن يكون قولهم : كلب - كفرح - : إذا عضه الكلب المصاب بداء الكلب
وهو إذا عض إنساناً لم يبرأ منه إلا مع الجهد والمشقة ويصح أن يكون من
الكلبة بضم أوله وهي الشدة والضيق والقحط ويصح أن يكون من قولهم : كلب
الشجر إذا لم يجد ربه فخشن ورقه وعلق به ثوب من يمر به . (٤) النسران :
هما الكوكبان اللذان يسمى أحدهما النسر الطائر والآخر النسر الواقع ، ومن
ذا الذي يمكنه الوصول إليهما ليستخلص الدينار أو الدرهم !؟

(٥) البحرين : المراد بهما المحيط الغربي والمحيط الشرقي ولم يتيسر الوصول
إليهما حينذاك . (٦) الفرقدان : هما نجمان يقعان بالقرب من القطب الشمالي
ويهتدى بهما وأحدهما أكثر وضوحاً من الثاني .

فخرجتُ أُسَيْحُ . كَأَنَّيَ الْمَسِيحُ^(١) . فَجَلْتُ خِرَاسَانَ . الْخِرَابَ
مِنْهَا وَالْعِمْرَانَ . إِلَى كِرْمَانَ وَسَجِسْتَانَ وَجِيلَانَ إِلَى طَبْرِسْتَانَ
وإِلَى عَمَانَ إِلَى السَّنْدِ وَالْهِنْدِ وَالنُّوبَةِ وَالْقَبْطِ وَالْيَمَنِ وَالْحِجَازِ
وَمَكَّةَ وَالطَّائِفِ أَجُولُ الْبِرَارِيِّ وَالْقَفَارِ . وَأَصْطَلِيَّ بِالنَّارِ . وَأَوِيَّ
مَعَ الْحِمَارِ^(٢) . حَتَّى اسْوَدْتُ وَجَنَّتَايَ . وَتَقَلَّصْتُ خَصِيَّتَايَ .
فَجَمَعْتُ مِنَ النُّوَادِرِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَسْمَارِ^(٣) . وَالْفَوَائِدِ وَالْآثَارِ .
وَأَشْعَارِ الْمُتَطَرِّفِينَ وَسَخْفِ الْمَلْهِينَ . وَأَسْمَارِ الْمُتَيْمِينَ^(٤) .
وَأَحْكَامِ الْمُتَفَلْسَفِينَ . وَحِيلِ الْمُشَعُوزِينَ وَنَوَامِيسِ الْمُتَمَخَّرِقِينَ^(٥) .

(١) المسيح : هو عيسى بن مريم رسول الله عليه السلام .

(٢) أوى المنزل وأوى إليه أوىا - بضم فكسر فياء مشددة - وربما كسر أوله
أيضاً : سكنه ونزل فيه ، والمراد أنه بلغ من الاعواز مبلغاً لم يكن يجد لنفسه
مأوى ينزله ولا مبيتاً يستريح إليه غير مكان الحمار .

(٣) الاسمار : أحاديث الليل التي يجتمع عليها الناس ويروونها .

(٤) المتيمون : هم العشاق وأرباب الغرام ، وأهل الهوى .

(٥) مخرق - بوزن دحرج - : كذب ، وموه . وقال الباطل ، وافترى ، وأراد
بنواميسهم طرقهم التي يتخذونها لخداع الناس وغرورهم ، وحيلهم التي
يستعملونها لادخال الغفلة على المنصتين إليهم ، وأساليبهم في تحذير الافكار
وتسميم العقول .

ونوادر المنادمين . ورزق المنجمين^(١) . ولطف المتطبيين . وكيار
المختئين^(٢) .

(١) المنجمون : هم الجماعة التي تدعى معرفة أحكام النجوم وتأثيرها في عالم
العناصر ورزقهم : التكهين والابخار بالغيب وذكر المجهولات وغيرها من
الوسائل التي يحتالون بها على الناس لاستدرار الاكف واستنباط الاموال
وابتزازها .

(٢) المختئون : جماعة من الرجال يتشبهون بالنساء ، ومن حوادثهم ما ذكره
صاحب الاغانى قال : خرج يحيى بن الحكم - وهو أمير على المدينة - فبصر
بشخص بالسبخة مما يلي مسجد الاحزاب فلما نظر إلى يحيى بن الحكم جلس،
فاستراب به ، فوجه أعوانه في طلبه ، فأتوا به كئنه امرأة في ثياب مصبغة
مصقولة وهو متمشط مختضب . فقال له أعوانه : هذا ابن نغاش المختث فقال
له: ما أحسبك تقرأ من كتاب الله عز وجل شيئاً ! أتقرأ أم القرآن ؟ فقال : يا
أبانا، لو عرفت أمهن عرفت البنات ، فقال له : أتهزأ بالقرآن لا أم لك ؟ وأمر به
فضربت عنقه ، وصاح في المختئين من جاء بواحد منهم فله ثلاثمائة درهم . قال
زرجون المختث : فخرجت بعد ذلك أريد العالية فاذا بصوت دف أعجبنى فدنوت
من الباب حتى فهمت نغمات قوم أنس بهم (!؟) ففتحتة ودخلت فإذا بطويس
(أحد مخنثى المدينة) قائم فى يده الدف يتغنى فلما رآنى قال لى : ايه يا
زرجون، قتل يحيى بن الحكم بن نغاش ؟ قلت : نعم . قال : وجعل فى =

= المختثن ثلاثمائة درهم ؟ قلت : نعم ، فاندفع يغنى :

ما بال أهلك يا رباب خزرا كأنهم غضاب

ارزرت أهلك أوعدوا وتهر دونهم الكلاب

ثم قال لى : ويحك ! أفما جعل فى زيادة ولا فضلنى عليهم فى الجعل بفضلى !
ومن أشهر المختثن أبو عبد النعيم عيسى بن عبدالله مولى بنى مخزوم الشهير بطويس وكان مختثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أول من غنى بها على الدف بالعربية وله أخبار تدل على مكره وفطنته . قيل : كان عبدالله بن جعفر ومعه أخذان له فى عشية من عشايا الربيع فراحت عليهم السماء بمطر جودى أسأل كل شىء ، فقال عبدالله : هو لكم فى العقيق ؟ - وهو متنزه أهل المدينة فى الربيع والمطر - فركبوا ، ثم أتوا العقيق فوقفوا على شاطئه وهو يرمى بالزبد فانهم لينظرون اذ جادت السماء فقال عبدالله لاصحابه ليس معنا جنة نستجن بها ، وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا فهل لكم فى منزل طويس فانه قريب منا فنسكن فيه ويحدثنا ويضحكنا - وطويس فى النظارة يسمع كلام عبدالله بن جعفر مع أصحابه ، ولم يروه - فقال عبد الرحمن بن حسان : جعلت فداك ، وما تريد من منزل طويس عليه غضب الله هو مختث شائن لمن عرفه ، فقال عبدالله : لا تقل ذلك فانه خفيف لنا فيه أنس ، لما استوفى طويس الكلام تعجل إلى منزله فقال لامرأته : ويحك ، قد جاعك سيد الناس عبدالله بن جعفر فما عندك ؟ قالت : تذبح هذه العناق وكانت قد ربثها للبن ، واختبزت رقاقا ، فبادر بذبحها ، وعجنت هى . وخرج وتلقاه مقبلا إليه ، فقال له طويس : بأبى أنت =

ودخمسة الجرابزة^(١) وشيطنة الأبالسة ما قصر عنه فتياً الشعبي وحفظ الضبي^(٢) .

= وأمى ، هذا المطر هل لك فى المنزل فتسكن به إلى أن تكف السماء ؟ قال :
إياك أريد ، قال : فامض يا سيدى على بركة الله ، وجاء يمشى بين يديه حتى
نزلوا فتحدثوا إلى أن أدرك الطعام فاستأنن عليه وأتى بعناق سمينة ورقاق
فأكل وأكل معه القوم وأعجبه طعامه ثم قال طويس : بأبى أنت وأمى أما أغنيك ،
قال . بلى ، فأخذ الدف وانطلق يغنى :

يا خليلي يا بني سهدى لم تتم عيني ولم تكد
كيف تلحونى على رجلٍ أنس ، تلتذه كبدى

فطرب القوم ، وقالوا : والله أحسنت ، فقال : يا سيدى . أتدرى لمن هذا الشعر؟
قال : لا ، قال هذا لفارعة بنت حسان وهى تعشق عبد الرحمن ابن الحرث
المخزومى وتقول فيه ، فسكت القوم ، وضرب عبد الرحمن برأسه فلو ثقبت له
الارض لذهب فيها ، وعلم عبدالله أنه اقتص من عبد الرحمن .

(١) الدخمسة مأخوذة من قولهم : دخمسة إذا خدعه ، والجرابزة : جمع جربذ
وهو الخبيث المخاتل الخداع .

(٢) الضبى : هو أبو عبد الرحمن المفضل بن محمد الضبي الثقة ، أحد أكابر
الكوفيين ، وعنه أخذ أبو زيد الانصارى لثقتة وحفظه وروايته ، وللمهدى جمع
الأشعار المختارة المسماة (بالمفضليات) وهى تزيد وتنقص بحسب الرواة الذين
نقلوا عنه وأصح رواياتها رواية أبى عبدالله بن الاعرابى عنه ، وله من الكتب
سواها كتاب الأمثال وكتاب معانى الشعر وكتاب العروض ، قال خلف الأحمر : =

وعلمُ الكلبى (١) .

= أخذت على المفضل الضبى وقد أنشد لامرئ القيس :

نمس بأطراف الجياد أكفنا إذا نحن قمنا عن شواء مهضب

فقلت : إنما هو نمش لأن المش مسح اليد بالشيء الخشن ومنه سمي منديل الغمر مشوشا ، ويروى أن سليمان بن على الهاشمى بالبصرة جمع بين المفضل الضبى والاصمعى فأنشد المفضل قول أوس بن حجر :

وذات هدم عار نواشرها تصمت بالماء تولبا جذعا

وروى جذعا بفتح الذال فنظر الاصمعى إليه - وكان أحدث سنا منه - فقال : إنما هو تولبا جذعا ، وأراد تقريره على الخطأ فلم ينظر المفضل إليه فقال : كذلك أنشدته ، فقال الاصمعى : أخطأت انما هو تولبا جذعا (بكسر الذال) فقال المفضل : جذعا ، جذعا ورفع صوته ، فقال سليمان بن على : من تحبان أن يحكم بينكما ؟ فاتفقا على غلام من بنى أسد حافظ للشعر ، فأحضر ، فعرضا عليه ما اختلفا فيه ، فقال بقول الاصمعى وصوب رأيه ، فقال المفضل وما الجذع؟ قال : السىء الغذاء ، وهكذا هو فى كلامهم ، ومنه قولهم أجذعته أمه إذا أساءت غذاه .

وقد أخذ كتابه المفضليات عن السنة النقلة والرواة ، فأما أبو تمام فقد أخذ حماسته عن كتب مدونة .

وتوفى المفضل سنة ١٦٨ هـ

(١) الكلبى : هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى ، نشأ =

فاسترفتتُ واجتديتُ .

= بالكوفة وكان نسابة عالما بأخبار العرب وأيامها ومثالبها ووقائعها ، أخذ عن أبيه محمد بن السائب ، وكان محمد هذا من علماء الكوفة بالتفسير والاخبار وأيام الناس معدودا بين المفسرين والنسابين توفى بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف إلا كتابا في تفسير القرآن، أما هشام ابنه فخلف نحو مائة كتاب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات، والمنافرات، والموعودات، وبعضها في أخبار الأوائل . وبعضها في ما قارب الاسلام من أمر الجاهلية ، وغيرها في أخبار الاسلام ، وأخبار البلدان وأخبار الشعر وأيام العرب والاسمار والانساب وأهم ما كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوى على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلا عن الانساب المفردة لأشهر القبائل على حدة ، وله كتاب في نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام ، وكتاب تنكيس الاصنام .

وروى عن هشام ابنه العباس وغيره ، وكان من أحفظ الناس ، قال محمد بن السرى : قال لى هشام الكلبى : حفظت ما لم يحفظه أحد ونسيت ما لم ينسه أحد ، كان لى عم يعاقبنى على حفظ القرآن فدخلت بيتا وحلفت لا أخرج حتى أحفظ القرآن فحفظته فى ثلاثة أيام (؟)

وتوفى هشام سنة ٢٠٤ فى خلافة المأمون العباسى وقيل سنة ٢٠٦ فى خلافته أيضاً .

وتوسلتُ وتكدّيتُ^(١) . ومدحتُ وهاجيتُ . حتى كسبتُ ثروةً من
المالِ واتخذتُ من الصفائحِ الهنديّة^(٢) . والقصبِ اليمانيّة^(٣) .
والدروعِ السابريّة^(٤) .

(١) استترفتد : طلب الرغد ، وهو العطاء ، واجدى الناس ومثله جدهام : طلب
جدهام ، وهى العطاء أيضاً ، وتكدى قريب من ذلك ، ويروى بدل تكديت تحريت
ومعناه ما هو بى أحرى وأولى .

(٢) الصفائح : جمع صحيفة وهى السيف ، والهنديّة : المنسوبة إلى الهند
وكانت قديما مشهورة بصنع السيف قال عنتره :

ولقد ذكرتك والرماح نواهل منى وبيض الهند تقطر من دمي
فوددت تقبيل السيوف لأنها لمعت كبارق تغرك المتبسم

(٣) القضب : جمع قضيب وهو السيف القاطع ، واليمانية : المنسوبة إلى اليمن
وقال عنتره أيضاً :

وما لبيته إلا وسيفى ورمحى فى الوغى فرسا رهان
وكان إجابتى إياه أنى عطف علىه موار العنان
بأسمر من رماح الخط لدن وأبيض صارم ذكر يمان

(٤) السابرية : درع دقيق النسج فى إحكام ولعل أصل نسبتها إلى سابور أحد
مدائن الفرس أو ملك من ملوكها وإليها تنسب الثياب السابرية وهى ثياب =

والدرقِ التبتية^(١) . والرماحِ الخطية^(٢) . والحرابِ البربريةِ
والخيلِ العتاقِ الجردية^(٣) .

= بيض رقاق قال عنتره

وبطن كطى السابرية لين أقب لطيف ضامر الكشح أنعج

(١) الدرق : جمع درقة وهى ترس من جلد ليس فيه خشب ولا عقب ، والتبتية :
نسبة إلى بلاد تبت (بوزن السكر) قال فى القاموس : هى بلاد بالمشرق أهى
وهى البلاد التى فى شرقي كشمير وشمال الهند ونيبال وجنوب تركستان وأهلها
مجيديون لصناعة الدرق.

(٢) الرماح ، ومثله الارماح : جمع رمح والخطبة المنسوبة إلى الخط وهو مرفأ
سفن بالبحرين لانها تباع فيه أو تصنع ، وقد ذكرنا فى شعر عنتره السابق
شاهدا لذلك وقال أيضاً :

وأنى أعشق السمر العوالى وغيرى يعشق البيض الرقاقا

وكاسات الاسنة لى شراب أذ به اصطباحا واغتباقا

وأطراف القنا الخطى نقلى وريحانى إذا المضمار ضاقا

(٣) العتاق : جمع عتيق وهو النحيب من الخيل ، قال الشاعر :

جزى الله الجواد اليوم عنى بما يجزى به الخيل العتاقا

والجردية : نسبة إلى الارض الجردة المستوية المنجردة وخيلها أصلب الخيول
وأجودها .

والبغالِ الأرمينية^(١) . والحميرِ المريسية^(٢) . والديابيجِ الرومية^(٣) .
والخزوزِ السوسية^(٤) . وأنواعِ الطربِ واللفظِ^(٥) . والهدايا
والتحفِ . مع حسنِ الحالِ . وكثرةِ المالِ . فلماً قدمتُ بغدادَ وجدَ
القومُ خبري . وما رزقتُهُ في سفرِي . سرُّوا بمقدمي . وصاروا
باجمعهم إلى^(٦) يشكونَ ما عندهم منَ الوحشةِ لفقدِي . وما نالهمُ

(١) الارمينية : نسبة إلى أرمينية وهي - بهمزة مكسورة فراء ساكنة وفي الآخر
ياء مفتوحة أو مشدودة - كورة بالروم أو أربعة أقاليم أو أربعة كور متصل
بعضها ببعض يقال لكل كورة منها أرمينية والنسبة إليها أرمني بالفتح .

(٢) المريسية : نسبة إلى مريسة - بوزن سكيئة - بلدة منها بشر بن غياث
المريسي أحد روعساء المعتزلة وله في دعوى خلق القرآن مناظرات طويلة
حضرها المأمون الخليفة العباسي وكان على رأيه .

(٣) الديابيج : جمع ديباجة وهو ثوب سداه ولحمته من حرير .

(٤) الخزوز : جمع خز وهو الثوب المنسوج من صوف وحرير والسوسية : نسبة
إلى سوس وهي كورة من كور الاهواز .

(٥) الطرف : جمع طرفة - بوزن غرفة وغرف - وهي البديع المستلمح والغريب
المستحسن ، ومثلها اللفظ .

(٦) المعنى : أننى عدت بغداد وقد عادت إلى الثروة ، وصحبتي الميسرة فجمعت
أنواع الأموال وضروبها وحصلت على صنوف الأحاديث وأفانينها من كل ما
يزيد الرغبة فى ويحسب لهم القرب منى فلما علموا بذلك نهضوا إلى باشين
مسرورين وجاعونى فرحين مستبشرين .

لُبْعَى . وشكوا شِدَّةَ الشوقِ . ورزءَ التوقِ (١) .

وجعلَ كلُّ واحدٍ منهمُ يعتذرُ مما فعلَ ويُظهرُ الندمَ على ما صنعَ . فأوهمتُهُمُ أنِّي قدُ صفحتُ عنهمُ ولمُ أظهرُ لهمُ أثرَ الموجدَةِ عليهمُ (٢) بما تقدمَ فطابتُ نفوسُهُمُ . وسكنتُ جوارحَهُمُ وانصرفُوا على ذلكَ وعادُوا إلىَّ فى اليومِ الثانى فحبستَهُمُ عندي (٣) ووجهتُ وكيلى إلى السُّوقِ فلم يدعُ شيئاً تقدمتُ إليه بشرائه إلا أتى به وكانتُ لنا طباخَةٌ حازقةٌ فاتخذتُ عشرينَ لوناً

(١) التوق : شدة الحب مع شدة الشوق ، ورزؤه : الألم الذى يجده المحب عند فراقه حبيبه، وربما كان الشوق هو الجواد بالنفس ورزؤه شدته وبليته وكأنهم ماتوا ثم بعثوا بمقدمه ونشروا بعودته لأنه كان حياتهم ، أو هو خروج الدموع من الشجون ، ومعناه : أنهم جاؤوه يشكون له صعوبة الفراق وألامه ، ويبثون شدة الوجد إليه ، وما ذرفوه من الدموع بعده .

(٢) الموجدة : الحقد ، والضغينة ، وألم النفس ، والمعنى : أننى أظهرت لهم ارتياحى لملاقاتهم وبششت فى وجوههم وأبديت الانس بهم ، وأبنت لهم أننى لا أحمل فى نفسى ألماً ، ولا أجد فى صدرى حرجاً مما فعلوا معى قديماً .

(٣) حبستهم : منعتهم من الانطلاق إلى منازلهم وطلبت منهم البقاء لدى لينالسوا من الطعام و الشراب وأنواع الملذات ما يليق بقديم ألفتهم وسابق ودادهم .

من قلايا مُحرقَاتٍ . وألواناً من طباهجاتٍ . ونوادرٍ مُعدَاتٍ^(١) .
وأكلنا وانتقلنا إلى مجلسِ الشرابِ فاحضرتُ لهمُ زهراءُ
خندريسيَّةُ^(٢) ومغنياتُ حسانُ محسناتُ . فأخذوا في شأنهمُ
وشربنا . فمضى لنا أحسنُ يومٍ يكونُ وقد كنتُ استعددتُ لهمُ
بعدهمُ خمسةَ عشرَ صنّاً من صنانِ الباذنجانِ . كلُّ سنٍّ بأربعةِ
آذانٍ^(٣) . واستأجرَ غلامى لكلِّ واحدٍ منهمُ حمالاً كلُّ حمالٍ

(١) الطباهجات جمع طباهجه وهى نوع من اللحم يقلى وقد تقدم فى أول المقامة
ذلك وقد قال الشاعر :

فنضحى سكارى والمدام مصفف يدار علينا والطعام المطبج

ونوادر : أصناف نادرة أى قليلة الوجود ومعدات - بزنة اسم المفعول - :
مهيات، ويروى مستبعدات ومعناه عزيزة الوجود فيكون كالتأكيد لقوله نوادر .
(٢) زهراء : مشرقة متلألئة ، والخندريس - من أسماء الخمر - القديمة قال :

تطوف عليهم خندريس مدامة ترى حببا من فوقها حين تمزج

وإنما أتى بها على صيغة النسب لان الشئ إذ نسب لنفسه كان أبلغ فى الدلالة
على معناه وأوضح فى إفادة الشهرة .

(٣) الصن - بالكسر - : شبه السلة المطبقة يجعل فيها الخبز ونحوه ، وخصه
بأن يكون من أصنان الباذنجان لكبره ولذلك تراه قال بأربعة آذان ، والآذان ما
يحمل منه تشبه العرى فى أطرافه .

بدرهمين وعرفَ الحمالين منازلَ القومِ وتقدّمَ إليهمُ بالموافاةِ
بعشاءِ الآخرةِ . وتقدمتُ إلى غلامى وكانَ داهيةً أنْ يدفعَ إلى
القومِ بالمنِّ والرطلِ^(١) ويصرفَ لهمُ وأنا أبخرُ بين أيديهمُ الندَّ
والعودَ والعنبرَ . فما مضتُ ساعةً إلا وهمُ من السكرِ أمواتُ
لا يعقلونَ^(٢) . ووافانا غلمانهمُ عند غروبِ الشمسِ كلُّ واحدٍ
منهمُ بدابةٍ أو حمارٍ أو بعلةٍ . فعرفتهمُ أنهمُ عندى الليلةَ بائنونَ

والمعنى أننى حين وردوا على أكرمت مثواهم وطمأنت خاطرهم فأحضرت لهم
أطاليب المأكول ولذيذ المشروب ، وأردت أن أنتقم منهم وأثأر لِنَفْسِي فكلفت
خادمى بشراء خمسة عشر صنًا واستتجار الحمالين وتعريفهم منازل القوم كما
سيذكره من بعد .

(١) الداهية : الاريب الفطن والمجرب الخبير، والرطل معروف ، والمن مكيال
يسع قريبا من رطلين ، أو هو ميزان وقال الشاعر :

عصا فى رأسها منوا حديد والمراد حينئذ مقداره كيلا ، وجمعه أمانان

(٢) الند : نوع من أنواع الطيب ، والتبخير به : إذاعة رائحته ، أو هو العنبر
وعطفه عليه لتفخيم الامر وتعظيمه ، والعود والعنبر : معروفان والمعنى : أننى
أمرت الخادم أن يسقيهم الخمر بمقدار كبير حتى تعمل فى رؤوسهم عملا
عظيما فلا يستطيعون أن يعرفوا ما ن صنع بهم بعد ولا يمكنهم أن يدفعوا عن
أنفسهم .

فانصرفوا ووجهتُ إلى بلالِ المزينِ فأحضرتُهُ وقدمتُ إليه طعاماً
فأكلَ وسقيتهُ من الشرابِ القطربليّ^(١) فشربَ حتى ثملَ^(٢).
وجعلتُ فيه دينارينِ أحمرينِ^(٣). وقلتُ : شأنك والقومَ. فحلقَ في
ساعةٍ واحدةٍ خمسَ عشرةَ لحيَةً فصارَ القومَ جرداً مرداً كأهلِ
الجنةِ. وجعلتُ لحيَةً كلِّ واحدٍ منهمُ مصررةً في ثوبه ومعه رُقعةٌ
مكتوبٌ فيها: "من أضمَرَ بصديقه الغدرَ وتركَ الوفاءَ كانَ هذا
مكافأته والجزاء". وجعلتها في جيبه وشددناهاهمُ. في الصنانِ
ووافى الحمالونَ عشاءَ الآخرةِ. فحملوهمُ بكرةٍ خاسرةٍ^(٤).

(١) القطربلي : نسبة إلى قطربل وهي قرية بالعراق شهيرة بصناعة الخمر
وإجادتها قال :

قطربلي مربعي ولى بقرى الـ كرخ مصيف وأمى العنب

(٢) ثمل : سكر . وترنج وتمايل .

(٣) جعلت في فيه : أعطيته ليسكت على ما يرى ويستتر ما ينظر ويفعل ما أمره
دون امتناع كرشوة مثلاً .

(٤) الكرة : الرجعة ، والعودة ، والأوبة ، والخاسرة التي شملت الخزي والعار
واصطحبت بالفضيحة والخجل ، وفي التنزيل (تلك إنز كرة خاسرة) .

فحصلوا في منازلهم^(١) . فلما أصبحوا رأوا في نفوسهم همًا عظيمًا . لا يخرج منهم تاجرٌ إلى دكانه ولا كاتبٌ إلى ديوانه . ولا يظهر لإخوانه^(٢) . فكان كل يومٍ يأتى خلقٌ كثيرٌ من خولهم^(٣) . من نساءٍ وغلما نٍ ورجالٍ يشتموننى ويزنوننى . ويستحكون الله على^(٤) وأنا ساكتٌ لا أردُّ عليهم جواباً ولا أعبأ بمقالهم . وشاع الخبرُ بمدينة السلام بفعلهم ولم يزل الأمرُ حتى بلغَ الوزيرَ القاسمَ بنَ عبيدالله^(٥) .

(١) حصلوا : صاروا ، ووجدوا .

(٢) رأواهما عظيما : أى اشتملت نفوسهم على الهم وغمها الالم لما وجوده من سوء حالهم وتغيير هندامهم فقبعوا فى بيوتهم ، ولزموا منازلهم ، ولم يجسروا على مزاوله عملهم لئلا يكونوا عرضة لسخرية الناس واستهزائهم .

(٣) خولهم : عبيدهم وحاشيتهم . (٤) يطلبون من الله حكمه وتنفيذ عقوبته فى .

(٥) قال الاستاذ الامام : القاسم بن عبيد الله هو والد أبى جعفر محمد بن القاسم الذى استوزره الخليفة العباسى القاهر بعد عزل على بن مقله واستوزر أبوه عبيد الله للخليفة المعتضد كما استوزر هو له أيضاً سنة ٢٧٨ هـ ولعله كان استوزر للموفق قبل هذا التاريخ حتى يمكن لابى العنيس أن يحكى عنه فى وزارته قبل موته فقد مات أبو العنيس سنة ٢٧٥ هـ ثم قال : ويمكن أن يكون =

= المصنف وهم فى رواية القصة عن أبى العنيس ونقول لم يستورز القاسم للموفق وإنما استورز للمعتضد المكتفى واستورز أبوه عبد الله للمعتضد واستورز جده سليمان بن وهب للمهتدى ، والقاسم ابناه الحسين بن القاسم وأبو جعفر محمد بن القاسم ، واستورز الحسين بن القاسم للمقتدر ولذلك كان يقال للحسين هو أعرف الناس بالوزارة لتوارثه لها عن آباءه وفى الحسين يقول الشاعر :

يا وزير بن وزير بن وزير بن وزير
نسقا كالدر إذ نظم فى عقد النحور

وكان القاسم بن عبيدالله من دهاة العالم ومن أفاضل الوزراء ، وكان شهما ، فاضلا ، ليبيبا ، محصلا ، كريما ، مهيبا ، جبارا ، وكان يطعن فى دينه ، وهو الذى قتل ابن الرومى بالسهم (كما أسلفنا فى ترجمته بالمقامة العراقية) وكان ابن الرومى منقطعاً اليهم يمدحهم ، وكانوا يقصرون فى حقه فى بعض الأحيان ، فهجاهم - وكان هجاء لم يسلم من لسانه أحد .. وفى بنى وهب يقول ابن المعتز :

لآل سليمان بن وهب صنائع لدى ومعروف إلى تقدما
هم ذلوا إلى الدهر بعد شماسه وهم غسلوا من ثوب والذى الدما
وفى هجائهم يقول بعض الشعراء :

إذا رأيت بنى وهب بمنزلة لم تدر أيهم الانثى من الذكر
قميص أتناهم ينقد من قبل وقمص ذكرانها ينقد من دبر =

وذلك أَنَّهُ طَلَبَ كَاتِبًا لَهُ فَاغْتَقَدَهُ^(١) . فَقِيلَ : إِنَّهُ فِي مَنْزِلِهِ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْخُرُوجِ . قَالَ : وَلِمَ ؟ . قِيلَ : مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ أَبُو الْعَنْبَسِ لِأَنَّهُ كَانَ امْتَحَنَ بَعْشُرَتَهُ وَمَنَادَمْتَهُ . فَضَحَكَ حَتَّى كَادَ يَبُولُ فِي سِرَاوِيلِهِ أَوْ بِالٍ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ . ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهُ لَقَدْ أَصَابَ وَمَا أَخْطَأَ فِيمَا فَعَلَ . ذَرُوهُ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِهِمْ . ثُمَّ وَجَّهَهُ إِلَى خَلْعَةِ سَنِيَّةٍ^(٢) . وَقَادَ فَرَسًا بِمَرْكَبٍ وَحَمَلَ إِلَى خَمْسِينَ أَلْفَ

= ولما مات المعتضد كان المكتفى بالرقعة فقام القاسم بأخذ البيعة للمكتفى القيام المرضى وجهد في ذلك ، ووجه إليه بالبردة والقضيب فجاء المكتفى إلى بغداد وأقره على الوزارة ، ولقبه ألقابا عدة ، وفي أيام المكتفى جل أمر القاسم ، وارتفع ذكره ، وعظم شأنه ، ونبه أمره ، وعلا جده ، فلما أدركته الوفاة أشار على المكتفى بالعباس بن الحسن فاستوزره : وقال الصولى : من أغرب ما شاهدت من تقلب الدنيا وتصاريح الأمور أننى رأيت العباس بن الحسن فى أول الأربعاء - قبل أن يموت الوزير القاسم بن عبيدالله - حضر إلى داره وقبل يد والده ثم فى آخر اليوم نفسه مات القاسم وخلع المكتفى على العباس بن الحسن واستوزره فجاء ولد الوزير القاسم بن عبيدالله فقبل يده .

(١) اقتقد : لم يجده

(٢) خلعه سنوية : رفيعة القدر غالية القيمة ، والمعنى : أنه حينما علم بما فعلت معهم وأخبروه بما حملنى عليه عذرنى وزاد على ذلك أنه خلع على وكافأنى .

درهمٍ لاستحسانهِ فعلى . ومكثتُ فى منزلى شهرينِ أنفقُ وآكلُ
وأشربُ . ثمَّ ظهرتُ بعدَ الاستتارِ فصالحنى . بعضهم لعلمه بما
صنعَ الوزيرُ . وحلفَ بعضهم بالطلاقِ الثلاثِ ويعتقِ غلمانه
وجواريه أنه لا يكمنى . من رأسه أبداً ^(١) . فلا والله العظيم
شأنه . العلى برهانه . ما اكرثتُ بذلك ولا باليتُ ولا حكَّ أصلُ
أذنى . ولا أوجعَ بطنى . ولا ضررتُ بلُ سررتى . وإنما كانتُ
حاجةً فى نفسٍ يعقوبَ قضائها ^(٢) . وإنما ذكرتُ هذا ونبّهتُ عليه
ليؤخذَ الحذرُ من أبناءِ الزمنِ ويتركَ الثقةَ بالإخوانِ الأندال

(١) لا يكمنى من رأسه : لا يوجه الخطاب إلى نفسه طول الابد .

(٢) المعنى : أننى ولم تبد على علائم التآلم ولا عرضت لى خيالات الحزن على
ما فقدت من عشرتهم ، وعدمت من ألافهم ومودتهم ، بل كان بعكس ذلك فقد
سرنى انقطاع صلتهم ، وجذلت بانتهاء صحبتهم ، وكذلك صحبة أمثال هؤلاء
سريعة الانقطاع وشيكة الضياع ثم لا جبر لها ولاصلاح كالزجاجة كسرهما
قريب وتلافها سريع فأما جبرها فبعيد وأما اصلاحها فقريب من المستحيل .

إن القلوب اذا تنافر ودها مثل الزجاجة كسرهما لا يجبر

السفل ، وبفلانِ الوراقِ النمأمِ الزرافِ الذي ينكرُ الأدباءِ
ويستخفُّ بهم . ويستعيرُ كتبهم لا يردها عليهم . والله المستعانُ
وعليه التُّكلانُ .

المقامةُ الديناريةُ

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : اتَّفَقَ لِي نَذْرٌ نَذَرْتُهُ فِي دِينَارٍ أَتَصَدَّقُ بِهِ عَلَى اشْحَذِ رَجُلٍ بِبَغْدَادَ . وَسَأَلْتُ عَنْهُ فَدُلَّتْ عَلَى أَبِي الْفَتْحِ الْإِسْكَانْدَرِيِّ . فَمَضَيْتُ إِلَيْهِ . لِأَتَصَدَّقَ بِهِ عَلَيْهِ . فَوَجَدْتُهُ فِي رِفْقَةٍ . قَدْ اجْتَمَعَتْ فِي حَلْقَةٍ . فَقُلْتُ : يَا بَنِي سَاسَانَ أَيُّكُمْ أَعْرَفُ بِسَلْعَتِهِ ^(١) . وَأَشْحَذُ فِي صِنْعَتِهِ . فَأَعْطَيْتُهُ هَذَا الدِّينَارَ ؟
فَقَالَ :

(١) بنو ساسان : الشحانون ، وأهل الاستجداء والمسألة ، ويزعمون أن ساسان كان رجلاً فقيراً حازقاً في الاستعطاء قال الفنجديهي : ساسان هو أستاذ المكدين ومقدمهم وواضع طرائقهم ومعلمهم ، وقال أبو الفتح اسماعيل بن الفضل بن الاخشيد السراج المكدي في كتابه : حدثنا أبو بكر البطايرني المكدي حدثنا محمد بن علي بن أحمد الفقيه المكدي حدثنا ملك بن صالح المكدي قال سمعت طرارة المكدي قال قال ساسان : ألا أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى؟ قلت : بلى ، قال : هي الكدية اه فأنت تراهم يؤيدون مزاعمهم بروايات =

الإسكندريُّ : أنا (١) . قالَ آخرُ منُ الجماعةِ : لا بل أنا . ثم تناقشا وتهارشا (٢) حتى قلتُ : ليشتمَّ كلُّ منكما صاحبهُ . فمنُ

= وأسانيد حتى ليخيل اليك صدق ما ذهبوا إليه وزعموه ، ولكن الذي يتراءى لنا هو أن هذا اللقب أعطى للمكدين والشحاذين بعد سقوط دولة الساسانية بالفرس على أيدي المسلمين وتمزيقهم وتشيتت شملهم هزأً بهم وسخرية عليهم لأن المغلوب محتقر مهان ذليل في نظر الغالب دائماً ، وقال بعض الرواة ما نصه : ومن بقايا آل ساسان من الفرس انشأت هذه الطائفة الخسيصة أهل الكدية فكانوا يطوفون على البلدان ويقولون نحن من بنى ساسان فينتسبون إلى ملوكهم ثم يتذللون في السؤال ويذكرون تلاعب الدهر بهم وانقلاب حال المملكة إلى السؤال فيقع الاشفاق عليهم والميل بالرزق لهم حتى شعر الناس بمكرهم وخديعتهم فطردوا وصار الناس اذا رأوا سائلا متمسكنا قالوا : ساسانى .. والسلعة : ما يتجر به من المتاع .

ليس للشحاذ متاع يتجر فيه ويستفيد من ربحه اللهم الا تزوير الكلا وتزييف الالفاظ الخلابة في استدرار الكف واسترحام القلوب ونحو هذا وتلك هي سلعتهم التي يسألهم عن أعرفهم فيها وأطولهم باعا

(١) المعنى : انهما اختلفا في الاعرف منهما وادعى كل واحد أنه أقدر من صاحبه وأفضل في هذه الصناعة .

(٢) تناقشا وتهارشا : تخاصما وتوثابا ، وقام كل واحد منهما يبطل دعوى الثانى ويعزره عليها ويثبت أحقيته عنه .

غلبَ سلبَ ومنَّ عزَّ بَزَّ^(١). فقال الإسكندريُّ : يا بردَ العجوزِ^(٢) . يا كربةَ تموزِ^(٣) . يا وسخَ الكوزِ^(٤) . يا درهماً لا يجوزُ^(٥) . يا حديثَ

(١) غلب : ظهر على صاحبه وقهره وأبطل دعواه ، وسلب : أخذ الدينار بوزن أن يكون لصاحبه فيه حظ .

(٢) برد العجوز : أيام سبعة في آخر الشتاء أربعة من آخر شهر شباط الرومي وثلاثة من أول آذار وهي تسمى هكذا مرتبة (صن - بوزن حمل وصنبر - بوزن جردحل - ووبر - بوزن تمر - والأمر والمؤتمر والمعلم ، ومطفىء الجمر ، أو مكفىء الظعن) وهذه أشد الايام برداً لانها تجيء حين يكون الناس على استعداد لملاقاة هواء الربيع الجميل ، ويقول الحطيئة - قبحه الله - يهجو أمه .

لحاك الله ثم لحاك حقاً ولقاك العقوق من البنينا

أغربالا اذا استودعت سرأ وكانونا لدى المتحدثينا

(٣) الكرية : الشدة والضيق ، وتموز : أحد الشهور الرومية يجيء حين يشتد القيظ ويتعرض الناس فيه للهلاك .

(٤) وسخ الكوز : صدأه أو ما يبقى فيه من قذر الماء ووساخته وذلك مما تتقرز منه النفس وتشمئز .

(٥) لا يجوز : أى لا يتعامل الناس به لردائته وغشه فإذا دفعه مالكة ثمنا لشيء رده البائع عليه فينعكس أمله ويخيب رجاءه ويجد ما لم يكن ينتظره من الخسارة .

المغنين^(١) . يا سنّة البُوس . يا كوكبَ النحوس^(٢) . يا وطاً
الكابُوس^(٣) . يا تخمةَ الرؤُس^(٤) . يا أمَّ حَبِين^(٥) . يا رمدَ

(١) حديث المغنين : كلامهم أثناء الغناء ومن عادة الذى يسمعهم أن يود ألا ينقطع غناؤهم وأن يستمروا فيه فهو يجد من حديثهم ضيقاً فى نفسه وألماً ويحس بانقباض صدره لسكوتهم .

(٢) البوس : البؤس ، والشدة ، والجذب ، والقحط ، والغلاء ، والناس يلقون فى الايام المجذبة شراً مستطيراً وألماً عظيماً ، وكوكب النحوس : النجم الذى يظهر فتظهر معه علائم النحس وسوء الطالع مثل زحل فى الكواكب .

(٣) الكابوس : الذى يقع على الإنسان حال نومه بالليل فلا يطيق معه حركة ولا يستطيع أن يجد لنفسه خلاصاً .

(٤) إذا أكل الانسان طعاماً فاسداً أو كثيراً أو على طعام تعبت معدته ووجد آثار ذلك فى رأسه فيحس بدوار وتعب شديدين ، وهذا هو المراد بتخمة الرعوس .

(٥) أم حبين : هى دويبة أكبر من الوزغة ، وقيل : هى دويبة قلساء تشبه سام أبرص وتسمى شحمة الارض أو شحمة الرمل وهى على كل حال كريهة المنظر بشيعة .

العين^(١) . يا غداةَ البين^(٢) . يا فراقَ المحبين^(٣) . يا ساعةَ
الحين^(٤) .

(١) رمد العين : قذاها الذى يسيل منه دمعها .

(٢) غداةَ البين الساعة التى يبتعد المحب فيها عن حبيبه ويغادره وهى أشأم
الساعات وأقساها وأصعبها قال امرؤ القيس :

كأنى غداةَ البين يوم تحملوا لى سمرات الحى ناقف حنظل
وفى ذمها يقول النابغة :

نعب الغداف بأن رحلتنا غداً ويذاك تنعاب الغداف الاسود
لا مرحبا بغد ولا أهلا به ان كان تفريق الاحبة فى غد

وقال صاعد :

قلت له والرقيب يعجله مستعجلا للفراق : أين أنا ؟
فمد كفا إلى ترائبه وقال : سر آمنة فأنت هنا

ولبعضهم :

لا كان يوم الفراق يوما لم يبق للمقلتين نوما
شتت منى ومنك شملا فسر قوما وساء قوما
يا قوم من لى بفقد خل يسومنى فى العذاب سوما
ما لامنى الناس فيه الا بكييت كيما أزداد لوما

(٣) فراق المحبين : مناهم وتباعد ما بينهم ، وفيما ذكرناه فى غداةَ البين ما
يكفى عن الافاضة فى هذا .

(٤) الحين - بفتح أوله - : الهلاك والموت وساعته من أشد الساعات ألما لأهل
الميت وللميت نفسه بخروج روحه .

يا مقتلَ الحسين^(١) . يا ثقلَ الدين^(٢) . يا سمةَ الشين^(٣) . يا
بريدَ الشؤم^(٤) . يا طريدَ اللؤم^(٥) . يا ثريدَ الثؤم^(٦) . يا باديةً

(١) الحسين : هو سيدنا أبو محمد الحسين بن علي أبي طالب كرم الله وجهه ورضى عنه وقتل بكربلاء في معركة سالت فيها دماء أهل بيت النبوة ظلما وعدوانا وبغيا فكان ذلك اليوم من أشأم الايام التي لقيها الاسلام في نضارة شبابه وريعان عمره وميعة حياته .

(٢) الدين هم بالليل ومذلة بالنهار ووطأته أشد على النفس من وطأة الحمى والمرض الناجس وثقله مما لا قبل لإنسان ذى مروءة وعقل على احتماله .

(٣) السمة : العلامة ، والشين : العيب ، وما يستحى المرء من الانتساب إليه ، ولو كان لإنسان علامة كلما نظرها أحد عرف أنه متصف بالمعائب والمقايح لكان خليقا بأن يذوب خجلا ويموت حياء كلما توجه نحوه نظر إنسان ما .

(٤) البريد : الرسول ، والشوم ، والشؤم والنحس ، والمعنى أنه اذا كان قد تهيأ لامرئ أن يحل به نحس أو ينزل عليه بلاء لكان المخاطب رسول النحس ونذير البلاء الذي يخبره بوقوعه ويحدثه بنزوله عليه .

(٥) طريد اللؤم : المطرود من مجامع الناس ومحافلهم للؤمه ودناعه .

(٦) ثريد الثوم : أشد ما يكون رائحة كريهة .

الزقوم^(١) . يا منع الماعون^(٢) . يا سنة الطاعون^(٣) . يا بغى العبيد^(٤) يا آية الوعيد^(٥) يا كلام المعيد^(٦) . يا أقبح من

(١) البادية : الصحراء ، أو هي خلاف الحاضرة ، والزقوم : شجر مر كريحه يخرج بأراضى تهامة ، والمغنى أن المخاطب لما فيه من دناءة النفس ولؤم الخصال ومعيب السجايا كأنه بادية كل ما فيها من شجر ذلك النوع الكريه الممقوت .

(٢) الماعون : كل ما يستعار من قدر وفأس وقدم ومكنسة ونحوها من منافع البيت ، وقيل هو الزكاة ، وفي التنزيل من صفات الذين يكذبون بيوم الدين : (الذى هم يراعون ويمنعون الماعون) .

(٣) الطاعون : داء يستأصل شأفه البلد التي يحلها ويقفر الارض من سكانها فهو مشؤوم بغيض إلى الناس .

(٤) يقول حاتم الطائي وقد لطمته جارية : (لو ذات سوار لطمتنى) أى لو أن التى بغت على حرة لما تألت نفسى ، والعبد اذا ملك أمراً فبغى على الناس كان أشد على نفوسهم من وقع الصواعق وهطال النبال .

(٥) الوعيد : الوعد بالشرر والعقوبة والتنكيل وسماع ما يدل عليه مما يؤلم نفس السامع ويحزنها .

(٦) المعيد : الذى يقول لك الحادثة أو الخبر مرة بعد الأخرى وكلامه على نفسك من أسمع الاحاديث وأقبحها ، اللهم ألا يكون المتكلم حبيباً إليك فقد حسن فى =

حَى . فى مواضع شتَّى (١) . يا دودة الكنيفِ . يا فروةً فى
المصيفِ (٢) . يا تنحنحَ المضيفِ إذا كسرَ الرغيفُ . يا جشاءَ
المخمورِ (٣) . يا نكهةَ الصُّقُورِ (٤) . يا وتدَ الدورِ (٥) . يا خذروفةً

= عينك كلامه كالتى يقول فيها :

من الخفرات البيض ود جليساها اذا ما انقضت احدثه لو تعيدها

(١) قال الفراء أحد أساطين النحاة : أموت وفى نفسى شىء من حتى أه وحتى
هى حرف الجر وفيه مسائل من عويص النحو ومشكلاته .

(٢) المصيف : هو الصيف نفسه أو المكان الذى تقضى فيه مدة الصيف ، وأنت
إنما تطلب إذ ذاك هواء لطيفا ونسيما بليلا وريحا هادئا فما أسمع الفروة
وألعتها حينئذ . (٣) الجشاء - بوزن عراب - ومثله الجشأة - بوزن الهمزة -
وجشأة كمممة - : الاسم من تجشأت المعدة تجشؤا وتجشئه اذا تنفست
والمخمور شارب الخمر الكثير منها المفرط فى تعاطيها ، وجشأؤه خبيث منتن
كريبه . (٤) النكهة : رائحة الفم ، وقد نكه له وعليه - بوزنى ضرب ومنع - اذا
تنفس على أنفه أو أخرج نفسه إلى أنف آخر ، والصقور : جمع صقر وهو ما
يصطاد من البزاة والشواهين ، ولانها لا تأكل الا اللحم ولا يكون غالبا الا
منتنا - فهى أنتن الحيوانات نكهة وأخبثها ريحا .

(٥) الوتد : ما يدق فى الحائط أو الارض من الخشب ، ويضرب به المثل فى
تحمل الضيم ، والرضا بالاندى ، والاقامة على الذل ، وقال الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الاذلان غير الحى والوتد

الفُدُورِ . يا أربِعاءَ لا تدورُ^(١) يا طمَعَ المَقْمُورِ^(٢) . يا ضَجْرَ
اللِّسانِ^(٣) . يا بُولَ الخُصِيانِ^(٤) . يا مَؤاكَلَةَ العَمِيانِ^(٥) .

(١) الاربعاء : اليوم المعروف ، وبأوه مثلثة ، ومعنى عدم دورانها أنها الاربعاء
التي فى آخر كل شهر إذ هى لا تعود ، وربما كان المراد آخر شهر صفر فقط
اذ هى مشهورة عند العامة بنحس طالعتها وشؤمه فلا ينجح فيها عمل البتة ، ولا
يفلح فيها تدبير ، ومعنى عدم دورانها حينذاك أنها لا تحول عما عهد فيها و لا
تتغير عما عرفه الناس عنها .

(٢) المقمور : الذى تسلطت عليه الغلبة فى القمار ، وطمعه شائن قبيح مرذول
لانه لا يستند إلى علة معقولة ولانه لا يزال يهوى به الى الافلاس والعدم حتى
يفقد آخر قرش معه .

(٣) ضجر اللسان : تعبته وعيه وانحباسه ، وهو إذا بلغ هذه الحالة لم يأمن
صاحبه العثرة والزلل ، فاذا عثر أورده موارد التهلكة ، وأرداه ، وهوى إلى
الهوان والحطة قال :

يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المرء من عثرة الرجل

(٤) الخصيان : المجبوبي الخصيتين ، وبول أمثال هؤلاء ينتشر فيلوث البدن جدا
وهو مع هذا سريع متواصل لا يقدرّون على حبسه ولا يستطيعون الابقاء عليه
حتى يستعدوا لازالته .

(٥) العميان حين أكلهم لا يبالون أى موضع نزلت يدهم عليه ولا يتخرجون من=

يا شفاعَةَ العريانِ (١) .

= كثرة ما يعلو أيديهم من الطعام ولهم في تناوله شراهة ولا يخلو من يجلس معهم من تقزز النفس واشمئزازها ونفرتها ويروى (يا دفع العيان) والعيان - بكسر أوله - المشاهدة وهي مما لا يعتور الشك فيها أحدا فإنكارها من أشنع المنكرات وأفظعها .

(١) المراد بالعريان الذى لا يجد ما يستتر به من الفقر والعوز وسوء الحل ومثل هذا لا يعرض نفسه للشفاعة وإذا تعرض كان ثقيلا مستقبحا ثم لا يقبل أحد شفاعته ولا يعتمدها ، ومما نذكره بمناسبة شفاعَةِ العريان ما حدثوا عن الفرزدق أن النوار بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي خطبها رجل من قريش بعد مقتل أبيها فبعثت إلى الفرزدق تقول : أنت ابن عمى ، وأولى الناس بى (تريد أن يقبل خطبتها) فأجابها : إن بالشام من هو أقرب إليك منى ، ولا آمن من أن يقدم منهم قادم فينكر ذلك ، فإن كان ما تقولينه حقًا فاشهدى على نفسك أنك جعلت أمرك إلى ، ففعلت ، فخرج بالشهود من عندها إلى مجمع كبار قومها فقال : إن نوار بنت أعين قد جعلت أمرها إلى وأنى أشهدكم أنى تزوجتها على مهر مائة ناقة حمراء الوبر ، سوداء الحدق ، فاشمأزت من ذلك ، واستعرت عليه غيظا فخرجت إلى ابن الزبير (والحجاز والعراق يومئذ بيده) وسار الفرزدق خلفها فنزل على حمزة بن عبدالله بن الزبير ونزلت النوار على خولة بنت منظور بن زبان بن سيار الفزارى أم حمزة وامرأة عبدالله ، فقال الفرزدق فى حمزة :

يا سبتَ الصبيان^(١) . يا كتابَ التعازي^(٢) .

أصبحت قد نزلت بحمزة حاجتى أن المنوه باسمه الموثوق
بأبى عمار خير من وطىء الحصا ذخرت له فى الصالحين عروق
بين الحوارى الاغر وهاشم ثم الخليفة بعد والصديق

فوعده الشفاعة إلى أبيه ثم أعلم أمه خولة بذلك وكلفها بأن تعطف نوارا على
الفرزدق ففعلت ورققت قلبها عليه ثم شفعت به عند بعلاها عبدالله بن الزبير
فنجحت شفاعتها فأمره عبدالله بأخذ النوار وألا يقربها حتى يصير إلى البصرة
فيصحح أمره عند عامله عليها فخرج الفرزدق بنوار إلى البصرة ، وفى ذلك
يقول :

أما بنوه فلم تقبل شفاعتهم وشفعت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذى يأتيك مؤتزرا مثل الشفيع الذى يأتيك عريانا

وليس معنى البيت مما نحن فيه ولا يتفق مع ما فى المقامة فى شىء .

(١) يوم السبت يأتى دائما بعد يوم عطلة وهو يوم الجمعة ولذلك يستثقله
الصبيان لأنه يذهبون فيه إلى نور التعليم .

(٢) ما أشنع ذلك الكتاب الذى يجيئك حاملا خبر فقد عزيز لديك ، وما أثقل
ظله، وما أكثر ما يجلبه عليك من ألم النفس والحزن العميق وربما كان المراد
بكتاب التعزية الكتاب الذى تسطره لأحد ألافك تسلية لخاطره من غير أن يكون=

يا قرارة المخازي^(١) . يا بخل الأهوازي^(٢) . يا فضول
الرازي^(٣) . والله لو وضعت إحدى رجلك على أروند^(٤) .

= لك شعور بالحزن والالم وكم تجد في هذا من ثقل الوطأة وعسر التأدية
وصعوبة التكلف وشدة العناء .

(١) القرارة : القاع المستدير الذي يجتمع فيه المطر والسييل ونحوهما ،
والمخازي جمع واحده مخزاة الامر الذي إذا فعلته جلب عليك الخزي والعار
والهوان من النقائص العملية والنفسية ، والمعنى: أن المخاطب قد اجتمعت
النقائص فيه ، وألقت المعاييب عصاها لديه ، وأرست الشرور سفينتها عنده فهو
حافل بكل مايشين جامع لكل مقت ودناءة .

(٢) الاهوازي : نسبة إلى الاهواز ، وقد تقدم انها بلاد واقعة بين البصرة
وفارس وهى تسع كور لكل كورة منها اسم والاهواز يجمعهن ، ولأهلها شهرة
بالبخل الشديد والامساك القبيح .

(٣) الرازي : المنسوب إلى الرى - وهى إحدى مدن الديلم ، والفضول : المراد
به الزيادة من الكلام الذى لا خير فيه ولأهل الرى شهرة بالثرثرة ، وكثرة القول
بلا جوى .

(٤) أروند : جبل نزه أخضر ناضر مظل على همذان ومعدود من محاسنها
ولشعرائها ولع يذكره والإشارة به ومنهم ذلك الذى يقول :

ألا ليت شعرى هل ترى العين مرة ذرى قلتي أروند من همذان
بلاد بها نيطت على تمانى وأرضعت من عقانها بلبان

والأخرى على دُنْباوند^(١) . وأخذت بيدك قوسَ قُزح^(٢) .

وندفَتَ الغيمَ في جبابِ الملائكةِ^(٣) . ما كنتَ إلا حلاجًا^(٤)

(١) دنا وند : جبل شهير بناحية الري قال عنه القزويني : يناطح النجوم ارتفاعا ويحاكيها امتناعا ، لا يعلوه الغيم في ارتفاعه ، ولا الطير في تحليقه ، وكان فيه بركان يقذف النار ، ومنابع كثيرة للمياه الكبريتية .

(٢) قوس قزح : هو نو الالوان الذي يظهر في السحاب غب المطر ، وفي وصفه يقول بعض الملوك :

وساق صبيح للصيوح دعوته	فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم	فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارقا	على الجود كنا والحواشي على الارض
يطرزها فوق السحاب بأصفر	على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأنيال خود أقبلت في غلائل	مصبغة والبعض أقصر من بعض

قيل : وهو من التشبيهات الملوكية التي لا يكاد يحضر مثلها للسوقة

(٣) ندف القطن يندفه - ومن باب ضرب - : ضربة بالندف (والمندفة كذلك) أي خشبته التي يطرق بها الوتر ليرق القطن وهو مننوف ونديف ، وفي جباب الملائكة : يعني جعلت فراشتك التي تضع القطن أو تلتقيه جباب الملائكة (جمع جبه وهي معروفة) .

(٤) المعنى : انك مهما بلغت في التعاضيم والدعاوى ، ومهما فعلت في سبيل ذلك، ومهما بذلت من قوة ، واستنفدت من عظمة وكبرياء ، حتى لو جعلت =

وقال الآخرُ .: يا قرادَ القروِدِ^(١) . يا لبودَ اليهودِ^(٢) . يا نكهةَ
الأسودِ^(٣) . يا عدماً في وجودٍ يا كلباً في الهراشِ^(٤) . يا قرداً

= إحدى رجلينك على دنبا وند وجعلت الثانية على أروند مع ما بينهما من بعد
المسافة وطويل الشقة ولو خرقت لك العادات وجاز من أجلك ما لم يكن يجوز
فأممكنك أن تتخذ السحاب نديفا وأن تلتقيه بجباب الملائكة - لو حصل لك كل
هذا وتمكنت من جميعه لما دعاك الناس الا حلاجيا ولما جهلوا أمرك ولا خفيت
عليهم حقيقتك ، ولا كنت إلا ذاك ، ولا سترت أباك .

(١) القروود : ومثلها القردة - بفتح القاف وكسر الراء أو العكس - وأقراد
وقرد: جمع قرد وهو حيوان معروف ، والقراد : سائسه ، وهي صناعة من أحط
الصناعات وأرذلها ، وحرفة دنيئة خسيصة .

(٢) اللبود - بفتح أوله - ومثله القراد - بوزن غراب : دويبة تنشأ من الوساخة
تشبه القمل ومنه قيل بغير قرد - بوزن كتف - اذا كان فيه ذلك ولليهود شهرة
بالوساخة والنتن ومنها يتولد القراد .

(٣) مضى أن النكهة : ريح الفم ، ولكون الاسود لا تتغذى بغير اللحم تجدها
أردأ الحيوانات نكهة .

(٤) الهراش : تحرش الكلاب بعضها ببعض ، ومواثبتها .

فى الفراش^(١) يا قرعيةً بماش^(٢) يا أقلّ من لاش^(٣) . يا دخانَ
النفطِ^(٤) . يا صنانَ الإبطِ^(٥) . يا زوالَ الملكِ^(٦) .
يا هلالَ الهلكِ^(٧) . يا أخبثَ ممن بَاءَ بذلُّ الطلاقِ . ومنع

(١) اذا حل قرد بالفراش لم يسكن من الحركة ولم يترك الفساد والتمزيق لكل ما يقع إليه وفى ذلك من إقلاق الراحة وضياع السكينة ما فيه .

(٢) القرعية : طعام يتخذ من القرع ، والماش : حب أشبه بحب الباقلاء ومذاقه قريب من العدس واذا طبخ هذا بذاك فما أكرهه .

(٣) لاش : أى لا شىء ، واذا كان أقل من لا شىء فماذا يكون ؟ !!

(٤) النفط - بالكسر . وربما بالفتح - : دهن معدنى على نوعين منه أبيض ومنه أسود وهو خبيث الرائحة كرية الدخان مضر مؤذ .

(٥) صنان الإبط - بالضم - ومثله الصنة - بكسر أوله - : ذفره ورائحة عرقه، وهو ردىء خبيث الرائحة .

(٦) لا أصعب على النفس ، ولا أفتك بها من ضياع الملك وفقدان العزة وذهاب العظمة ، وأنها لتجد فى ذلك ضيقاً وألماً فهو يرمى مخاطبه بأنه أمر على النفس من زوال الملك، وأشأم من فوات الجبروت والمجد .

(٧) الهلك - بوزن قفل - : الهلاك ، والموت ، والحين ، والمعنى : أن مطلعته مشئوم نحس كمطلع الموت .

الصدّاق^(١) يا وحلّ الطريق^(٢) . يا ماءً على الريق^(٣) . يا محرّك العظم^(٤) . يا معجل الهضم^(٥) . يا قلع الأسنان^(٦) . يا وسخ

(١) باء فلان بكذا : حق عليه واستوجبه والطلاق : انقضاء ما بين الرجل والمرأة من اتصال الحبل وتماسك عرى الوفاق وإنما يكون ذلك لعدم رضائه عن معاشرتها وغضبه عليها وفي ذلك من سوء سمعتها وتحقيرها ما فيه لطلاق على ذلك ذل وإهانة وانها لتنقلب إلى أهلها خجلة محزونة لا سيما اذا كان الزوج قد حرمها ما تأجل في ذمته من صداقتها .

(٢) كم في أحوال الطريق من أذى المارة وتعطيل شأنهم .

(٣) يقول علماء الطب الحديث : أن الماء وخاصة البارد على الريق نافع مفيد مجدد للنشاط فلعل الطب القديم كان على غير هذا ، أو لعل المعنى أنه يشبه الماء في هذه الحال لانه لا يشربه كذلك إلا من لا يجد طعاما يبدأ به غالباً .

(٤) اذا اشتد بالمرء عرض الحمى اقشعر بدنه واضطربت أعضاؤه فلعله أراد من محرّك العظم صلابة الحمى وشدتها .

(٥) معجل الهضم : المسهل . والإنسان يناله من تعاطى المسهلات استرخاء في أعصابه ، وفتور في قواه ، وتخاذل في همته .

(٦) قلع الاسنان : وسخها ، ودرنها ما يعلوها من صفرة أو اخضرار وذلك من سوء الطعام أو سوء الهضم .

الأذان^(١) . يا أجرٌ من قلس^(٢) .

يا أقلُّ من فلس^(٣) . يا أفضح من عبرة^(٤) . يا

أبغى من إبرة^(٥) يا من مهب الخف^(٦) . يا مدرجة

(١) وسخ الأذان ربما أدى إلى إضعاف السمع .

(٢) القلس - بفتح أوله - حبل يتخذ من ليف أو نحوه لتربط به السفن أو تجر منه فهو دائماً على الأرض لكثرة ما يجذب به ، والمعنى : أنه بلغ من الحطة والهوان درجة فوق درجة الحبل الذي لا يزال مطروحا ولا يفتأ مستعملا للجذب منه .

(٣) الفليس : معروف ، والمعنى : أن قيمته وضيعة جدا .

(٤) العبرة - بفتح أوله - دمعة العين ولا يزال المحب مستورا خافى الامر حتى يبكى فإذا فعل افتضح أمره ، وظهر للناس سره .

لا جزى الله دمع عيني خيرا وجزى الله كل خير لسانى

كنت مثل الكتاب أخفاه طى فاستدلوا عليه بالعنوان

(٥) الابرة تتخذ للوخز فمن كان يخز الناس مثلها فهو ظالم باغ عات .

(٦) يقال فلان فى مهب الريح أى من الناحية التى تجىء الريح منها فمعنى أنه فى مهب الخف أن الخف لطول ملازمة قفاه للصفع والأذى إذا طلب لا يوجد الا عنده ، ويقال أيضاً : هب فلان من نومه اذا انبعث نشطا والمعنى حينئذ أن قفاه هو المكان الذى يهب له الخف وينشط إليه لطول ما تردد عليه وعرفه ، ويقال : هبت الريح اذا انطلقت ، والمعنى عليه أن ريحه تشبه ريح الخف نتنا وكراهة.

الأكف^(١) . يلكمة ليت^(٢) .

يا وكف البيت^(٣) . يا كيت وكيت . والله لو وضعت أسنك
على النجوم . ودليت رجلك فى التخوم^(٤) . واتخذت الشعري
خفاً والثرياً رفاً^(٥) . وجلعت السماء منوالاً^(٦) . وحكت الهواء

(١) يقال : درج الصبى اذا ابتدأ يمشى ، والمدرجة مكان الدروج ، ومعنى كونه
مدرجة الاكف : أنه مكان سيرها ، كناية عن اهانتة وتحقيره لكثرة تردد الناس
على ضربه .

(٢) ليت حرف وضع للتمنى وهو طلب المستحيل أو ما فيه عسر وهى - الكلمة
لو - لا تقال الا عند الحسرة على فائت ، قال :

ألام على لو ولو كنت عالماً بأذنب لو لم تفتنى أوائله .
وقال : أن ليتا وأن لوا عناء .

(٣) وكف البيت : تقاطر الماء من سقوفه عند المطر ، ولعمرك أى أذى يلحق
الانسان حينئذ .

(٤) التخوم ومثله التخم بضمتين - : جمع تخم - بوزن فلس - وهو كل قرية أو
أرض .

(٥) الشعري كوكب ، والثريا : مجموعة كواكب متضامة ، والرف : الثوب .

(٦) المنوال : آلة النسيج والحياكة .

سربالاً^(١) . فسديته بالنسر الطائر^(٢) . وأحمتُهُ بالفلكِ الدائر^(٣) .
ما كنتَ إلا حائكًا . قال عيسى بن هشامٍ : فوالله ما علمتُ أيُّ
الرجلين أوثرُ؟ وماً منهما إلا بديع الكلام . عجيبُ المقام . ألدُّ
الخصام . فتركتهما . والدينارُ مشاعٌ بينهما . وانصرفتُ وما
أدرى ما صنعَ الدهرُ بهما^(٤) .

(١) السربال : الثوب .

(٢) سدى الثوب - بضم أوله - : ما امتد من خيوطه وسداه بالتضعيف : اتخذ
سداه .

(٣) لحمة الثوب - بالضم وبالفتح - : ما كان من خيوطه عرضاً .

(٤) المعنى : اننى لم أستطع التفضيل بينهما فتركت لهما الدينار ولم أدر ما
كان منهما بعد .

رَفَعُ
عبد الرَّحْمَنِ الرَّحْمَنِي
أُسْتَاذُ الدِّينِ النَّوَوِي
www.moswarat.com

المقامة الشعرية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ ببلادِ الشَّامِ وانضمَّ إلى رفقة . فاجتمعنا ذاتَ يومٍ في حلقةٍ . فجعلنا نتذاكرُ الشعرَ فنوردُ أبياتَ معانيه . ونتحاجى بمعاميه^(١) . وقد وقفَ علينا فتى يسمعُ وكأنه يفهمُ . ويسكتُ وكأنه يندمُ . فقلتُ : يا فتى قد أذانا وقوفك فإما أن تقعدَ . وإما أن تبعدَ . فقال : لا يمكنني القعودُ . ولكن أذهبُ فأعودُ . فالزموا مكانكم هذا . قلنا : نفعلُ وكرامةً . ثمَّ غابَ بشخصه وما لبثَ أن عادَ لوقتهِ وقال : أينَ أنتم من تلكَ الأبياتِ وما فعلتمُ بالمعمياتِ . سلوني عنها فما سأله عن بيتٍ

(١) نتذاكر يروى : نتذكر ، ونتحاجى يمتحن كل منا حجا صاحبه أى عقله بعرض بيت من أبيات الشعر عليه مما قد خفى معناه على من لا روية له فى رويته ولا نفوذ لقريحته فى فهم دقائقه فاذا أصاب المعنى المراد دل على أنه من فرسانه والمجلين فى ميدانه .

إلا أجاب . ولا عن معنى إلا أصابَ ولما نفضنا الكنائن^(١) .
وأفنيها الخزائنَ عطفَ علينا سائلاً . وكرَّ مباحثاً فقال : عرفوني
أى بيتٍ شطره يرفعُ وشطره يدفعُ^(٢) . وأى بيتٍ كله يصفعُ .
وأى بيتٍ نصفه يغضبُ . ونصفه يلعبُ . وأى بيتٍ كله أجربُ ،
وأى بيتٍ عروضه يحاربُ . وضربه يقاربُ ؟ وأى بيتٍ كله
عقاربُ؟ وأى بيتٍ سمجٌ وضعه وحسنَ قطعه ؟ وأى بيتٍ لا يرقأُ

(١) الكنائن : جمع كنانة وهى وعاء السهام ، ونفضوها : أفرغوها يمثل بذلك
نقاد ما عندهم من الاحاجى والمعميات وانتهائهم فى المذاكرة إلى حد أن لم يبق
عندهم شىء يتذكرونه ، ومثل ذلك قوله : أفنيها الخزائن .

(٢) هذه الاوصاف التى يذكرها للابيات ويحاجى بها انما هى اعتبارات
يصورها الذهن من جوامع البيت والالفاظ التى يؤلف منها والمعانى التى يشير
إليها وترد إلى المخيلة عند سماعه وذلك يختلف باختلاف أهل الذوق فى القريض
ويمكن لقارىء ديوان واحد من شعر أى شاعر : أن يجد جميع ما جاء به ولهذا
لا نصرف الوقت فى الاتيان بجميع ما عمى به ولكننا نذكر لك طرفاً تقيس عليه
أمثاله كما جاء المصنف بمثل ذلك مثلاً البيت الذى نصفه يرفع ونصفه يدفع
بصيغة الفاعل فى الفعلين يدفع ويرفع كقول بعضهم :

دمعه؟ وأى بيت يابقُ كله؟ إلا رجله؟ وأى بيت لا يعرف أهله؟
وأى بيت هو أطول من مثله؟ كأنه ليس من أهله؟ وأى بيت لا
يمكن نقضه؟ ولا تحتقر أرضه؟ وأى بيت نصفه كامل؟ ونصفه
سرابل؟ وأى بيت لا تحصى عدته؟ وأى بيت يُريك ما يسر به؟
وأى بيت لا يسعه.

العالم؟ وأى بيت نصفه يضحك ونصفه يألّم؟ وأى بيت إن

ولله عندى جانب لا أضيعه وللهو عندى والخلاعة جانب

فالنصف الأول يرفع صاحبه إلى منزلة الكرامة التى يختص بها أهل التقوى
والنصف الثانى يدفع صاحبه عن تلك المقامات الرفيعة ويحرمه الرقى إليها ،
والبيت الذى نصفه يغضب ونصفه يلعب كقول طرفه المتقدم :

كأن سيوفهم منا ومنهم مخاريق بايدي لاعبيننا

والبيت الذى أوله يهب وآخره ينهب كقول بعضهم :

قريناكم فجعلنا قراكم قبيل الصبح مرادة طحونا

فان الشطر الاول قرى واحسان والشطر الثانى ردى وطحن أجساد تنهب منها
الارواح وتسلب معها الاموال . والبيت الذى لا يمكن نقضه كقوله :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول

حرَّكَ غصنهُ . ذهبَ حسنهُ ؟ وأىُّ بيتٍ إنِ أفلتناهُ . أضللناهُ ؟
وأىُّ بيتٍ شهدهُ سمٌّ ؟ وأىُّ بيتٍ مدحهُ ذمٌّ ؟ وأىُّ بيتٍ لفظهُ حلُّو
وتحتهُ غمٌّ ؟ وأىُّ بيتٍ حلُّهُ عقدٌ وكلهُ نقدٌ ؟ وأىُّ بيتٍ نصفهُ مدٌّ .
ونصفهُ ردٌّ ؟ وأىُّ بيتٍ نصفهُ رفعٌ . ورفعهُ صفعٌ ؟ وأىُّ بيتٍ
طردهُ مدحٌ ؟ وعكسهُ قدحٌ ؟ وأىُّ بيتٍ هوفى طوفٍ صلاةِ
الخوفِ ؟ وأىُّ بيتٍ يأكلهُ الشاءُ . متى شاءَ ؟ وأىُّ بيتٍ إذا
أصابَ الراسَ . هشمَ الاضراسَ ؟ وأىُّ بيتٍ طالَ . حتى بلغَ
ستةَ أرتالٍ ؟ وأىُّ بيتٍ قامَ . ثم سقطَ ونامَ ؟ وأىُّ بيتٍ أرادَ أنْ

والبيت الذى اذا أفلتناه أضللناه كقوله :

ألا أننى بال على جمل بال يقود بنا بال ويتبعنا بال

والبيت الذى قام ثم سقط ونام كقوله :

ألا أيها النوام ويحكم هبوا أسائلكم هل يقتل الرجل الحب

والبيت الذى اذا حرك غصنه ذهب حسنهُ كقوله :

لك قد لولا جوارح عينيــــ لك لغنت عليه ورق الحمام

فلو حركت القد لطارت الجوارح بمعناها المشهور وهو جوارح الطير .

والجوارح فى البيت عيناه فإذا طارت عينه ذهب حسنهُ البتة ، والبيت الذى أوله

ينقص فزاد؟ وأى بيت كاد يذهب فعاد؟

وأى بيت حرب العراق؟ وأى بيت فتح البصرة؟ وأى بيت ذاب. تحت العذاب؟ وأى بيت شاب. قبل الشباب؟ وأى بيت عاد. قبل الميعاد؟ وأى بيت حل. ثم اضمحل؟ وأى بيت أمر. ثم استمر؟ وأى بيت أصلح. حتى صلح؟ وأى بيت أسبق من سهم الطرماح؟ وأى بيت خرج من عينهم؟ وأى بيت ضاق. ووسع الآفاق؟ وأى بيت رجع. فهاج الوجع؟ وأى بيت نصفه ذهب. وباقية ذنب؟ وأى بيت بعضه ظلام وبعضه مدام؟ وأى بيت جعل فاعله مفعولاً. وعاقله معقولاً؟ وأى بيت كله حرمة؟ وأى بيتين هما كقطار الإبل؟ وأى بيت ينزل من عال؟ وأى بيت آخره. طيرته فى الفال؟ وأى بيت آخره يهرب.

يطلب وآخره يهرب كقوله :

ولكن معدن الذهب الرغام

وما أنا منهم بالعيش فيهم

والببت الذى مدحه ذم كقوله :

ليسوا من الشر فى شىء وان هانا

فان قومى وان كانوا نوى عدد

والببت الذى ضاق ووسع الآفاق كقوله :

أن يجمع العالم فى واحد

ليس على الله بمستنكر

وأوله يطلبُ ؟ وأىُّ بيتٍ أوله يهبُ . وآخره ينهبُ قال عيسى بن هشامٍ : فسمعنا شيئاً لم نكنُ سمعناه . وسألناه التفسير فممنعناه . وحسبناها ألفاظاً قد جودَ نحتها . ولا معانى تحتها فقالَ : اختاروا من هذه المسائل خمساً لأفسرّها واجتهدوا فى الباقى أياماً فلعلَّ إناكمُ يرشحُ . ولعلَّ خاطرکم يسمعُ . ثمَّ إن عجزتم فاستأنفوا التلقى . لأفسر الباقى . وكان ممّا اخترنا البيتُ الذى سمجُ وضعه وحسنُ قطعه . فسألناه عنه فقالَ : هو قولُ أبى نواسٍ :

فبتنا يرانا الله عصابةً تجرُّ أذيالَ الفسوقِ ولا فخرُ
قلنا : مالبيتُ الذى حلّه عقدُ . وكله نقدٌ ^(١) . فقالَ : قولُ

الأعشى :

والبيت الذى أصلح حتى صلح كقوله :

لا تقل بشرى ولكن بشريان غرة الداعى ويوم المهرجان

فانه اصلح وحول عن مطلع الشؤم إلى قوله : غرة الداعى ويوم المهرجان لا تقل بشرى ولكن بشريان. وعلى هذا النمط يمكنك ان تحقق جميع الاعتبارات بنوئك. ولكن من هذه الاعتبارات ما لا يعد من الابيات فلا حاجة بنا إلى الاطالة والله أعلم :

(١) كله نقد يريد دراهم وما يتعلق بنقدها، والنقد : الذهب والفضة المسكوكات سميا به لما يغلب فيهما من نقد الجيد من الردى .

دراهمنا كلها جيدٌ فلا تحبسنا بتناقدها

وحله أن يقال: دراهمنا جيدٌ كلها. ولا يخرج بهذا الحل عن
وزنه قلنا: فالبيت الذي نصفه مدٌ. ونصفه ردٌ قال: قولُ البكرى:

أتاك دينارٌ صدقٌ ينقصُ ستينَ فلساً (١)
من أكرم الناس إلا أصلاً وفرعاً ونفساً

قلنا : فالبيت الذي يأكله الشاء . متى شاء . قال : بيتُ

القائل :

فما للنوى جدُّ النوى قطع النوى رأيتُ النوى قطاعةً للقرائن (٢)

(١) فانه لما قال " دينار صدق " حصل فى الذهن جميع ما احتوى عليه من
الفلوس وامتد إلى نهايتها وهى ستون ، فلما قال " الا ستون فلسا " رد الذى
مده أولاً ، وفى قوله " من أكرم الناس " مد فضله حتى تجاوز الكرم ما وراء كل
كرم ولما نفى الكرم من أصله وفرعه ونفسه استرد جميع أفراد النوع حتى لم
يبق له شيئاً من الكرم .

(٢) النوى : البعد ينكر الشاعر الحاح البعد عليه بمفارقة أحبته فيقول . ما
للنوى وأى غرض لها فى ملازمتى ، ثم يدعو عليها فيقول : جذ النوى أى قطع
ومحق ، وقوله " قطاعة للقرائن " أما أن يريد من القرائن والارواح وقطاعتها
المهلكة لها ، وأما أن يريد منها الصلاة بين الاحبة التى لا تفرق بينهم بالميل =

قلنا : فالبيتُ الذي طال ، حتى بلغ ستةَ أرطالٍ . قال : بيتُ
ابنِ الروميِّ (١) .

إذا منَّ لم يمتنُ بمنٍ يمتنهُ وقالَ لنفسِ أيها النفسُ أمهلي
قال عيسى بنُ هشامٍ : فعلمنا أن المسائلَ . ليستُ عواطلَ
واجتهدنا فبعضها وجدنا . وبعضها استفدنا . فقلتُ على إثره
وهو عادٍ :

تفاوتَ الناسُ فضلاً وأشبهه البعضُ بعضاً
لولا ه كنتُ كرضوى طولاً وعمقاً وعرضاً (٢)

والوداد ، وهذا البيت بما فيه من تكرار ذكر النوى أحضر في المخيلة نوى التمر
والبلح وهو مما تأكله الشاء .

(١) تقدم هذا البيت في المقامة العراقية فليرجع هناك .

(٢) لولا هذا الفتى وما أظهره من البراعة وسعة الاطلاع وحسن الانتقاد لكان
عيسى بن هشام يعد نفسه في العظم المعنوي كجبل رضوى في عظمه الحسى
وهو جبل في بلاد العرب مشهور يتمثل به في أشعارهم ، قال المعري ويثقل
رضوى نون ما أنا حامل .

المَقَامَةُ المُلُوكِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كُنْتُ فِي مَنْصَرَفِي مِنَ الْيَمَنِ
وَتَوَجَّهْتُ إِلَى نَحْوِ الْوَطَنِ . أُسْرِي ذَاتَ لَيْلَةٍ لَا سَانِحَ بِهَا إِلَّا
الضَّبْعُ ^(١) وَلَا بَارِحَ إِلَّا السَّبْعُ . فَلَمَّا انْتَضَى نَصْلُ الصَّبَاحِ ^(٢) .

(١) السوانح من الطير والظباء وغيرها التي تجيء من مياسرك فتوليك ميامنها
وأهل نجد يتشاعمون بها ، وأهل الحجاز يتشاعمون بالسوانح وهي عندهم في
صفة البوارح عند أهل نجد .

قال أبو نؤيب :

وجرت بها طير السنيح فان يكن هواك الذي تهوى يصبك اجتنابها

وقال النابغة الذبياني :

زعم البوارح أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الاسود

والمعنى أنه كان يسير وحيداً لا رفيق له غير الوحوش من السباع والضباع .

(٢) شبه الصباح بسيف استل من غمده وهو الليل .

وبرز جبينُ المصباحِ (١). عن لي في البراحِ (٢). السلاحِ (٣)
فأخذنى منه ما يأخذُ الاعزلُ . من مثله إذا أقبلَ (٤) . لكنى
تجلدتُ (٥) فوقفتُ وقلتُ : أرضك لا أمُّ لك (٦) . فدونى شرطُ
الحدادِ (٧) وخرطُ القتادِ (٨) . وحميةُ أزديةً (٩) . وأنا سلمُ
إن كنتَ (١٠) . فمن أنتَ . فقالَ : سلمًا أصبتَ . ورفيقًا كما

(١) المصباح : الشمس ، وجبينها : حاجبها الاعلى .

(٢) عن : ظهر ، والبراح : الواسع من الارض .

(٣) شاكى السلاح : حديده تامه .

(٤) الاعزل : الذى لاسلاح له وهو يرتجف ويأخذه الرعب اذا لقي من شكا
سلاحه وحدده .

(٥) تجللت : تصبرت وقويت نفسى وسددت عزيمتى .

(٦) أرضك لا أم لك : أى قف مكانك ثكلت أمك .

(٧) شرط الحداد : جراح السيوف وأعمالها .

(٨) القتاد شجر له شوك كأصلب ما يكون وقطعه من أشد ما يؤلم الانسان
ويتعبه ، والمعنى : أن السبيل إلى لا يتأتى لك ولا تستطيع الوصول إليه لانه
محفوف بالمخاطر محاط بالاهوال والشدائد .

(٩) الحمية : الانفة والعزة والازدية : المنسوية إلى الازد الذين انتسب اليهم .

(١٠) سلم : أى مسالم لك لا اعتدى عليك ، والمعنى إنك إن نهجت معى طريق
الموادعة فساكون مثلك لا انتهك حرمتك .

أُحِبُّتَ^(١). فقلتُ : خَيْرُ أُحِبِّتَ . وسرنا فلما تخاليتنا^(٢) . وحينَ
تجالينا^(٣) . أَجَلتِ القِصَّةَ عن أبي الفتح الاسكندري^(٤) .
وسألني عن أكرم من لقيته من الملوك فذكرتُ ملوك الشام . ومن
بها من الكرام . وملوك العراق ومن بها من الاشراف . وأمراء
الاطراف . وسقتُ الذكرَ . إلى ملوك مصرَ . فرويتُ ما رأيتُ
وحدثته بعوارفِ ملوك اليمن^(٥) . ولطائف ملوك الطائف .
وختمتُ مدح الجملة . بذكر سيف الدولة . فأنشأ يقولُ :^(٦)

(١) المعنى : أننى عند ظنك وستحمدنى وتجدنى رفيقك ومؤنسك .

(٢) تخالينا : خلا كل منا بأخيه وانفرد به .

(٣) تجالينا : أى كشف كل واحد سره وأفشى أمره وعرف الثانى بنفسه .

(٤) أَجَلتِ : أى انكشفت ووضحت ، والمعنى أننى وجدت ذلك الفارس أبا الفتح
الاسكندري .

(٥) العوارف : جمع عارفة وهى الاحسان والمروءة والمعروف والنجدة
والشهامه .

(٦) سيف الدولة على بن حمدان : تقدمت ترجمته .

يا سارياً بنجوم الليل يمدحها

- ولو رأى الشمس لم يعرف لها خطراً^(١)
وواصفاً للسواقى هبك لم تُزر الـ بحر المحيط ألم تعرف له خبراً^(٢)
من أبصر الدر لم يعدل به حجراً ومن رأى خلفاً لم يذكر البشرأ^(٣)

(١) السارى : الذهاب فى الارض ليلا ، والخطر : القيمة والقدر ، والمعنى : أن من مشى فى الارض يتمدح بضوء النجوم ولألائها لو بزغ له قرن الشمس وأبصر شعاعها ونظر إلى ضوءها لصغرت النجوم فى عينه ولم تعد لها قيمة فى نظره

وأين الثريا وأين الثرى أين معاوية من على

(٢) السواقى : جمع ساقية وهى الصغيرة من القنوات وهى فوق الجبول ودون النهر . والمعنى أيهذا الذى انطلق لسانك فى مديح السواقى ووصفها أفرض انك لم تسعد برؤية البحر المحيط فهل خفى عليك حتى ذكره فاشتغلت بالسواقى ونعتها .

(٣) خلف : هو خلف بن أحمد أحد الامراء الذين مدحهم البديع وجرت عليه منحهم وعطاياهم وقد أسلفنا لك شيئاً من كلامه فيه ، والمعنى : أن الذى يسعفه الدهر برؤيا ذلك الممدوح ينسى الانام جميعهم بفضل الذى يجده فيه فلم يعد للناس أدنى قيمة عنده ومثل ذلك مثل الذى يجد حبة من اللؤلؤ فانه يغنى بالنظر إليها عن جميع الاحجار .

زره تزرُ ملكًا يعطى بأربعةٍ لم يحوها أحدٌ وانظرُ إليه ترى^(١)
أيامه غرراً ووجهه قمرًا وعزمه قدرًا وسيبه مطراً^(٢)
مازلتُ أمدحُ أقواماً أظنهمُ صفو الزمان فكانوا عنده كدرًا^(٣)
(قال عيسى بن هشام) فقلتُ : من هذا الملكُ الرحيمُ الكريمُ

(١) يعطى بأربعة : مفسر في البيت الذي بعده .

(٢) أيامه مفعول لتري في البيت الذي قبل هذا ، وغرر : جمع غرة وأصلها البياض في جبهة الفرس ثم استعمل في كل ظاهر نابه الشأن مرفوع القيمة ومنه الحديث : (أنا قائد الغر المحجلين) ووجهه قمرًا : أى شبيه به في وسامة الطلعة وهداية الحائر إلى سبيله ، وعزمه قدرًا : أى يشببه في المضاء والنفاذ ، وتشبيهه العزم بالقدر أكثر مبالغة من تشبيهه بثواقب النجوم وإن كان أبلغ من تشبيهه البديع ومنه قوله :

عزماته النجوم ثواقبا لو لم يكن للثاقبات أقول

والسبب : الغطاء والمنحة ، ومطرًا : أى مثله في الغزارة والشمول .

(٣) المعنى أننى مدحت كثيراً من الناس قبل ذلك الامير وكنت أظنهم حين مديحى لهم صفو الزمان فلما وصلت إلى دراه وتشرفت بالمثل بين يديه ومديحه عرفت أننى كنت مخطئاً فى ظنى أنهم لو قيسوا إليه لكانوا كدرا .

فقال : كيف يكونُ . ما لم تبلغهُ الظنونُ ^(١) ، وكيف أقولُ . ما لم تقبلهُ العقولُ ^(٢) ؟ ومتى كانَ ملكُ يأنفُ الأكارمَ . إن بعثتُ بالدراهمِ ^(٣) ؟ والذهبُ ، أيسرُ ما يهبُ ^(٤) . والألفُ لا يعمهُ إلا الخلفُ ^(٥) ، وهذا جبلُ الكحلِ قد أضرَّ به الميلُ . فيكفُ لا يؤثرُ

(١) المعنى : ما الذى أقوله لك وأحدثك به من صفاته وبيدع سجاياه وهى فوق متناول الظن وأعلى من المدارك ومما لا يمكن أن يسمو إليه فكر وأنا إن أنبأتك لم آمن ألا تتوهم صحة كلامى وصدق حديثى .

(٢) هذا كالأيضاح لما قبله .

(٣) يقال : أنفه يأنفه اذا ضرب أنفه ، والاكارم : جمع أكرم وهو البالغ من الكرم حدا عظيما ، والمعنى : أن هذا الامير الذى حدثك بشأنه يسترزى الكرماء ويحط من شأنهم ويزجرهم إذا منحوا الدراهم لانها خسيصة لا تليق بالعطاء ولا تجمل بالمنحة .

(٤) المعنى : أنه يعطى الثمين الغالى وأهون ما يعطيه وأيسره وأقله قيمة وأزهده قدرا هو الذهب ولذلك فهو يردع المانحين ويرغمهم .

(٥) الخلف : الفأس العظيمة ، والمعنى : أنه متلاف لامواله مضيع لها بسبب ما يعطى العطايا الغالية ويهب الهبات النفيسة فمثل أمواله كممثل الحائط لا يأتى على جميعها غير الفأس وهو كذلك لا يأتى على ماله غير الكرم .

ذلك العطاء الجزيل^(١) . وهل يجوز أن يكون ملكٌ يرجعُ من البذلِ
إلى سرفه^(٢) . ومن الخلق إلى شرفه^(٣) . ومن الدين إلى كلفه^(٤) .
ومن الملك إلى كنفه^(٥) . ومن الأصل إلى سلفه^(٦) . ومن النسلِ
إلى خلفه
فليت شعري من هذى مآثره ماذا الذى ببلوغ النجم ينتظر^(٧) !؟

(١) الكحل : معروف والميل ما يكتحل به وأخف شىء حملا هو الميل ولكنه اذا
استمر أفنى من الكحل جبالا ، والمعنى : أن الميل لا يأخذ من الكحل الا قليلا
جدا ولكنه لو تسلط على جبل لأفناه وأضاعه فقل لى بربك كيف لا تؤثر على ماله
هذه الهبات المتواترة العظيمة . (٢) المعنى : أنه لا يعقل أن أحدا من الملوك
تكون خصلة العطاء عنده واصلة غاية حد السرف والتضييع مثل ما وصل بها
ذلك الامير . (٣) أى أنه ليس يتأتى أن يتصف واحد من الناس من الاخلاق
بشريفها ومن الخصال بكريمها مثل الذى اتصف به . (٤) كلفه : أى حبه ذلك
الحب الشديد أو هو بمعنى احتمال تكاليفه ومشقاته . (٥) كنفه حصنه وهو
الصدر والعضدان . (٦) السلف : الإباء ، والمعنى : أتري أن أحدا بلغ فى
الانتساب إلى أفاضل الناس وأكرمهم وأحسنهم خلقا مثلما بلغ الممدوح .
(٧) ليت شعري : كلمة تدل على التعجب ، والمعنى : أن الأمر غريب جدا لان من
كانت تلك سجاياه وهذه أوصافه ونعوته فأى شىء يرتجى من وصوله إلى النجم
وارتقائه فوق مناط والثريا ، أى بلغ غاية الكمال التى لا يمكن المزيد عليها قط .

رَقْعٌ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ الصُّفْرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : لما أردتُ القفولُ من الحجِّ^(١) دخلُ إليَّ فتىٌ فقالَ : عندي رجلٌ من نجارِ الصُّفْرِ^(٢) . يدعوُ إلى الكفرِ^(٣) . ويرقصُ على الظفرِ^(٤) . وقد أدبتهُ الغربيةُ^(٥) . وأدنتني الحسبةُ إليك . لأمثل حاله لديك^(٦) . وقد خطبَ

(١) قفل - من باب دخل - رجع ، والقفول من السفر ، العود منه ومنه سميت القافلة وهي الجماعة التي تتألف على السفر سموها بذلك تفاضلاً لها بالرجوع .
(٢) النجار - بكسر أوله وضمه - ومثلها النجر - بوزن فلس : الاصل ومنه المثل : كل نجار ابل نجارها يضرب لمن يتلون أى فيه كل لون من الاخلاق ولا يثبت على رأى ، والصفير : جمع أصفر وقد صار لقباً للدنانير والمعنى : أى عندي ديناراً . (٣) الكفر فى الاصل الستر ، والمعنى : أنه يحمل صاحبه على ستره واخفائه ضناً به وخوفاً عليه ويصح أن يراد منه الكفر بالمعنى الشائع المعروف ومعنى أن الدينار داع إليه أن صاحبه لا يأمن على نفسه الوقوع فى مهاوى الزيف والضلال . (٤) من عادة الصيارفة ونقده الاموال أن ينقروها على أظفارهم ليتبينوا جيدها من رديئها وذلك المراد بكونه يرقص على الظفر .
(٥) المعنى أنه فى يد غير صاحبه . (٦) الحسبة فعل الامر غير منظور عند عمله غير وجه الله ، وأمثلة حاله : أصورها لك وأعلمك حقيقتها ، والمعنى أن شفقتى بذلك الفتى جعلتني أتقدم إليك واصفاً حاله محتسباً فى ذلك الاجر عند الله .

منك جارية صفراء تعجبُ الحاضرين . وتسرُّ الناظرين^(١) . فإن
أجبتَ ينجبُ منهما ولدٌ يعمُّ البقاعَ والاسماع^(٢) . فإذا طويتَ هذا
الريط^(٣) وثنيتَ هذا الخيط . يكونُ قد سبقك إلى بلدك^(٤) . فأريك
في نشر ما في يدك^(٥) . قال عيسى بن هشامٍ : فعجبتُ من
إيراده . ولطفه في سؤاله^(٦) . وأجبتُهُ في مراده فأنشأ يقولُ :
المجدُّ يخدعُ باليدِ السفلى ويدُ الكريمِ ورأيهُ أعلى^(٧)

(١) جارية : أى قطعة منطلقه ، وأراد بكونها صفراء تعيين أنها من
نوع الذهب . (٢) ينجب منها ولد : أى يجيء له من هذه الجارية ولد نجيب
وأراد منه الثناء عليه وإطراءه ومدحها ولذلك قال يعم الاسماع والبقاع أى أنه
ينتشر انتشارا عظيما حتى لا يبقى سمع إلا وصله ولا بقعة إلا دخلها .

(٢) الريط : جمع ربطة وهى الملاءة إذا كانت قطعة واحدة ولم تكن لفقين ،
والمعنى : اذا قطعت أيام الفراق ووصلت وطنك وحللت بناديك . (٤) أى أن ذلك
الولد ستجده حل وطنك قبلك ووصل الدار قبل وصولك . (٥) أى : لك أن ترى
بعدهما ذكرت لك من الكلام رأيك فى أن تجيبني إلى ما أملت أو تردني خائبا .
(٦) إيراده : أى طريق حكايته لى وتحديثه اياى بحاجته والمعنى أنتى قد أخذنى
العجب من حديثه ولطافته مع جميل سؤاله فلم أخيب ظنه ولم أضع رجاءه .

(٧) اليد السفلى : التى تطلب العطاء وتستجدى أكف الناس ، واليد العليا
المعطية والمانحة وفى الحديث : لا (اليد العليا خير من اليد السفلى) ، والمعنى ان
المستمنح يخدع المانحين ويختلسهم بما يلقيه إليهم من الحديث وما يمدده نحوهم
من شراك الاسترفاد ولكن ليس ذلك دليلا على ضعف المعطى ولا حجة على
خابله لانه لا يزال صاحب اليد العليا والرأى الناضج والفكر السديد .

المقامة السارية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : بَيْنَا نَحْنُ بِسَارِيَّةَ^(١) عِنْدَ
وَالِيهَا إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ فَتَى بِهِ رِدْعُ صَفَارٍ^(٢) فَانْتَفَضَ الْمَجْلِسُ لَهُ
قِيَامًا وَأَجْلَسَ فِي صَدْرِهِ اعْظَامًا^(٣) . وَمَنْعَتْنِي الْحِشْمَةَ لَهُ مِنْ
مَسْأَلَتِي إِيَّاهُ عَنْ اسْمِهِ^(٤) . وَابْتَدَأَ فَقَالَ لِلْوَالِي : مَا فَعَلْتَ فِي
الْحَدِيثِ الْاِمْسِيِّ لَعَلَّكَ جَعَلْتَهُ فِي الْمَنْسِيِّ^(٥) ؟ ! فَقَالَ : مَعَاذَ اللَّهِ
وَلَكِنْ عَاقَبْنِي عَنْ بُلُوغِهِ عِذْرًا لَا يُمْكِنُ شَرْحَهُ^(٦) وَلَا يُؤَسَى

(١) سارية : إحدى بلاد طبرستان . (٢) الردع : أثر الطيب ، والصفار بضم
أوله وبفاء - : أراد منه اللون الأصفر والمعنى أن ذلك الفتى كان بجسده آثار
الطيب أصفر كالزعفران مثلاً . (٣) المعنى أن جميع من كان بالمجلس قد تحرك
مسرعا للقيام ثم انهم أجلسوه في صدر المكان تعظيماً له وتوقيراً . (٤) الحشمة
له : الاجلال والتباعد عما يثير غضبه أو يعنته . (٥) الامسى : نسبة إلى الامس
وهو اليوم الذي قبل يومك والمعنى : ماذا صنعت بشأن ذلك الحديث الذي جرى
بيننا بالامس ثم عطف إليه قائلاً : أننى أشفق من أن تكون نسيت . (٦) المعنى :
أننى لم انس ذلك الحديث لان النسيان علامة عدم الاكترار وأنت ممن يخطر
بالبال دائماً ولكنى لم أستطع قضاءه لأعذار طويلة لا أتمكن من بسطها لك .

جرحه^(١). فقال: الداخل: يا هذا قد طال مطال هذا الوعد^(٢) فما
أجدُ غدك فيه إلا كيومك. ولا يومك فيه إلا كأمسك^(٣). فما
أشبهك في الإخلاف. إلا بشجر الخلاف^(٤). زهره يملأ العين.
ولا ثمر في البين^(٥). قال عيسى بن هشام: فلماً بلغ هذا المكان
قطعتُ عليه فقلتُ: حرسك الله ألسنتَ الاسكندريِّ. فقال: وأدام
حراستك. ما أحسنَ فراستك^(٦). فقلتُ: مرحباً بأميرِ الكلام.
وأهلاً بضالة الكرام^(٧). لقد نشدتُها. حتى وجدتها، وطلبتُها.
حتى أصببتُها^(٨).

(١) يؤسى: يطيب ويعالج، والمعنى: أن الذي نالني من عدم الانجاز بما
وعدتك أشد على نفسي من الجرح الذي لا يعالج ولا يلتئم. (٢) المطال ومثله
المطل - : التسويق وإرجاء الوفاء من يوم إلى آخر والمعنى: أنه طال تسويقك
وأرجاؤك وأنا انتظر وفاءك ولكنك لا تفعل فمتى يكون. (٣) أي: أن حالك معي
لا يتغير فالذي تقوله اليوم هو ما ستقوله غدا وهو بعينه الذي ذكرته أمس.

(٤) شجر الخلاف: هو شجر الصفصاف أو هو نوع منه. (٥) ولا ثمر في
البين: أي بين أغصان ذلك الشجر أو هي كلمة مستعملة في معنى هناك وهو
استعمال مولد، وهذا هو وجه التماثل بين الوالى وشجر الخلاف، والمعنى أنه
يخدعك منظره وتغرك رؤيته ولكنك اذا فتشت في أثنائه وجهدت نفسك أن تجد
ثمرة فلن تلقى السبيل إلى ذلك. (٦) فراستك: تفرسك لاستطلاع
حقيقتي، والمعنى: أن ظنك لم يخب فأنا هو. (٧) الضالة ما شرد منه فأنت
تبحث عنه أو هو أكرم مالك عليك وأثره لديك، ومعنى هذا أن الاسكندري رجل
يطلبه كرام الناس ليتعرفوا أديبه الجم ويستفيدوا من حسن بيانه وجميل خطابه
وفصيح مقاله. (٨) نشد الضالة: طلبها وجد في البحث عنها، والمعنى أنه طال
بي الأمد وأنا أتلمس لقياك وأرجو الوصول إليك حتى أسعفني الدهر بما رجوت.

ثم ترافقنا حتى اجتذبنى نجد^(١) . ولقمة^(٢) وهدي^(٣) .
 وصعدت^(٤) وصوب^(٥) . وشرق^(٦) وغرب^(٧) . فقلت^(٨) على أثره :
 يا ليت شعري عن أخ^(٩) ضاقت يداه وطال صيته^(١٠)
 قد بات بارحة^(١١) لدى^(١٢) فأين ليلتنا مبيته^(١٣)
 لا در^(١٤) در^(١٥) الفقر^(١٦) فه^(١٧) وطريده^(١٨) وبه رزيت^(١٩)
 لأسلطن^(٢٠) عليه^(٢١) من^(٢٢) خلف^(٢٣) بن أحمد^(٢٤) من يميته^(٢٥)

(١) النجد: ما ارتفع وعلا من الأرض، وجذبه رفعه إليه . (٢) الوهد: ما تطامن وانخفض من الأرض: ولقمة - من باب فهم ابتلعه، والمعنى: أنهما مازالا رفيقين حتى وصلا إلى مكان افتراقهما فسار عيسى نحو سجستان يؤم خلف بن أحمد فعلا في نجاد الأرض وسار الاسكندري نحو العراق فهبط في وهادها.

(٣) سعدت: سرت مرتفعا بما يناسب النجد وصوب: سار منخفضا بما يتفق مع الوهد . (٤) ليت شعري عنه: أى ليت خبرى عنه حاصل عندي، وأصل الشعر فى مثل هذا التركيب العلم فاستعمل فى الخبر هنا لانه سبب من اسبابه، والمعنى ليتنى أعلم شيئا عن ذلك الاخ الذى قصرت يده وضاقت عن الاتفاق ولم تقدر على البسطة ووفر الغنى مع علو كعبه وارتفاع ذكره وطول شهرته وامتداد صيته وبعد مداه . (٥) بارحة : أراد منها الليلة الماضية، وليلتنا: أى هذه الليلة، والمعنى: أنه قضى معى الليلة المنصرمة فأين يقضى هذه الليلة الآتية يا ترى. (٦) الدر: اللين، ودر - من باب شد - درا ودرورا: كثر، ويقال فى الذم لا در لا دره أى لا كثر خيره، ويقال فى المدح: لله دره أى عمله ولله دره من رجل، ولله دره رجلا، وطريده: مطروده، وزينته أصل رزنته فخفف بالاسهام، والمعنى الدعاء على الفقر بأن يجف ضرع من تغذيه لبنها ليموت، وليس المقصود ذلك حقيقة ولكن المراد أن يقول: أن الفقر أمر يقصر الجاه ويضعف المروءة ويقلل من العزيمة ويفل شباتها لانه كان سببا فى رزنى بالاسكندري فى حين لا احب غير لقائه والسير معه فحبذا لو لم يكن وأراد عيسى فقر نفسه أى أنه لو كان موسرا لتحمل نفقاته ولم يقبل فراقه . (٧) المعنى: أقسم يمينا لا أحنث فيه أننى لا بد أن أسلط على الفقر من خلف شخصاً يميت هذا الفقر بمنحه وعطاياه، وخلف هو الذى سيفعل ذلك ولكنه أراد التجريد نحو لقيت من زيد أسدا، لعل هذا البيت دليلا على أنه فقر نفسه .

رَفَعُ
عبد الرحمن العجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ التَّمِيمِيَّةُ

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : وَلِيْتُ بَعْضَ الْوَالِيَّاتِ مِنْ
بِلَادِ الشَّامِ . وَوَرَدَهَا سَعْدُ بْنُ بَدْرِ أَخُو فِزَارَةَ . وَقَدْ وُلِّيَ
الْوِزَارَةَ (١) .

(١) فِزَارَةُ : إِحْدَى قِبَائِلِ الْعَرَبِ ، وَأَخُوهَا : أَحَدُ رِجَالِهَا الَّذِينَ تَتَّصِلُ نَسَبَتُهُمْ
إِلَيْهَا ، وَالْوِزَارَةُ كَانَتْ فِي عَصْرِ الْبَدِيعِ تَجْمَعُ بَيْنَ السَّلَاحِيْنَ السِّيفِ وَالْقَلَمِ وَكَانَ
لَا يَتَوَلَّاهَا إِلَّا مَنْ يَحُوزُ الصَّفَتَيْنِ جَمِيعًا غَيْرَ أَنْ حَالِ الْوِزِيرِ كَانَتْ تَخْتَلِفُ مِنْ
جِهَةِ إِطْلَاقِ يَدِهِ فِي التَّصَرُّفَاتِ كُلِّهَا وَغَلَّ يَدُهُ عَنِ الْبَعْضِ وَقَالَ ابْنُ خَلْدُونَ عَنِ
الْوِزَارَةِ : هِيَ أُمُّ الْخَطِّ السُّلْطَانِيَّةِ وَالرَّتَبِ الْمَلُوكِيَّةِ لِأَنَّ اسْمَهَا يَدُلُّ عَلَى مَطْلُوقِ
الْإِعَانَةِ فَانِ الْوِزَارَةَ أَمَا مِنَ الْمُوَازَرَةِ وَهِيَ الْمَعَاوَنَةُ أَوْ مِنَ الْوِزِيرِ وَهُوَ الثَّقَلُ كَأَنَّهُ
يَحْمَلُ مَعَ مَفَاعِلِهِ أَوْازِرَهُ وَأَثْقَالَهُ وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْمَعَاوَنَةِ الْمَطْلُوقَةِ وَأَحْوَالِ لَا تَعْدُو
أَرْبَعَةَ أُمُورٍ لِأَنَّهَا إِمَّا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ لِحْمَايَةِ الْكَافَّةِ وَأَسْبَابِهَا مِنَ النَّظَرِ فِي
الْجُنْدِ وَالسَّلَاحِ وَالْحُرُوبِ وَسَائِرِ أُمُورِ الْحِمَايَةِ وَالْمَطَالِبَةِ وَصَاحِبِ هَذَا هُوَ الْوِزِيرُ
الْمُتَعَارَفُ فِي الدَّوْلَةِ الْقَدِيمَةُ بِالشَّرْقِ ، وَلِهَذَا الْعَهْدُ بِالْمَغْرِبِ ، وَأَمَا تَكُونَ فِي
أُمُورِ مَخَاطَبَاتِهِ لَمَنْ بَعْدَ عَنْهُ فِي الْمَكَانِ أَوْ فِي الزَّمَانِ وَتَنْفِيذِهِ الْأَوَامِرِ فَيَمْنُ هُوَ
مُحْجُوبٌ عَنْهُ وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ الْكَاتِبُ وَأَمَا أَنْ تَكُونَ فِي أُمُورِ جَبَايَةِ الْمَالِ وَإِنْفَاقِهِ
وَضَبْطِ ذَلِكَ مِنْ جَمِيعِ وَجُوهِهِ أَنْ يَكُونَ بِمُضْيِعَةٍ وَصَاحِبُ هَذَا هُوَ صَاحِبُ الْمَالِ
وَالْجَبَايَةِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالْوِزِيرِ لِهَذَا الْعَهْدِ بِالشَّرْقِ وَأَمَا يَكُونَ فِي مَدَافِعَةِ النَّاسِ
نَوَى الْحَاجَاتِ عَنْهُ أَنْ يَزِدْحَمُوا عَلَيْهِ فَيَشْغَلُوهُ عَنْ فَهْمِهِ وَهَذَا رَاجِعٌ لِصَاحِبِ
الْبَابِ الَّذِي يَحْجِبُهُ فَلَا تَعْدُو هَذِهِ الْأَرْبَعَةَ بِوَجْهِهِ وَكُلُّ خَطَّةٍ أَوْ رَتْبَةٍ مِنْ رَتَبِ الْمَلِكِ =

وأحمدُ بنُ الوليدِ . على عملِ البريدِ (١) .

= أو السلطان فإليها يرجع إلا أن الأرفع منها ما كانت الاعانة فيه عامة فيما تحت يد السلطان من ذلك الصنف إذ هو يقتضى مباشرة السلطان دائما ومشاركته في كل صنف من أحواله ملكه وأما ما كان خاصا ببعض الناس أو بعض الجهات فيكون نون الرتبة الأخرى كقيادة ثغر أو ولاية جباية خاصة أو النظر في أمر خاص كحسبة الطعام ، وما زال الأمر في الدول قبل الإسلام هكذا حتى جاء الإسلام وصار الأمر خلافة فذهبت تلك الخطط كلها بذهاب رسم الملك إلى ما هو طبيعي من المعاونة بالرأى والمفاوضة فيه ، ثم أفاض في تطور الاحوال وانتقالها من عصر إلى عصر وتقسيم الوزارة وتنويعها وتحديد عملها ورسومها في كل زمان . (١) البريد : أصله أن يجعل خيل مضمرات في عدة أماكن فاذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها - قد تعب فرسه - ركب غيره فرسا مستريحا وكذلك يفعل في المكان الآخر والآخر حتى يصل بسرعة ، وأما معناه اللغوي فالبريد هو اثنا عشر ميلا وأظن أن الغاية التي قدروها بين بريد وبريد هي هذا القدر ، وقال صاحب علاء الدين عطا ملك في جهان كشاي ومن جملة الاشياء وضعهم البريد بكل مكان طلبا لحفظ الاموال وسرعة وصول الاخبار ومتجددات الاحوال ، وأول من وضعه معاوية بن ابي سفيان رضى الله عنه طلبا للسرعة في وصول الاخبار ، وعمل البريد من أكبر الاعمال في الدول الاسلامية فقد كان صاحبه يتولى تفقد أحوال الثغور والبلدان النائية ويحدث السلطان عنها ويشير عليه بما يراه أعدل لها ، وله عمال كثيرون يستخدمهم في النواحي والاطراف في فروع عمله ، وكانت له مكانة سامية عند السلاطين لانه الذي يتفقد الاحوال ويستكشف خبيئات الامور ويخبر الخليفة بما يحيط به علمه وكان كل ما يرد من ولاة الاقاليم وعمال البلدان يعطى لعامل البريد ليطلع عليه أولا ثم هو يذهب به إلى الخليفة ولذلك فانه كان مأنونا له بالدخول من غير ممانعة في بعض العصور .

وخلفَ بن سالمٍ . على عمل المظالم^(١) .

وبعضُ بنى ثوابةً
وقد ولى الكتابة^(٢)

(١) قال ابن خلدون في عمل المظالم أنه ولاية ممتزجة من سطوة السلطنة ونصفة القضاء وكأنه يمضى ما عجز القضاة وغيرهم على امضائه ويكون في نظر صاحبه في البيئات والتقارير ، واعتماد الإمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحق وحمل الخصمين على الصلح واستحلاف الشهود ، فهي أوسع من دائرة نظر القاضى ، وكان الخلفاء الراشدون يتولون هذا العمل بأنفسهم فى صدر الاسلام وكانوا ربما تركوها للقضاة ثم صارت ولاية مستقلة. (٢) ثوابة: قبيلة من قبائل العرب والكتابة ديوان الرسائل ولا بأس بأن نورد لك رأى ابن خلدون فيها مع شىء من الاجمال قال: هذه الوظيفة غير ضرورية فى الملك لاستغناء كثير من الدول عنها رأسا كما فى الدول العريقة فى البداوة التى لم يأخذها تهذيب الحضارة ولا استحكام الصنائع، وإنما أكد الحاجة إليها فى الدولة الاسلامية شأن اللسان العربى والبلاغة فى العبارة عن المقاصد، فصار الكاتب يؤدى الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية فى الاكثر وكان الكاتب للامير يكون من أهل نسبه ومن عظماء قبيلة كما كان للخلفاء وأمراء الصحابة فى الشام والعراق لعظم أمانتهم وخلوص أسرارهم فلما فسد اللسان وصار صناعة اختص بمن يحسنه وكانت عند بنى العباس ربيعة وكان الكاتب يصدر السجلات مطلقة ويكتب فى آخرها اسمه ويختم عليها بخاتم السلطان (وهو طابع منقوش فيه اسم السلطان أو اشارته يغمس فى طين أحمر مذاق بالماء ويسمى طين الخاتم ويطبع به على طرفى السجل عند طيه والصاقه) ثم صارت السجلات من بعدهم تصدر باسم السلطان ويضع الكاتب فيها علامته أولا وأخراً على حسب الاختيار فى محلها وفى لفظها ثم تنزل هذه الخطة بارتفاع المكان عند السلطان لغير صاحبها من أهل المراتب فى الدولة واستبداد الوزير عليه فتصير علامة هذا الكتاب ملغاة الحكم بعلامة الرئيس عليه يستدل بها فيكتب صورة علامته المعهودة والحكم لعلامة ذلك الرئيس كما وقع آخر الدولة الحفصية لما ارتفع شأن الحجابة وصار أمرها إلى التفويض ثم الاستبداد صار حكم العلامة التى للكاتب ملغى وصورة ثابتة اتباعا لما سلف من أمرها فصار الحاجب يرسم للكاتب امضاء كتابه ذلك بخط يصنعه ويتخير =

وجعل عمل الزمام . إلى رجل من أهل الشام^(١)

= له من صيغ الانفاذ ما شاء فيأتمر الكاتب له ويضع العلامة المعتادة وقد يختص السلطان نفسه بوضع ذلك إذا كان مستبداً بأمره قائماً على نفسه فيرسم الامر للكاتب ليضع علامته، ومن خطط الكتابة التوقيع وهو أن يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة إليه أحكامها والفصل فيها متلقة من السلطان بأوجز لفظ وأبلغه فاما أن تصدر كذلك وأما أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه ، وقد كان جعفر بن يحيى يوقع في القصص بين يدي الرشيد ويرمى بالقصة لصاحبها فكانت توقيعاته يتنافس البلغاء في تحصيلها للوقوف فيها على أساليب البلاغة وفنونها حتى قيل أنها كانت تباع كل قصة منها بدينار وهكذا كان شأن الدول .

(١) لا ندري ما الذي أراد بولاية الزمام لاننا لم نعرف ولاية بهذا الاسم في ذلك العصر غير أن الذي يتبادر إلى الذهن أنه أراد منها ولاية الاعمال والجبايات وفيها يقول العلامة ابن خلدون : اعلم أن هذه الوظيفة من الوظائف الضرورية للملك وهي القيام على أعمال الجبايات وحفظ حقوق الدولة في الدخل والخرج واحصاء العساكر باسمائهم وتقدير أرزاقهم وصرف أعطياتهم في أبنائهم والرجوع في ذلك إلى القوانين التي يرتبها قومه تلك الاعمال وقهارمة الدولة وهي كلها مسطورة في كتاب شاهد بتفاصيل ذلك في الدخل والخرج مبنى على جزء كبير من الحساب لا يقوم به الا المهرة من أهل تلك الاعمال ويسمى ذلك الكتاب بالديوان وكذلك مكان جلوس العمال المباشرين لها ويقال أن أصل هذه التسمية أن كسرى نظر يوماً إلى كتاب ديوانه وهم يحسبون على أنفسهم كأنهم يحدثون أحدا فقال (ديوانه) أي مجانين بلغة الفرس فسمى موضعهم بذلك وحذفت الهاء لكثرة الاستعمال تخفيفاً فقل ديوان ثم نقل هذا الاسم إلى كتاب هذه الاعمال المتضمن للقوانين والحسابات ، وقيل أنه اسم للشياطين بالفارسية سمي الكتاب بذلك لسرعة نفوذهم في فهم الامور ووقوفهم على الجلى منها والخفى وجمعهم لما شذ وتفرق ثم نقل مكان جلوسهم لتلك الاعمال بباب السلطان ، وقد تفرد هذه الوظيفة بناظر واحد في سائر هذه الاعمال وقد يفرد كل منها بناظر كما يفرد في بعض الدول النظر في العساكر واقطاعاتهم وحسبان أعطياتهم أو غير ذلك على حسب مصطلح الدولة وما قرره أولوها، واعلم أن هذه الوظيفة انما =

فصارتُ

= تحدث في الدول عند تمكن الغلب والاستيلاء والنظر في أعطاف الملك وفنون التمهيد وأول من وضع الديوان في الدولة الاسلامية عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقال لسبى أتى به أبو هريرة رضى الله عنه من البحرين فاستكثروه وتعبوا في قسمه فسموا إلى إحصاء الاموال وضبط العطاء والحقوق فأشار خالد بن الوليد بالديوان وقال : رأيت ملوك الشام يدونون فقبل منه عمر ، وقيل بل أشار عليه به الهرمزان لما رآه يبعث البعوث بغير ديوان فقبل له : ومن يعلم بغيبة من يغيب منهم قال : من تخلف أدخل بمكانه وانما يضبط ذلك الكتاب فأثبت لهم ديوانا وسأل عمر عن اسم الديوان فعبر له ولما اجتمع ذلك أمر عقيل بن أبي طالب ومخرمة بن نوفل وجببر بن مطعم وكانوا من كتاب قريش فكتبوا ديوان العساكر الاسلامية على ترتيب الانساب مبتدأ من قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وما بعدها الاقرب فالاقرب هكذا كان ابتداء ديوان الجيش .

أما ديوان الخراج والجبليات فبقى بعد الاسلام كما كان قبله (العراق بالفارسية والشام بالرومية) وكتاب الدواوين من أهل العهد من الفريقين . ولما جاء عبد الملك بن مروان واستحال الامر ملكا وانتقل القوم من غضاضة البداوة إلى رونق الحضارة ومن سذاجة الامية إلى حذق الكتابة وظهر في العرب ومواليهم مهرة من الكتاب والحسبان فأمر عبد الملك سليمان بن سعد والى الاردن لعهدده أن ينقل ديوان الشام إلى العربية فأكملة لسنة من يوم ابتدائه ووقف عليه سرحون كاتب عبد الملك فقال لكتاب الروم : اطلبوا العيش في غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم ، وأما ديوان العراق فأمر الحجاج صالح بن عبد الرحمن - وكان يكتب بالعربية والفارسية - أن ينقل الديوان من الفارسية إلى العربية ففعل ورغم ذلك كتاب الفرس وكان عبد الحميد بن يحيى يقول : لله در صالح ما أعظم منته على الكتاب ، ثم جعلت هذه الوظيفة في نولة بنى العباس مضافة إلى من كان له النظر فيه كما كان شأن بنى برمك وبنى سهل بن نوبخت وغيرهم من وزراء الدولة .

تحفة الفضلاء^(١) . ومحط رحالهم . ولم يزل يرد الواحد بعد
الواحد حتى امتلأت العيون من الحاضرين^(٢) وثقلوا على
القلوب، وورد فيمن ورد أبو الندى التميمي فلم تقف عليه
العيون^(٣) .

ولا صفت له القلوب . ودخل يوماً إلى فقدرته حق قدره وأعدته
من المجلس في صدره . وقلت : كيف يرجى الاستاذ عمره .
وكيف يرى أمره^(٤) . فنظر ذات اليمين وذات اليسار^(٥) فقال : بين
الخسران والخسار^(٦) . والذل والصغار^(٧) . وقوم كروث الحمار .

(١) التحفة : النفيس الذى يتقدم به الفضلاء بعضهم إلى بعض ، والمعنى : أن
هذه الولاية التى وليها سعد بن بدر قد جمعت الأفاضل ووجوه الكتاب وخيرتهم
فهى بذلك قد أصبحت زاهرة حتى أنه ليتهاهاها كرام الناس . (٢) ثقلوا على
القلوب : لكثرة تواردهم وكثرة ما يكلفون أهل المجلس من التوقيير لهم
واحترامهم لانهم من أهل الفضل وأرباب الحجا الذين تجب كرامتهم وبذل
الغاية فى احترامهم وذلك من أثقل التكاليف على النفس . (٣) يقال : وقفت
العيون فى وجه فلان إذا حدقت إليه وأثبتت النظر فيه وتتابع ذلك منها وهذا
كناية عن احترامه وأخذه بلبك وهو يقول : أن العيون لم تتجه اليه فهو يريد
التكنية عن أنهم احتقروه ولم يحفلوا به . (٤) المعنى : أى شىء تؤمل فى حياتك
وما الذى ترجوه من دهرك وما رغباتك فى هذا الوجود ولما كان الامل يسوق
العمل وجه إليه السؤال عن الامل فى حين أنه يزيد أعماله وأحواله . (٥) إنما
التفت يمينا وشمالا ليرى هل يحس به أحد وهل هناك من يسمع كلامه
فيتحاشى أن يذكر عيبا أو يخبر بقبيح . (٦) الخسران : الخيبة والحرمان
وضياع الرجاء وفقدان الأمال، والخسار : اللؤم ودناءة الطبع وسقالة الاصل
والمعنى أنه يقضى أوقاته كلها بين أمل ضائع ورجاء مسلوب وأخوان سفلة
وعشراء لئام . (٧) الصغار : الحطة وضعف الشأن .

يشمهمُ الإقبالُ وهمُ منتنونٌ ^(١) . ويحسنُ إليهمُ فلا يحسنون .
أما واللهِ لقد وردتُ منهمُ على قومٍ ما يشبههمُ من الناسِ . غيرُ
الرأسِ واللباسِ ^(٢) . وجعل يقولُ :

فدى لك يا سجستانُ البلادُ وللملكِ الكريمِ بك العبادُ ^(٣)
هبِ الأيامُ تسعدُنِي وهبُنِي تبلغُنِيهِ راحلةٌ وزادُ
فمن لى بالذى قد مات منه وبالعمرِ الذى لا يستعادُ ^(٤)

(١) الإقبال : السعادة ، والحظ ، ويمن الطالع ، والمعنى : أن السعداء يأتيهم
واليمن ينزل بساحتهم والثراء والجاه يلزمانهم فى حين أنهم لا يستحقون من
ذلك كله شيئاً .

(٢) المعنى : أننى اضطررت للفرار من هؤلاء الذين حدثتهم عنهم فلقيت جماعة
لا يصلهم الناس ولا يماثلهم بهم غير لباسهم وهيئة رؤوسهم فأما أفعالهم
وخلقهم فهى بعيدة جداً عن أفعال الإنسان وأخلاقه .

(٣) سجستان مدينة من مدن فارس الشرقية ، والمعنى : أن هذه البلده هى خير
البلاد وأطيب الاماكن وأن الملك الذى يحل بها هو أكرم من فوق التراب ولذلك
فإنى اتمنى أن تكون بلاد الدنيا كلها فداء لسجستان وجميع العباد فداء لذلك
الملك الكريم المقيم بها .

(٤) المعنى : أفرض أنه أمكن لى أن أسعد بالذهاب إلى حضرته وأتمتع بالمثل
بين يديه والتشرف بلقائه وافرض أن فى مقدور الرواحل أن تصل بى إلى
ساحته فهل ينفعنى ذلك اللقاء فى رد الايام الماضية والعمر المنصرم والحياة
القائمة التى عبرت على نون تمتع به ولا بشرف بالورود إليه .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المقامة الخمرية

حَدَّثَنَا عَيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : اتَّفَقَ لِي فِي
عَنْفَوَانِ الشَّبِيْبَةِ خَلْقٌ سَجِيحٌ^(١) . وَرَأَى صَحِيحًا . فَعَدَلْتُ مِيزَانَ
عَقْلِي^(٢) . وَعَدَلْتُ بَيْنَ جَدِّي وَهَزْلِي^(٣) وَاتَّخَذْتُ إِخْوَانًا .
لِلْمَقَّةِ^(٤) . وَآخِرِينَ لِلنَّفَقَةِ^(٥) . وَجَعَلْتُ النَّهَارَ لِلنَّاسِ . وَاللَّيْلَ

(١) عَنْفَوَانِ الشَّبِيْبَةِ : أَوَّلُ الشَّبَابِ ، وَمِيعَتِهِ ، وَحِينَ طَرَاءَةِ الْعُمُرِ وَغَضَارَتِهِ ،
وَخَلَقَ سَجِيحًا : سَهْلًا لِينًا هَادِيًا ، وَالْمَعْنَى : أَنِّي لَمْ أَنْشَأْ عَلَى الطَّيْشِ وَالرَّعْوَنَةِ
وَالْحَمَقِ وَالْجَنُونِ مِثْلَ عَادَةِ الشَّبَابِ بَلْ فَطَرَنِي اللَّهُ عَلَى الْهُدُوِّ وَالثَّبَاتِ وَالسَّكِينَةِ
فَتَخَلَّقْتُ بِكَامِلِ الْإِخْلَاقِ وَتَحَلَّيْتُ بِفَضَائِلِ الْأَعْمَالِ وَنَشَأْتُ عَلَى عَظِيمِ الْأَفْعَالِ مِنْذُ
عَهْدِي الْأَوَّلِ فِي الْحَيَاةِ . (٢) عَدَلْتُ مِيزَانَ عَقْلِي : جَعَلْتُ كِفْتَيْهِ مُتَقَابِلَتَيْنِ لَا
تُرْجِحُ إِحْدَاهُمَا الْآخَرَى فَلَا أَنَا تَرَكْتُ كِفَةَ الشَّهْوَةِ - وَهِيَ فِي الشَّبَابِ مُتَوَفَّرَةٌ
مُتَهَيِّجَةٌ تَتَغَلَّبُ عَلَى كِفَةِ الْفُضِيْلَةِ - وَلَا أَنَا تَرَكْتُهَا مَرَّةً وَاحِدَةً . (٣) عَدَلْتُ :
سَوَّيْتُ وَمَاثَلْتُ ، وَالْمَعْنَى : أَنْتَنِي لَمْ أَجْعَلْ لِأَحَدٍ الْأَمْرَيْنِ رِجْحَانًا عَلَى الْآخَرِ فَيُغْلِبُهُ
فَتَمِيلُ كِفَتُهُ بَلْ أَرَدْتُ الْمَوَازَنَةَ بَيْنَهُمَا وَالْمَسَاوَاةَ فِيهِمَا ، وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

ولله عندي جانب لا أضيعه ولله عندي والخلاعة جانب

(٤) الْمَقَّةُ : الْمَحَبَّةُ وَقَدْ وَمَقَّهُ يَمَقُّهُ - بِكَسْرِ الْمِيمِ فِيهِمَا - : أَحْبَبَهُ فَهُوَ وَامِقٌ ،
وَإِخْوَانِ الْمَقَّةِ هُمُ الْأَصْدِقَاءُ الْمَحَبَّةُ وَالْوُدَادُ وَأَلْفُ الْإِخْلَاصِ الَّذِينَ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ
وَيَسْتَصْرِخُهُمْ فِي الشَّدَةِ وَيَدْعُوهُمْ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ وَنَزَلَتْ بِهِ كَارِثَةٌ . (٥) الْمَعْنَى :
أَنَّهُ جَعَلَ أَخْلَاءَهُ نَوْعَيْنِ : نَوْعٌ تَجْمَعُهُ بِهِمُ الْمَحَبَّةُ الْإِكِيدَةُ وَالْوُدَادُ الْمَحْضُ وَادْخَرَهُ
لِلنَّوَازِلِ وَالْخَطُوبِ ، وَنَوْعٌ تَدْعُوهُ إِلَيْهِمْ سَاعَاتِ الْإِنْسِ وَأَوْقَاتِ الْمَسْرَةِ مِنْ أَهْلِ
النَّظْرِ وَالْمَرْوَةِ وَوَدَاعَةِ الْإِخْلَاقِ لِيَتَشَارَكُوا فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ وَنَحْوَهُمَا مِنْ
نَوَاعِي الطَّرْبِ وَبَوَاعِثِ الْإِرْتِيَاحِ .

للکاس^(١) . (قال) واجتمع إلى فى بعض ليالى
إخوان الخلوۃ . نوو المعانى الخلوۃ^(٢) . فمازلنا
نتعاطى . نجوم الاقداح^(٣) حتى نغدما معنا من

(١) المعنى : أن قسمة وقته وتسويته بين جده وهزله كانت هكذا فيقضى نهاره
بين الناس متحشما ووقوراً قائماً بجليل الاعمال مؤدياً منها ما لا قبل لغيره
عليه، وليله مع ندمائه يستقون العقار ويجيلون القداح .

(٢) يريد بهم جماعة الندامى الذين يشاركونه النفقة والانس .

(٣) نجوم الاقداح : أى الخمر التى تشبه النجم فى الضياء والبريق ، ومن
نعوتهم لها الرقة مع الصفاء ، والوميض مع اللألاء ، وفى الاول يقول :

رق الزجاج وراقت الخمر فتشابها وتشاكل الام
فكأنما خمر ولا قدح وكأنما قدح ولا خمر

ويقول أبو نواس :

تخيرت والنجوم وقف لم يتمكن بها المدار
فلم تنزل تاكل الليالى جثمانها ما بها انتصار
حتى اذا جرمها تلاشى وخلص السر والنجار
ألت إلى جوهر لطيف عيان موجوده ضمائر
لا ينزل الليل حتى حلت فدهر شرابها نهار

ويقول صريع الغوانى مسلم بن الوليد :

كأنها وحباب الماء يقرعها در تصدر من سلك من الذهب
تكاد أن تتلاشى كلما مزجت فى الكأس لولا بقايا الريح والحب

ويقول البحرى وقد ضمن بيتا لابي تمام :

فاشرب على زهر الرياض يشوبه زهر الخدود وزهرة الصهباء
من قهوة تنسى الهموم وتبعث الـ شوق الذى قد ضل فى الاحياء
يخفى الزجاجاة لونها فكأنها فى الكف قائمة بغير إناء

وأحسن من هذا كله قول أبى نواس :

جفت عن الماء حتى ما يلائمها لطافة وجفا عن شكلها الماء

وفى الثانى يقول :

فلو مزجت نورا لمازجها حتى تولد أنوار وأضواء =

الـرَّاح^(١) . قالَ واجتمعَ رأى النَّدْمَانِ . على فصدِ
الـدنان^(٢) فأسلُّنا نفسَها^(٣) وبقيتُ كالصدفِ بلا
درٍ^(٤) أو المَصْرِ بلا حرٍ^(٥) . (قالَ) : ولما مسَّتْنا حالُّنا تلكَ دعَّتْنا
دَواعى الشُّطارَةِ^(٦) . إلى حانِ الخُمارةِ^(٧) . واللَّيلُ أخضَرَ

= ويقول:

جاءت كشمس ضحى يوم أسعدها من برج لهو إلى آفاق سراء
كأنها ولسان الماء يقرعها نار تأجج في أجام قصباء

ويقول :

كأنها فى زجاجها قبس يذكو لا سورة ولا لهب
فهى بغير المزاج من شرر وهى اذا صفقت من الذهب

(١) نغد : فنى وذهب ، والراح : من أسماء الخمر ، والمعنى اننا ظللنا نتحسى
حتى لم يبق مما كان معنا شىء . (٢) الفصد فى الاصل قطع العرق ليسيل منه
الدم ، والدنان : جمع دن وهو راقود الخمر وخاييته العظيمة ومعنى فصدها
فتحها لأخذ ما فيها من الخمر ، والمعنى أنهم بعد أن أنفدوا ما معهم طلبت
نفوسهم مقداراً آخر منها فاتفقوا على فض الدنان لينالوا بغيتهم ويصلوا إلى ما
أرادوا . (٣) النفس : الدم والخمر تشبه الدم فى اللون ونحوه . (٤) الصدف :
جمع صدفه وهى غشاء الدرة ، والمعنى أنهم بعد أن فضوا ختم الرواقيد تركوها
خالية لا قيمة لها كما تترك الصدفه بعد أخذ ما فيها من ثمين الجواهر ، وهذا
كناية عن استيعابهم لجميع ما كان فيها ومن تشبيه الخمر .

كأن صغرى وكبرى من فواقعها حصباء در على أرض من الذهب

(٥) اذا خلت المصّر من الحر والجريء المقدام فأى فرق بينها وبين الصحارى
المجدبة والديار البلاقع ؟ فهو يقول : اننا تركنا الدنان ولا قيمة لها وهى لا
تساوى شيئاً . (٦) مستنا : أُلجأتنا ، واضطرتنا ، والشطارة : الخبث الشديد
والميل إلى الدعارة والفسق . (٧) الحان والحانة : حانوت الخمار ومنه سميت
الخمر بنت الحان ، والخمارة : مكان ابتياع الخمر وتحسيها والاضافة من باب
اضافة الشىء إلى نفسه كعقولهم مسجد الجامع ، والمعنى : أن حالتنا الاولى
عندما فرغت الخمر التى كانت لدينا اضطرتنا إلى الذهاب للحان لمتابعة الشرب
ومواصلته .

الديباج^(١) . مغتلمُ الامواج^(٢) . فلماً أخذنا في السبخ^(٣) . ثوبَ
منادي الصبح^(٤) . فخنسَ شيطانُ الصبوة^(٥) وتبادرنا إلى

(١) الديباج في الاصل : الثوب اذا كان سداه ولحمته من حرير ، واللون
الاخضر اذا اشتد كان أدكن مظلما والمراد وصف الليل بشدة سواده .
(٢) اغتلام الامواج : ثورتها ، وهياجها ، وكثرة اضطرابها ، وذلك تأكيد لسابقه
في نعت اسوداد الليل وظلامه ، ولأبى العلاء المعرى في وصف ليل أنس ما
يقرب من ذلك :

رب ليل كأنه الصبح في الحس
قد ركضنا فيه إلى اللهو لما
ليلتى هذه عروس من الز
هرب النوم عن جفونى فيها
وكأن الهلال يهوى الثريا
وسهيل كوجنة الحب فى اللو
مستبداً كأنه الفارس الملع
يسرع الملح فى احمرار كما تس
ضرجته دما سيوف الاعادى
قدماه وراءه وهو فى العجا
ثم شاب الدجى وخاف من الهج
ونضا فجره على نسرته الوا
ن وأن كان أسود الطليسان
وقف النجم وقفة الحيران
نج عليها قلائد من جمان
هرب الأمن عن فؤاد الجبان
فهما للوداع مفترقان
ن وقلب المحب فى الخفقان
لم يبدو معارض الفرسان
رع فى الملح مقلة الغضبان
فبكت رحمه له الشعريان
ز كساع ليست له قدمان
ر فغطى المشيب بالزعفران
قع سيفا فهم بالطيران

(٣) السبخ فى الاصل : السير فى الماء ، ولما كان قد شبه الليل بالبحر ندى
الامواج المتكاثفة المتواثبة فقد سمي سيرهم إلى الخمارة سبخا . (٤) منادى
الصبح : المؤذن الذى يدعو الناس إلى الصلاة ، وأصل التثويب فى اللغة
الاجتماع والمجىء ، وهو فى عرف الشرع أن يقول المؤذن لصلاة الصبح :
الصلاة خير من النوم مرتين ولعل أصل التسمية الشرعية من ذلك لأن هذا
الكلام معناه الدعوة لاجتماع الناس ومجيئهم ، وربما صح أن تكون لأنه يشبه
التبشير بالثواب لمن حضر . (٥) خنس : انخذل وانقبض وفى التنزيل : (من
شر الوسواس الخناس) أى الذى يلقي بالوسوسة ثم يفر هاربا .

الدعوة^(١). وقمنا وراء الإمام . قيام البررة الكرام بوقارٍ وسكينةٍ
 وحركاتٍ موزونة^(٢) .
 فلكل بضاعةٍ وقتٌ^(٣) . ولكل صناعةٍ سمتٌ^(٤) . وإمامنا يجدُّ في
 خفضه ورفعهِ^(٥) ويدعونا بإطالته إلى صفعه^(٦) . حتى إذا راجعَ
 بصيرته^(٧) ورفعَ بالسلام عقيرته^(٨) . تربّع في ركنٍ محرابه^(٩) .

(١) تبادرنا إلى الدعوة : سرنا لتلبيتها مبادرين مسرعين ، والدعوة هي الاذان
 والمعنى أنا لم نكد نعتزم السير إلى الحان حتى نفذنا ذلك العزم وأخذنا في
 طريقها فما سرنا قليلا حتى سمعنا المؤذن ينادى لدعوة العباد إلى الصلاة ولم
 يقرع اسماعنا صوته حتى ذهب عنا الشيطان وغادرتنا بواعي التصابي ونزق
 الشباب فذهبنا نحو المسجد مسرعين لتأدية فريضة الصلاة . (٢) المعنى : اننا
 حين قامت الصلاة دخلنا صفوفها فوقفنا وقوف العباد مع الخضوع لجبروت الله
 سبحانه والوقار والادب وكأن الذي كنا فيه لم يكن . (٣) أى : أن كل سلعة لها
 وقت تعرض فيه لا يناسبه غيرها ولا يناسبها غيره ، والبضاعة هنا هي الوقار
 والسكينة وتوازن الحركات والخشوع ووقتها هو أن الصلاة التي تؤدي فيه .
 (٤) السميت : الجهة ، والمراد هنا الهيئة والحال ، والمعنى : أن كل حرفة
 وصناعة لها هيئة خاصة لا تليق فيها غيرها . (٥) الخفض والرفع المراد هما
 هنا الركوع والسجود ومعنى جد الامام فيها اجتهاده وتشديده في تأديتهما .
 (٦) الصفع : الضرب على القفا خاصة ومعنى دعوته اياهم إلى ذلك أنه يطيل
 أطالة تجعلهم يملون الصلاة ويسأمونها فلا يجدون لانفسهم مخرجا غير صفعه
 واستنهاضه للسرعة والانجاز . (٧) البصيرة : الفطنة ، والحزم ، والعقل ،
 والتدبير ، ومراجعتها لها طلبه منها الرجوع إليه وكأنما كان قد افتقدها بسبب
 أطالته فلما اعتزم على الانتهاء كأنه قد أعادها إلى نفسه ورجعها . (٨) عقيرته:
 صوته ، والصلاة ختامها التسليم فكأنه قال : ولما ختم الصلاة وانتهى من
 أعمالها . (٩) المحراب : مقام الامام من المسجد ، وتربّع جلس .

وأقبل بوجهه على أصحابه . وجعل يطيلُ إطراقه . ويديمُ استنشاقه^(١) . ثم قال :

أيُّها الناسُ من خلطَ في سيرته^(٢) وابتلى بقاذورته^(٣) فليسعه ديماسه^(٤) دونَ أن تنجسنا أنفاسه . إني لأجدُ منذُ اليوم . ريح أم الكبائر من بعض القوم^(٥) فما جزاءُ من باتَ صريع

(١) الاطراق السكوت مع ارخاء العينين نحو الارض ، والاستنشاق : اشتمام الريح وأدمانه الاكثار منه وكأنه كان قد شم رائحة الخمر فأراد أن يتثبت منها ليقدم إلى الجماعة نصيحته التي سيذكرها بعد وقال الاستاذ الامام أن معنى استنشاقه شمه النشوق وذلك معنى يبأه الذوق الادبي ويمجه الطبع . (٢) خلط في سيرته : أتى بمنكر الاعمال وشنيعها وارتكب فظائع الامور وخبثها مع كونه يؤدي بعض أعمال الصلاح والتقوى وفي التنزيل (خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم) . (٣) القاذورة في الاصل : ما تتقذر منه النفس ، وتشمئز ، وتنفر ، والمراد هنا السيئة سماها بذلك كما سميت في الحديث : (من ابتلى بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله) لأن مرتكبها يتلخ كما يتلخ من تلوه الانسان والاقذار ، ولان النفوس تبعد عنه ، وتنفر منه كما تنفر من القذر النتن .

(٤) الديماس : المنزل ، والبیت ، والمعنى من كان منكم قد ابتلاه الله تعالى بشيء من المعاصي فعليه أن يقبع في داره ويلزم بيته فإن التستر على النفس مندوب إليه ، والعقاب على الجرم مع المجاهرة أشد من العقاب عليه مع الاستتار . (٥) أم الكبائر : هي الخمر وبذلك سميت في الحديث ، وهي تبعث إلى الشر وتذكي لهيب الفساد ، وتؤجج نيران المعصية ، فمن شربها هان عليه بعدها أن يفعل كل شيء لانه حينئذ يكون مسلوب العقل ، فاقد الرشد ، ضائع التمييز فيرتكب الكبيرة ، ويتدنس بالمخازي ، والآثام ، ومن هذا أطلق عليها ذلك الاسم .

الطاغوت^(١) . ثم ابتكرَ إلى هذه البيوت^(٢) . التي أذنَ اللهُ أن ترفع^(٣) . وبدابرِ هؤلاءِ أن يقطعَ^(٤) . وأشارَ إلينا . فتألبت الجماعةُ علينا^(٥) . حتى مزقتِ الارديَّةُ^(٦) . ودميتِ الأقفيةُ^(٧) . وحتى أقسمنا لهم لا عدنا . وأفلتنا من بينهم وما

(١) الطاغوت : الشيطان وصريره : المقهور له ، المغلوب بوسواسه .

(٢) ابتكر : جاء مبكراً والمراد بالبيوت المساجد .

(٣) أذن الله أن ترفع أعلم عباده بوجوب العمل على رفعتها والمغلاة في احترامها .

(٤) دابر القوم : آخر من بقى منهم وأصله الدبر بالتخفيف والتثقيل معاً - وهو الظهر ، كناية عن استئصال شأفتهم والقضاء على جميعهم وفي التنزيل : (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) ، والمعنى : أى عقوبة تقدرونها على هؤلاء الجماعة التي تقطع ليلها كله متلبسة بالمآثم والخطايا مستنيمة للشيطان يلقي إليها وينفخ فيها من روحه الفاسدة الشريرة ثم تجيئنا في هذه المساجد التي لم تجعل للفسد والمرتكبين وإنما أقيمت للعباد والصالحين؟ وكأنه يريد بهذا الاستفهام انكار أمر الشاربيين وتفضيحه في نظر جماعته .

(٥) تألبت : اجتمعت وتناصرت في ضربهم والتكيل بهم واهانتهم .

(٦) الارديَّة : جمع رداء وهو الثوب .

(٧) دميت : سال دمها ، والمعنى : أن الضرب الذي أنزلوه بنا كان شديدا جدا حتى لقد اسال دماء أقفيتنا (وهذا هو أثر الصفع) ومزق ثيابنا .

كُدْنَا . وكننا مغتفرٌ للسلامة . مثل هذه الآفة^(١) . وسألنا مَنْ مَرَّ
بِنَا مِنَ الصَّبِيَةِ^(٢) . عن إمام تلك القرية . فقالوا : الرجلُ التقيُّ .
أبو الفتح الاسكندريُّ . فقلنا : سبحانَ الله . ربما أبصرَ
عميت^(٣) . وآمنَ عفريت^(٤) . والحمدُ لله لقد أسرعَ في
أوبته^(٥) ولا حرمنَا اللهُ مثل توبته^(٦) . وجعلنا بقية يومنا نعجب من
نُسكوه^(٧) مع ما كنَّا نعلمُ من فسقه^(٨) . (قال) : ولما حشرج النهارُ

(١) المعنى : أننا ما كنا نظن أننا سنخرج من تحت أيديهم وفي واحد منا رفق
الحياة فلما أذن الله بالسلامة واختارها لنا عفونا عن كل ما نالنا . (٢) الصبية :
الصبيان ، جمع صبي . (٣) عميت - بوزن سكيت - : السكران ، والجاهل
الضعيف ، ومن لا يهتدى إلى جهة ، والمعنى أننا عهدناه على زيغ عن الحق ،
وميل إلى الفجور ، وانحراف عن الجادة ، فلعله استهدى بنور اليقين فوضح له
الطريق البين ، وظهر لعينه فجر الصواب . (٤) العفريت : الشيطان ، والناس
تنسب كل غريب ، نادر الوقوع ، شاق على الفاعل ، إلى الشياطين ويقولون : فلان
عفريت أو الشيطان على التشبيه يريدون أنه يأتي بالافعال التي تكون كذلك
والمعنى : أنا نعرف أبا الفتح سادرا في اللهو ، أتيا بشنيع الاعمال ، فاعلا
لفظيها ، فلعل جذوة الايمان قد اتقدت بقلبه فأحرقت شعاب الباطل ، ولعل برد
الطاعة قد أثلج صدره فأطفأ نار العصيان . (٥) الاوبة : الرجوع ، والمراد رجوعه
إلى الله تعالى والعمل بأوامره . (٦) المعنى : أنا نحمد الله جلّت قدرته الذي وفقه
إلى الهداية ، ونشكره سبحانه وتعالى أن يعجل لنا ما جعله له . (٧) النسك :
العبادة ، وقد نسك ينسك - بالضم - نسكا - بوزن رشد - : أى تعبد ، ونسك -
من باب ظرف - صار ناسكا . (٨) الفسق : الفجور ، والخروج عن طاعة الله ، وقد
فسق الرجل يفسق بالضم - فسقا ، وفيه لغة أخرى من باب جلس : ومعناه
خرج ، وفي التنزيل (فسسق عن أمر ربه) أى خرج والمعنى : أنا ظللنا عامة يومنا
والعجب يأخذنا من عبادة أبى الفتح ، وورعه ، وزهده في اللذائذ والشهوات لاننا
عرفناه وهو لا يعمل على طاعة الله ، ولا يرضخ لعبادته .

أو كاد^(١). نظرنا فإذا برآيات أمثالُ النجوم. فى الليل. البهيم^(٢).
فتهادينا بها السراء^(٣). وتباشرنا بلبلةِ غراء^(٤) ووصلنا إلى
أفخمها باباً^(٥). وأضخمها كلاباً. وقد جعلنا الدينارَ إماماً^(٦).
والاستهتارَ لزاماً^(٧). فدفعنا إلى ذات شكْل ودلُّ^(٨). ووشاح

(١) يقال : حشرج الرجل حشرجة إذا غرغر عند الموت،
وحينذاك تكون حياته موشكة أن تنتهى، وعليه حشرجة النهار هنا أى انتهاؤه
أو قرب ذلك . (٢) رآيات الحانات: أعلامها، والليل البهيم: الذى اشتد حلوكته
وظلامه، والمعنى أنه حينما أوشك النهار أن ينصرم أو انصرم فعلا نظرنا فاذا
بنا نرى الاعلام قد نشرت فوق الحانات وهى أماكن الخمر فبدت لآعيننا كأنها
النجوم تسطع فى الدجى فتتير ظلامه وتزيل غياهبه . (٣) تهادينا: أهدى بعضنا
إلى بعض، والسراء : المسرة والحبور . (٤) تباشرنا : بشر بعضنا بعضاً، ولبلة
غراء : ذات بهجة وجمال والمعنى أننا حين نظرنا هذه الرايات صار كل واحد
منا يهدى إلى الثانى السرور يبشره بسعادة ليلتنا وجمالها وما سنلقاه فيها من
لذة وأنس . (٥) أراد من أفخمها بابا الكناية عن أن الحانة التى وصلوا إليها
أكثر الحانات وأكثرها جمعا لاسباب المسرة ودواعى الانشراح . (٦) الدينار:
المراد منه جنسه أى النقد، والامام المراد منه هنا القيم الذى يقوم بالشؤون
ويدبر الامور والمعنى أن الدينار هو الذى ينيلهم ما يريدون، ويأتيهم بكل ما
يحبون، ويوفيههم لذتهم ويوفر لهم سعادتهم. (٧) الاستهتار: اتباع الشهوات
والسير مع الأهواء من غير مبالاة ولا اكتراث، ولزاما: أى ملازما لا يفارقنا ولا
يرحل عنا، والمعنى: أننا جعلنا السير وفق أغراضنا وطوع شهواتنا وديدنا
لنا، وصفة ملازمة لا تفارقنا ولا نحيد عنها قط . (٨) دفعنا : أى أدانا سيرنا،
وذات شكْل: أى ربة حسن وغزل والذال : هو مزج الرضا بالغضب ، والقرن بين
البذل والتمنع .

مُنحَل^(١). إذا قتلتَ أَلحَاطُها . أحييتُ أَلفَاطُها^(٢). فأحسنتُ تَلقِينَا.

(١) الوشاح: شبه علاقة السيف يتخذ من أديم عريض ويرصع باللؤلؤ والجواهر ثم تجعله المرأة بين عاتقها وكشحها، ومنحل: أى لا يكاد يمسك بخصرها لاتساعه، ونحافة الخصر، والمعنى: أننا سرنا للحنة فلما وصلناها دفعنا الباب، وأدانا هذا إلى فتاة تأخذ بالالباب، وتفتك بالعقول، وتأسر النهى، وتسلب الحجا، لما هى عليه من صباحة الوجه، ولطافة الحيا، ولين الاعطاف، ونحولة الخصر. (٢) يشبهون الالفاظ بالسحر، والالفاظ بالسيوف المصلتة، وبالقسى المعطفات، وبالنصال، وينسبون إليها القتل، وتجد ذلك فى كلامهم كثيراً فمنه قول جرير:

أن العيون التى فى طرفها حور
يصرعن ذاللب حتى لا حراك به

قتلنا ثم لم يحيين قتلانا

وهن أضعف خلق الله إنسانا

وقول الآخر:

نحن قوم تذيينا الاعين النجـ

ل على أننا نذيب الحديد

وقول البحتري:

أين التى كانت لواحظ طرفها

يصبو إليها القلب وهى سهام

وقول ابن الرومى:

ليت شعرى أسحر عينيك داء الـ

قلب أم نار خذك الوهاج؟؟

أيها الناس ويحكم هل مغيث

لشج يستغيث من ظلم شاج؟

من مجبرى من أضعف الناس ركنا

ولعينيهِ سطوة الحجاج!!!

وبديع قول أبى تمام:

يا جفونا سواها أعدمتها

لذة النوم والرقاد جفون

بلى الحسم لكن الشوق حى

ليس يبلى وليس تبلى الشجون

إن لله فى العباد منايا

سلطتها على القلوب العيون

وللتهامى:

فتوق أعين عامر وسيوفها

كل وجدك صارم بتا

وما ابدع قول أبى نواس:

لو نظرت عيناه إلى حجر

ولد فيه فتورها سقما

ومعنى ما فى المقامة أن لهذه الفتاة عيوناً قاتلات وجفوناً ساحرات ولكنها تقتل بعيونها ثم تحيي موتاها بعذوبة الفاظها ومثل هذا تقريبا قول ابن الرومى:

حور سحرن وما نفثن برقية

فبلغن ما لا يبلغ النفاث

لحظاتهم اذا رنن إلى الفتى

بلوى ولكن ريقهن غياث

ما فى الحباثل كيدهن رثاثة

لكن حبال وصلهن رثاث

وأُسْرَعْتُ تَقْبِلُ رُؤْسَنَا . وَأَيْدِينَا^(١) . وَأُسْرَعُ مَنْ مَعَهَا مِنَ الْعُلُوجِ :
إِلَى حَطِّ الرِّجَالِ وَالسُّرُوجِ^(٢) . وَسَأَلْنَاهَا عَنْ خَمْرِهَا فَقَالَتْ :
خَمْرٌ كَرِيْقِي فِي الْعَنُو بَةً وَاللِّذَاذَةَ وَالْحَلَاوَهُ^(٣)
تَنْزُرُ الْحَلِيمَ وَمَا عَلَيْهِ لِحْمِهِ أَدْنَى طَلَاوَهُ^(٤)

(١) تلقينا : مقابلتنا ولقيانا ، والمعنى أنها لقيتنا لقاء حسنا ، ورفعت منزلتنا ، وزادت في احترامنا .

(٢) العلوج : جمع علج وهو الرجل الضخم من كفار العجم أو هو كافر من غير العرب مطلقا ، والرجال : جمع رحل وهو ما يستصحبه الرجل من الأثاث أو هو رحل البعير ولكنه بعيد هنا والسروج معروفة والمعنى أن من كان مع هذه الفتاة من الرجال حين رأى حفاوتها بنا تبادر إلى انزال ما على ركائبنا من المتاع اجلالا لنا وحفاوة بنا .

(٣) أى أن هذه الخمر التي عندي تشبه ريقى - والريق ماء الفم - من وجوه ثلاثة الاول عنويتها والثانى لذة ما تجدون من تنوقها والثالث حلاوة مذاقها .

(٤) تنذر : تدع وتترك ، والطلاوة - بتثنيث الطاء - : البهجة ، والحسن والرواء ، والمنظر ، والمعنى : أن هذه الخمر من شربها الحليم تجعله يترك لحلمه وينسى سكونه ، ويفارق وقاره ، فيصبح ولا بهجة للحلم عنده ، ولا رواء له لديه ، وقريب من هذا المعنى قول مسلم بن الوليد :

وينت مجوسى أبوها حليلها
قلوب الندامى فى يدها رهينة
إذا نسبت لم تعد نسبتها النهرا
يصيدونها قهرا وتقتلهم قسرا
أسر بها كبرا وأبدى بها كبرا
إذا ما تحساها الحليم أخو النهى

كأنما اعتصرها من خدي^(١) أجداد جدّي^(٢) وسربلوها من
القار. بمثل هجرى وصدى^(٣). وديعة الدهور^(٤). وخبية

(١) اعتصرها من جدى : كناية عن كونها حمراء اللون أو صفراء والصفرة من
ألوان النساء المستحسنة أيضاً ، وفى كلامهم : وصفراء العشية - وهذا التشبيه
نفسه أخذه الشاعر العصرى حافظ ابراهيم بك وزاد عليه فقال :

اسقنا يا غلام حتى ترانا لا نطيق الكلام إلا بهمس
خمرة قيل أنهم عصروها من خدود الملاح فى يوم عرس

(٢) أجداد جدى : كناية عن قدم العهد وطول احتباسها فى الدن وهم يمتدحون
من الخمر ما كان كذلك : قال أبو نواس :

عتقت حتى لو اتصلت بلسان ناطق وفم
لاحتبت فى القوم ماثلة ثم قصت قصة الامم

وقال :

ألا خذها كمصباح الظلام سلية أسود جعد سخام
معتقة كما أوفى لنوح سوى خمسين عاما ألف عام
أقامت فى الدنان فلم يضرها ولكن زانها طول المقام

(٣) سربلوها : كسوها ، والقار ومثله القيير ، شىء أبيض يطلى به السفن
والابل وقيل هما الزفت ، والمراد أن لونها يضرب إلى السواد ، وهو لون محمود
فى الخمر عندهم قال شيخ السكارى ومقدم حلبتهم أبو نواس :

إذا امتنحت ألوانها مال صغوها إلى الحو إلا أن أوبارها خضر

(٤) وديعة الدهر : أى أنها لم تزل من القرون الماضية كلما مضى قرن
استودعها الذى يليه حتى وصلت إلينا فهذا زيادة فى تأكيد تعيقها .

جيب السرور^(١) . وما زالت تتوارثها الأخيارُ
وياخذ منها الليلُ والنهارُ . حتى لم يبقَ
إلا أَرَجٌ وشِعَاعٌ^(٢) ووهجٌ لذّاعٌ^(٣) . ريحانةُ .

(١) المعنى : أن السرور أخفاها لديه وأبى أن يطلع عليها سوى من هو لها أهل
والخمر قد يشربها معشر ليسوا اذا عدوا باكفائها

(٢) المعنى : أن الزمان قد لطفها وصفها وبالغ في ذلك ، حتى لم يبق منها
سوى أرجها (وهو الرائحة) والشعاع ، وقريب من هذا قوله :

فلم تنزل تأكل الليالي جثمانها ما بها انتصار
حتى إذا جرمها تلاشى وخلص السر والنجار
آلت إلى جوهر لطيف عيان موجودة ضمرا
لا ينزل الدهر حيث حلت فدهر شرابها نهار

وقوله :

فجوزها عنى سلافا ترى لها إلى الافق الاعلى شعاعا مطنبا

وقول ابن الزيات :

وصهباء كرخية عتقت فطالت بها فى الدنان الطيل
فلم يبق منها سوى لونها ونكهة ريح لها لم تنزل

(٣) الوهج : الحرارة ، واللذاع : المحرق ، وأراد أن هذه الجمرة حارة ولكن لا
تظهر حرارتها فى اللسان - كما هو مدلول اللذاع - بل فى تنبيهه الدم وتحريكه
وفى هياج الروح وإثارتها وقريب من مثل هذا المعنى يقول الغزى .

وبدر قباء زار والفجر غيرة يرينا قميص الليل وهو قباء
أبى يشتكى هز الشمال وأزها وما عندنا غير الشمول صلاء
فقلنا أدرها فهى فى الكأس جمرة تلظى ومن فرط اللطافة ماء =

النفس^(١). وضرة الشمس^(٢). فتاة البرق^(٣). عجوز الملق^(٤).

= وما أبدع قول ابن الرومي في نفس المعنى الذي ذكره البديع
وشمول أرقها الدهر حتى ما توارى فذاتها بلبوس
وردة اللون في حدود الندامى وهى صفراء فى حدود الكؤوس
سهلة فى الحلو لا غول فيها وهى خشناء صعبة فى العروس
وكأن الشعاع منها على الكـ ف جساد على مداك عروس
تتلقى بالعيس وهى تحيى بنسيم فيه حياة النفوس
(١) الريحان : معروف ، والمعنى أن هذه الخمر للنفس كالريحان تنعشها وتظهر
عليها المسرة ، ولابى نواس :

أعطتك ريحانها العقار وحان من ليك انسفار

(٢) الضرة : الزوجة على زوجة أخرى ويكون بينهما الشقاق دائماً والنزاع
الذى لا يتناهى والحسد الباقي، وإنما ينشأ ذلك عن مزيد تفضيل بين واحدة،
منهما والأخرى، والمعنى أن هذه الخمر تحسدها الشمس لأفضليتها عليها
وتفوقها عنها . (٣) يقال برقت الفتاة برقاً : تزينت وتحسنت وظهرت على أتم ما
يكون من البهجة والجمال، والمعنى : أن هذه الخمر تأخذ بألباب شاربها،
وعقولهم مثل ما تأخذ الفتاة اذا ظهرت فى زينتها وتبرجت أمام عاشقها .

(٤) نواعى الميل إلى العجوز غير موجودة ، وانصراف النفوس عنها إلى الخراد
الناعسات اللدان ، وكل هذا يضطرها إلى التملق إلى الرجال واستعمال الحيلة
لتسحرهم وتستميلهم نحوها فهو يقول أن هذه الخمر تستميل بالدهاء والخديعة
والملق كما تستميل العجوز أفئدة الناس إليها .

كاللهب في العروق^(١). وكبرد النسيم في الحلق^(٢) مصباحُ
الفكر^(٣). وترياقُ سمِّ الدهر^(٤) بمثلها عززَ الميتُ
فانتشر^(٥). ودوى الأكمة فابصر^(٦). قلنا هذه الضالَّةُ

(١) المعنى : أنها تعمل في العروق عمل اللهب فتذكيها وتثير الدم غالبا ومثل
هذا قول ابي نواس :

تلتهب الكف من تلهبها وتحسر العين ان تقصاها

كأن نارا بها محرشة نهاها تارة ونغشاها

(٢) المعنى : أنها لم تكن على حرارتها وتلهبها مما يلدغ في الفم أو يشتد فعلها
بل أنها تشبه النسيم بردا في الحلق فهي سائغة منعشة .

(٣) أى أن شاربها يجد في فكره نور ليستضيء به في حل المشاكل ويترسمه
كلما غمضت عليه المسائل .

(٤) الترياق : بواء السموم الذى يشفى منها ، وأراد منه الدواء مجردا بدليل
إضافته إلى السم ، وسم الدهر نوازله وكروبه ، وأحزانه ، وشدائده، ومن عادة
الخمير أنها تنسيك ما تكون فيه من هموم وأرزاء وتشغلك عما يحيط بك من ويل
وعناء فهي بهذا ترياق لسموم الدهر.

(٥) عزز - بالبناء للمجهول - : أعين وأمد وانتشر : بعث بعد موته والمعنى :
أن مثل تلك الخمر لو يمد به الميت لبعث من موته وعاد حيا .

ويقول ابن الفارض في هذا المعنى :

ولو وضعوا في فيء حائط كرمها عليلا - وقد أشفى - لفارقه السقم

ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت لعادت إليه الروح وانتعش الجسم

(٦) الاكمة : الذى ولد أعمى ، والمعنى أن الخمر التى عندى لو يداوى بها من =

وأبيك^(١) فمن المطربُ في ناديك^(٢) . ولعلها تشعشعُ للشرب^(٣) .

= ولد أعمى ليعودن اليه البصر وهذا المعنى فى قول ابن الفارض :

ولو جليت سرا على أكمه غدا بصيرا ومن راووقها تسمع الصم

ولو أن ركبا يمموا ترب أرضها وفى الركب ملسوع لماضره السم

ولو خضبت من كأسها كف لامس لما ضل فى ليل وفى يده النجم

ولو قربوا من حانها مقعدا مشى وينطق من ذكرى مذاقتها البكم

ولو رسم الراقى حروف اسمها على جبين مصاب جن أبراه الرسم

(١) الضالة : الامر الذى فقدته وأنت تبحث عنه ، والمعنى : أن الخمر بهذه

الأوصاف التى ذكرت هى بغيتنا وضالتنا التى ننشدها .

(٢) المطرب : المغنى ، وجماعة الشاربين لا يرون أن يشربوا على غير غناء .

قال أبو نواس :

قد أسحب الزق يأباني وأكرهه حتى له فى أنيم الارض أ حدود

لا أرحل الراح الا أن يكون لها حاد بمنتخل الاشعار غريد

فاستنطق العود قد طال السكوت به لن ينطق اللهو حتى ينطق العود

وقال من قطعة فى وصف مجلس من مجالس لهوه :

وأقبل محسود الجمال مقرطق إلى كأسها لا عيب فيه أريب

يشم الندامى الورد من وجناته وليس به غير الملاحاة طيب

فمازال يسقيننا بكأس مجدة تولى وأخرى بعد ذاك تؤدب

وغنى لنا صوتا بحسن ترجع "سرى البرق غريبا فحن غريب"

(٣) تشعشع : تخلط بالماء ، والشرب : جمع شارب كصحب وصاحب ، ومن

عاداتهم أن يخلطوها بالماء وتسمى مشعشعة قال :

مشعشعة كأن الحص فيها إذا ما الماء خالطها سخينا =

بريقك العذب . قالت : إن لي شيخاً ظريفَ الطبع^(١) . طريفَ
المجون^(٢) . مر بي يوم الاحد في دير المرید^(٣) فسارني حتى
سرنى^(٤) . فوَقعتِ الخلطةُ وتكررت الغبطةُ^(٥) . وذكر لي من
وفور عرضه^(٦) وشرف قومه في أرضه . ما عطف به ودي^(٧) .

= وقال ابن الوليد صريع الغواني :

ولرب صاحب لذة نادته في روضه أنف كريم المعطس
صفراء من حلب الكروم كسوتها بيضاء من ثوب الغيوم البجس
مزجت ولا وذاها الحباب فحاكها فكأن حليتها جنى النرجس
وكأنها - والماء يطلب حلمها - لهب تلاطمه الصبا في مقبس
جهلت فدارى جهلها فتبسمت عن مشرب لون الشهولة أعبس
وبعضهم يشربها خالصة غير مخلوطة ويسمونها صرفا قال سبط بن التعاويذي:

فاستجلها كرخية بنت الشماس والاساقف
حمراء صرفا لا يطو ف برحها اللهم طائف
كدم الغزال اذا بكأ راووقها خلناه راعف

(١) ظريف الطبع : دمت الخلق ، طيب الافعال ، كريم الخصال ، مألوف
الطباع ، كيس السجايا .

(٢) ظريف المجون : المجون المزاح والهزل ، وطريفه : أى غريبه ملاحه ولطفا .

(٣) المرید : متنزه بالبصرة .

(٤) سارني : ألقى إلى بسره وسرنى : شرح قلبي ، وأثلج صدرى ، ووقعت
الخلطة : أى أنه أفضى إلى بما في نفسه وأفضيت له بما عندي فراق في نظري
وأعجب بي فتألفنا وامتزج فؤادي بفؤاده .

(٥) وتكررت الغبطة : أى المسرة بتكرار اجتماعنا وكثرة تلاقينا في عفة ونزاهة

(٦) وفور عرضه : احتماؤه من كل ما ينقصه أو يشينه

(٧) عطف ودي : حببني فيه واستمالني اليه : أنه أخبرني بما له ولقومه من
المنزلة السامية في قلوب جيرانهم ومواطنيهم حتى ملت إليه وأحبيته وأرادت أنه
لم يعطفها عليه ولم يجذبها نحوه سوى ما ذكره لها من ذلك الشرف الرفيع
والاخلاق الكريمة والسجايا الحميدة .

وحظى به عندي وسيكون لكم به أنسٌ وعليه حرصٌ^(١) . (قال)
ودعتُ بشيخها فإذا هو إسكندريُّنا أبو الفتح . فقلتُ : يا أبا
الفتحِ والله كأنما نظرَ إليك، ونطقَ عن لسانك الذي يقولُ :

كان لي فيما مضى عَقٌّ لُ ودينٌ واستقامه^(٢)

ثمَّ قدُ بعنا بحمدِ اللهِ فقهاً بحجامه^(٣)

ولئن عشنا قليلاً نسألُ اللهَ السلامةَ^(٤)

(قال) : فنخرَ نخرةَ المعجبِ^(٥) . وصاحَ وزمهرَ^(٦) ، وضحكُ

(١) المعنى : انكم ستطربون بالجلوس معه وتأسون بمجلسه وتودون ألا يفاركم
وأن يبقى معكم دائماً لما اشتمل عليه من الوداعة والظرف وطيب الافعال .

(٢) المعنى : أننى كنت فيما عبر الازمان ذا عقل راجح يميز بين طيب الافعال
ورديئها وغث الطباع وسمينها ورفيع الاخلاق وسافلها ، ودين يردعنى عن
ارتكاب المقابح واتيان المخازى وفعل المنكرات والاشتغال على السفاسف ،
واستقامة تكفل لى الفوز من عقاب الله والنجاة من حسابه وتضمن لى المنزلة
الرفيعة والمكانة السامية عند الناس . (٣) الفقه : معرفة الاحكام الشرعية ،
والجحامة : المراد منها الحلاقة أو كل حرفة دنيئة خبيثة، والمعنى أننى تركت ما
كنت عليه من الصفات الفاضلة واشتغلت بالمفاسد والشور والاثام . (٤) نسأل
الله السلامة : نتوب، ونضرع إلى الله تعالى أن يخلصنا مما نحن فيه، والمعنى:
لئن طال بنا الزمن وامتد الأجل لنطلبين من الله تعالى الخلاص من ريقة المعصية
وذل الفجور يريد أنه سيظل على هذا شطراً من العمر، وربما صح أن يقال :
نسأل الله السلامة : أى سنزداد مما نحن فيه ونفترق أكثر مما ترانا عليه
ونرتكب فوق هذا الذى تشاهده حتى أن حالنا ستكون مما يضرع إلى الله فيه
وتسأل منه السلامة. (٥) يقال : نخر الرجل والفرس جميعاً ، ينخر نخراً ونخيراً
إذا مد صوته فى خياشيمه . (٦) صاح : رفع صوته عالياً ، وزمهر : شدد
النظر بعينه وحملق كثيراً حتى لكأنه يود أن يخرجها .

حتى قهقهة^(١) . ثم قال : المثلّي يقال . أو بمثلّي تضرب
الأمثال^{(٢)؟}

دع من اللوم ولكنّ أی دكاک ترانى^(٣)
أنا من يعرفه كلُّ تهامٍ ویمانى^(٤)
أنا من كلِّ غبارٍ أنا من كلِّ مكانٍ^(٥)
ساعةً ألزمُ محرّاً با وأخرى بیت حانٍ^(٦)

(١) ضحك حتى قهقهه : أى استغرق فى الضحك والإعجاب جدا .
(٢) المعنى : هل ترانى من الذين تقال لهم النصائح والتعاريض ، وهل أنا ممن
تضرب لهم الامثال فتقول أن مثلى مثل ذلك الذى أنشد هذا الشعر وكأنه يرى
نفسه فوق ذلك كله . (٣) دع : اترك ، والدكاک أصله الهدام وأراد منه هنا
المحتال لانه بحيلته يهدم كل بناء ترفع الامانة صرحه وتعلى الثقة ذراه ،
والمعنى: خلنى من لومك واتركنى من عتبك ولا تذكر لى تقريئك وتأنيبك وانظر
لى فإنى محتال أى محتال. (٤) التهامى: المنسوب الى تهامة، وهى عبارة عما
امتد الى البحر من سفح جبال الحجاز، ويمان : منسوب إلى اليمن، والمعنى
أننى لا أخفى على أحد ولا ينكرنى انسان فأنا مشهور وذائع الصيت مرفوع
الذكر قد عرفنى الناس جميعا. (٥) الغبار : أصله التراب وأراد منه البقعة من
الارض ، والمعنى أننى أنزل بكل أرض وأحط رحلى بكل مكان فلا أجد فى
نفسى نفورا عنها ولا تأنيبا منها بل بالعكس توافقنى وتلائم مزاجى كأنما قد
خلقت منها فتسهل على المعيشة فى كل أرض وانقاذ حيلتى بأى مكان مهما
اختلفت طبائع الناس وتباينت أحوالهم . (٦) المحراب : مكان الإمام من
المسجد ، وبیت الحان : الخمارة ومكان معاقرة القهوة والمعنى أننى لا ألتمز
حالة واحدة من النسك والعبادة أو المعافرة والمعصية .

رَفَعُ
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

المَقَامَةُ البِشْرِيَّةُ

حَدَّثَنَا عِيْسَى بْنُ هِشَامٍ قَالَ : كَانَ بَشْرُ بْنُ عَوَانَةَ البَدِيُّ
صَعْلُوكًا (١) .

(١) صعلوكا : أى لصا فاتكا وأصل الصعلوك : الفقير المعدم والذى تأباه
النفس وتمجه ، ثم سموا نؤبان العرب ولصوصها صعالكة " وصعاليك " لأن
الفقر كثيرا ما يحمل على السرقة اذ هو الذى يدعو إليها ويكون سببا فيها غالبا
وفى كلامهم (الخلعة تدعو إلى السلة) .

وصعالكة العرب وفتاكها ونؤبانها كثير منهم المنتشر بن وهب الباهلى
وأوفى بن المطر المزرنى . ومنهم الشنفرى ، وتأبط شرا ، وعمرو بن براق ،
وكان من حديث هؤلاء الثلاثة فيما ذكر أبو عمر الشيبانى أنهم خرجوا فأغاروا
على بجيله، فوجدوا لهم رسداً على الماء ، فلما مالوا له فى جوف الليل قال لهما
تأبط شرا: أن بالماء رسدا ، وأنى لأسمع وجيب قلوب القوم ، فقالا ما
تسمع شيئا وما هو إلا قلبك يجب ! فوضع أيديهما على قلبه وقال : والله ما
يجب وما كان وجابا . قالوا : فلا بدلنا من ورود الماء فخرج الشنفرى فلما رآه
الرصد عرفوه فتركوه حتى شرب من الماء ورجع إلى أصحابه فقال والله ما =

فَأَغَارَ عَلَى

= بالماء أحد ولقد شربت من الحوض ، فقال تأبط شرا للشنفرى : بلى ولكن القوم لا يريدونك وإنما يريدوننى ، ثم ذهب ابن براق فشرب ورجع ولم يفرضوا له : فقال تأبط شرا للشنفرى : إذا أنا كرعت فى الحوض فإن القوم سيشدون على فيأسروننى فاذهب كأنك تهرب ثم كن فى أصل ذلك القرن فاذا سمعتنى أقول خذوا خذوا فتعال فاطلقنى وقال لابن البراق : إنى سامرك أن تستأسر للقوم فلا تنأ عنهم ولا تمكثهم من نفسك ثم مر تأبط شرا حتى ورد الماء فحين كرع فى الحوض شدوا عليه فأخذوه وكتفوه بوتد وطار الشنفرى فأتى حيث أمره وانحاز ابن براق يروونه فقال تأبط شرا يا معشر بجيلة هل لكم فى خير أن تياسرونا فى الغداء ويستأسر لكم ابن براق ؟ قالوا نعم فقال : ويك يا ابن براق أما الشنفرى فقد طار وهو يصطلى نار بنى فلان وقد علمت ما بيننا وبين أهلك فهل لك أن تستأسرا ويأسرنا فى الغداء ؟ قال : لا والله حتى أروى نفسى شوطاً أو شوطين ، فجعل يستن نحو الجبل ويرجع إذا رأوا أنه قد أعياً طمعوا فيه فاتبعوه ، ونادى تأبط شرا : خذوا خذوا ، فخالف الشنفرى إلى تأبط شرا فقطع وثاقه ، فلما رآه ابن براق وقد خرج من وثاقه مال إلى ناحيته ، فناداهم تأبط شرا :

يا معشر بجيلة أعجبكم عدو ابن براق ؟ أما والله لأعدون لكم عدوا ينسيكم عدوه ، ثم أحضروا ثلاثتهم ، فنجوا ، وفى ذلك يقول تأبط شرا :

ليلة صاحوا بى وأغروا بى سراهم بالعيبتين لدى معدى بن براق

كأنما حثحثوا بى حصا قوادمه أو أم خشف بنى شث وطباق

لا شىء أسرع منى غير ذى عذر أو ذى جناح بجنب الريد خفاق

ومنهم السليك بن السليكة التميمى ، ومن حديثه فيما زعم أبو عبيدة أنه رآته طلائع جيش ليكر بن وائل جاوا متجردين على تميم ، فقالوا : إن علم السليك بنا أنذر قومه فبعثوا إليه فارسين على جوادين ، فلما هايجاه خرج يمحص كأنه ظبى فطارده سحابة نهاره ثم قالوا : اذا كان الليل أعيا فسقط فأنخذه فلما أصبحا وجدا أثره قد عثر بأصل شجرة فنزا ونذرت قوسه فانحطمت فوجدا قصده منها قدارتزت فى الأرض فقالوا : ماله قاتله الله ! ما أشد متنه! =

رُكِبَ فِيهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ .

= والله لا تبعناه، وانصرفا، فتم السليك إلى قومه، فأنذرهم، فكذبوه لبعده الغاية، فقال :

يكذبني العمران عمرو بن جندب
سعيت - لعمري - سعي غير معجز
تكلتكما أن لم أكن قد رأيتها
كراديس فيها الحوفزان وحوله
وعمر بن سعد والمكذب أكذب
ولا نأنا لو أننى لا أكذب
كراديس يهديها إلى الحى موكب
فواريس همام متى يدع يركبوا
وجاء الجيش فأغاروا ، والسلكة : أمة ، وكانت سوداء ، وإليها ينسب وأصل
السلكة ولد الجمل .

وكان عروة بن الورد في قوم إذا أصابتهم سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف فكان عروة يجمع أشباه هؤلاء من نون الناس من عشيرته في الشدة ويحضر لهم الاسراب ويكنف عليهم الكنف (وهى الحظائر من الشجر تحظر عليهم كما تخطر على الابل فتقيهم من الريح والبرد) ويكسيهم ، ومن قوى منهم - أما مريض يبرأ من مرضه ، أو ضعيف تثوب إليه قوته - خرج به فأغار وجعل لأصحابه الباقيين فى ذلك نصيبا ، حتى اذا خضب الناس ، وألبنوا، وذهبت السنة، ألحق كل إنسان بأهله ، وقسم له نصيبه من غنيمه، إن كانوا غنموها، فربما أتى الانسان منهم أهله وقد استغنى فلذلك سمي "عروة الصعاليك" وهو الذى يقول وقد ضاقت حاله وأقصرت يده فى بعض السنين :

لعل ارتيادى فى البلاد وبغيثى وشدى حيازيم المطية بالرحل
سيدفعنى يوماً إلى رب هجمة يدافع عنها بالعقوق وبالبلخ

ويقول بعد أن انكشفت غماؤهم ، وزال كربهم بسببه :

ألا أن أصحاب الكنيف وجدتهم كما الناس لما أمرعوا وتمولوا
وأنى لمدفوع إلى ولاؤهم بماوان إذ نمشى وأذ تتلمل
وأنى وأياهم كذى الام إذ همت له ماء عينها تفدى وتحمل
فباتت تحد المرفقين كليهما توحوح مما نالها وتولول
تخير من أمرين ليسا بغبطة هو التكل ألا أنها قد تجمل =

فتزوج بها ^(١) وقال : ما رأيتُ كالْيَوْمِ ^(٢) . فقالت :

أعجبَ بشراً حوراً فى عيني وساعدُ أبيضُ كاللجين ^(٣)

(١) أغار : سطا ، والاسم : الغارة ، والركب : جماعة الراكبين ، ويقال لأصحاب الابل فى السفر دون الدواب وهم العشرة فما فوقها ، والركبان الجماعة منهم ، والركاب الابل التى يسار عليها الواحدة راحلة ولا واحد لها من لفظها .

(٢) ويروى : هل رأيت أحسن منك ، والمعنى : أن بشرا ذلك الفتاك قد سطا على جماعة أخذة فى طريقها فانتهب منهم امرأة فأخذها فبنى بها ولما تم له ذلك أخذه العجب من حسنها واستولى عليه جمالها وصباحة وجهها فشكر يومه وحمد ما ناله فيه .

(٣) الحور فى العين : اتساعها مثله فى أعين الأطباء ، وقيل : هو أن يشتد بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيض ما حولها ، وقيل : الحور أن تسود العين كلها كما فى البقر والأطباء ، ولا يكون ذلك فى الناس ولكنه قد يقال للنساء حور العيون على التشبيه لهن بالأطباء والمها ، وإذا شبهوهن بالمهارة أو الظبية فهم يريدون ذلك ومما ينسب لابن دريد :

يا ظبية أشبه شىء بالمها ترعى الخزامى بين أشجار النقا

وقال الشريف الرضى :

يا ظبية البان ترعى فى خمائله ليهنك اليوم إن القلب مرعاك

ومن محاسن العين : الدعج وهو أن تكون العين شديدة السواد مع سعة المقلة ، والبرج وهو شدة سوادها وشدة بياضها ، والنجل وهو سعته ، والكحل وهو سواد جفونها من غير كحل ، والوظف وهو طول أشفارها وتامها ، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى أشفاره وطف ، والشهلة وهى حمرة فى سوادها ، وكل ذلك أصله من صفات الأطباء والبقر ، يقولونه للنساء على التشبيه ، قال السرى الرفاء :

تصدت لنا والهوى أنة فصدت وقد غادرت زفيراً

وكانت ظباء ترود اللوى فأضحت شموساً ترود الخدورا =

ودُونُهُ مَسْرَحَ طَرَفِ الْعَيْنِ خَمْصَانَةٌ تَرْفَلُ فِي حَجَلَيْنِ^(١)
أَحْسَنُ مَنْ يَمْشِي عَلَى رَجَلَيْنِ^(٢) لَوْ ضَمَّ بَشْرٌ بَيْنَهَا وَبَيْنِي

فكان له يوم سلع مثيرا
أغار المها دعجا أو فتورا
وآلف منه غزالا غريرا
نوالا لدى وإن كان زورا

= فراق أصاب جوى ساكنا
وساجي الجفون إذا ما سجا
أغرر بالنفس فى حبه
وأعتد زورته فى الكرى

وقال الشريف الرضى :

كانت نتيجة صبر عاقر الوطر
والدمع يمنع عيني لذة النظر
نجلاء من أعين الغزلان والبقر
عن الخيام نعى الخطو بالآزر
على جنوبى لريا بردها العطر

يا وقفة بوراء الليل أعهد لها
والوجد يغصبنى قلبا أضن به
وفى الخباء الذى هام الفؤاد به
أبرزتها فتحاصرنا مباحدة
ثم انثيت ولم أونس سوى عبق

والحور خيرها وأكثرها جمعا للمحاسن واشتمالا على جميل الصفات والساعد:
معروف، واللجين : الفضة، والمعنى: أنه قد راق فى عين بشر ذلك الحور الذى
يراه فى عيني وهذا البياض الذى يجده فى ساعدى .

(١) يقال: فلان تحت عيني فلان إذا كان قريبا منه دانيا إليه بحيث يراه وتقع
عينه عليه ومنه قيل : القوم منك معان أى بحيث تراهم بعينك، وهذا الكشح،
الخفيفة البطن ، وأصله الخمص وهو الجوع لان به يضمير البطن ويخف، يقال:
خمص بطنه - بتثليث الميم - خمصا إذا خلا وهو خميص البطن وهى خميصه
البطن وهو خمصان وهى خمصانة وهم خماص وهن خمائص .

والحجلان : تثنية حجل وهو الخلل ، وترفل فيه تمشى متعاجبة به وتختال
زهوا وكبرا ، والمعنى : أن بشرا ليس بمصيب فى هيامه وإعجابه فى حين أن
خريدة جميلة وكاعبا وقورا وبضة لعبوا بالقرب منه وفى منطلق بصره .

(٢) المعنى : أنها أحسن النساء جميعا بل أحسن الناس كلهم ، فإن من يمشى
على رجلين أعم من جميع بنى آدم .

ومما يتمدح فى النساء خمص البطون قال ابن الرومى :

كيف السبيل إلى اقتناص غرائر يدمى بأسهم لحظها القناص =

أدامَ هجرى وأطالَ بيئى (١)
ولو يقيسُ زينها بزينة
لأسفرَ الصبحُ لذى عينين (٢)

ريا الروادف والبطون خماص
منهن عند جراحهن قصاص

يهون عليها منى العبت والهجرا
وقد كتمتهن المقانع والازر
ورمان صدر ماليانعه هصر

طلعت فى براقع وعقود
ب تشق القلوب قبل الجلود
ر بقلب أقسى من الجملود
ح وتفتر عن تشتيت برود
م وبين الجفون والتسهد

جارية تفضح شمسى الضحى
باللثم فى أنفاسه ما اشتفى
فكل جزء حسنه منتهى
لا برح العاذل أو يبتلى

تستوقف العين بين الخمص والهضم
لصدتها وابتدعت الصيد فى الحرم

(١) الهجر : الإعراض، والمبين : الفراق، والمعنى أنه لو جمع بشر بيئى وبينها، ونظر إلى وإليها، وقارن بين محاسنى ومحاسنها، وأراد الموازنة بين ما أعجبه منى وما غفل عنه منها - لهجرنى هجرا طويلا، وفارقنى فراقا دائما . لانه يستقبح منظرى لدى منظرها . ويكره رؤيتى عند رؤيتها، ويمقت بقائى عنده، وإقامتى لديه حين يظهر له عظيم ما بيننا من الفرق .

(٢) الزين : المحاسن ، والمعنى : أنه لو قدر ما بين زينها ومحاسنى من الفرق =

= بيض السوالف عذبة أفواهاها
يجرحننا بناواظر ما أن لنا
وقال ابن المعتز :

سقى الله شمسا بالمخرم دارها
جلتها علينا الريح بين كواعب
فأبدت لنا كشحا هضيمًا على نقا
وقال أبو الطيب المتنبي :

عمرك الله هل رأيت بدورا
راميات باسهم : ريشها الهد
كل خمصانة أرق من الخم
تحمل المسك عن غدائرها الريد
جمعت بين جسم أحمد والسقا

وقال ابن نباتة السعدى :

قد غلبت حسنا على عقله
ضعيفة الخصير لو استنشقت
جملتها تشبه تفصيلاها
يلومنى العاذل فى حبها

وقال الشريف الراضى :

وظبية من ظباء الأنس عاطلة
لو أنها بفناء البيب سانة

قال بشرٌ ويحك من عنيت^(١)؟ فقالت: بنت عمك فاطمة .
فقال :

أهى من الحسنِ بحيثِ وصفت^(٢)؟ قالت: وأزيدُ
وأكثرُ^(٣)! فأنشأ يقولُ :

ويحك يا ذاتَ الثنايا البيضِ ما خلّنتى منكِ بمستعيض^(٤)

= لظهر له كما يظهر الصبح لدى عيين سلیمتین فکما لا یرتاب صاحب البصر
الصحيح فى ضوء المصباح فكذلك لا یرتاب بشر فى الفرق بينى وبينها وأسفر
الصبح لدى عيين : مثل جاءت به فى موضع جواب لو مبالغة فى الدلالة على
تحقيقه .

(١) ويح : كلمة رحمة ، وويل : كلمة عذاب ، وقيل هما بمعنى واحد تقول : ويح
لزيد وويل له فترفعهما على الابتداء ولك أن تنصبهما بفعل مضمر تقديره ألزمه
الله ويحا وويلا ونحو ذلك ، وكذا ويحك وويلك ، وويح زيد وويل زيد منصوب
بفعل مضمر ، وأما قولهم تعسا له وبعدا له ونحوهما فمنصوب أبدا لأنه لا تصح
إضافته بغير لام فيقال تعسه وبعده ، ومن هاهنا افترقا ، وعنيت : قصدت ،
والمعنى : أى امرأة تريدین بكلامك هذا

(٢) المعنى : هل تبلغ ابنة عمى فى الحسن تلك الدرجة التى وصفتها فى
كلامك ؟

(٣) وأزيد وأكثر : خبر لمبتدأ محذوف تقديره وهو (أى حسنها) أزيد وأكثر من
حسنى ، أو وهى أزيد منى حسنا وأكثر جمالا ، والمعنى : أن حسن ابنة عمك ،
وجمالها بلغا درجة فوق الدرجة التى سمعتها منى .

(٤) الثنايا من الاسنان : الاربعة فى مقدم الفم ثنتان من فوق وثنتان من أسفل ،
وبياضها من متممات الجمال ، ومكملات الحسن ، وما خلّنتى ألخ معناه : اننى
ما كنت أظن أن أستبدلك أو اتخذ امرأة عوضا عنك ، أو تميل نفسى إلى أن
أخلف بعدك على أخرى لاننى ما كنت أتوهم أن فى النساء من تماثلك حسنا أو
تدنو منك رونقا وبهاء فضلا عن أن أظن فيهن أجمل منك وأعتقد ذلك .

فالآن إذ لوحث بالتعريض خلوت جواً فاصفرى وبيضى^(١)
لا ضم جفناى على تغميضٍ ما لم أشلُ عرضى من الحضيض^(٢)

(١) لوحث : عرضت ، وهى قد عرضت بأنه يطلب النساء الاباعد وتتوق نفسه إلى مواصلة الغريبات فى حين أن بنت عمه فى مسرح عينه وقريب منه وهى به أولى وهو بها أحق وأجدر ، وخلق به ألا يترك الأبعدين يتطلبونها فربما تزوج بها ، من هو دونه بأسا وشجاعة وشدة وهذه من أقبح المثالب به وبأمثاله ، فهذا التعريض قد فعل فى نفسه فصمم على ترك هذه التى ظن أنها أجمل النساء وقال لها خلوت جوا أى خلا جوك من القرين وأصله من قول كليب وائل حين رأى قنبرة اتخذت عشا فى حماه - وكان يحمى ما يحل بحماه من طير ونحوه فلا يمكن ليد أن تتناول لصيده - فدخل فيه يوما فطارت القنبرة بين يديه فقال :

يا لك من قنبرة بمعمر	لا ترهبى خوفا ولا تستنكرى
قد ذهب الصياد عنك فابشرى	ورفع الفخ فماذا تحذرى
خلالك الجو فبيضى واصفرى	ونقرى ما شئت أن تنقرى
فأنت جارى من صروف الحذر	إلى بلوغ يومك المقدر

وخرج يوما الحمى فوجد بيض القنبرة قد وطئتها سراب (ناقة البوس التى مضى ذكرها) فعقرها وقال :

يا طيرة بين نبات أخضر	جاعت عليها ناقة بمنكر
أنك فى حمى كليب الازهر	حميته من مذحج وحمير

فكيف لا أمنعه من معشرى

(٢) لا ضم جفناى الخ : أى لاذقت النوم ، ولا استقر جنبى ، ولا هداً مضجعى ولا استراح خاطرى ، والمراد : لأصحون ، ولأسهدن جفنى ، ولألتزمن هذه الحالة حتى يكون ما أردت ، وتقول : شلت بالجرة - بالضم - أشول بها شولا إذا رفعتها ولا تقل شلت بالكسر ، ويقال أيضاً أشلت الجرة فانشالت هى ، وشال الميزان : ارتفعت إحدى كفتيه، ومنه شال عرضه رفعه ، والحضيض : أصله القرار من الارض عند منقطع الجبل وأسفله وفى الحديث ، أنه أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هدية فلم يجد شيئاً يضعه عليه فقال : (ضعه =

فقالَتْ :

كما خاطب في أمرها أَلحاً وهى إليك ابنة عمٍ لِحاً^(١)
ثم أرسل إلى عمه يخطبُ ابنته . ومنعه العمُّ أمنيته^(٢) . فآلى
ألا يرعى على أحدٍ منهم إن لم يزوجه ابنته^(٣) . ثم كثرت

= بالحضيض فإنما أنا عبد أكل كما يأكل العبد) يعنى ضعه بالارض ، والمراد هنا : الضعة والهون والذلة ، والمعنى أنتى لا أنام ولا تغمض عيني فلا ينضم لى جفن على جفن حتى اطلب ابنة عمى وأتزوج بها فأدفع عن نفسى ذلك العار الذى لزمنى ، وأنقى هذه الوصمة التى لحقت بى .

(١) المعنى أن كثيراً من الخطاب وعدداً وفيراً من الرجال ألحوا فى طلب زواجها ، وألحفوا فى سؤال أبيها أن يعقد لهم عليها ولا بد أن يفضى الإلحاح بأحدهم إلى نيل طلبه ، وينتهى سؤال واحد منهم بإجابته ، فتفقت من يدك ، وتضيع الفرصة ، وهى فى نسبتها إليك ابنة عم لاحقة النسب بك ، قريبة منك ، ويقال : هو ابن عم لِحا إذا كان لاحقاً وأبوه أقرب الناس اتصالاً بأبيه .

(٢) الامنية : واحدة الامانى ، يقال فى جمعها أمان وأمانى بالتخفيف والتشديد ، وتقول منه : تمنى الشئ ومناه غيره ومناه به تمنية وفى الكتاب : (الا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته) والمعنى : أن بشرا ترك هذه المرأة وذهب إلى قومه معتزماً أن يطلب من عمه ابنته لنفسه فلما وصل أرسل إليه فى ذلك فحرمه منها ولم يجبه إلى رغبته .

(٣) آلى : حلف ، وأقسم ، وتآلى ، وائتلى مثله ، ومنه قوله تعالى : (ولا يأتل أولو الفضل منكم) والآلية اليمين وجمعها أَلايا ، قال الشاعر :

تآلى ابن قيس حلقة ليردنى ، وقال المجنون :

على ألية إن كنت أدرى أينقص حب ليلى أم يزيد
ولا يرعى على أحد : معناه لا يبقى عليه بل يقتله حيث يجده ويفتك به أنى لقيه ، والمعنى : أنه حلف أن يعمل فيهم سيفه ، ويفتك بهم حتى يردوا عمه عن عزمه ويكلفوه أن يزوج ابنته بشرا .

مضراته فيهم^(١) واتصلت معراته إليهم^(٢) فاجتمع
رجال الحى إلى عمه وقالوا : كف عنا مجنونك^(٣) .
فقال : لا تلبسونى عاراً^(٤) وأمهلونى حتى أهلكه ببعض
الحيل^(٥) . فقالوا : أنت وذاك . ثم قال له عمه :
إنى أليت أن لا أزوج ابنتى هذه إلا ممن يسوق إليها ألف

(١) يروى قبل هذه الفقرة : ثم دبت الايام ، ودرجت الليالى ، وتصرمت الشهور ،
وتجرمت السنون وبشر يفتك فى من لقيه منهم وكثرت مضراته فيهم الخ .
(٢) معراته : جمع معرة وهى الاذى والمساءة والشر ، والمعنى : أنه أنفذ إرادته
وعمل بوعيده فلم يزل يوقع به الشرور ويأتيهم بالاذى ويرميهم بالمساءة ، ويجر
عليهم الويل والهوان . (٣) كفه عنا : أى اردعه عن أفعاله ، ويقال : كفه عن
الشيء فكف - فهو يتعدى ويلزم - وبابه رد ، والمعنى : زوجه ابنتك واحمنا
شره وادفع عنا كيده فقد نالنا منه ما هو خليق من أجله بمصانعته ويروى بدل
هذا : أما أن تكفينا أمره وتنيله مراده ، والمعنى : أقتله أو تحيل لذلك فان لم
تستطع فزوجه ابنتك ليسكت عنا . (٤) لو أنه رضخ لمشورتهم وأذعن لما رأوه
فتكفل لهم بدفع شره لما استطاع إلى ذلك سبيلا لان بشرا أكثر منه جراءة
وأشد إقداما وأوفر شجاعة ، ولو أنه زوجه ابنته لكان مقسورا على ذلك مرغما
إليه مجبورا فيه وكان مثل ذلك جديرا بأن يسمى رضى بالضيم وخنوعا إلى
الذلة ، وفى كلا الامرين عار شديد ، وهما أمران أحلاهما مر . لهذا طلب منهم
المهلة . (٥) امهلونى : اعطونى مهلة ، أمهله أنظره ومهله تمهيدا والاستهمال :
الاستنظار ، وتمهل فى أمره : أتأد وتريث ، والمعنى أعطونى وقتاً أتمكن فيه من
التؤدة والتروية ، والحيل : جمع واحده حيلة وهى الاسم من الاحتيال الذى هو
الخداع والمخاطلة .

ناقة مهراً^(١) ولا أرضاها إلا من نوق خزاعة^(٢) وغرض العم كان أن يسلك بشر الطريق بينه وبين خزاعة فيفترسه الأسد لأن العرب قد كانت تحامت عن ذلك الطريق^(٣) وكان فيه أسد يسمى داذاً وحيّة تدعى شجاعاً يقول فيهما قائلهم :

افتك من داذاً ومن شجاع
إن يك داذاً سيد السباع
فإنها سيدة الأفاعي^(٤)

ثم إن بشراً سلك ذلك الطريق فما نصفه حتى لقي

(١) أليت : حلفت ، وقوله : الا ممن يسوق إليها ألف ناقة : أى لا أزوجها الا الذى يعطينى مهرها ألف ناقة فعبر بسوقها عن اعطائها ، والمهر : هو ما يجب على الرجل أن يدفع لمن يريد التزوج بها وكأنه فى نظير ما تبذل له من نفسها فى خدمته والقيام على بيته . (٢) خزاعة : إحدى قبائل العرب ، والمعنى : أننى جعلت من قسمى تحديد نوع الابل بكونها من النوق التى ترعها خزاعة .

(٣) تحامت العرب عنه : تباعدت عنه فى سيرها إلى أماكن منافعها ، وسلكت غيره ، ونهجت طريقاً سواه حذراً من الحية والاسد ، والمعنى : أن الغرض لم يكن حقيقة الذهاب إلى موضع خزاعة وجلب النياق من هناك ولكنه كان يرمى بذلك إلى غرض بعيد ، وحيلة غريبة ، ذلك أن يسلك بشر الطريق إلى مكانها ، ويسير إليها - وليس لها غير مسلك واحد امتنعت العرب كافة عن السير فيه لمكان التهلكة منه - فيهلك دون الوصول إلى غرضه ويموت قبل أن يحصل على مشتاهاء فيكفيهم أذاه ويدفع عنهم كيده ويرد شروره . (٤) أفتك : أفتك تفضيل من قولهم فتك فلان بفلان أى بطش به أو انتهب منه فرصة فقتله ، أو أخذه على غفلة فأزهد روحه ، وفى الفتك معنى التمزيق والقطع .

الأسد^(١) وقمص مهرة^(٢) . فنزل وعقره^(٣) ثم اخترط سيفه
إلى الأسدِ واعترضه وقطه^(٤) ثم كتب بدم الأسد على قميصه إلى
ابنة عمه :
أفأطمُ لو شهدتِ ببطنِ خبتيِ وقد لاقى الهزبرُ أخاكِ بشراً^(٥)

(١) نصفه : بلغ نصفه ، والمعنى : أنه يأخذ في طريقه غير مبال بما علم أنه فيه
من الشدائد فلم يكذب يبلغ نصفه حتى كان قد جاء إلى مكان الأسد وطلع له
الأسد من عرينه . (٢) قمص الفرس وغيره يقمص - من باب نصر وضرب -
قمصا وقمصا ككتاب - وقمصا - كركام - : رفع يديه معا وطرحهما معا
وعجن برجليه ، ولا يكون ذلك من الفرس المروض الا اذا عرض له ما يفزعه أشد
الفرع ، وطراً عليه ما يخافه أعظم الخوف . (٣) عقره : قطع قوائمه حصدا
بالسيف عقابا له على خوره وجزاء لما كان منه من الذعر . (٤) اخترط سيفه إلى
الأسد : سله ودلف به إليه ، وقطه : أى قطعه عرضا ويظهر من العبارة أنه لم
يسل السيف إلا ليتقدم به إلى الأسد مع أنه لم يعقر المهر إلا به ولكنه أراد أنه
بعد أن عقر المهر تقدم إلى الأسد مختربا سيفه لا أنه جدد الاختراط أو ابتدأه
بعد العقر ، وربما أراد من العقر التقييد والحبس وكثيرا ما يطلقونه عليهما
لانهما أشبه بحصد القوائم فى أن كلا منهما يمنع من المشى . (٥) الهمزة حرف
وضع لنداء القريب : الحاضر معك ، الدانى مكانه منك بحيث يسمعك ، وقد
ينادى به البعيد تنزيلا لحضوره فى ذهنك ، وتمكنه من نفسك وعدم غيبته عن
فكرك ، واستجماعك لخصائصه وأوصافه ، منزلة قرب المكان ودنو جسمه منك ،
والخبث : المطمئن من الارض فيه رمل ، وبطن كل شىء جوفه وربما كان بطن
خبث علما لمكان بعينه وليس ذلك موجودا فى أحد كتب المعاجم التى بأيدينا ولا
فى كتب البلدان والاماكن ، وأما خبث - بدون بطن - فقد قال فى المشترك : أنه
عالم لاربعة مواضع : خبث الجميش وهى صحراء بين مكة والمدينة ، وخبث
البزواء لمكان قرب الجحفة بين مكة والمدينة أيضا ، وخبث : قرية من قرى زييد =

هزبراً أغلباً لاقى هزبراً^(١)

إذا لرأيت ليثاً زار ليثاً

= وهي بلدة باليمن ، وخبث : ماء معروف لكلب ، وهو هنا أحد الاولين ،
والهزبر: الاسد .

وقد نسب بعض الرواة هذه الابيات لعمر بن معد يكرب الزبيدي - ولعله ارتكن
في ذلك إلى أن خبتا احدى قرى زبيد ، وفهم أن نسبة عمرو اليها وهو خطأ فان
نسبته إلى جماعة من العرب كان يطلق عليهم : بنو زبيد - كتب بها إلى أخته
كبشة وكان له ابنة عم اسمها لميس ، ويقول فيها :

تظن لميس أن الليث مثلى وأقوى همة وأشد صبيرا
لقد خابت ظنون لميس فيه وأضحى البر خالى منه قفرا

ومطلع القصيدة على زعم هؤلاء الرواة :

أكبشة لو شهدت بيطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك عمرا

والصحيح أن الواقعتين مختلفتان فوقع بينهما الاشتباه وخلطت إحداهما
بالاخرى وقد حصل توارد الخاطر بين الشعاعين فى بعض الابيات فقط ،
والمعنى : أنه لو تيسر لك أن تشهدى مصارعتى الاسد ، وتهياً لعينك أن ترى
ابن عمك وقد حمل عليه حملته الشعواء لوجدت مشهدا عظيما ونظرت إلى حادث
خطير .

(١) الليث الاسد ومثله الهزبر، وللأسد فوق الثلاثمائة اسم أصل معظمها صفات
منها : البيهس، والبهنس، والعربض ، والمزمل ، والشيزم ، والنجد ، والبسور،
والحيدر ، والحيدرة ، والمصرح، والغضنفر ، والمهتصر ، والجهم ، والغضوب
والاغلب، والقرضاب، والقرشب ، ومن كناه : ابو العباس ، وأبو ضيغم وأبو
الأبطال والمبالغة هنا فى تلقيب نفسه بالليث وليست، فى تلقيب الهزبر بالليث كما
ظنه بعض من لا يعرف خواص الاساليب فظن أن الهزبر فى البيت حيوان غير
الاسد واستدل بهذين البيتين توهما منه أن البيت الثانى يشبه الهزبر بالليث كما
يشبه بشرا به وهزبرا فى الأصل وصف لا اسم وهو الغليظ الضخم والشديد
الصلب ، والاغلب : من ألقاب الاسد نكره وصفا كأنه قال من =

تبهنس إذ تقاعس عنه مهري محاذرة فقلت : عقرت مهراً^(١)

= شأنه أن يغلب أقرانه ، أو هو باق على اسميته وذكر للبدل أو للبيان ، ولاقى هزبراً : تابع للصفات المتقدمة ، وكلها صفات الليث الثاني فالليث الأول بشر زار الليث الذي اسمه داذ وداذ هزبر أغلب لاقى هزبراً مثله ، فالهزبر الاخير هو بشر أيضاً ويروى بدل زار : أم ليثاً أى قصده وتوجه إليه ، ويروى : رام ليثاً أيضاً أى طلبه ، والمعنى : أنك حين تقدر لك مشاهدة ذلك المنظر العجيب ستنظرين إلى ليثين قد أقبل كل منهما على الآخر وتوجه إليه يطلبه ويريد منازلته ، وستشاهدين أسدين عظيمين متكافئين شجاعة وإقداماً متماثلين جراءة وشدة قد زار كل واحدة منهما ليخيف قريعه وينزل الرعب فى جوف صاحبه وقد يمم كلاهما الآخر وأراد به السوء وورغب فى إهلاكه ، وليس أعجب منظرأ من هذا ولا أغرب منه بحيث يروك منظره وتعجبك مشاهدته ، ولو فى البيت الاول للتمنى وكأنه كان يرجو لها أن تراه افتخارا بشهامته وتمدحا بقوته وإقدامه .

(١) تبهنس : تبخر ، واختال فى مشيته - صفة للاسد الذى لاقاه - وتقاعس : أحجم وتأخر ، ويروى : ثم أحجم عنه مهري ، وإحجام المهر تقاعده عن لقائه حذراً منه وخوفاً ولهذا قال : محاذرة أى من أجل الحذر ، وعقرت مهراً : أى قطعت قوائمك التى أخرتك وأخرتني عن ملاقاته الاسد ، وكان قوله هذا مقرونا بالفعل فإنه عقره كما تقدم ، وقال ابن الرومى فى وصف الاسد :

ليأمن سقاطى فى الخطوب ونبوتى	جنان الذى يخشى على ويحذر
فما أسدجهم الحيا ، شتيمه	خبعتنه ورد السبال ، غضنفر
مسمى باسماء فمنهن ضيغم	ومنهن ضرغام ، ومنهن قسور
له جنة لا تستوعار وشكة	هو الدهر فى هذا وهذا مكفر
أهاب كنجفاف الكمى حصانة	وعوج كأطراف الشباحين يفغر
وحجن كأنصاف الأهلة لاينى	بهن خضاب من دم الجوف أحمر
تظل له غلب الاسود خواضعا	ضوارب بالاذقان حين يزمجر
له ذمرات حين يوعد قرنه	تكاد له صم السلام تقطر =

أَنْلُ قَدَمِي ظَهَرَ الْأَرْضَ إِنِّي رَأَيْتُ الْأَرْضَ أَثْبِتَ مِنْكَ ظَهْرًا^(١)
 وَقَلْتُ لَهُ وَقَدْ أَبْدَى نَصَالًا^(٢) مُحَدَّدَةً وَوَجْهًا مَكْفَهْرًا^(٣)

= يراه سراة الليل - والدر بونه - قريبا بأدنى مسمع حين يزأر
 يدير إذا جن الظلام حجاجه شهاب لظى يعشى له المتنور
 خبيثة جأب البضيع كأنه مكسر أجواز العظام مجبر
 له لكل رحب اللبان وكاهل مظاهر ألباد الرحالة أوبر
 شديد القوى ، عبل الشوى ، مؤجد القرا ملاحق أطباق الفقار ، مضبر
 إذا ما علامتن الطريق ببركه حمى ظهره الركبان فالسفر أزور
 أخو وحدة تغنيه عن كل منجد له نجدة منها ونصر مؤزر
 مخوف الشذا يمشى الضراء لصيده ويبرز للقرن المناوى فيصحر
 بأربى على الاقران منى صولة وقد أنذر التجريب من كان ينذر
 (١) بعد أن قال لمهره : عقرت مهرا قال له اسكن حتى أنزل عنك فتصل قدمي
 إلى ظهر الأرض فأترجل فإني رأيت الأرض أصلب ظهرا وأثبت منك وأنال قدمه
 ظهر الأرض مكنها منه وأوصله إليها ، وليس يخاف أن الشطر الثاني من البيت
 حقيقة بينة . (٢) أبدى : أظهر ، وأبان ، والنصال : جمع نصل وهو حديدة
 السيف ، والسهم ، والرمح ، والسكين ، وأراد بها هنا أنياب الأسد ومخالبه على
 التشبيه وأبداؤها منه تكشيرها عنها ، والوجه المكفهر : القليل اللحم ، الغليظ
 الجلدة ، العابس ، الكثير التقطيب من الغضب ، ومقول القول سيأتى بعد أبيات
 ولابن المعتز يصف أسدا :

وما ليث غاب يهزم الجيش خوفه بمشية وثاب على النهى والزجر
 يجر إلى أشباله كل ليلة عقيرة وحش أو قتيلا من السفر
 إذا ما رأوه طار جمعهم معا كما طير النفع التراب عن الجمر
 جرى ، أبى يحسب الالف واحدا بعيد إذا ما كر يوما من الفر
 يزعزع أحشاء البلاد زئيره وينهال أبطال الرجال من الذعر =

يُكفكفُ غيلةً إحدى يديه وَيَبْسُطُ للوثوبِ على أخرى (١)

= إذا ضم قرنا بين كفيه خلته
 فحرم أرض الحائرين وماءها
 بأجرأ منه حد بأس وعزيمة
 يعانى عروسا فى غلائلها الحمر
 فهيهات من يعدو عليها ومن يسرى
 إذا ما نزا قلب الجبان إلى النحر
 (١) يكفكف : هو فى الاصل بمعنى يمنع ويكف ، لكنه هنا بمعنى يقبض ،
 وغيلة: أما بمعنى خدعة أو بمعنى اغتيا لا فإن كان الاول فقد أراد أن الاسد قد
 استعظم شأنه وقوى عنده أمره واستفحل خطره فهو لا يجسر أن ينازله
 مجاهرة ولا يقوى على مصارعتة ظاهراً لهذا فإنه يقبض إحدى يديه ليغره
 ويخدعه بايهامه أنه لا يريد الوثوب عليه ثم يبسط يده الأخرى للانقضاض عليه ،
 وعلى الثانى يصف هيئة الاسد فى توثبه للقتال واستعداده للمنازلة وتأهبه
 للافتراس بأنه يقبض إحدى يديه ويبسط الأخرى شأن كل مواثب من الحيوان ،
 وقال أبو الطيب المتنبى يصف أسدا قتله بدر بن عمار :

أمعفر الليث الهزبر بسوطه
 وقعت على الاردن منه بلية
 ورد اذا ورد البحيرة شاربا
 متخضب بدم الفوارس رابس
 ما قويلت عيناه إلا ظنتا
 فى وحدة الرهبان إلا أنه
 يطاء البرى مترفقا من تيهه
 ويرد عفرتة إلى يافوخه
 وتظنه مما يزمجر نفسه
 قصرت مخافته الخطى فكأنما
 ألقى فريسته وبربر دونها
 فتشابه الخلقان فى أقدامه
 مازال يجمع نفسه فى زوره
 لمن ادخرت الصارم المصقولا
 نضدت بها هام الرفاق تلولا
 ورد الفرات رثيره التيلا
 فى غيله من لبدتيه غيلا
 تحت الدجى نار الفريق حلولا
 لا يعرف التحريم والتحليلا
 فكأنه أس يجس عليلا
 حتى تصير لرأسه إكليلا
 عنها بشدة غيظه مشغولا
 ركب الكمي جواده مشكولا
 وقربت قريبا خاله تطفيلا
 وتخالفا فى بذلك المأكولا
 حتى حسبت العرض منه الطولا =

يدلُّ بمخلبٍ وبحدِّ نابٍ وباللحظاتِ تحسبهنَّ جمرًا^(١)
 وفى يمناى ماضى الحدِّ أبقى بمضربه قراعُ الموتِ أثرا^(٢)

= ويدق بالصدر الحجار كأنه يبغى إلى ما فى الحضيض سبيلا
 فكأنه غرته عين فادنى لا يبصر الخطب الجليل جيلا
 سبق التقاعكه بوثبه هاجم لو لم تصادمه لجازك ميلا
 قبضت منيته يديه وعنقه فكأنما صادفته مغلولا
 (١) يدل : يتيه ، ويظهر تكبره ، والمعنى : يريد أن يظهر لنفسه من القوة ،
 والبطش ، وشدة الجراءة ما تتضاغل أمامه قوتى ، ويتلاشى عزمى ، وتفتر
 همتى فأضعف عن ملاقاته وانهزم أمام صولته ، ويجترئ بكل ذلك على ، وما
 منشأ هذا سوى الادلال بمخلبه والاعجاب بحد نابه والصلف بعينيه التى تتوقد
 كأنها تلظى الجمر وتلتهب كأنما هى قطع النيران ، وللشريف الرضى فى وصف
 الاسد :

نهيتك عن شعب عسير ولوجه بذى الرمث قد أعيأ على الناس صله
 وبيت كالصب الارى لا تستطيعه صدور الطوال الزاعبيات نحله
 فلا تقربن الغاب يحميه ليثه ودع جانبا وعرا على من يحله
 كان على الاطواد من جزع بيثه رصيد طريق ضل من يستدله
 تلع فى ثنى عباء مشيرق أصابيح ألوان الدماء تبله
 قضاقضة ما بات الا على دم تمضمض منه عرسه ثم شبله
 أخو قنص كفاه : كفة صيده إذا جاع يوما والذراعان حبله
 يشقق على حب القلوب بمخصف أزل كما جلى عن الرمح نصله
 قليل ادخار الزاد يعلم أنه متى ما يعاين مطعما فهو أكله

(٢) بعد أن بين آلة الاسد التى يتيه بها عليه ويظهر كبره له من أجلها أراد أن
 يبين آلة نفسه وهى السيف فوصفه بأنه ماضى الحد وأنه قد تعود الضرب وألف
 النزال وعرك المقارعة وراض نفسه على الكسر والحطم كما يظهر من الندوب =
 = والثلوم التى أبقاها فيه نزال الابطال وتركها به قراع الفوارس فى الحروب ،

والاثر - بالضم - : أثر الجرح بعد البرء استعاره هنا لما بقى فى السيف من الندوب وما تخلف فيه من الفلول استعارة رفيعة ، ومثل هذا المعنى فى قول الشاعر :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
ويروى بدل أبقى " أبغى ، وأنفى " وكلتا الروايتين لا معنى لها ولا يستقيم مغزاها ، والصواب هو ما ذكرنا ، ومما قيل فى وصف السيف قول البحترى :

ماض وإن لم تمضه يد فارس
يغشى الوغى فالترس ليس بجنة
مصغ إلى حكم الردى فإذا مضى
متألق يفرى بأول ضربة
وإذا أصاب فكل شيء مقتل
وكأنما سود النمال وجمرها
وكان شاهره إذا استعصى به
حملت حمائله القديمة بقله
ولا بن الرومى :

خير ما استعصمت به الكف عصب
ما تأملته بعينيك إلا
مثله أفرغ الشجاع إلى الدر
ما يبالي أصممت شفرتاه
وله أيضا :

حسام لا يليق عليه جفن
ترى وقعته أبدا خطايا
ويرعد متنه من غير هز
يقول القائلون إذا رأوه
وانظر إلى قول ابن المعتز :

ولى صارم فيه المنايا كوامن
ترى فوق متنيه الفرند كأنه

وللمتنبى

تحسب الماء خط فى لهب الناب
كلما رمت لونه منع الناب

ر أدق الخطوط فى الاحراز
ظر موج كأنه منك هاز

ألم يبلغك ما فعلت ظباهُ بكاظمةٍ غداةَ لقيتُ عمراً^(١)

متوال في مستوهز هاز
شربت والتي تليها جواز
هي محتاجة الي خراز
ولا عرض منتضيه المخازي
فتصدى للغيث أهل الحجاز

ودقيق قدى الهباء أنيق
ورد الماء فالجوانب قدرا
حملته حمائل الدهر حتى
وهو لا تلحق الدماء غراريه
سله الركض بعد وهن بنجد

وللمعري :

عليه فعاد مبيضا نحيلاً
يعش - إن فاته أجل - عليلاً
وهم فما تمكن أن يسيلاً
ويغرق من نجا منه كلولاً
فلولا الغمد يمسكه لسالاً.

أن أراقما نفضت سماما
ومن تعلق به حمه الافاعي
تردد ماؤه علوا وسفلا
يكاد سناها يحرق من فراه
وله أيضا : يذيب الرعب منه كل غضب

(١) ألم يبلغك : هذا مقول القول السابق ، أى أنه قال للأسد وهو على تلك
الهيئة التي وصفها ومعه سيفه : كيف تدل على ، وتظهر لى جراعك
وإقدامك ، وكيف تتيه بأنيابك ومخالبك ولحظاتك ، ألم يبلغك ما فعلت
ظبي سيفي ، وهل غاب عنك خبر فتكه ومضائه فكنت تخفض من
تشامخك ، وتقلل من إدراكك ، وتنهنه من جدتك ، والظبي : جمع ظبة وهي حد
السيف وانما جاء بصيغة الجمع مع أن السيف له ظبة واحدة تفخيما
لها وإفهاما للسامع أن حد سيفه وان كان واحدا الا أن له أفاعيل لا تصدر
إلا عن الكثير ولا تقع من غير جماعة ، وكاظمة : اسم لموضعين المعروف
منهما هو الذي على ساحل بحر فارس وبينه وبين البصرة مرحلتان لقاصد
البحرين ، ولعل هناك موضعا اسمه كاظمة بالقرب من المدينة يقول فيه
الابوصيري .

أمن تذكر جيران بندي سلم مزجت دما جرى من مقام بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من أضم؟
وغداه لقيت عمرا : يروى بدلا منه "غداة قتلت عمرا" كما انه يروى بدلا من قوله
ما فعلت ظباه " ما فعلته كفى " وليس يخفى عليك أن الرواية التي بأيدينا
أفضل .

وقلبٌ مثلُ قلبكِ لَيْسَ يَخْشَى مِصَاوِلَةً فَكَيْفَ يَخَافُ ذِعْرًا^(١)؟!
وَأَنْتَ تَرُومُ لِلْأَشْبَالِ قُوْتًا وَأَطْلُبُ لِابْنِهِ الْأَعْمَامِ مَهْرًا^(٢)

(١) المعنى : لا تظهر صلفك ، ولا تأخذك الكبرياء ، وأقلل من غلوائك فكما أن لي سلاحا مثل سلاحك أو أمضى فان لي قلبا مثل قلبك : كأنما قد من صخر ، لا يخشى المواتية ، ولا يخاف النزال ، ولا يهرب المصارعة ، فكيف تأمل أن ينال منه الذعر ، والذعر - بفتح أوله - : الإخافة والترهيب ، ويقول إذا كان قلبى لا يهاب المصاولة ، ولا يزعجه القتال ، ولا تحركه المناوأة فكيف تظن أنه يخشى التخويف والتهويل وإن هما الا تهديد ووعد دون ايقاع ؟ !

(٢) تروم : تبغى وتطلب ، والاشبال : جمع شبل بكسر أوله - وهو ولد الاسد ويجمع على أشبل - بزنة أفلس - أيضا ، والمعنى : أنك قد خرجت الى وتعرضت فى طريقى مستهينا بى ومستخفا بشائى غير مكثرت بما ستلقاه منى لأنك تأمل أن تفترسنى فتأخذى طعمة لأولادك وتقدمنى لهم قوتا ، وأنا سائر الى غرض أسما من غرضك ومقصد خليك بأن يكلفنى عناء وجهدا فوق ما يكلفك مقصدك وهو الاتيان بمهر ابنه عمى . فإذا كنت قد فعلت كل ذلك فى سبيل مأربك فما أحرانى بأن أفوقك قوة وإقداما وبسالة ونجدة على مقدار ما أريد من المطالب فمن خطب الحسنا لم يغلها مهرا ولا بد نون الشهد من أبر النحل ، ومن لم يصبر على الكيد ساعة تحمل ذل الدهر، وللشريف الرضى فى وصف الاسد :

أقول إذا سالت مع الليل رفقة	تقاذفها حتى الصباح المخارم
دعى جنبات الواديين فدونها	أشم طويل الساعدين ضبارم
إذا هم لم تقعد به عزماته	وان ثار لا تعيا عليه المطاعم
كان على شذقيه ثغرا وراءه	نوابل من أنيابه وصوارم
فما جذب الاقران منه فريسة	ولا عاد يوما انفه وهو راغم =

ففيهم تسومٌ مثلى أن يُولى ويجعلَ فى يدكَ النفسَ قسراً^(١)
نصحتكَ فالتمسُ يا ليثُ غيرى طعاماً إنَّ لحمى كانَ مُراً^(٢)

= له كل يوم غارة فى عدوه تشاركه فيها النسور القشاعم
كل المنايا - أن توسد باعه تيقظ فى أنيابه وهو نائم

(١) فيم : استفهام عن السبب مثل "لم" وتسوم : أما أن يكون من قولهم : سامه بغيره وساوومه سواما - بالكسر - واستام عليه وتساوماه أى ذكر له قيمته وفاوضه فى بيعه ، وأما أن يكون من قولهم : سامه الخسف أى أولاه اياه وأراده عليه، وعلى الاول يكون المعنى: إذا كان لى سلاح كسلاحك وقلب كقلبك وأنا مستعد استعدادك للمنازلة والصراع ، وعلى أهيه كاملة للمناوأة والقراع ولى مطلب يحتم على قتلك والفتك بك فلائى الاسباب ترغبنى فى الفرار وتحبب الى الهرب بما تبديه من حركات الاغتيال وتظهره من مخائل الصلف ، وعلى الثانى كأنه يقول له لا تطمع فى أن تكرهنى على النجاه بالفرار منك ولا تصدق أننى سأؤليك ظهري فتتنقض على فتفترسنى ويروى : قهرا بدلا عن "قسرا" ومعناها واحد .

(٢) يروى بدلا عن "ياليث" ياويك ، وويك : كلمة دعاء مثل ويحك وويبك وويك،
والمنادى حينذ محذوف تقديره يا هذا ويك كما حذف فى قول الشاعر :

الايا اسلمى يا دار مى على البلا ولا زال منهلا بجرعائك القطر
ويروى البيت هكذا :

نصحتك نصح ذى شفق فحاذر مرامى لا تكن بالموت غرا
والشفق : الشفقة ، ومعنى لا تكن غرا بالموت لا تكن جاهلا بأسبابه غير عالم بعلة التى من بينها لقاء مثلى ، ومعنى البيت : أننى انصح لك بالألا تتوهمنى فريستك التى تأكل منها اليوم وتغذى اشبالك فانك لو طمعت فى ذلك فستجوع ويجوع معك هؤلاء الاولاد - وكنى بمرارة اللحم عن عدم القدرة على الحصول عليه - فأولى لك ان تبحث عن غيرى لترد به عنك عادية الجوع .

فلماً ظنَّ أنَّ الغشَّ نُصحي وخالفني كأنِّي قلتُ هجراً^(١)
مشى ومشيتُ منْ أسدينِ راما مراماً كانَ إذْ طلباهُ وعراً^(٢)
هزرتُ لهُ الحسامَ فخلتُ أنِّي سللتُ بهُ لدى الظلماءِ فجراً^(٣)

(١) الهجر - بالضم - : الهذيان والخرافة كما ، يكون من الأبله والنائم في نومه والمريض في بحران الحمى وحده مرضه ومن لا يعقل ولا يضبط ما يقول ، ويروى بدلا عن الشطر الثاني " وخال مقالتي زورا وهجرا " والمعنى : أنه لم يقتنع بما ألقىت إليه من الكلام ، ولم يصدق ما اسديت من النصيحة بل اعتمد على قوته وصلابه عوده واركن على ما فيه من بطش فتوهم أنني أهذى فلما ثبتت عنده هذه الظنه وقوى في نظره ذلك الوهم كان منه كيت وكيت .

(٢) لما نصحه ولم يسكن لنصيحته واستهداه فلم يقبل تقدم الاسد اليه اغترار منه بقوته وصار نحوه اختيالا بشجاعته وتقدم بشر إليه اعتمادا على شجاعته وركونا الى ما فيه من حميه وإباء فيا لهما من اسدين طلبا مطلبا كان وعرا صعب المنال بعيد التحقيق عسير الثبوت إذ أن كل واحد منهما كان يطلب من صاحبه مالا سبيل له إلى تحقيقه ولا قدرة عنده على إجازته ، وقوله : من أسدين واقع موقع البيان للضميرين في مشى ومشيت تفخيما لشأن كل منهما وتعظيما لما عاد إليه كل واحد منهما .

(٣) هز الحسام : حركه في يده كأنه يجربه ليتهيأ للضرب ، وقد تخيل بريقه ولمعانه كأنه فجر سل في الظلماء ، ويروى بدلا عن «سللت» : شققت ، ويعبر عن طلوع الفجر بقلقه وفي التنزيل : (فالق الإصباح) والمعنى : أني حينما تأكدت من عدم أروعائه ونفوره من قبول نصيحتي تقدمت إليه باسطا يدي بالحسام الذي يشبه الفجر في اشراقه ويمائله في ضوئه ولايفترق عنه في لمعانه ، ومثل هذا التشبيه قول بشار بن برد :

كأن مثار النقع فوق رعوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه

وجدتُ لهُ بجائشةٍ أرتهُ بانُ كذِبتهُ ما منتُهُ غدراً^(١)
وأطلقتُ المهندَ من يميني فقدَّ لهُ من الاضلاعِ عشراً^(٢)

(١) الجائشة : النفس ، قال الشاعر :

أبت لي همتي وأبى بلائي وأخذى الحمد بالثمن الربيع
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدي أو تستريحي

وبشر يتهكم على الاسد ويعلن الزراية به والتهوين من شأنه وتضعيف أمره، ويقول اني تكرمت عليه بنفس أعلمته وأظهرت له أنها قد غدرت به فيما منته وأطمعته فيها بثباتها بين يديه اذ كذِبته تلك الامنية وضيعت عليه ذلك الرجاء وأقلت من يده أمله الضائع ففتكت به وقهرته وصرعته، وقد يراد من الجائشة هنا المعنى الوصفى أى بضربة هائجة مضطربة وقد كانت تلك الضربة منته خبيتها وأوهمته عدم إصابتها بهيجان ضاربها فظن عجزاً وأخطأ التقدير اذ كان ذلك كله مخالطة وتغريراً ، ويروى بدلا عن «أرته» : رأها، كما يروى بعد هذا البيت :

وجدت بضربة جاعته شفعا بساعد ماجد تركته وترا

فاذا أردنا من الجائشة المعنى الثانى كان ذلك البيت تفسيراً لسابقه ، وإن كان المعنى الاول كان لهذا البيت معنى مستقل وكأنه تفصيل لما أجمل فى قوله : أرته أن كذِبته مامنته غدراً، وشفعا : حال من ضمير الاسد فى جاعته، وانما كان الاسد شفعا لانه حين هوت اليه الضربة كان مع أسد آخر وهو بشر، وإطلاق الشفع على كل من الاثنتين جائز لان الشفع يتم بكل منهما والضمير فى تركته يعود على الماجد والمعنى أن الضربة لما قتلت الاسد تركت الماجد وهو بشدر أسد فردا وهو الوتر ، ويروى هذا البيت :

بضربة فيصل تركته شفعا لدى وقبلها قد كان وترا

أى انها شطرتة نصفين فصار اثنتين بعد ان كان واحدا وأضحى شفعا بعد ان كان وترا وهو ظاهر .

(٢) المهند : السيف الصارم ، والحسام النافذ فى ضربته ، وكانت مواضى =

فخرٌ مجدلاً بدمٍ كائى

هدمتُ به بناءً مشمخراً^(١)

= السيف ترد الى العرب من الهند كما كانوا يجلبون رماحهم من الخط ، ولذلك نسبوا ما كان من السيوف بتارا ، قاطعاً ، الى الهند فقالوا: الهندية ، واشتقوا له من هذا اللفظ اسماء فقالوا : المهند . وربما كان هذا اللفظ (المهند) نسبة أيضا اذ أن صيغة فعل (بالتضعيف) تدل على النسبة مثل ماقالوه فى قول العجاج .

أزمان أبدت واضحا مفلجا أغر براقا وطرفا أدعجا

وفاحما ومرسنا مسرجا .

فانهم يقولون أن مسرجا (بضيغة اسم المفعول من المضعف كمهند) نسبة الى سريج وهو حداد كان يجيد صنع السيوف ، وقد : قطع ، والمعنى أنى بعثت اليه سيفى فأنفذته فى اضلاعه فقطع منها عشرة .

(١) خر : سقط، ومجدلا : مصروعا على الجدالة وهى الارض ، وأصل مأخذ الكلمة منها، ويروى مضرجا بدم، وهى أوضح معنى وأظهر، وذلك لان الرواية الاولى تحوجنا الى توضيح فى الكلام وتقدير فى نظمه فيقال :خر صريعا مصحوبا بدم أو ملطخا به ونحو ذلك، والبناء المشمخر : الشامخ، العالى الذرى، المرتفع ، والمعنى أننى أنفذت فيه سيفى، وقطعت أضلاعه فلم تبق فيه قوة يستطيع أن يتماسك بها، أو يتمالك نفسه من الصرعة والانطراح على الارض فخارت قواه وضعفت همته . وفترت شدته فهوى الى الأرض مالطخا بما سال من دمه مضرجا بالذى أخرجه منه حد سيفى وكأنه حين وقوعه وتهاوى جثته بيت عال قد تهدم فأنت تسمع له دويا وصوتا ، يريد بذلك أن يقول أن الاسد كان ضخم الجثه عبل الشوى صلب الأضلاع ليكون فخاره بقتله ذا مزية وفضل جديرين بالذكر والإشادة بهما ولعل فى هذا نوعا من استتباع ذكر صفة لصفة أخرى فان وصف الاسد بما ذكر يستتبع وصفه بالتناهى فى الشجاعة وبلوغ حد الإقدام .

وقلتُ له : يعزُّ عليَّ أنِّي قتلْتُ مُناسِبي جِداً وفخراً^(١)
ولكن رمتَ شيئاً لم يرمهُ سواك فلم أطقُ يا ليتُ صبراً^(٢)
تحاولُ أن تعلمني فراراً؟ لعمرُ أبيك قد حاولتُ نكراً^(٣)

(١) بعد أن قتله وأوقعه صريعاً وتركه مضرراً بدمائه أخذ يعتذر له ويذكر الأسباب التي حملته على التنكيل به ويتصل من تبعه ما وقع منه ، يوعاتبه على المبادرة له بالعدوان ، وكأنه يريد أن يفهمه انه لم يفعل به ذلك إلا اضطراراً ونزولاً على حكم الدفاع عن النفس وسيراً مع الأنفة من الذل وإباء الضيم ، ولولا أن في مصانعته له ، وعفوه عنه ، وتركه ، ضيماً عليه ومذلة له واهانة لقدره لكان العفو أيسر ما يفعل معه ، ويعز علي : يصعب ، ويشتد على نفسي، ومناسي : مشابهي ومشاكلي في الجلد والثبات وشدة الصرامة وصعوبة المراسم، وفخراً : أى ما يفخر به من أسباب الفخار وبواعيه كالشجاعة والقوة ونحوهما ، ويروى : قسراً بدلا عن «فخراً» والقسر هو القهر ويروى أيضاً : «قهرأ» والمعنى : أنه لعزيز على نفسي وشديد ان احتمل ما لعله يقال من أنني قتلت أشبه العالمين بى وأنسبهم لى فى صفتى الجلد وقهر النفوس واغتيالها .

(٢) المعنى : أنك طلبت شيئاً لم يستطع أحد فى الدنيا أن يطلبه وقصدت أمراً ما كان يدور بخلدى أن يجسر على قصده غيرك ، وابتغيت أن تفترسنى وهذا شئ لم يطلبه سواك منى ولهذا وحده كنت مسوقاً بحكم الضرورة الى قتلك ان أننى لم أستطع الصبر على هذا الطلب الجائر ، وكيف أصبر على ما لم أتعوده .

وسيفى كان فى الهيجا طبيبا يداوى رأس من يشكو الصداعا
ولو أرسلت رمحى مع جبان لكان بهيبتى يلقى السباعا

(٣) النكر- بضم أوله - : المنكر والذى لم تألفه النفس وفى التنزيل (لقد جنئت شيئاً نكراً) ، والمعنى : أنك كنت تطلب وتجتهد فى طلبك هذا بكل وسائل التهديد أن تعلمنى التولية وتعودنى على الفرار وتجعلنى آلف الهزيمة ، وأنت فى كل =

فلا تجزعُ فقدُ لاقيتَ حُرّاً يحاذرُ أن يُعابَ فمتَّ حُرّاً^(١)
فإنْ تكُ قد قتلتَ فليسَ عاراً فقدُ لاقيتَ ذا طرفينِ حُرّاً^(٢)
فلماً بلغتُ الأبياتُ عمهُ ندمٌ على ما منعهُ تزويجها^(٣) .

وخشى أن تغتاله الحيةُ فقامَ فى أثره وبلغه وقد ملكته سورةُ

= هذا الطلب ، وفى كل هذه المحاولة يستحيل أن تفلح ولا يمكن أن تنال رغبتك إذ أن هذا الطلب غير مألوف لى وليست لى به سابقة .

(١) الجزع : انخلاع القلب وتآلم النفس من حادث فظيع أو أمر شنيع ينزل بالمرء فيفقدده صوابه ويضيع عليه تجلده وصبره ، ويحاذر : يخشى ، ويعمل جهد طاقته وبمقدار وسعه لئلا يقع ، والمعنى : لا يؤلك ، ولا تذهب نفسك حسرات ولا تحزن على ما نالك منى ، وأصابك من حد حسامى فإن كنت قد هويت فإن الذى فعل بك ذلك ، والذى اصطدمت به هو رجل حر كريم خيار يابى الضيم ولا يقبل الضعة ويرهب الاستكانة فمت بيده حرا كما يموت الشريف الأبى النفس والمقدام الجرىء، ويروى بدلا عن «فلا تجزع» : «فلا تغضب» «فلا تبعد» .

(٢) كأنه يسليه عما أصابه ، ويهون عليه ما لقيه منه فيقول له : إن كنت قد قتلت أو يكن المقدور قد ابتلاك بى فما ذلك بعار عليك ولا هو أمر تلحقك من أجله الضعة ، إذ ليس من الشين بك والحطة من قدرك أن تقتل بيدى أو تخر من ضربة كنت أنا الذى تقدم بها إليك فاننى - وأنا قاتلك - رجل ذو طرفين أى أبوين معروفين أصيلين فأنا عريق فى النسب ، شريف الحسب ، كريم النجر ، طيب الأصل ، حر ، وانما العار أن يؤخذ المرء بيد رجل دنىء وما دنا متكافئين شجاعة وإقداما متماثلين شدة وجراءة فأى ضيم يلحقك وأى أنى ينالك ؟ والحر هنا : الصريح النسب الذى لم يدخل فى نسبه رق ولا شبهة .

(٣) مامصدرية أى على منعه تزويجها . وفى نسخة: من تزويجها .

الحية (١) . فلما أخذته حمية الجاهلية فجعل يده في فم الحية
وحكم سيفه فيها (٢) فقال :

بشر إلى المجد بعيد همهُ
لما رآه بالعراء عمه (٣)
قد تكلته نفسه وأمه
جاشت به جائشة تهمه (٤)
قام إلى ابن للفلا يومه
فغاب فيه يده وكمه (٥)
ونفسه نفسى وسمى سمه (٦)

فلما قتل الحية قال عمه : إني عرضتك طمعاً في أمرٍ قد ثنى

(١) سورة الحية : سطوتها . (٢) يظهر من الأبيات الآتية انه لف يده في كفه
وادخلها في فم الحية . ويروى بعد فم الحية : وقبض على لسانها وحكم سيفه
فيها فقتلها . (٣) الهم هنا : الهمة ، يقال : فلان بعيد الهمة إذا كان طلاباً
لمعالى الامور . والعراء بالفتح الفضاء لا يستر فيه بشيء . (٤) هذا البيت
يشتمل على حالين من ضمير رآه فالحال الاولى قد تكلته نفسه وأمه أى رآه وقد
شرف على الهلاك فكان قد تكلته نفسه أى فقدته هى وامه والحال الثانية جاشت
به الخ وجاشت أى هاجت . والجائشه وصف لمحذوف أى الحية الهائجة . وقولة
تهمه أى تودع الهم والغم قلبه بما توقع به من الشر . (٥) قوله « قام الى ابن »
هو جواب لما رآه عمه . وابن الفلا هو الحية والفلا جمع فلاة وهى الصحراء
الواسعة أو المفازة لا ماء فيها ، والحيات العظيمة قلما توجد إلا فى الفلوات لهذا
سماها ابناء الفلا ويومه يقصده . وقوله فغاب فيه أى فى فمه . (٦) ضمير
المتكلم لبشر لانه المتكلم بالأبيات أى أنه حية مثله فنفسه شبيهة بنفس الحية
وسمه شبيه بسمه . وسمه هنا سيفه الذى قتل الحية به فكما انه كان مع الاسد
اسداً آخر كذلك هو مع الحية حية .

الله عنانى عنه^(١) فارجعُ لزوجك ابنتى . فلما رجع جعل بشرُ
يملاً فمه فخرا حتى طلع أمردُ كشق القمر^(٢) على فرسه مدججاً
فى سلاحه فقال بشرُ : يا عمُّ إنى أسمعُ حسَّ صيدٍ . وخرجَ
فإذا بغلامٍ على قيدٍ^(٣) فقال : ثكلتك أمك يا بشرُ : إن قتلت دودةً
وبهيمَةً تملأ ما ضغيتُ فخراً^(٤) ؟ أنت فى أمان إن سلمت عمك .
فقال بشرُ : من أنت لا أمُّ لك : قال : اليومُ الاسودُّ والموتُ
الاحمرُّ . فقال بشرُ : ثكلتك من سلحتك^(٥) . فقال : يا بشرُ ومن

(١) اى انى كنت عرضتك لخطر الهلاك حتى لا أزوجك بنتى وقد عطفتنى الله عن
ذلك كما يثنى عنان الجواد الى وجه غير الذى كان يسير اليه . (٢) اى كانه فى
بهائه وجماله فلقة من القمر . وقوله : مدججا فى سلاحه أى انه لابس سلاحه
وكانه مستتر به لاترى العين منه الا السلاح . (٣) اى انه خرج لطلب الصيد
الذى سمع حسنه فإذا بذلك الغلام على قيد رمح منه اى مقدار طول الرمح
يعنون بذلك القرب وحذف الرمح لان الكلمة مشهورة معروفة . ويروى : بدل
(فخرج فإذا بغلام الخ) فقال الغلام مددت رجلك الى قيد، وهو جواب من الغلام
لقول بشر انى اسمع حس صيد ، وهو اما دعاء عليه بالاسر والوقوع فى قوم
يقيدونه او خبر اى ان ماظننته صيدا ليس بصيد بل هو صائد فانت بقولك هذا
قد مددت رجلك الى القيد وقوله : ثكلتك أمك يروى : ثكلتك نفسك .

(٤) الماضغان: اصول اللحيين عند منبت الاسنان لأنهما يتحركان عند المضغ بل
هما آلتهم ويملاً الماضغين أى ما بينهما وهو الفم . وقوله : إن قتلت - بفتح همزة
ان - متعلق بتملاً فمك فخرا لان قتلت دودة وهى الحيه وبهيمه وهى الاسد .
وقوله : انت فى أمان الخ : مطالبة له بما لا يمكن ان تسمح به حميته . كيف
يسلم عمه بدون قتال ؟ (٥) سلحتك رمت بك من بطنها وقذفتك وهى امك
فإجابه الغلام بشتم مثل شتمه . فقال : ومن سلحتك يابشر : اى وثكلتك من
سلحتك ايضا .

ساحتك . وكرُّ كلُّ واحدٍ منهما على صاحبه . فلم يتمكن بشرٌ منه وأمكن الغلام عشرونَ طعنةً في كليةٍ بشرٍ كلما مسَّهُ شِبا السنان حماهُ عن بدنه إبقاءً عليه ^(١) . ثمَّ قالَ : يا بشرُ كيفَ ترى ؟ أليس لو أردتُ لأطعمتك أنيابَ الرمح ^(٢) ثمَّ ألقى رمحه واستلَّ سيفه فضربَ بشرًا عشرينَ . ضربةً بعرضِ السيفِ ولم يتمكنَ بشرٌ من واحدة . ثمَّ قالَ : يا بشرُ سلم عمك وازهدب في أمانٍ . قالَ : نعم ولكن بشريطة أن تقولُ لى من أنت . فقالَ : أنا ابنك . فقالَ : يا سبحانَ الله ما قارنت عقيلةً قطُّ ^(٣) فأنى هذه المنحةُ؟! فقالَ : أنا ابنُ المرأةِ التي دلتك على ابنةِ عمك . فقالَ بشرٌ :

تلك العصا من هذه العصية هل تلدُ الحيةُ إلا الحيةُ ^(٤)

(١) أى ان الغلام قد تمكن من قتل بشر بعشرين طعنه كلها تصيب كليته لكنه كان يمس بدنه بشبا السنان أى طرفه، يحميه أى يبعده عنه ويقيه منه ابقاءً عليه أى رحمةً له واستبقاءً لحياته . (٢) أليس الحال والامر انى لو أردت اجعلك طعاما لأنياب الرمح لاطعمتك اياها؟ وليس للرمح الا ناب واحد وهو السنان لكنه جمعها باعتبار تعدد الطعنات كأن لها فى كل طعنة نابا او أنه شبه الرمح بمفترس له انياب وطواه وأشار اليه بالانياب فهى تخييل محض .

(٣) ما قارنت عقيلة : ماتزوجت امرأة كريمة حتى تأتى بغلام كريم مثل هذا .

(٤) تلك العصا من هذه العصية : مثل من أمثال العرب أصله «أن العصا من العصية» قال الأصمعى : وأنا أحسبه «العصية من العصا» الا أن يراد أن الشئ الجليل يكون فى بدء أمره صغيرا كما قالوا «أن القرم من الأفيق» فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يقال : «العصا من العصية» قال المفضل : أول من =

= قال ذلك الأفعى الحرهمى ، وذلك أن نزارا حين حضرته الوفاة جميع بنيه : مضر . وأياذا ، وربيعة ، وإنمازا ، فقال : يابنى هذه القبة الحمراء - وكانت من آدم - لمضر ، وهذا الفرس الأدهم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم وكانت شمطاء - لأياذا ، وهذه البدرة والمجلس لانمار ، يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم كيف تقتسمون فأتوا الأفعى الحرهمى ، ومنزله بنجران ، فتشاجروا فى ميراثه ، فتوجهوا إلى الأفعى الحرهمى ، فبينما هم فى مسيرهم إليه اذ رأى مضر أثر كلاً قد رعى فقال : أن البعير الذى رعى هذا لا عور ، قال ربيعة : أنه لأزور ، قال أياذا : أنه لا يتر قال أنمار : أنه لشروء ، فساروا قليلا فإذا هم برجل ينشد جملة ، فسألهم عن البعير فقال مضر : أهو أعور؟ قال : نعم ، قال ربيعة : أهو أزور؟ قال : نعم ، قال أياذا : أهو أبتير؟ قال : نعم ، قال أنمار : أهو شروء ؟ قال : نعم ، وهذه - صفة بعيرى فدلونى عليه ، قالوا : والله ما رأيناها ، قال : هذا - والله - الكذب ، وتعلق بهم ، وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون بعيرى بصفته؟ فساروا حتى قدموا نجران فلما نزلوا نادى صاحب البعير : هؤلاء اخذوا جملى ووصفوا لى صفته ثم قالوا لم نره ، فاختموا إلى الأفعى - وهو حكم العرب - فقال الأفعى : كيف وصفتموه ولم تروه؟ قال مضر : رأيت رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور ، وقال ربيعة : رأيت إحدى يديه ثابتة الأثر الأخرى فاسدته فعلمت أنه أزور لانه أفسده لشدة وطئه لازوراره ، وقال أياذا : عرفت أنه أبتير باجتماع بعره ، ولو كان ذبالا لمصع به . وقال أنمار : عرفت أنه شروء لانه كان يرعى فى المكان الملتف نبتة ثم يجوزه الى مكان أرق منه وأخبت نبتا فعلمت أنه شروء ، فقال للرجل ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سالهم : من أنتم؟ فأخبروه ، بما جاء بهم ، فقال : أحتاجون الى وأنتم كما أرى؟ ثم أنزلهم ، فذبح لهم شاة ، وأتاهم بخمر ، وجلس لهم بحيث لا يرونه وهو يسمع كلامهم ، فقال ربيعة : لم أر كاليوم لحما أطيب منه لولا أن شاته غذيت بلبن كلبه! فقال مضر : لم أر كاليوم خمرا أطيب منه لولا أن حبلته نبتت على قبر! فقال أياذا : لم أر كاليوم رجلا أسرى منه لولا أنه ليس لابيه الذى يدعى له! فقال أنمار : لم أر كاليوم كلاماً أنفع فى حاجتنا من كلامنا وكان كلامهم بأذنه - فقال : ما هؤلاء إلا شياطين ، ثم دعا القهرمان فقال : ما هذه الخمر ، وما أمرها؟ قال هى من حبله غرستها على قبر أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرابها! وقال للراعى : ما أمر هذه الشاة؟ قال : هى عناق أرضعتها بلبن كلبه ، وذلك أن أمها قد ماتت ولم يكن فى الغنم شاة ولدت غيرها ، ثم أتى أمه فسألها عن أبيه فأخبرته أنها كانت تحت ملك كثير المال - وكان لا يولد له - =

وحلفَ لا ركبَ حصاناً ولا تزوجَ حصاناً^(١) . ثمَّ زوَّج ابنةَ عمِّه لابنه .

= قالت : فخفت أن يموت ولا ولد له فيذهب الملك ، فأمكنك من نفسى ابن عم له كان نازلاً عليه ، فخرج الأفعى إليهم، فقص القوم عليه قصتهم ، وأخبروه بما أوصى به أبوهم، فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لمضر، فذهب مضر بالدنانير والابل الحمر فسمى «مضر الحمراء» لذلك ، وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخباء الاسود فله كل شئ أسود فصارت لربيعة الخيل الدهم فليل له : «ربيعة الفرس» وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لا يباد، فصار له الماشية البلق من الحياق والنقد فسمى «أياد الشمطاء» وقضى لانمار بالدرهم وبما فضل فسمى «أنمار الفضل» فصدروا من عنده على ذلك ، فقال الأفعى : (أن العصا من العصية ، وإن خشينا من أخشن ، ومساعدة الخاطل تعد من الباطل) فأرسلهن مثلاً ، وخشين وأخشن: جبلان أحدهما أصغر من الآخر ، والباطل : الجاهل ، والخطل فى الكلام : اضطرابه ، والعصية : تصغير تكبير مثل : أنا عذيقها المرجب ، وجذيلها المحكك ، والمراد أنهم يشبهون أباهم فى جودة الرأى، وأصالة الفكر، وسداده، وقيل: أن العصا اسم فرس كانت لجذيمة بن مالك بن نصر الذى يقال له جذيمة الابرش وجذيمة الوضاح، والعصية اسم أمه يراد أنه يحاكي أمه فى كرم العرق وشرف العتق، وقوله فى المقامة: (هل تلد الحية إلا الحية) نص مثل آخر، والمعنى : أنه لا يلد مثل ذلك الغلام الجرىء والفتى الفاتك الشجاع إلا مثل بشر وأمه فليس ما رآه منه عجيباً ولا غريب الوقوع ومثل هذا قوله : ومن عضه ما ينبتن شكيرها، ومثل - أو قريب منه - قول زهير :

وهل ينبت الخطى إلا وشيجه وتغرس إلا فى منابتها النخل

(١) الحصان - بوزن كتاب - : الفرس، والحصان - بزنة سحاب - المرأة العفيفة وإذا كان لا يريد أن يتزوج العفيفة فهو خليق بالآ يتزوج غيرها والمعنى: أنه حلف أن يحرم نفسه لذة الدنيا ويمنعها من التمتع بطيب الحياة لياخذ ابنه من ذلك بنصيب وثير .
والله سبحانه وتعالى أعلى وأعلم، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل وإمام المتقين، وعلى آله وصحبه وسلم .
وهذا آخر ماتيسر لنا من التعليق على مقامات أمير البلاغة ، وسلطان البيان أبى الفضل بديع الزمان الهمذانى .

* * * *

وكان الفراغ من تبييضه (للطبع) فى ليلة الاثنين منتصف شهر
جمادى الثانية سنة اثنتين وأربعين وثلاثمائة وألف من
الهجرة النبوية على صاحبها صلاة الله وسلامه
الأتمان الأكمالان إلى يوم الدين

صحيفة الشكر

لست عظيما يشيد الناس بذكرى ، ولا أريد أن أضع نفسى فوق موضع أنزلنى الله به، ولا كنت لو أن بى طماعية إلى ذلك ، وهذا كتابى أقدمه للناطقين بالضاد وحسبى منهم أن يقدروا اخلاصى قدره فيعترفوا بما بذلت من جهد ، وما أفرغت من طاقة ، حين لم يكن لاحد سلطان على ولقد وردتنى كلمات فى التقريظ من شيوخ الأدب ورجال البيان فى مصر وكنت أظننى فى غنى عنها، لما تضم جوانحى من الرغبة فى البساطة ، والميل عن الألوان والتحاسين ، ولكنى أثبت هنا - مع جزيل الشكر - كلمات كان مصدرها العاطفة لا المجاملة ، ومنشؤها الاخلاص لا التكلف ، ويكفينى دليلا على ذلك أنها ممن اشتهروا عند أكثر القارئين بالاخلاص وصراحة الضمير ، والسلام

محمد محى الدين

جاعتنا هذه الكلمة من حضرة صاحب الفضيلة زعيم العلماء،
وعالم الزعماء ، الاستاذ الجليل الشيخ عبد المجيد اللبان المفتش
العام بإدارة المعاهد الدينية ، وعضو البرلمان المصرى ولنا مزيد
الشرف والفخار باثباتها . قال حفظه الله .

حضرة ولدى العزيز الأستاذ الشيخ محمد محى الدين
عبد الحميد تحيتى اليك (وبعد) فقد اطلعت على كتابك (شرح
مقامات بديع الزمان الهمذانى) فألفيته جنة أدب يانعة نسقت
بفكرة صائبة ، تدل على حسن ذوقك العربى ، وعلو كعبك فى
سماء الأدب الصافية من غياهب التعقيد والإغراب ، المستتيرة
ببدور أفكار الأذكىاء ، فسرني منك ما يسر الأب الشفيق من
أثار الابن البار ، ودلتنى بدايتك على كمال نهايتك ، فأيقنت منك
للغة بمستقبل رقى وتهذيب وانتشار وتقريب أكثر الله فى الأمة
من أمثالك الفضلاء ، وجعلك تاج هامهم ، وواسطة عقدهم ،
والسلام عليك ، من أخلص الناس إليك ،،،،،،

عبد المجيد اللبان

وتلقينا هذه الكلمة من حضرة صاحب الفضيلة العلامة
الكبير ، رجل العلم والأدب ، الاستاذ الجليل الشيخ ابراهيم
سليمان الشرقاوى فنذكرها ابتهاجا بثقة أديب له شرف الزعامة
على أدياء هذا العصر . قال أبقاه الله .

الحمد لله خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على
أفصح ولد معد بن عدنان ، وأبلغ من كان .

(وبعد) فإنى تصفحت ماعلقه ابن أخى الاستاذ الفاضل
الشيخ محمد محى الدين على مقامات بديع الزمان فوجدته
طرفه أديب ، ونبذة لبيب ، دل على ذوق سليم ، ونهج فى اللغة
مستقيم ، دل خطو مؤلفه فيه على شأوه ، وثمره على شجره ،
حتى أيقنت أنه بالغ إن شاء الله ما أملته فى مخايل بدايته ، من
إشراق فى نهايته ، ونبوغ فى حرفته ، أسأله تعالى أن يرفعه
إلى مستوى خلقه مستعداً له بنشأته ، وكرم نحيزته ، والسلام ،

ابراهيم سليمان الشرقاوى

عزيزى الاخ

باكورة غيتك تنبىء عن سعة اطلاعك ، وأول زرعك حصاد
غيرك ، وكتابك هذا يشف عن مقدرتك ، ويسجل لك فى جبين
الدهر غرة بيضاء ، وستكون لك به عند الادباء المنة العظمى ،
لازال حد عزمك ماضيا ، وزناد أملك وارىا والسلام ،،،،

المخلص

ابراهيم مرسى بدوى

عزى الفاضل :

لقد سبحت بفكرك الثاقب فى بحر الأدب فجببت عبايه،
وخطبت عرائس البيان فكانت طوع يمينك ، وهذا كتابك يشهد
لك بالعبقرية ، فقد ضمنته جوهرا هو غايتك ودرا هو بغيتك .

فسر فى طريقك قدوة لأمثالك والسلام،

القاهرة يناير سنة ١٩٢٤

ابراهيم السيد موافى

مدرس بمدرسة محمد على الخيرية

عزى الأء

اطلعت على ما جادت به قريحتك الوقادة فى شرح مقامات
البديع فألفيتها الدرر الغوالى فوق اللبات والنحور والجواهر
الثمينة فى السبائك الذهبية ولعمرك أى شىء وراء ذلك وأنت لم
تترك بلاغة لبليغ ولا فصاحة لفصيح وما الذى تتناول إليه
الأعناق بعد هذا وقد ضمنتها الألىء فجاء قلادة فى جيد الدهر
ولئن حق لأليف أن يفخر بقرينه فأنا أشيد الناس فخارا بك
والسلام ، ،

على على هلالى

حضرة أخى الأديب الفاضل الشيخ محمد محى الدين سلام
الله ورحمته عليك ، لازلت بحراً يغترف منه الواردون ، ومنها
يشرب منه الرى والصدى ، وبعد فقد اطلعت على كتابك (شرح
مقامات أبى الفضل بدیع الزمان الهمدانى) فإذا هو - من غير
مغالة - فيه العبقرية الصادقة ، والدرة اليتيمة ، والروضة
الغناء ، الدانية قطوفها وكيف لا وهى ثمار الأديب التى تجعل
الفقير غنيا والغنى متسعاً ، هذا ولا غرو فقد عهدت منذ الصغر
تواقياً إلى الأدب ، شغوفاً باقتفاء أثر الأديب والعمل على
منهجهم القويم . ولازلت كذلك حتى جئت لنا اليوم بما شرح
النفوس وأخذ بها الى مستوى يخلق بالمقدرين للعلم أن يطأطئوا
الرؤوس إجلالا لذلك اليراع الفذ بين اخوانه ، وختاماً نحض
محبى العلم والأدب على اقتنائه فإن فيه شفاء الغلة والخزانة
التى لاتفنى مادتها ، والسلام ،

ابن عمك

محمد الطاهر احمد

رقع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

﴿ فهرس شرح مقامات البديع ﴾

صحيفة

٧

مقدمة

ترجمة أبي الفضل بديع الزمان الهمداني ١١

١٧

المقامة القريضية

٢٧

المقامة الأزازية

٣١

المقامة البلخية

٣٥

المقامة السجستانية

٤٣

المقامة الكوفية

صحيفة

٤٧	المقامة الاسدية
٦١	المقامة الغيلانية
٦٩	المقامة الازربيجانية
٧٣	المقامة الجرجانية
٧٩	المقامة الأصفهانية
٨٥	المقامة الأهوازية
٩١	المقامة البغدادية
٩٧	المقامة البصرية
١٠١	المقامة الفزارية

صحيفة

١٠٧	المقامة الجاحظية
١١٥	المقامة المكفوفية
١٢١	المقامة البخارية
١٢٧	المقامة القزوينية
١٣٥	المقامة الساسانية
١٤١	المقامة القرذية
١٤٥	المقامة الموصلية
١٥٥	المقامة المضيرية
١٨١	المقامة الحرزية

صحيفة

١٨٧	المقامة المارستانية
٢٠١	المقامة المجاعية
٢٠٩	المقامة الوعظية
٢٢٥	المقامة الأسودية
٢٣١	المقامة العراقية
٢٤٩	المقامة الحمدانية
٢٦١	المقامة الرصافية
٢٧١	المقامة المغزلية
٢٧٥	المقامة الشيرازية

صحيفة

٢٨١	المقامة الطوانية
٢٩٣	المقامة النهيدية
٣٠١	المقامة الابليسية
٣٢٩	المقامة الارمنية
٣٣٩	المقامة الناجمية
٣٥٥	المقامة الخلفية
٣٦٣	المقامة النيسابورية
٣٧١	المقامة العلمية
٣٧٧	المقامة الوصية

صحيفة

٣٩٥

المقامة الصيمرية

٤٤٣

المقامة الدينارية

٤٦٣

المقامة الشعرية

٤٧١

المقامة الملوكية

٤٧٩

المقامة الصفرية

٤٨١

المقامة السارية

٤٨٥

المقامة التميمية

٤٩٣

المقامة الخمرية

٥١٣

المقامة البشرية

صحيفة

٥٤٥

صحيفة الشكر

٥٥٣

الفهرس

رقم
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

رقم الإيداع ٢٠٠٢/١٣٨٨٢
I.S.B.N. 977- 01 - 7983 - 3

رَفْعُ

عبد الرحمن البخاري
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

www.moswarat.com